

# تاريخ بطليموس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي

تأليف

الدكتورة / سحر السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية  
ومدير معهد دراسات البحر المتوسط  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الجزء الثاني  
التاريخ السياسي

٢٠٠٢

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة

تليفاكس: ٤٨٧٩٤٧٢ - إسكندرية





# تاريخ بطاليوس الإسلامية وغرب الأندلس في العصر الإسلامي

تأليف

الدكتورة / سحر السيد عبد العزيز سالم

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية  
ومدير معهد دراسات البحر المتوسط  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

الجزء الثاني  
التاريخ السياسي

٢٠٠٢

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

٤٠ ش الدكتور مصطفى مشرفة

تليفاكس: ٤٨٢٩٤٧٢ - إسكندرية





## مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على اشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين ، أما بعد . فقد توقفنا في لجزء الاول من التاريخ المسيحي لبطلوريوس الاسلامية عند نهاية دراستنا لتعصر المظفر محمد بن الاغطس ومكانه بين ملوك عصره ، وكنا نأمل ان تتم طباعة الجزء الثانى من الدراسة على اثر صدور القسم الاول منها ، ولكن ظروف غير مواتية حالت آنذاك دون تحقيق ذلك ، ونحمد الله تعالى ان وفقنا في اكمال طباعته بداية بما توقفنا عنده ، وهو عصر المتوكل على الله عمر بن الاقصى ( ٤٦٠هـ - ٤٨٨هـ ) حتى نهاية العصر الاسلامى لبطلوريوس ، اى حتى سقوطها في ايدى الصليبيين سنة ٦٢٧ هـ ، وبهذا نكون قد استوفينا دراستنا للموضوع كله .

لقد حفل عصر المتوكل على الله ابن الاغطس بكثير من الاحداث التاريخية الخطيرة ، ابرزها تعرض دويلات الطوائف في الاندلس لخطر السقوط امام الدفع السريع لحركة الاسترداد المسيحية La Reconquista في اعقاب سقوط مملكة طليطلة سنة ٤٧٨هـ في يد الفونسو السادس ملك قشتالة الذى برز هذه الحركة وفتح ودمر مملكتهم بقعة الدويلات الاسلامية ، وتطلع ليطر بعد طليطلة - كل من مدنى بطليورس واشبيلية تمهيدا للقضاء على دويلات الطوائف الاخرى والاطاحة بالاسلام في الاندلس . وكان سقوط طليطلة نذيرا بالمصير المبنى الذى ينتظر ملوك الطوائف الامر الذى دفعهم الى الاستنصار بيوسف بن تاشفين امير دولة المرابطين الفتيحة ، وتضافرت قوى المسلمين بالتصدي لاسبانيا المسيحية ، التى تزعمها الفونسو السادس ، وجاء انتصار المسلمين على قوى المسيحيين في الزلاقة ٤٧٩هـ محييا لامال الفونسو السادس الذى كان قد نصب نفسه بطلا لحركة الاسترداد .

وفي عصر دولتي المرابطين والموحدين تحولت بطليورس الى ثغر للجهاد ضد قوى النصرانية في شمال الاندلس ويمثلها اللابويرون



والقشتاليون، وفي غرب . . . إليها البرتغاليين ، في الوقت الذي  
تضافرت فيه هذه الآ . . . إلى جاري الإسلام في الاندلس ، وشهدت  
بطليوس في عصر المرابطين صداما عسكريا ضاريا مع القشتاليين في موقعه  
الزلاقة الثانية سنة ٥٢٨ هـ حيث دارت معركة عنيفة انتهت بانتصار  
تافين بن علي بن يوسف علي جيوش القشتاليين .

ان تاريخ بطليوس في ا . . . هو تاريخ للإسلام في غرب الاندلس  
كل . . . ولهذا فان سقوط بطليوس في أيدي الليونيين سنة ٦٣٠ هـ يسجل  
في ثقة الامر سقوط غرب . . . كله .

بعد فارجو ان اكون قد انتهجت في دراستي لهذا التاريخ سبيل  
الصواب ، وأوضح حقائق كان ، مطموسة في هذا التاريخ ، وحقت  
ال رئيسي من هذه الدراسة ، وأبرزت الدور الهام الذي اضطلعت به  
جسور ، إلى تنمية مدينة ، وإمارة ، وثغرا متقدما في الغرب الاندلس ،  
ل الله الواسع .

دكتورة سحر السيد عبد العزيز سالم



## الفصل الرابع

بطلينوس في عصر المتوكل على الله ابن الافطس

- ١ - مرحلة الانتقال من المظفر الى المتوكل
- ٢ - المرحلة الاولى من عصر المتوكل ( ٤٧٢هـ - ٤٧٣هـ )
- ٣ - المرحلة الثانية من عصر المتوكل ( ٤٧٣هـ - ٤٧٩هـ )
- ٤ - اطماع الفونسو السادس في مملكتى بطلينوس واشبيلية
- ٥ - هزيمة الفونسو السادس في الزلاقة من بطلينوس
- ٦ - تحقيق موقع الزلاقة من اراضى بطلينوس ( ساجراخاس )
- ٧ - نهاية بنى الافطس اصحاب بطلينوس







## الفصل الرابع

### بطليوس في عصر المتوكل بن الألفطس

( ١ )

#### مرحلة الانتقال من المظفر الى المتوكل

توفي المظفر بن الألفطس في سنة ٤٦٠ هـ ( ١٠٦٧ م ) . في قول ابن الأبار ( ١ ) . ولكن بريeto أي فيفس . Antonio Prieto y Vives يؤكد استنادا الى درهم يحتل اسم يحيى المنصور ، ابن المظفر وخليفته ، مؤرخ في سنة ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٣ م ) . ان المظفر توفي في سنة ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٣ م ) . وان ولده يحيى المنصور هو الذي خلفه في هذا التاريخ ، ولم يلبث يحيى ان توفي بدوره في سنة ٤٦٠ هـ ( ١٠٦٧ م ) ، فانقرض اخوة الثابى عمر المتوكل بالحكيم ( ٢ ) . ويأخذ الدكتور يحيى مؤنس بهذا الرأي ( ٣ ) ، . بينما يجدي الاستاذ محمد عبد الله عنيان تاريخ وفاة المظفر سنة ٤٦١ هـ ( ١٠٦٨ م ) . ( ٤ ) ، ونحن نميل الى ترجيح التاريخ الاول سنة ٤٦٠ هـ ( ١٠٦٧ م ) . لسنة الوفاة . ونعتقد ان المظفر اعتزل الحياة السياسية في سنة ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٣ م ) في اعقاب سقوط مدينة قلمرية في يد فرذند الاول ملك قشتالة وليون ، تاركاً حكم مملكة بطليوس الى ابنه يحيى الذي تلقب بالمنصور ( ٥ ) . ونستند في هذا

- ( ١ ) ابن الأبار ، الحلة المنيرة ج ٢ ص ٩٧ .  
 ( ٢ ) Prieto y Vives (Antonio), los Reyes de Taifas, Madrid 1927, P 67.  
 ويستند في رايه على ثلاثة دراهم نقش على احدثها اسم الخاجب يحيى وعلى درهم آخر اسم المنصور يحيى ، وتحمل سنوات ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ هـ ( ١٠٦٣ ، ١٠٦٤ ، ١٠٦٥ م ) . اما دراهم المتوكل فتحمل سنوات ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٥ هـ ( ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٦٩ م ) . واستنادا الى هذه التواريخ يؤكد ان سنة ٤٦٠ هـ ( ١٠٦٧ م ) تسجل تاريخ وفاة يحيى المنصور ، ثم أصبحت تحدد خطئا تاريخ وفاة ابيه المظفر . ( Prieto y Vives, op. cit. P. 137 )  
 ( ٣ ) ابن الأبار ، المصدر السابق ، هامش ٢ .  
 ( ٤ ) محمد عبد الله عنيان ، عصر الطوائف ص ٨٦ .  
 ( ٥ ) يؤكد ذلك القول ، قول ابن الأبار « وكانت وفاة المظفر سنة ستين



الرأى على حقيقتين : الأولى تاريخ سنة ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٣ م ) الذى يحمله نقش درهم من الفضة ضرب باسم الحاجب يحيى (١) ، وتاريخ سنة ٤٥٧ هـ ( ١٠٦٤ م ) الذى يحمله نقش درهم ضرب باسم « موفق بالله المنصور يحيى » (٢) .

والثانية صمت المصادر العربية عن ذكر اسم المظفر منذ سقوط قلمرية حتى سنة ٤٦٠ هـ ( ١٠٦٧ م ) ، ونرجح أيضا أن يكون النزاع القائم بين المنصور يحيى الذى خلف أباه المظفر على مملكة بطليونس وبين أخيه عمر وإلى يابرة قد بدا فى سنة ٤٦٠ هـ ( ١٠٦٧ م ) ، ولكنه اشتد ووصل ذروته فى سنة ٤٦١ هـ ( ١٠٦٨ م ) استنادا إلى رواية ابن حيان التى أوردها ابن بسام فى الذخيرة وجاء فيها « وقد ذكر ابن حيان بعض ما كان شجر بين المتوكل وأخيه فى ذلك الاوان فقال : « وفى صدر سنة احدى وستين نشأ من تلقاء ثغر غربى الاندلس المتغور عارضهم ضاعف الاشفاق ، واكد التوقع بانكشاف فى خبر الاختلاف الواقع بين أميريه : يحيى وعمر ابنى المظفر بن الافطس (٣) » . ومما يعزز رأينا فى أن يحيى انفرد بالملك دون أخيه وتلقب بالمنصور ، وبالحاجب موفق بالله المنصور يحيى ، بينما تولى أخوه عمر ( المتوكل ) تحكم يابرة أن ابن بسام يروى أنه قدح فى المتوكل أيام سلطانه بيابرة بمجلس المنصور يحيى أخيه ، فكتب عمر إليه يدفع عن نفسه بما اتهم به ، ونستدل من صوغ الرسالة واسلوبها أنها موجهة من أمير إلى أمير أعلى فى المكانة أو ملك ، أو من أخ أصغر إلى أخ أكبر ، فمنها قوله « ... غير أنه جرى فى ناديك - لازال معمورا بمعاليك - اننى أبيع الاحرار والحزائر ، واستصغر المعاصى والكبائر ، والله نزهنى عن هذا وأبعدنى

---

واربعمائة . ، فولى بعده ابنه يحيى بطليونس وتسمى بالمنصور ( ابن الابار ، الحلة الشيراز ، ج ٢ ، ص ٩٧ )

Prieto Y Vives, op. cit. P. 223

4) Ibid, P. 223

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢. مجلد ٢ ، ص ٦٥٠ .

(٢)

(٣)



عنه ، فلا قدرة لبشر أن ينيطه بي ، وينينى منه (١) « ثم أتى ببعض أبيات من الشعر فذكر منها :

فما بالهم لا انعم الله بالهم	ينيطون بي ذما وقد علموا فضلى
يسيئون فى القول جهلا وضلة	وانى لارجو أن يسؤهم فعلى
طعام لثام أو كرام بزعمهم	سواسية ما أشبه الحول بالقبل
لئن كان حقا ما اذاعوا فلاحظت	الى غاية العلياء من بعدها رجلى
ولم الق اضيافى بوجه طلاقة	ولم امنح العافين فى زمن المحل
وكيف وراحى درس كل غريبة	وورد التقى شفى وحرب البعدا نقلى

الى قبوله :

فيا ايها الساقى اخاه على النوى	كؤوس القلى مهلا رويدك بالعل
لنطفىء نارا اضرمت فى نفوسنا	فبلى لايقلى ومثلك لا يقلى
الست الذى افساك قدما وداده	والقى اليك الامر فى الكثر والقل
وصبرك الذخر الغبيط لدهره	ومن لى ذخرا غيرك اليوم لامن لى
وقد كنت تشكىنى اذا جئت شاكيا	فقل لى لمن اشكو صنيعك بي قلى (٢)

واذا كان النزاع بين الاخوين قد اشتد فى صدر سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٨ م) حسبما اورده ابن حيان المؤرخ الثقة ، فمن الواضح اذن ان يكون يحيى المنصور حيا فى هذا التاريخ ، وعلى هذا الاساس لايمكن الاخذ برأى بريتو اى فيفس ، والارجح فى رأينا ان يكون النزاع قد بدا بين الاخوين فى سنة ٤٦٠ هـ ( ١٠٦٧ م ) بعد وفاة ابيهما المظفر ، وربما ظهرت بوادره فى حياة المظفر ، ثم اشتد وعظم فى سنة ٤٦١ هـ ( ١٠٦٨ م ) بعد قيام المتوكل عمر بالثورة على اخيه المنصور يحيى ، وتربت على هذا النزاع اقدام المتوكل على سبك عملات باسمه ، وهذا

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ، ص ٦٤٨ ، ٦٤٩ .  
(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ، ص ٦٤٩ .



يفتقر العثور على ذراهم بيسام، المتوكل، ضربت في سنة ٤٦٠ هـ ، ٤٦١ هـ ،  
 ٤٦٥ هـ ( ١٠٦٧ ، ١٠٦٨ ، ١٠٧٢ م ) ونميل إلى الظن بأن يحيى  
 المنصور توفي في نفس عام ٤٦١ هـ ( ١٠٦٨ م ) فخلا الجو لعمر المتوكل  
 الذي انفرد به ملكة بطليوس ، وحصلت له جميع جلالته ابنه ، واستقل  
 حاضره بطليوس ، وجعل ابنه العباس في يابورة (١) ، وقد  
 وفي رأينا أن المظفر لم يمتثل ما فعله بجاره أبو الوليد محمد بن  
 جهور صاحب قرطبة الذي قسم الرئاسة بين ولديه (٢) ، وإنما أثر  
 أن يسند أمور الدولة كلها إلى ولده يحيى الذي تلقب بالمنصور ، بينما  
 ترك ولاية يابرة لابنه عمر ، وعلى هذا الأساس لم يكن ثمة تقسيم في  
 الرئاسة بين الأخوين يحيى وعمر (٣) ، على نحو ما حدث في قرطبة ،  
 واستمر الوضع على هذه الصورة طوال حياة المظفر ، وإن كانت هناك  
 بعض السحب أخذت تظهر في الأفق وتفسد ما بين الأخوين إلى أن توفي  
 المظفر في سنة ٤٦٠ هـ ( ١٠٦٧ م ) ، وانفرد يحيى بأمير بطليوس ،  
 وعندئذ بدأ النزاع بينهما ، والخلافات بين الأخوة من الأمور الشائعة  
 في حوادث العصور الوسطى الإسلامية والمسيحية على السواء ، ولم  
 يلبث هذا النزاع أن استفحل في سنة ٤٦١ هـ ( ١٠٦٨ م ) (٤) ، بحيث  
 أصبح لكل من الأخوين مطبلون ومزمرين في الداخل والخارج ، وظهر  
 الأمر في لحظة ما ، وكأنه نزاع على مناطق نفوذ بين الأخوين ، أو كما  
 لو أن تقسيمها في المملكة البطليوسية قد وقع بالفعل ، وهذا ما يمكن

- (١) ابن بيسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ، ص ٦٥١ .  
 (٢) قسم أبو الوليد رئاسة قرطبة بين ولديه عبد الرحمن وعبد الملك  
 فآخذ كل منهما لتمثيل طائفة من الجند ، ويصطنع لنفسه من الرغبة  
 انصاره ، ولم تلبث العلاقات بين الأخوين ، وأصبح  
 كل منهما يتريص بالآخر ، وكان ذلك من العوامل الرئيسية التي  
 اظاحت بدولة بني جهور (راجع د. السيد عبد العزيز سالم ،  
 قرطبة حاضرة الخلافة الأموية بالأندلس ، ج ١ ، ص ١٣٣) .  
 (٣) Manuel Albarran, el solar de los Aftasies, P. 35  
 (٤) ابن بيسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ، ص ٦٥٠ .  
 الخطيب ، أعمال الإعلام ، ص ١٨٤ .



ان يتبادر الى الذهن اذا قرأنا العبارة التالية لابن يحيى « واكد التوقع بانكشاف خير الاختلاف الواقع بين اميريه يحيى وعمر ابني المظفر ابن الافطس » (١) ، لو عيلولة ابن الخطيب : « ولم يتوفى المظفر رحمه الله ولي الامر بعده بولده عمر ويحيى » (٢) .

استغل اذقوتش السادس بن فرناند Alfonso VI ملك قشتالة وليون هذه الفرصة ، وسعى الى اشغال نار الفتنة والتضريب بينهما نكايه في المسلمين ، فبدأ يطالب يحيى صاحب بطليوس وخليفة المظفر بزيادة الاتاة السنوية التي كان يدفعها ابوه المظفر بوساطة المأمون بن ذي النون ، فلما يحيى بالمأمون وطلب مساندته على نحو ما كان يحدث في عهد ابيه ، بينما مال عمر المتوكل الى المعتمد بن عباد ، ولم يلبث النزاع بين الأخوين ان تحول الى فتنة عارمة اضطرت بها البلاد ، وعانت من ويلاتها الرعية ، واصابت اهل المملكة البطليوسية بظواهرها .

« وكان القوتس السادس » كما ستوضح في ذيل الرسالة ، طامعا في ان يكون النطق الذي سيتم على يديه تحرير كل بلاد الاندلس عن المسلمين ، ولهذا السبب تلقب في سنة ٤٦٩ هـ ( ١٠٧٧ م ) بلقب امبراطور كل اسبانيا Emperador de toda España (٣) .

وما كادت تطلعه الانباء بالخلاف الناشئ بين ولدي المظفر حتى

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٤ ، ص ١٥٠ .  
(٢) ابن الخطيب ، اعيان الاعلام ، ص ١٧٤ .  
(٣) Aguado Bleye, Manual de Historia de España, p 599 .  
- ولقد ذكر ابن الكردنبوس في كتاب الاكتفاء في اخبار الخلفاء ان المسلمين انتصروا انتصارا عظيما ، واثروا ثقبته منازل القيصرية ، « وداخله الاعجاب بما اختقر به كل فاش على التراب » ، وتسمى بالانبراطور ، وهو بلغتهم امير المؤمنين ، وجعلت يكتب في كتبه المصادرة حقه ( بعد استيلائه على طليطلة ) - من الانبراطور ذي الملتين ( تاريخ الاندلس لابن الكردنبوس ، تحقيق الدكتور احمد منتقار الغبلاوي ، مدريد ١٩٧١ ، ص ٨٨ ، ٨٩ ) .



عمد الى استغلاله وتوسعته للغاية ليكسب من ورائته مكاسب سياسية تسهل له مهمته في توسيع مملكته على حساب اراضي بطليوس . فبدأ يضغط على المنصور يحيى بن الافطس صاحب بطليوس كما رأينا ، ويطلب منه ان يزيد في مقدار الجزية (١) التي كان يدفعها أبوه المظفر ، فلما اعتذر يحيى بعدم قدرته على تدبير ذلك القدر من المال ، انتهز الفونسو فرصة الظروف السيئة التي تمر بها البلاد الافطسية من اضطرابات عنيفة الى جانب ما لمسه من ضعف يحيى المنصور ، وأخذ يشن سلسلة من الهجمات على مملكة بطليوس (٢) ، فأصاب غداً من الحصون والمدن . وفي هذه الاثناء كان يحيى المنصور قد استعان بالمامون ابن ذى النون صاحب طليطلة ، بينما استعان المتوكل بالمعتمد بن عباد ، وحاول الاخوان امام الوضع المتفجر في البلاد ان يعقداً فيما بينهما هدنة لمواجهة الضربات القاسية التي وجهها اليهما اذقونش ( الفونسو السادس ) ، ولكن الهدنة كانت رماداً على دخن ، فمرعان ما اشعلت السعيات بين الاخوين نار العداء بينهما ، فتجددت الفتنة ، واحتدمت نيران الحرب ، بعد ان خبت فترة من الوقت ، الى ان أنقذ الله هذه المملكة التعسة بوفاة المنصور ، فوضعت حداً لهذه الحرب الاهلية .

واذا أردنا ان نقوم عصر يحيى المنصور بن المظفر من الوجهة السياسية يتبين لنا انه عصر الاضطرابات والفوضى وعدم الاستقرار في تاريخ مملكة بطليوس ، لعدة اعتبارات ، نذكر من أهمها الصراع الذي

---

(١) هي الاتاة التي كان المظفر بن الافطس قد اضطر الى دفعها لفرذلند الاول حين عقد معه الهدنة في وادي تاجه على مقربة من شنترين ، وقد بلغ قدرها خمسة آلاف دينار ( ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٣٨ ) وكان المامون بن ذى النون كما هو موضح في نص ابن حيان قد تدخل عند فرذلند لصالح ابن الافطس ليقبل منه هذه الهدنة في مقابل الاتاة المذكورة على ان يرسل بجيوشه عن شنترين ، وكان المامون قد سبق ان قدم الهدايا والأموال لفرذلند الاول طمعاً في ان يساعده في حربه ضد المستعين بالله بن هود صاحب مرقسطة .



قام بين المنصور وبين أخيه المتوكل بعد أن نجح هذا الأخير في زعزعة سلطانه السياسى منذ اللحظة الاولى ، وبطبيعة الحال لنا أن نتصور حالة الفوضى والضياع التى عاشها الشعب البطليوسى وقد تمزقت وحدة الدولة بين الاخوين المتصارعين فى البلاد . ومنها عيث الفونسو السادس . السادس ملك قشتالة وليون فى البلاد .

اما من حيث الحياة الثقافية فى مملكة بطليوس فنلاحظ انها بلغت فى ايام المظفر محمد حدا كبيرا من التالى والازدهار ، يستمر فى عهد ابنه المتوكل عمر ان لم يكن سيزداد قوة وتالى الى حد الانبهار .

وكل ذلك لايحمل سوى معنى واحدا هو ان الاضطراب السياسى الذى شمل البلاد فى عهد يحيى المنصور لم يكن له صدى عميق فى الحياة الثقافية المزدهرة ، او انه لم ينجح فى اخمادها ولو لفترة قصيرة ، بالتاكيد لقصر فترة حكم يحيى المنصور ، بالاضافة الى الميول الادبية الواضحة فى شخصية المتوكل الذى تولى اماره بطليوس بعد وفاته . هذا التفكير السياسى المؤقت لم يستطع ان يؤثر فى مجرى الحياة العلمية والثقافية تأثيراً ذا فعالية .

صحيح ان سنوات الاضطراب الداخلى سببت خروج عدد من الكتاب والادباء من مملكة بطليوس هروبا من شبح الحرب الاهلية ، ومنهم على سبيل المثال الشاعر الكاتب الوزير ابو محمد عبد المجيد بن عبدون اليابرى الذى خرج من بطليوس فى عهد المنصور يحيى مستوحشا منه ، ولحق باشبيلية ، ومن هناك كتب الى الوزير ابى بكر بن زيدون بهذه الابيات :

لك الخير من مثرى اليمين من العلا      اذ تربت ايدى النوى والتطول  
بما كان بين الماضيين من الذى      اليه استنادى او عليه معولى  
ولم تتمسك بالمؤيد لى يد      وهد زهفت رجلى عن المتوكل (١)

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٧١٠

... كذلك توجه بعض الابتيات الى بنى سعيد بن القبطورنة حين خرج منها مستوحشا تقرأ منها:

اخلائي وفي قرب الصندور      ظيما تقضى على قمم الدهور  
وقد ضمت جوانحنا قلوبنا      انت غير القصور او القبور  
اذا الكرماء نامت فوق ضيم      فما فضل الكبير على الصغير  
فقبل ابى الدنية قيس عبس      ولم يصغى الى قول المشير  
وبلهنى فراق بنى سعيد      فيما ادرى قبيلنا من دبير (١)  
فلما ظفر المتوكل بحكم المملكة بعد وفاة اخيه المنصور ، عاد الى حضره المتوكل ببطلينوس وانشده قائلا :

خصيت الظبا عنكم على انها ليد      بفرج له في كل بارقة رعيد  
بزرق بما خلف الضليوع بصيرة      على انها مما بكت حدق رمد  
تركت لمن هز الاسنة رايه      وقلت لغيري الخفض والعيشة الرغد (٢)  
الا ان ذلك لم يؤثر تأثيرا عميقا على الحياة الادبية ببطلينوس وان كنا لانستطيع ان نبري المنصور من مسؤولية الشلل الوقتى الذى اصاب الحياة الثقافية فى بطلينوس فى تلك الفترة القصيرة . وهذا امر طبيعى ، ولكن التاثير بالحوادث السياسية جاء طفيفا للغاية ، ربما كان من العسير التحقق منة ، فقد ذاعت قصائد لبى عبد الله محمد بن البين الشاعر البطلينوسى (٣) فى احدى وزراء المتصور يخى بن المظفر واسمه ابو الاصمغ بن المنخز ، وكان قد وصله عليها بمائة مثقال (٤) .

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٧١١

(٢) المعتمد السابق ، ص ٧١٠ .

(٣) هو أحد الشعراء العظام بمملكة بنى الاقطر بحضرة بطلينوس وفيه يقول ابن بسام : «أحد الشعراء المجيدين ، كان بحضرة بطلينوس ، مستظرف الالفاظ والمعاني وكان يميل الى طريقة مجيد بن هانئ» ( ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ٢ ، ص ٧٩٩ )  
وليزيد من الدراسة ارجع الى ابن سعيد الاندلسى « رايات المبرزين وغايات المميزين » تحقيق د. النعمان عبد المتعال القاضى ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٦٤ - المغرب فى اولى المغرب ، مجلد ١ ، ص ٣٧٠ .

(٤) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الثانى ، المجلد الثانى ، ص ٧٩٩ .



(٢)

### المرحلة الاولى من عصر المتوكل

لم يرد في المصادر العربية ما يشير الى تاريخ معين لوفاة المنصور يحيى ، ولكننا نرجح أن تكون وفاته قد حدثت في أواخر سنة ٤٦١ هـ (١٠٦٨ م) أو صدر سنة ٤٦٢ هـ <sup>(١)</sup> ، وبوفاته خمدت نيران الحرب الأهلية ، وبأمر عمر المتوكل باحتلال بطليوس حاضرة المملكة الافطسية ، وقلد ولده العباس <sup>(٢)</sup> ولاية يابرة التي كان يتولاها هو ، أي المتوكل من قبل <sup>(٣)</sup> .

ومن أشهر الحوادث السياسية التي جرت في عهد المتوكل حادثة دخول طليطلة في فلك دولة بني الافطس ، وانتقال المتوكل اليها في سنة

---

(١) ذكر الاستاذ محمد عبد الله عنان أن يحيى المنصور توفي فجأة في سنة ٤٦٤ هـ (١٠٧٢ م) ولا أدري علام استند سيادته. فيما ذهب اليه ، إذ أن المصادر العربية لم تنص على تاريخ وفاته ( انظر عبد الله عنان ، عصر الطوائف ص ٨٧ ) . ويؤيد الاستاذ عنان في هذا التاريخ الدكتور عبد الرحمن علي الحجى في كتابه التاريخ الاندلسي ، بيروت ١٩٧٦ ، ص ٣٩٧ .

(٢) كان للمتوكل عمر بن الافطس من الابناء أربعة : العباس والفضل وسعد والمنصور ، أما العباس والفضل فقد قتلها المرابطون عقب دخولهم بطليوس في سنة ٤٨٧ هـ (١٠٩٤ م) واتبعوهما بابيهما ، وأما سعد فقد سجنه المرابطون بعد غلبتهم على أبيه المتوكل ، وقتلهم اياه وابنيه العباس والفضل : وأما المنصور فقد فر من بطليوس وتحصن بحصن شانجش الواقع على مقربة من حدود قشتالة . وقد عرف العباس والفضل بالطيبة ، وعرف المنصور بالدهاء ، وكان كثير النصيح لابيه ، أما سعد فلا نعرف عنه سوى أنه سجن فترة طويلة في سجن المثلثة (ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٨٠٤) ، ومن الامثلة الدالة على طيبة العباس ما رواه ابن بشار في الذخيرة عن تهاونه في الاحتفاظ بطلحة بن عبيد الله في يابرة بعد أن أوصاه أبوه المتوكل بالتحفظ عليه ، الأمر الذي أثار غضب أبيه ( راجع التفاصيل ، في ابن بشار ، الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الثاني ، ص ٦٥١ ) .

(٣) ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٩٨ .

٤٧٢ هـ ، ومقامه بها نحو من عشرة أشهر <sup>(١)</sup> . حدث ذلك كله بعد أحداث خطيرة مرت بها مملكة طليطلة ، وكان لها أكبر الأثر في مستقبل مملكة بطليوس .

كان يحكم طليطلة آنذاك أميرها القادر بالله يحيى بن ذى النون حفيد المأمون يحيى <sup>(٢)</sup> . وكان المأمون قبل وفاته قد قسم أعمال الإدارة في دولته بين وزيريه أبى سعيد بن الفرخ ، وابن الحديدى ، فجعل تدبير الأجناد والنظر في طبقات القوادى سائر الشئون السلطانية والأعمال الديوانية الى أبى سعيد بن الفرخ ، أما بقية الإصدار والإيزاد والنظر لجماهير الناس والرأى والمشورة الى الفقيه أبى بكر بن الحديدى ، وكان قد نصح حفيده أن يشد على ابن الحديدى كلتا يديه ، ولا يفتتات بأمر من الأمور عليه <sup>(٣)</sup> ، واخذ الموائيق الغليظة على ابن الحديدى <sup>(٤)</sup> أن يشد أزر حفيده ، ويعمل على تثبيت أمره .

وكان هذا الحفيد يحيى مضغفا كثير الحيلة ، خبيث الفكرة ، يضاجبه مرضى بمعدته قلما ينعش به ، وأغرته طائفة السوء الغالبة على

- (١) - ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص ١٥١ .
- (٢) كان هشام بن المأمون بن ذى النون قد توفى في حياة أبيه ، وقيل بأنه حكم بضعة أشهر ، ثم مات وهو قول لا يعتد به . ( انظر ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٧١ ) .
- (٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الأول ، ص ١٥١ .
- (٤) هو يحيى بن سعيد بن أحمد بن يحيى بن الحديدى من أهل طليطلة ، وكان متقيا فصيحا قظنا مقدما في الشورى ( انظر ابن بشكوال ، الصلة ٦١٣ ) وفيه يقول ابن بسام « رجل كان له قدم وإقدام ، وعنده قاضى وإبرام » ، وكان قد ساند المأمون بن ذى النون ، وحفظ له ملكه من الضياع أيام كان غائبا في بلنسية ، ولهذا كان المأمون يراعى لابن الحديدى ، فوضع في حياته زمامه بيده ، واستخلفه بعد وفاته على بلده وولده « ( ابن بسام ، قسم ٤ ، مجلد ١ ، ص ١٥١ ) » وفيه يقول ابن عذارى : « وكان أكبر أهل طليطلة رجلا يسمى أبا بكر بن الحديدى ، وكان شيخها والمنظور اليه من أهل العلم والعقل والدهاء وحسن النظر في صلاح البلد ، وكانت العامة تعضده وتقوم دونه » ( ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٢٧٧ ) .



امره بابن الحديدى ، فعجل بنكبته ، «وكان جده قد سكن ملكه ، وقرر اسبابه بسجن الطائفة من اهل طليطلة حثات الشرور ، واسباب الفتس باشارة ابن الحديدى ، فتنوسوا بالمطبق ، واطرد الخير بفقدهم » (١) .

ولم يلبث القادر بالله أن وقع تحت تأثير العبيد والموالى ، استغلوا فيه ضعف الشخصية وقلة الحنكة السياسية (٢) ، فاخذوا يوغرون صدره على وزيره ابن الحديدى ، « جماع امره وفطنة تأييده ونصره » ، ويصورونه للقادر على انه القيد الذى يحد من انطلاقه ويعوق من مد سلطانه (٣) .

كان هؤلاء الحاقدون قد قبض عليهم من قبل فى ايام المامون بن ذى النون بايعاز من ابن الحديدى خشية أن ينقلبوا على المامون ، ويثيروا حوله الفتن والاضطرابات ، فحققوا على ابن الحديدى كل الحقد ، وكان اعظم خطأ وقع فيه القادر انه اطلق سراحهم من سجن ويدة . Ubeda ، وادخلهم طليطلة سرا من بعض مداخله الخفية فى ١٠ ليحرم سنة ٤٦٨ هـ ( ١٠٧٦ م ) ، واستعان بالقاضى ابن المشاط لاستدراج

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٧٩ - عبد الله عنان ، مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، القاهرة ، ١٩٦٢ ص ٢٧٠ .

(٢) وفى ذلك يقول ابن الكردبوس : « فقام بالامر بعد اسماعيل بن ذى النون حفيده يحيى وتلقب بالقادر ، وكان ضعيف المنة ، قليل المعرفة ، رعى فى احجار النساء والدايات ، ونشأ بين الخصيان والغانيات ، فعلك امره العبيد ، وحكم عليه كل خصى ومولود ، كل يدبر ملكه ، على ارادته ، وينفرد بوزارته ، فطمع فى بلاده الرؤساء ، واحتقره القرناء والغرباء » . (ابن الكردبوس ، ص ٧٩) .

(٣) بعبير منبذت بيدال عن ذلك بقوله : «ولم يكد يتوارى جثمان المامون فى جامع طليطلة حتى دفن معه مجد طليطلة ، وتلاشت قوتها ، تلك الدولة القوية التى طالما ظهرت فى عصر الطوائف بمظهر الدولة الكبرى ، وشهدت فترات من الازدهار الحضارى لم تشهدها من قبل ( انظر

ابن الحديدى الى القصر ، ثم اطلقهم عليه ، فقتلوه فى حضرتة ، وبداخل قصره ، ونهبوا دوره .

بعد هذه الجريمة الشنعاء توهم القادر انه تخلص من نير ابن الحديدى ومن نفوذه ، فلم يكذب يتخلص منه حتى ادرك ان التير الحقيقى هو وقوعه فريسة سهلة لينة فى يد هذه الجماعة الائمة الغادرة ، خصوم جده القدامى ، الذين كانوا لا يزالوا يحقدون على الجد ، وتمثلوا المأمون فى صورة حفيده القادر ، فبدأوا يعيثون فسادا فى كافة انحاء مملكة طليطلة ليثيروا الناس على حكم بنى ذى النون ، وتجهوا فى تحقيق هدفهم الدنى . فبدأت اعراض الثورة تشتعل فى النواحي .

يضاف الى هذا طمع جيرانه من ملوك الطوائف فى بلده ، فكان اول من طمع فيه المعتمد بن عباد الذى كان عدوا لجده ، وكذلك ابن هود صاحب سرقسطة الذى لم يكن قد نسي بعد الحروب القديمة التى شنها جده المأمون على اراضيه ، فعزم على ان يذيق القادر من نفس الكاس التى اذاقه منها المأمون من قبل ، فاستعان بقدرة بقوى اسبانيا المسيحية ، وتمكن من الاستيلاء على شنتبرية Santaver الواقعة شمالي طليطلة . ثم واجه القادر بالله ثورة عاتية قام بها ابو بكر بن عبد العزيز ببلنسية ، خلع فيها طاعة بنى ذى النون ، وناذى بنفسه اميرا مستقلا ، ثم تحالف مع ابن هود بعد ان خطب ابنته ، وفى نفس الوقت كادت كارثة ثالثة تحل بالقادر حيث ان شائجة راميرث ملك ارغون كاد ان يستولى على قونكة Cuenca . احندى مدن مملكة طليطلة ، لولا ان افتداه اهلها بمبلغ كبير من المال (١) . وفى هذه الاثناء سير القادر جيشه ، لمقاتلة ابن هود من جهة وراميرث من جهة اخرى ، ولكن جنده تحت امرة الفتى البشير انصرفوا دون قتال .

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٠ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٩٠ .



فلم يجد القادر بدا من التماس عبون الفونسو السادس ملك قشتالة الذى انتهز هذه الفرصة فأخذ يعبد شروطه ومطالبه ، وكان من بين الشروط ان يسلم له القادر بعض الحصون الطليطلية الواقعة على الحدود ، وتم تسليم هذه الحصون ، وهى حصون سرتة Zorita وقنتورية Canturia وقنالش (١) Canales . وهكذا تجردت مملكة طليطلة من حصونها الامامية فى الوقت الذى كان اعداء القادر يحفرون له قبره فى الداخل ، ونجحوا فى اشعال نيران الثورة فى طليطلة عام ٤٧٢هـ ( ١٠٧٩ م ) ، وحاولوا اثناءها ان يغتالوه وينالوا منه ، ففر من المدينة ولاذ بأحد حصونه الشرقية وهو حصن وبذة .

أصبحت طليطلة بعد هذه الاحداث بدون امير ، الامر الذى اشاع فيها الاضطراب والفوضى ، فتشاور اعيانها فيمن يحكمهم من بين ملوك الطوائف ، واستقر رأيهم على دعوة المتوكل عمر بن الافطس . بعد ان رغبهم فيه أبو محمد يوسف بن القلاس البطليوسى (٢) ، وكانت له

- (١) R. Menéndez Pidal, la España del cit, Vol. P. 263  
ومن الجدير بالذكر ان الاستاذ عنان كتب اسم مدينتين منهما محرفتين فكتب سرتة Zorita على أنها سرية ، وقنتورية Canturia فى صورة قنتورية ( أنظر محمد عبد الله عنان ، عصر الطوائف ص ١٠٦ ) وفى ذلك يقول ابن بسام « وفقر الطاغية اذفونش ابن فرذند فمه على ثغوره المثغورة ، فجعل لوقته يطويها طى السجل للكتاب ، وينهض فيها نهضة الشيب فى الشباب ، وابن ذى النون يلقيه أفلاذ كبده ، ويرجمه بسبده ولبده واذفونش لعنه الله لايقنع منه بصيد العنقاء ، ولابييض الانوف بل يكلفه احضار الابلق العقوق ، ويسومه درك الشمس ويطلبه برد أمس ، فلما اكل الانفاق ثبج ماله ، واخذ الخناق يكظم احتياله ، واحس العدو المشاق بذلك من حالة ، سما الى معاقله المنية ، وذرى أملاكه الرفيعة ، عدد الانام ، ودروب الاسلام ، فما رآه منها عليه غلق ، ومارام اخذه من يديه لم يدركه حتى مزق » ( ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، مجلد ١ ، ص ١٥٦ ) .  
(٢) كان ابن القلاس البطليوسى رجلا داهية ، نبهت الفتنة القائمة بطليطلة على قدره ، فعرض عليهم بصاحبه المتوكل ، « واعرب لهم عن لين مكسره ، وضيق مسافة نظره ، واشتغاله باللذات عن أكثره » ، فرحبوا بقدمه اليهم ( ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، مجلد ١ ، ص ١٥٩ ) .

عندهم مكانة مرموقة ، فاستجابوا لرأيه ، وإتاه سفيرهم في بطليوس بدعوة أهل طليطلة له ، فرفض المتوكل في بداية الأمر ما عرضوه عليه ، ولكنه استجاب لمطلبهم في نهاية الأمر وهو كاره ، فانتقل إلى طليطلة ، وأخذ يحكمها ويدير أمورها لمدة عشرة أشهر ، وفي هذه الأثناء كتب القادر بالله ، وقد ثاب إليه رشده ، إلى الفونسو السادس يذكره بصداقة جده المأمون له ، وإيوائه إياه ، فلم يتردد الفونسو في سماع شكواه وأقبل معه إلى طليطلة ليعيده إلى عرشه ، وعندئذ قرر المتوكل ابن الأفطس أن يغادرها ، بعد أن حصل من أملاك ابن ذي النون وذخائره على قسط وافر (١) تاركا طليطلة بين ناب الطاغية أذفونش وظفره (٢) .

ولنا ملاحظة حول هذا الموضوع ، فالنص الذي اعتمدنا عليه في تأريخنا لهذه الأحداث هو نص ابن الخطيب الذي اختصره من رواية ابن حيان الواردة في الذخيرة ، ويدور حول انتقال عمر بن الأفطس من بطليوس حاضرتة إلى طليطلة حاضرة ابن ذي النون ، وفيه نطالع النص التالي « ولحق القادر ببعض حصونه ، وأقام أهل طليطلة بعده أياما كالسائمة المهمة ليس عليهم أمير ، ولا فيهم بالصواب مشير ، إلى أن جنحوا إلى المظفر بن الأفطس من ملوك الطوائف على بعد دارة ، وانتزاح أقطاره ، فجاءهم متناقلا كما قال المؤرخ : كودنا ساموه خصل سباق ، فدخل طليطلة عام ٤٧٢ هـ . . » (٣) .

وفي هذا النص يشير ابن الخطيب إلى أن أهل طليطلة استنجدوا بالمظفر ابن الأفطس وهو خطأ واضح ، فالمظفر كان قد تولى منذ اثنتي عشر سنة وفقا لما أشرنا إليه ، وقد أكد ابن الخطيب نفسه ذلك في موضع آخر من كتابه فقال « ولما توفي المظفر - رحمه الله - ولي الأمر بعده

---

(١) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ص ١٨٠ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٩٠ .

(٢) ابن الكردبوس ، نصاب جديان ، ص ٨٣ .

(٣) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٨٠ .



ولداه عمر ويحيى ، وفي سنة ٤٦١ هـ عظم بينهما الخلاف (١) ، وفي هذه الجبارة ما يؤكد أن وفاة المظفر حدثت قبل عام ٤٦١ هـ ( ١٨٠٠ م ) ، وواضح أن ابن الخطيب كان يقصد المتوكل عمر بن المظفر في حديثه عن جنوح أهل طليطلة إلى ابن الأفطس وليس المظفر كما ورد خطأ في النص .

وقد يتبادر إلى الأذهان سؤال في غاية الأهمية ، وهو لماذا فكر أهل طليطلة في الاستعانة بالمتوكل ابن الأفطس ليحكم بلادهم دون سائر ملوك الطوائف ؟ رغم بعد داره وانتزاع أقطاره (٢) ؟ لماذا وضعوا أملهم في إنقاذ بلادهم في شخص المتوكل عمر بن الأفطس صاحب بطليوس بالذات ؟

يرد مانويل البران Albarran على هذا التساؤل بأن دعوتهم للمتوكل لم تتم دون تدبير من أحد الموالين له في طليطلة ، واسمه أبو محمد يوسف بن القلاص (٣) وهو ماسبق أن ذكرناه أيضا نقلاً عن ابن بسام (٤) . ويعتقد البران أيضا وهو في ذلك يجاري الأستاذ منندث بيدال (٥) أن من بين الأسباب التي دعت المتوكل إلى الاستجابة لدعوة أهل طليطلة أن الضربة التي وجهها إليه الفونسو ملك قشتالة باستيلائه على قوزية (٦) دفعته إلى التفكير في التحصن في طليطلة التي تشغل

(١) ابن الخطيب ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٨٠ .

(٣) Albarran, El solar, op. cit. p. 272 .

(٤) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، مجلد ٢ ، ص ١٥٩ . وما بعدها .

(٥) R. Menéndez - Pidal, La España del cid, Vol. I, P 264, 265 .

(٦) قوزية Coria من أهم مدن الثغر الأدنى في غرب الأندلس ،

تقع على مقربة من قنطرة السيف ، ولها سور منيع . ( الحميري ،

صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٦٤ ) : ومن المعروف أن الفونسو

السادس كان قد كتب إلى المتوكل يطالبه بتقديم الاتاة التي كان

يدفعها أبوه المظفر ثم أخوه المنصور يحيى ويتهدهه بشر العواقب

إذا امتنع عن دفعها ، فرد عليه المتوكل ردا شجاعا ينم عن أبائه

موقعاً أكثر استراتيجية من بطليوس في استطاعته التصدي لهجوم واسع النطاق يمكن أن يشنه الفونسو السادس ، كما أن أسوارها أكثر حصانة

وربابة جاشه جاء فيه « وقد وصل إلينا من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير وأحكام العزيز العدير يرعد ويبرق ، ويجمع تارة ثم يفرق ويهدد بجنوده الوافرة ، وأحواله المتضاربة ، ولو علم أن لله جنوداً أعز بهم ملة الاسلام ، وأظهر بهم دين نبينا محمد عليه السلام « أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ، بالتقوى يعرفون وبالتوبة يتضرعون وينصرون ، ..... وأما تعبيرك للمسلمين فيما بهن من أحوالهم ، وظهر من اختلالهم منا للذنوب المركوبة ، والفرقة المكتوبة ، ولو اتفقت كلمتنا مع سائرنا من الأملاك لعلمت إلى صاب أذقناك ، كما كانت أبؤءك مع أبائنا تتجرعه ، فلم تزل تذيقها من الحمام وضروب الآلام ماتراه وتسمعه ، وأداء المال تتوزعه وبالأمس كانت قطيعة المنصور على سلفك ( يقصد برمودة الثاني ملك ليون ) أهداء أبنته إليه مع الذخائر التي كانت تقف في كل عام عليه .

أما نحن ، وإن قلت أعدادنا ، وعدم من المخلوقين استمذاذنا ، فما بيننا وبينك بحر نخوضه ، ولا صعب نخوضه ، إلا سيوفاً تشهد بحدتها رقاب قومك ، وجلادا تبصره في ليالك ولديك ١٠٠ » . ( كتاب الحل الموشية ، ص ٣٦ - ٣٧ ) كان ذلك الرد القوي دافعاً للهجوم الذي شنّه الفونسو على أراضى المتوكل وانتهى باستيلائه على قورية في سبتمبر ١٠٧٩ م . ( ٤٧٢ هـ ) . وكان ذلك أول فتح قام به المسيحيون لضاف تاجه

Menendez - Pidal, la España del Cid, t. I, P. 264 - Luis Suarez historia de España, p. 188.

ويذكر الأستاذ عنان أنها سقطت عام ٤٧٣ هـ ( ١٠٨٠ م ) وقند أشار المتوكل في رسالته التي وجهها مع القاضي أبي الوليد الباجي إلى يومف بن تاشفين إلى النازلة في مدينة قورية « وأنها مؤذنة للجزيرة بالخلاء ومن فيها من المسلمين بالجلاء » ( راجع كتاب الحل الموشية ، ص ٣٥ ) . كذلك عهد المتوكل إلى أبي الوليد الباجي قاضي بطليوس بالتطوف على ملوك الطوائف يدعوهم إلى التوحيد ، وفي ذلك يقول ابن الأبار : « ولما عظم عيث الطاغية أذفونش بن فردلند وتطاول إلى الثغور ولم يقنع بضرائب المال ، انتدب للتطوف على أولئك الرؤساء القاضي أبو الوليد الباجي يندبهم إلى لم الشعث ومدافعة العدو ، ويطوف عليهم واحداً واحداً ، وكلهم يصغى إلى وعظه » ( ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٩٨ ) .



من اسوار بطليوس التي كانت تغمرها مياه وادي آنة . وايا ما كان الامر فانه من المؤكد فيه كما يرى البران ان الامير الافطس قد دخل طليطلة في يونيو عام ٤٧٣ هـ ( ١٠٨٠ م ) ، وعلى هذا النحو اصبحت المتوكل يحكم اكبر دويلتين من دويلات الطوائف من حيث عظم المساحة والاتساع وان كانتا مهددتين في اكثر مناطقيهما حيوية .

ولعل هذا الرأي الذي ادلى به البران صحيح فيما يختص برغبة المتوكل في الاستيلاء على طليطلة لاسباب استراتيجية لها علاقة بالدفاع عن مملكته ضد هجوم الفونسو السادس ، وربما لم يتبين البران ان هذه الرغبة كانت مستقرة في نفوس بني الافطس منذ زمن اسبق من زمن المتوكل ، فهذه الامنية ترجع الى ايام المظفر ابن الافطس الذي وافق على زواج ابنته من القادر بالله حفيد المأمون يحيى بن ذي النون (١) ، رغم الخلافات السابقة القائمة بينهما ، ولعل هذه الزيجة كانت ترمى الى تحقيق ذلك الهدف السياسي الذي تحقق للمتوكل عمر فيما بعد .

ولكن تمسك البران بالرجوع الى المصادر القشتالية فيما يختص بتلك المرحلة الهامة من حكم عمر المتوكل دون الرجوع الى المصادر العربية اوقعه في خطأ تاريخي ، فالبران يؤكد ان دخول عمر المتوكل الى طليطلة تم في يونيو عام ١٠٨٠ م ( اواخر ٤٧٣ هـ ) اي بعد سقوط قورية الافطسية في يد الفونسو السادس بعام ، بحيث استطاع خلال هذا العام التفكير في الحل الذي يستطيع به ان يحمي بقية اجزاء مملكته الشاسعة التي اصبحت يتهدها الفونسو السادس بعد استيلائه على قورية ، ولهذا السبب لم يجد امامه حلا سوى ان يدعى له في طليطلة عن طريق

---

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٠ وفي ذلك يقول « الى ان ثار بحفيد ابن دنون تلك الطائفة التي اخرجها من الاجتقال وصاحوا به ، وسعوا في هلاكه ، فافلت من بعض الابواب المعدة للضرائر لايملك شيئا الا نفسه ، وزعموا ان زوجة بنت المظفر وابنته منها تبعته يومئذ راجلتين ازيد من فرسخين الى ان ركبنا ، ولحق ببعض حصونه ... » .

ابن القلاس ، ونجح في خطته على نحو تجاوز كل تقدير ، وأرسل إليه أهل طليطلة يدعونه للامارة عليهم ، غير أن هذا التاريخ الذي إورده الاستاذ البزان ليؤرخ به دخول المتوكل طليطلة غير صحيح : ، ولا يتفق مع ما أوردته المصادر العربية ، فابن بتمام يذكر نقلاً عن ابن حبان أن المتوكل دخلها عقب سنة ٤٧٢ هـ ، ويتابعه في ذلك ابن الخطيب ، وهذا التاريخ في الواقع أكثر اتفاقاً مع سياق الأحداث ، فقد اندلعت الثورة في طليطلة في عام ٤٧٢ هـ ، فبادر أهلها بالاستنجاد سريعاً بصاحب بطليوس ليصل اليهم قبل أن يقدم أعداء الاسلام على الاستيلاء عليها ، وبذلك يكون دخول المتوكل الى طليطلة قد حدث بعد سقوط قورية بفترة قصيرة لا تزيد على شهر ، وربما يفسر لنا ذلك ثقل المتوكل بن الافطس في الاستجابة لدعوة أهل طليطلة لتولي امارة بلدهم ، فقد كان كارها لهذا الامر « الى أن جنحوا الى المظفر بن الافطس من ملوك الطوائف على بعد دارة ، وانتزاح اقطاره ، فجاءهم متثاقلاً » (١) .

قبل المتوكل أن يتولى امر دولة بني ذي النون بطليطلة مكرها ، ولكنه قبله على أي حال ، ومضى الى طليطلة متثاقلاً ، فقد كانت النازلة بسقوط قورية في يد الفونسو السادس من العنف بحيث دفعت به الى تبني فكرة توحيد الاندلس ، ولم شعئها بالإضافة الى الاستنصار بيوسف ابن تاشفين أمير المرابطين في المغرب ، فانتقله الى طليطلة ربما كان مناورة سياسية بارعة لتحويل نظر الفونسو السادس عن الغرب المهدد بالسقوط بعد انهيار قورية التي كانت تعد خط الدفاع الرئيس عن مملكة بطليوس ، ومفتاح الغرب كله الى طليطلة التي كانت منتهى أمل الفونسو السادس ، وفي نفس الوقت لم يكن المتوكل يتردد في ربط دولته بدولة بني ذي النون في وحدة سياسية أمام خطر الاسترداد النجاشم ، وخلال ذلك يمكنه أن يخاطب ملوك الطوائف الآخرين عن طريق القاضي أبي الوليد الباجي .



ولم يكن المتوكل بن الافطس غافلا عن حقيقة اهداف الفونسو السادس الذى كان يحلم بالسيطرة على طليطلة حاضرة دولة القوط ، والمدينة الملكية التى يمكن ان تنطلق منها فكرة التسلط الاستعمارى الذى ينبض بين يديه ، بالاضافة الى امله الاعظم فى تحرير الاندلس من الحكم الاسلامى ، وقد اثار ذلك مخاوف المتوكل ، فلو ان الفونسو تمكن من السيطرة على طليطلة ، وهو امر اصبح ميسورا بعد قرار القادر بالله ، وما سببه ذلك من شيوع الفوضى والاضطراب فى سائر انحاءها ، لاستطاع بكل سهولة ان يسيطر على مملكته البطليوسية ، وهذا شيئا ارى كان عاملا ثالثا دفعه الى ركوب الصعاب وترك حاضرتة بطليوس لحماية طليطلة ، ولو ظاهريا من خطر السيطرة القشتالية .

وفى تلك الاثناء كاتب القادر بن ذى النون الفونسو السادس ملك قشتالة من مدينة قونكة (١) التى كان قد انتقل اليها بعد رحيله من حصن وبذة ، وفى هذه المكاتبات اخذ القادر يذكر الفونسو بالود القديم الذى كان قائما بينه وبين جده المأمون ، واخذ يطالبه بحق هذا الود ان يمد يد المعونة له ، ولاقت هذه الاستغاثة قبولا حسنا من الفونسو السادس ، فلم يتردد فى مساندته لاسترجاع ملكه ، ويعبر ابن الخطيب عن ذلك بقوله : « ولما استقر حفيد ابن دنون بمأمنه بعد الخروج من طليطلة راسل اذفونش ملك قشتالة ، يذكره سالف عهده ، اذ كان قد اضطر الى اللحاق بابن دنون جده ولجا اليه لما غلبه اخواه على الملك ، فاجاره الى ان عاد اليه امره ، فلبى دعواه ، وسمع شكواه ، واقبل معه الى طليطلة (٢) ... » .

ويذهب ابن بسام الى التقييح من سلوك المتوكل اثناء اقامته بطليطلة ، فيذكر انه عكف على حياة الحفلات والشعر فى قصر المأمون بن

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨١ .

(٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨١ .

ذى النون (١) ، وأنه كان بها « طليح جفان ، ظريح اكواب وذنابان ، مكبا على قمش ما نحته المحنة ، وتجافت عن انتهابه الفتنة ، من فرش فخم ، وسرادق ضخمة ، وآنية وكتب ، وصعد من آلة الملك وصبب » (٢)

فلما بلغ المتوكل قرب وصول القادر بالله الى طليطلة ملاّ يديه من كل ما استطاعت الوصول اليه من ذخائر وأموال أرسلها تباعا الى بطليوس ، ثم فر من طليطلة مبادرا الى حاضرتة ، ويقال أن الفونسو

(١) يصف ابن حيان مجلسه المكرم (نقلا عن ابن جابر) بقوله «وكننت ممن اذهلته فتنة ذلك المجلس ، واغرب ما قيد لحظي من بهي زخرفه الذى كاد يحبس عيني عن الترقى عنه الى ما فوقه ، ازاره الرائع الدائر بأسه حيث دار ، وهو متخذ من رفيع المرمر الابيض المسنون ، الزارية صفحاته بالعاج فى صدق الملاسة ونصاعة التلوين ، قد خرمت فى جثمانه صور البهائم واطيار وأشجار ذات ثمار ، وقد تعلق كثير من تلك التماثيل المصورة بما يليها من افنان اشجار واشكال الثمر ، ما بين جاد وعابث ، وتعلق بغضها بعضا بين ملاعب ومثاقف ، ترنو الى من تأملها بالحاذ عاطف ، كأنها مقبلة عليه ، أو مشيرة اليه ، وكل صورة منها منفردة عن صاحبتها ، متميزة من شكلها ، تكاد تقيد البصر عن التعلل الى ما فوقها ، قد فصل هذا الازار عما فوقه كتاب نفس عريض التشدير ، مخرم محفور ، دائر بالمجلس الجليل من داخله ، قد خطه المنقار ابن من خط التزوير ، قائم الحروف ، بديع الشكل ، مستبين على البعد ، مرقوم كله بأشعار حسان قد تخيرت من أماديع مخترعه المأمون ، وفوق هذا الكتاب الفاصل فى هذا المجلس بحور منتظمة من الزجاج الملون الملبس بالذهب الابريز ، وقد أجريت فيه أشكال حيوان واطيار ، وصور انعام وأشجار ، تذهل الالباب ، وتقيد الابصار ( ابن بسام ، الذخيرة المجلد الاول ، القسم الثانى ، ص ١٣٣ ، وما يليها ) . وحكى ابن بدرون فى شرح العبدونية أن المأمون يحيى بن ذى النون صاحب طليطلة بنى بها قصرا تأنق فى بنائه وأنفق فيه مالا كثيرا ، وصنع فيه بحيرة ، وبنى فى وسطها قبة ، وسبق الماء الى رأس القبة على تدبير الحكمه المهندسون ، فكان الماء ينزل من أعلى القبة حواليتها محيطا بها متصلا بعضه ببعض ، فكانت القبة فى غلالة من ماء سكب لايفتر ، والمأمون بن ذى النون قاعد فيها لايمسه من الماء شيء ، ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل » ( المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ٨٥ ) .

(٢) ابن بسام الذخيرة قسم ٤ ، مجلد ١ ، ص ١٦٠ .



حاصر طليطلة والمتوكل مقيم بها بعد ، فلما ادرك عجزه عن مواجهة قوات الفونسو عمد الى الخروج منها فارا (١) ، وذلك في نهاية عام ٤٧٣ هـ ( ابريل من عام ١٠٨٠ م ) بعد عشرة أشهر من وصوله اليها .

وهكذا عاد عمر المتوكل الى بطليوس تاركاً طليطلة وراءه تحت رحمة الفونسو السادس وعسكره الذين نكلوا بأهالي طليطلة اشد التنكيل . فقد ظل يحاصر طليطلة الى ان كان يوم عيد الاضحى عام ٤٧٤ هـ ( ١٠٨١ م ) ، وفي هذا اليوم خرج اهل طليطلة لمقاتلة القادر بالله في عددهم وعديدهم ، وزحفوا اليه بكل اسلحتهم ، ولكنهم لم يتوصلوا الى اى نتيجة ، فتراموا الى الفونسو يشكون اليه ابن ذى النون ويستصرخونه عليه ، فتصدى لهم وأظهر انه يؤيده ويناصره ، فتفرقوا بكل سبيل . وتمكن الفونسو من اعادة القادر بالله الى ملكه . ثم انتهج الفونسو سياسة تهدف الى الاستيلاء على طليطلة وانتزاعها من ايدى اهلها ، فهاجم نواحيها ينتسف مرافقها ويحرق مزارعها (٢) ، ولما اشتد البلاء على اهل طليطلة ، وفدحت فيهم البأساء واتى على اكثرهم القتل والجلاء ، نزل الفونسو بالمنية التى كان يعتز بها ، فاتخذ عروشها مرابطاً لافراسه ، وايواناتها ملاعب لاراذله ، اما اهل طليطلة فقد اخذوا يستصرخون من حولهم وكأنهم يضربون فى حديد بارد ، فلما يئسوا مكنوا الفونسو من بلدهم .

ويذكر الاستاذ عنان ان القادر بن ذى النون استنجد بجيرانه من ملوك الطوائف المسلمين ، فلم يساعدوه منهم سوى المتوكل عمر بن الافطس (٣) الذى خرج بجموع عسكره لمداغة جند قشتالة ، ولكن

---

(١) ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص ١٨١ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ص ١٠٩ .

(٢) ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٤ ، مجلد ١ ، ص ١٦٠ .

(٣) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٩٠ ، يوسف اشباخ ، تاريخ الأندلس ص ٥٧ ، وقد أورد اشباخ بخصوص هذا الخبر العبارة التالية « ومن ثم فانه لم يستطيع انجاد طليطلة من بين =

الشهيد السادس لم يشأ ان يقحم نفسه في معارك خاسرة ، فآثر الانسحاب حتى يوفر جنده وطاقته للخطة الحاسمة . ولا ادرى من اين اتى الاستاذ عنان بهذا الخبر ، فالمصادر العربية لاتشير الى محاولة قام بها المتوكل للدفاع عن طليطلة ، ولهذا فالخبر الذى أورده الاستاذ عنان لا اساس له ، اذا اخذنا فى الاعتبار ان المتوكل فر من طليطلة عندما بلغه وصول القادر بالله فى حماية الفونسو السادس وقواته ، ولا يعقل ان يعود اليها من جديد لمواجهة الفونسو ثم يشتبك ويعود من حيث اتى .

---

الامراء المسلمين سوى أمير بطليوس يحيى بن الأفطس الملقب بالمنصور ، فجمع قواته وسار الى لقاء الفونسو ، وكان الفونسو قد اتخذ عندئذ فى ولاية طليطلة حتى صيرها قفرا بلقعا ، ولم يكن يبغي بهذا العيث والتخريب سوى تجريد القلاع من كل وسيلة للحصول على القوات ، ومن ثم فانه لما شعر باقتراب المنصور ارتد أدراجه ، فعاد المنصور بجيشه من حيث أتى ، ولم يمض سوى قليل حتى توفي مبكيا عليه من شعبه ( ٤٧٤هـ / ١٠٨٢م ) فخلفه اخوه أبو محمد عمر بن محمد المتوكل . . « وواضح من هذه العبارة ان اثناباخ قد التبس عليه الامر فخلط بين المتوكل عمر بن الأفطس وبين يحيى المنصور الذى كان قد توفي منذ عام ٤٦١هـ ( ١٠٦٨م ) . »



(٣)

### المرحلة الثانية من عصر المتوكل

في منتصف المحرم سنة ٤٧٨ هـ ( ١٠٨٥ م ) دخل الفرنسوس السادس مدينة طليطلة (١) واستولى عليها ، وبذلك تحقق أول أهدافه في ضم أراضيها إلى مملكته ، وقد ترتب على سقوط طليطلة نتائج خطيرة للغاية ، فقد أحدث سقوط طليطلة في أيدي القشتاليين دويًا هائلًا في الأندلس ، وقرعت نواقيس الخطر تنذر ملوك الطوائف بسوء المصير ، فأحسوا بضعفهم ، وأيقنوا بنهايتهم الوثيكة ، والمحتومة ، وعبر شعراء الأندلس عن هذه الحقيقة المرة بأشعارهم ، من ذلك قول الشاعر عبد الله بن فرج اليحصبي المعروف بابن الغسال :

يا أهل أندلس حثوا مطيكم      فما المقام بها إلا من الغلط  
الثوب ينسل من أطرافه وارى      ثوب الجزيرة منه ولا من الوسط  
ونحن بين عدو لا يفارقنا      كيف الحياة مع الحيات في سقطة

وقال آخر :

يا أهل أندلس ردوا المعار فما .. في العرف عارية إلا مردات  
الم تروا بيدق الكفار فرزته .. وشاهنا آخر الابيات شهوات (٢)

(١) النويري ( شهاب الدين ) نهاية الأرب ، ج ٢٢ ، نبذة خطية مصورة محفوظة بمكتبة كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، لوحة ٤٧ . وذكر النويري أنه استولى عليها بعد أن حاصرها سبع سنين . ( أنظر المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ٨٤ ، وراجع أيضا الحميري ، ص ٢٣٥ - ابن خلدون ، ج ٤ ، ص ٣٤٨ ) ، ويحدد ابن علقمة تاريخ استيلاء الفونسو على طليطلة في يوم الأربعاء لعشر خلون من المحرم سنة ٤٧٨ ( ١٠٨٥ م ) بينما يحدده ابن خلكان بيوم الثلاثاء مستهل صفر سنة ٤٧٨ هـ ( ١٠٨٥ م ) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ٨٥ .

(٢) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ٨٤ ، وراجع أيضا ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص ١١٨ .

كانت طليطلة تعنى الكثير بالنسبة لالفونسو ، فقد اعتبرها قرارة الملك وسويداء الاندلس ونقطة الانطلاق نحو استرداد كل اراضى شبه جزيرة ايبيريا ، كذلك كانت تعنى الكثير بالنسبة للمسلمين ، فقد كانت رمز بقائهم فى تراب الاندلس ، وسقوطها غير المتوقع اثار هلعهم (١) ، وادركوا انها البداية للنهاية ، وقد تحققت بالفعل مخاوفهم ، فاستفحل خطر الفونسو السادس بعد أن ذاق حلاوة الانتصار على المسلمين ، وعزم على فتح الاندلس كلها ، وعرض عليه رعيته أن يلبس التاج ، ويعيد عادة اسلافه القوط ، فأرجأ ذلك حتى يستولى على دار المسلمين بقرطبة (٢) . ولم يلبث أن شمع بأنفه ، « ورأى ان زمام الاندلس قد حصل فى كفه ، فشن غاراته على جميع أعمالها حتى فاز باستخلاص جميع اقطار ابن ذى النون واستئصالها ، وذلك ثمانون منبرا سوى البنيات ( أى المدن الصغرى ) والقرى المغمورات ، وجاز من وادى الحجارة الى طليطلة Talavera La Reina وفحص اللج وأعمال شنتمرية كلها Albarracin . فلم يكن بالجزيرة من يلقى أقل كلب من كلابه ... وانتفى الفئس انتحاء الجبابرة ، وأنزل نفسه منازل القياصرة ، وداخله من الاعجاب ما احتقر به كل ما شئ على التراب ، وتسمى بالانبراطور وهو بلغتهم امير المؤمنين وجعل يكتب فى كتبه الصادرة عنه : من الانبراطور ذى الملتين ، واقسم لارسال ( أى لوفود ) الرؤساء « انه لا يترك فى الجزيرة من الثوار احدا ، ولا يبقى لهم ملتحدا سوى من اكتنفته رعايتى وشملت عنايتى » (٣) .

---

(١) يقول صاحب الحل الموشية « كان الطاغية اذفنش فى سنة ثمان وسبعين ، وأربعمئة قد غلب على طليطلة واستولى على أعمالها ، وحازها لنفسه ، وكثر الروع على الاندلس واشتد الخوف ، وتطرق لبلاد المعتمد على الله بن عباد ، ولما ملك اذفنش أعمال طليطلة طمغ فى الاستيلاء على الجزيرة كلها ، وهابت الملوك أمره لكون طليطلة نقطة دائرتها » (الحل الموشية ، ص ٣٨) .

(٢) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٤٤ .

(٣) تاريخ الاندلس لابن الكردبوس ، تحقيق د . أحمد مختار العبادى ، مدريد ، ١٩٧١ ، ص ٨٧ - ٨٩ .



كان لتلك الاحداث المفجعة اثرها العميق على المتوكل عمر بن  
الافطس فقد ادرك هول الكارثة التي خلت بالاسلام في الاندلس ، وعز  
عليه ان يقف مكتوف اليدين الى ان يحل دوره ، ورأى ضرورة التحرك  
السريع لانقاذ الموقف الاسلامي المتدهور .

وقد اثار الدكتور عبد الرحمن الحجى قضية للمناقشة حول دعوة  
القاضي العلامة الفقيه ابي الوليد سليمان بن خلف بن سعد بن ايوب  
المعروف بالباجي (١) بلاد الاندلس الى توحيد الصف وجمع الكلمة ، فقد  
تسائل الدكتور الحجى هل قام الباجي بدعوته هذه لوحده الاندلس  
من تلقاء نفسه ، ام بتكليف رسمى من المتوكل ابن الافطس ؟ ومتى بدأت  
هذه الدعوة ، وكم من الزمن استغرقت ؟

ويذهب الدكتور الحجى بعد قراءته لعدد من النصوص الى ان  
الباجي قد قام بهذه الدعوة في بادئ الامر من تلقاء نفسه ، وكان ذلك  
عقب عودته من رحلته الى المشرق الاسلامي التي استغرقت ثلاثة عشر  
عاما ( ٤٢٦ - ٤٤٠ هـ ) (٢) ( ١٠٣٤ - ١٠٤٨ م ) ، واعتمد في ذلك  
الرأى على نصوص استمدتها من المقرئ ( نفح الطيب ، ج ٢ ، ص

---

(١) ابو الوليد الباجي (ت. ٤٧٤ هـ) ( ١٠٨١ م ) فقيه كبير ، شهير ولد  
ببطليوم في النصف من ذي القعدة ٤٠٣ هـ ( ١٠١٢ م ) ونشأ بها  
وتولى التدريس والقضاء في كثير من بلاد المشرق الاسلامي ، وله  
العديد من المصنفات والاشعار التي جمعها ابنه ابو القاسم . وقد  
قام ابو الوليد الباجي بمناقشة ابن حزم في جزيرة ميورقة ، واقام  
في سرقسطة عدة سنوات اثناء حكم المقتدر احمد بن هود ، وهذا  
الى جانب توليه الرد على رسالة راهب فرنسي ، فند فيها مزاعم  
هذا الزاهد ودعاه الى اعتناق الاسلام ( انظر ابن بسام ، الذخيرة ،  
قسم ٢ ، ج ١ ، ص ٩٤ ، وابن خاقان الفتوح ص ١٩٦ ، ابن  
البار التكملة ج ١ ص ٣٩١ ، ج ١ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٢ ،  
ص ٢٧٣ )

(٢) ابن خلكان ، وفیات الاعيان ، ج ٢ ، طبعة احسان عباس ، ترجمة  
٢٧٥ ، ص ٤٠٨ . النباهي الملقى ، تاريخ قضاة الاندلس ص ٩٥ ،  
المقرئ نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ .

( ٢٧٣ ) وعلى نصوص لابن بسام ، ( الذخيرة ، قسم ٢ ، مجلد ١ ) تشير الى ان الباجي كان كثير التنقل والطواف بين ملوك الطوائف يصحبهم ويرسل بينهم (١) وكان ذلك من الاسباب التي دعت المتوكل ابن الافطس الى ان يعهد اليه رسميا بالقيام بهذه الدعوة ، وانتهى الدكتور الحجى الى ان الباجي كان قد بدا دعوته هذه من تلقاء نفسه عقب رجوعه من المشرق بعد احداث سرقسطة ، وعلى الاخص بعد حادثة بريشتر عام ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٣ م ) . وعندما ادرك ابن الافطس الجهود الموفقة التي بذلها الباجي لتوحيد الصف الاسلامي في الاندلس وتصديه لجمع شمل المسلمين امام الموجة الاسبانية الشرسة التي كانت تهدد وجود المسلمين في الاندلس ، لم يتردد في الافادة من تلك الجهود ، وعزم على دعمه وتأييده ، ولم يكن ابو الوليد الباجي وحده الذي تطوع من بين علماء الاندلس لهذا الهدف ، فقد شاركه في الدعوة الى جمع كلمة المسلمين عدد من العلماء منهم ابو عمر بن عبد البر الذي كان يتولى قضاء الاشبونة وشنترين في عهد المظفر ابن الافطس ، فقد انتقل من قرطبة متجولا في بلاد غرب الاندلس ، ثم انتقل الى شرق الاندلس ، وتردد ما بين بلنسية ودانية وشاطبة ، يدعو الى التوحيد ونبذ

---

(١) يقول ابن بسام في ذلك انه نازعه وهو بالشرق الى مسقط رأسه ومنبت غرسه من ارض الاندلس ، فورد وعشب بلادها ناب وظفر ، وصوب عهادها دم هدر ، ومالها لا عين ولا اثر ، وملوكها اصدقاء ، واهواء اهلها ضغائن واحقاد ، وعزائمهم في الارض فساد واقساد ، فأسف على ما ضيعه ، وندم لو أجدي عليه ذلك أو نفعه ، على انه لاول قدومه رفع صوته بالاجتساب ومشى بين ملوك اهل الجزيرة بصلة ما انبت من تلك الاسباب ، فقام مقام مؤمن آل فرعون لو صادف اسماعا واعية ، بل نفخ في عظام ناخرة ، وعكف على اطلال دائرة ، بيد انه كلما وفد على ملك منهم في ظاهر امره لقيه بالترحيب واجزل حظه بالتأنس والتقريب ، وهو في الباطن يستجمل نزعته ، ويستقل طلعتة ، وما كان افطس الفقيه رحمه الله بأمورهم ، واعلمه بتدبيرهم ، لكنه كان يرجو حالا تثوب ، ومذنباً يتوب ... » ( ابن بسام ، قسم ٢ ، مجلد ١ ، ص ٩٥ - ٩٦ ) .



٤٥٠ هـ ( ١٠٥٨ م ) الذي قام بمحاولة لازالة الخلافات بين ملوك  
المخلاف (١) .

ومنهم ابو حفص عمر بن حسن الهوزنى ( ٣٩٢ هـ - ٤٦٠ هـ )  
( ١٠٠١ - ١٠٦٧ م ) ، وهو من اهل اشبيلية ، كتب الى المعتضد بن عباد  
عقب نكبة بريشتر ٤٥٦ هـ (٢) ( ١٠٦٣ م ) رسالة يحثه فيها على  
الجهاد (٣) .

ومنهم ابو المعالى ادريس بن يحيى بن يوسف الواعظ الاشبيلي ،  
وكان يجول هو الآخر فى البلاد يعظ الناس ويذكرهم (٤) ، وابو بكر  
محمد بن احمد بن محمد بن حسن بن اسحاق القرطبى ( ت . نحو عام

---

(١) الحجى ، التاريخ الاندلسى ، ص ٣٤٧ . وله رسالة فى ذكر الجهاد  
واستنفار كواف البلاد بعد سقوط بريشتر فى سنة ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٣ م )  
اوردها ابن بسام ( الذخيرة ، قسم ٣ ، مجلد ١ ، ص ١٧٣ ) .  
(٢) لمزيد من المعلومات عن سقوط بريشتر ، ارجع الى ابن بسام ،  
الذخيرة ، قسم ٣ ، ج ١ ص ١٧٩ - ١٨٩ ، ابن عذارى ، البيان ،  
ج ٣ ، ط . ليفى بروفنسال ، ص ٢٢٥ - ٢٢٨ ، الحميرى ، صفة  
جزيرة الاندلس من كتاب الروض المعطار ، ص ٤٠ ، المقرئ  
نقح الطيب ، ج ٦ ، ص ١٩١ - ١٩٨ ، محمد عبد الله عنان ،  
دول الطوائف ص ٢٦٤ ، وما يليها - عبد الرحمن الحجى ،  
التاريخ الاندلسى ، ص ٣٥٩ - ٣٦١ .

(٣) استفتح رسالته الى المعتضد يستحثه على التصدى للعدو فيقول :  
عباد جل الرزء والقوم هجع . . . على حالة . من مثلها يتوقع  
فلق كتابى من فراغك ساعة . . . وان طال فالموصوف للطول موضع  
اذا لم ابث الداعرب دوائه . . . اضعيت واهل للملام المضيع  
وفى فصل منها « وكتابى على حالة يشيب لشهودها مفرق الوليد ،  
كما تغير لورود وجه الصعيد ، بدوها ينسف الطريف والتالد ،  
ويستاهل الوليد والوالد ، تذر النساء ايامى ، والاطفال يتامى ،  
فلا ايمة اذا لم تبق انثى ولا يقيم ، والاطفال فى قيد الامرى . . .  
كان الجميع ( يقصد جميع المسلمين فى الاندلس ) فى رقدة اهل  
الكهف ، او على وهدها دق من الصرف والكشف ، من اين لنا  
دفعهم بالكفاية وتكيف ، ولم يخطط اليهم الخوف ونساجلهم السيف »  
( ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٢ مجلد ١ ، ص ٨٤ ) .  
(٤) ابن البار ، التكملة لكتاب الصلة ، ج ١ ، ترجمة رقم ٥١٩ ،  
وراجع الحجى ، المرجع السابق ، ص ٣٤٨ .

## الطوائف (١) .

وفي نفس الوقت الذي كان المتوكل عمر بن الاقطس يعاني فينة من تقدم حركة الاسترداد داخل مملكته كان المعتمد على الله بن عباد يتعرض لنفس الموقف ، الا ان وضعه كان اقل خطورة بكثير من وضع ابن الاقطس الذي كان الضحية التالية لالفونسو السادس منذ ان استولى على مملكة بنى ذى النون بطليطلة ( ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ) .

ومن المعروف ان الفونسو السادس كتب الى المعتمد بن عباد على نحو ماكتب لابن الاقطس « يطلب منه تسليم اعماله الى رسله وعياله ، واشتط عليه في الطلب ، واظهر له السرور بالغلب ، فمما خاطبه به : « من الكنبيطور ذى الملتين ، الملك المفضل ، الاذفنش بن شائجة الى المعتمد بالله سدد الله آراعه وبصره مقاصد الرشاد ، سلام عليك ، من مشيد ملك شرفته القنا ، ونبتت في ريعه المنى ، فاعتز اعتزاز الرمح بحامله ، والسيف بساعد حامله ، وقد ابصرتم ما نزل بطليطلة واقطارها ، وما صار باهلها حين حصارها ، فاسلمتم اخوانكم ، وعطلتم بالدعة زمانكم ، والحذر من ايقظ بالله ، قيل الوقوع في الحباله ، ولولا عهد سلف بيننا نحفظ ذمامه ، ونسعى بنور الوفاء امامه ، لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائده ، ووصل رسول الغزو ووارده ، لكن الانذار ، يقطع الاعذار ، ولا يعجل الا من يخاف الفوات فيما يرومه ، او يخشى الغلبة على مايسومه ، وقد حملنا الرسالة اليكم القومط الجرهانس وعنده من التسديد الذي يلقي به امثالك ، والعقل الذي يدبر به بلادك ورجالك . ( ٢ ) . . . » .

وقد رد عليه المعتمد بن عباد زدا يماثل رد المتوكل بن الاقطس على الفونسو ان لم يكن انكى واشد ( ٣ ) .

( ١ ) راجع التفاميل في عبد الرحمن الخجى ، المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

( ٢ ) الحلل الموشية ، ص ٣٨ - ٣٩ .

( ٣ ) المصدر السابق ، ص ٤٠ .



( ٤ )

اطماع الفونسو السادس في مملكتي بطليوس

واشبيلية

كان الفونسو السادس قد استولى على قورية من الاطراف الشمالية لمملكة بطليوس كما سبق ان ذكرنا في عام ٤٧٣ هـ ( ١٠٨٠ م ) ، وانفتح الطريق امامه ممهدا للسيطرة على اهم قواعدها . وتبين للمتوكل بن الافطس خطورة الوضع ، وكان عليه ان يبادر بالتحرك ، فدعوة ابي الوليد الباجي لرأب الصدع ولم شعب ملوك الطوائف لم تثمر ، بل ساءت الاوضاع عندما تفككت عرى الروابط بين هؤلاء الملوك امام الخطر المسيحي الجاثم ، وساءت الصلات بينهم جو من التحاسد والتغاير ، وادرك المتوكل ان الركون الى امل المصالحة لن يجده شيئا ، واثر ان يخاطب امير دولة المرابطين الفتية في المغرب .

ويؤكد صاحب الحل الموشية ان عمر المتوكل كان اول ملوك الطوائف ، في الاستنجاذ بيوسف بن تاشفين امير المرابطين ، فقد كتب اليه حين كلب العدو على بلاده يستصرخه ، ويوضح له سوء المصير الذي ينتظر ملوك الطوائف بالاندلس ، ويوضح لنا صاحب الحل ان هذه الرسالة الاولى التي ارسلها ابن الافطس وجهت في ٤٧٤ هـ ( ١٠٨١ م ) في قبال سقوط طليطلة بأربع سنوات (١) ، اثر رجوع وفد اندلسي من عند امير المرابطين بالمغرب كانوا قد وفدوا اليه يشكون اليه خالتهم ، وما حل بهم من أعدائهم ، فوعدهم بامدادهم واعانتهم ، ثم صرفهم .

وكانت هذه الرسالة وهي من انشاء الوزير الكاتب ابو عبد الله محمد بن ايمن (٢) ، تجمل معاني الالم والحسرة على اثر سقوط

(١) الحل الموشية ، ص ٣٣ - ٣٤ .

(٢) ابن بمام ، الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الثاني ، ص ٦٥٣ ، وفي ذلك يقول ابن بمام ، « ولما اشتد يومئذ كلب الروم بهذا الاقليم على ما تقضيه شهادة المنتور والمنظوم بلسان =

قورية ٤٧٢هـ في يد الاعداء ، وجاء من فقراتها ما يلى : « لما كان نور الهدى ايدك الله دليلك ، وسبيل الخير سبيلك ، ووضحت في الصلاح معالمك ، ووقفت على الجهاد عزائمك ، وصح العلم بأنك لدولة الاسلام اعز ناصر ، وعلى غزو الشرك اقدر قادر ، وجب ان تستدعى ، لما أعضل الداء ، وتستغاث فيما احاط بالجزيرة من البلاء .

فقد كانت طوائف العدو تطيف بها عند افراط تسلطها واعتدائها ، وشدة ظلمها واستشرائها ، تلاطف بالاحتيال ، وتستنزل بالاموال ، ويخرج لها من كل ذخيرة ، وتسترضى بكل خطيرة ، ولم يزل دأبها التشطط والعناد ، ودأبنا الاذعان والانقياد ، حتى نفذ الطارف والتلاد ، واتى على الظاهر والباطن النفاذ ، وايقنوا الآن بضعف المنن ، وقويت اطماعهم في اففتاح المدن ، واضرمت في كل جهة نارهم ، ورويت من دماء المسلمين اسنتهم وشغارهم ، ومن اخطاه القتل منهم ، فانما هم ايديهم اسارى وسيايا ، يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا ....

الا ناصر لهذا الدين المهتضم ، الاحاميا لما استبيح من حمى الحرم ؟ وانا لله على ما لحق عبيده من ثكل ، وعزة من ذل ، فانها الرزية التى ليس فيها عزاء ، والبلية التى ليس مثلها بلاء .

ومن قبل هذا ما كنت خاطبتك ، اعزك الله بالنازلة في مدينة قورية اعادها الله للاسلام ، وانها مؤذنة للجزيرة بالخلاء ، ولبن فيها من المسلمين بالجلاء ، ثم بازال ذلك التخاذل والتدابير يتزايد حتى تخطت القضية ، وتضاعفت البلية ، وتحصلت بيد العدو مدينة مرية (١)

---

= من اندرج ذكره في هذا الديوان من كل زعيم استصرخ ملوك الطوائف بافقتنا امير المسلمين وناصر الدين ابا يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، وقد القوا بايديهم ، فكتب ابو عبيد الله بهذه الرسالة عن صاحبه واراها كانت ثالثة المفاتحة او ثمانية المداخلة ... » .

(١) سريه ، من مدن قشتالة القديمة وكانت من بين مدائن البغر الاعلى ولهذا فقد مثل سقوطها ضربة خطيرة في قلب الاندلس .

وعليها قلاع ، تجاوزت حد القلاع في التحصن والامتناع ، وهي من المدينة كنقطة الدائرة ، تدركها من جميع الجهات دائرة بنواحيها ، ويستوى في فناء الارض بها قاصيها ودانيها ، وما هو الا نفس خافق ، ورمق زاهق ، استولى عليه عدو مشرك وطاغية منافق ، ان لم تدركوها بجماعتكم عجالا ، وتبادروا ركبانا ورجالا (١) . . . » .

ولما بلغ هذا الكتاب أمير المرابطين يوسف بن تاشفين كتب اليه يعده بالجواز والانجاد ، وارسال المدد والعتاد .

كذلك يؤكد صاحب الحل الموشية أن المتوكل عمر بن الافطس كان قد وصلته قبل ذلك رسالة من الفونسو السادس يهدده فيها ويطالبه تسليم بلاده قبل سقوط طليطلة ٤٧٨ هـ ( ١٠٨٥ م ) ، وقد رد عليه المتوكل ردا عنيفا ، وفند كل ما اثبته الفونسو في رسالته من طعن للمسلمين ، وعلى اثر ذلك بادر المتوكل بمكاتبة أمير المرابطين ، يوسف بن تاشفين (٢) ، بعكس ما يراه الاستاذ محمد عبد الله عنان الذي يذكر ان « الفونسو السادس بعد استيلائه على طليطلة في صفر ٤٧٨ هـ ( ١٠٨٥ م ) تصور انه صار قادرا على تحدى دول الطوائف جميعا والقضاء عليها واحدة بعد الاخرى ، وكان من اثر ذلك ان ارسل الى المتوكل يطلب اليه تسليم بعض قلاعه وحصونه ، وان يؤدي له الجزية ويتوعده بشر العواقب اذا رفض ، ولم يك ثمة شك في خطورة هذا الوعيد بعد ان سقطت طليطلة حصن الاندلس على نهر التاجة ، وعبر النصراني على هذا النهر لاول مرة ، ومع ذلك ابى المتوكل ان يستجيب الى الوعيد ، ورد على ملك

---

(١) ابن بسام الذخيرة ، القسم الثاني ، المجلد الثاني ، ص ٦٥٣ - ٦٥٥ ، الحل الموشية لمؤلف مجهول ، ص ٣٥ .

(٢) الحل الموشية ، ص ٣٦ . ويقول صاحب الحل الموشية « وانه لما بلغ هذا الخطاب لأمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين ، كتب اليه يعده بالجواز والامداد على العدو . وقد كان المتوكل على الله بن الافطس وصله كتاب من عند عدو الاسلام المواجه الى بلاده ومن الجواب يفهم مقصده والجواب عليه » .



قشتالة برسالة قوية حازمة تفيض شجاعة وأباء ونبلاء (١) . . . . .

ثم أورد الأستاذ عنان نص رسالة المتوكل كما أوردها صاحب  
الحلل ، ومما يسترعى الانتباه أن المصدر الرئيسى الذى اعتمد عليه  
الأستاذ عنان هو نفسه المصدر الذى اعتمدنا عليه فى إثبات أن رسالة  
الفونسو السادس الى عمر المتوكل أرسلت اليه قبل سقوط طليطلة عام  
٤٧٨ هـ ( ١٠٨٥ م ) وهو كتاب الحل الموشية ، فقد أكد صاحبه بوضوح  
تام وصول الوفد الأندلسى الى يوسف بن تاشفين فى سنة ٤٧٤ هـ ( ١٠٨١ م )  
يدعوه الى مساعدة المسلمين فى الأندلس ، ويحثه على انقاذ الاسلام  
فى هذا البلد ، ثم ذكر المصدر فى نهاية هذا الخبر « وكان ممن كتب  
اليه بذلك المتوكل على الله بن الألفطس » بمعنى أن رسالة المتوكل بن  
الألفطس وصلت الى يوسف بن تاشفين قبل مجيء هذا الوفد الأندلسى  
عام ٤٧٤ هـ ( ١٠٨١ م ) وبالتالى قبل سقوط طليطلة فى سنة ٤٧٨ هـ ،  
ويضيف صاحب الحل الموشية فى نهاية حديثه عن خطاب المتوكل هذا  
« وقد كان المتوكل على الله ابن الألفطس وصله كتاب من عند عدو  
الاسلام الموجه الى بلاده » أى أن المتوكل كتب الى أمير المرابطين  
أثر وصول رسالة الفونسو اليه ، وواضح أن كل هذه الحوادث وقعت  
قبل سقوط مدينة طليطلة فى سنة ٤٧٨ هـ ( ١٠٨٥ م ) بدليل أن سطور  
الرسالة التى زد فيها ابن الألفطس على الفونسو السادس لا تتضمن أية  
إشارة عن سقوط طليطلة ، وعلى هذا الأساس يتضح لنا أن الفونسو  
السادس كان يطمع فى مملكة بطليوس فى نفس الوقت الذى كان يفكر  
فيه فى الاستيلاء على طليطلة ، ولعله باذر بالاستيلاء على طليطلة بسبب  
الظروف السيئة والأحوال المضطربة التى كانت تعانيها مملكة بنى ذى  
النون فى تلك الآونة ، فقد كان القادر بالله قد قرر إلى وبذة ، ومنها  
الى قونكة أثر ثورة أهل طليطلة عليه فى عام ٤٧٢ هـ ( ١٠٧٩ م ) مما  
أتاح الفرصة للفونسو السادس للوثوب عليها ، ثم جاءت استعانة القادر

بالله بن ذى النون به مبررا. وذريعة لتحقيق أطماعه في استعادة عاصمة  
عرش أجداده القدامى ، وكان القادر بالله قد كتب اليه من وبذة «يذكره  
مبالغ عهده اذ كان قد اضطر الى اللحاق بابن ذنون جده ولجا اليه لما  
غلبه اخواه على الملك؛ فأجاره الى ان عاد اليه امره ، فلبى دعواه ،  
وسمع شكواه ، واقبل معه الى طليطلة ، وقد علقده على ان يخلى بينه  
وبين المدينة اذا ابلغه امله من دخولها ، فنازلها وشد حصارها الى ان  
بلغ الجهد من اهلها مبلغه ، وعجزوا عن الصبر ، وتبراوا من المسكة ،  
واعذروا في الدفاع ، الى ان اعيد حفيد ابن ذنون الى طليطلة على  
شروط للنصارى لا يطاق حملها ، فدخلها والطاغية بين يديه يتبجح  
بيده عنده ، واستقر بها شر استقرار ، واقتضاه الطاغية الوعد ، وسلبه  
الله النصر والسعد ، وهلك الذمم ، واستؤصلت الرحم ، ونفذ عقاب  
الله في اهلها جاحدى الحقوق ، ومتعودى العقوق ، ومقيمى اسواق  
الشقاق والنفاق ، والمثل السائر فى الافاق ، ولم تطل مدته شطر الدنة  
حتى ملك الطاغية طليطلة » (١) .

ونستنتج من هذا النص التاريخي أن الفونسو السادس عندما شرع  
في مساعدة القادر بالله صاحب طليطلة كانت قد اختمرت في ذهنه فكرة  
استيلائه عليها قبل بطليوس ، اذ كانت مملكة طليطلة اكبر دويلات  
الطوائف مساحة ، واكثرها ثراء ، فكأنما اراد بمساعدته للقادر ان يتحكم  
فيه بعد ذلك ، ليتمكن عن طريقه من احتلال المملكة ، ويورد لنا  
الامبتاذ عنان بعض الروايات القشتالية التى تشير صراحة الى ان القادر  
حينما استعان بالفونسو لاسترجاع طليطلة كان قد تعهد له بان يحكمها  
باسمه ، وان يسلمها له متى شاء ، فى مقابل ان يعاونه الفونسو فى  
الامبتلاء على بلنسية ليستقر بها (٢) .

وقد اغفل الامتاذ عنان نص ابن بسم الذى وضع فيه كل الوضوح

(١) ابن الخطيب ، اعمال الاجلام ، ص ١٨١ .  
(٢) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ١٠٩ .

الاتفاق الذى تم بين القادر بالله وبين اذفونش بن فرذلند الذى «فغر فمه على ثغوره، فجعل لوقته يطويها طى السجل للكتاب»، وينهض فيها نهضة الشيب فى الشباب، وابن ذى النون يلقيه أفلاذ كبده ويرجمه بسبده ولبده، واذفونش لعنه الله لايقنع منه بصيد العنقاء ولا بيض الانوق، بل يكلفه بأحضار الابلق العقوق، ويسومه درك الشمس ويطلبه برد امس. فلما اكل الاتفاق شبح ماله، واخذ الخناق بكظم احتياله، واحس العدو المشاق بذلك من حاله، سما الى معاقله المنيعه، وذرى املاكه الرفيعة، عدد الانام، ودروب الاسلام، فما راهنه عنها عليه غلق، وما رام اخذه من يديه لم يدركه حتى فرق». ويضيف ابن بسام «واخذ ابن ذى النون اهل طليطلة لحين استقراره فيها بفك تلك المعاكل، واداء ما كان ضمن لاذفونش من الاموال الجلائل، فضرب مدبرهم بمقبلهم، وولى آخرهم كبر اولهم، حتى طمع فقيرهم فى غنيهم، واجترا ضعيفهم على قويهم....»، وانكدر اذفونش على طليطلة ينتسف مرافقها، ويقعد لجالية اهلها ثناياها ومصايقها، ياسر ويقتل، ويحرق ويمثل، ومما السعر، وتفاقم الامر، وانكرت الموارد والمصادر، وبلغت القلوب الحناجر».

كانت خطة الفونسو مضايقة اهل طليطلة وارهابهم، بهدف ارغامهم على تسليم بلدهم، وكان قد اتفق مع القادر بالله ان يتخلى له القادر عنها فى الباطن بينما يوهم الناس فى الظاهر انه يؤدى له من الاموال ما يفي بما قدمه له من عون ليرغمهم فى النهاية على الاستسلام له. يقول ابن بسام «وكان عاقده ابن ذى النون انه اذا ضرح قذاها، واماط اذاها، واقتضى دينها، خلئ بينه وبينها، هذا ما اضر، فاما الذى اظهر فانه وعده اداء جملة من المال لاتفى به مدة الاقبال ولا ارخاء الحال (١) ...».

(١) ابن بسام، الذخيرة، القسم الرابع، المجلد الاول، ص ١٦٢، ومايليها.



وهكذا وطن الفونسو العزم على البدء بطليطلة اذ لم يكن يهدف من وراء مساعدته لابن ذى النون سوى « عرصة الدار وأم الاوطار » . وعلى هذا النحو اضطر اهل طليطلة الى ان يخلو بينه وبين بلدهم ، كل هذا يؤكد ان الفونسو كان يفكر طوال سنوات لاتقل عن اربع في الاستيلاء على مملكة بنى ذى النون ، ومع ذلك فان هذا لاينفى وجود رغبة عارمة لديه للاستيلاء على مملكة بطليوس فى بداية امره بدليل اغاراته المتواصلة على بعض ثغورها (١) ، واستيلائه على قورية فى عام ٤٧٢هـ ( ١٠٧٩ م ) وعلى بعض المدن الهامة الاخرى فى مملكة بنى الافطس مثل شنترة (٢) .

ونستدل على رأينا بدليل آخر ، هو احساس المتوكل عمر بن الافطس بالخطر المحدق به وبمملكته ، وعجزه عن رد هذا الخطر ، واستنجاده بامير المرابطين ، وذلك كله قبل سقوط مملكة طليطلة فى يد الفونسو السادس (٣) بنحو خمس سنوات ، ولذلك فقد كان المتوكل كما تؤكد الكثير من المصادر اول من استغاث بامير المرابطين (٤) ، ورسالته هذه التى اوردناها فى الصفحات السابقة ، كانت اول رسالة كتبها واحد من ملوك الطوائف فى الاندلس الى ابن تاشفين يستنجد به ، ويدعوه

---

Albarran, El solar de los Aftasiés p. 272.

(١) ابن الابار ، الحلة السراء ، ج٢ ، حاشية رقم ١ ، ص ٩٩ . وقد علق د . حسين مؤنس بهذه المناسبة بقوله ان الفونسو السادس قد استولى على قلمرية وشنترة وغيرها من البلاد حتى أصبح هدفه بطليوس نفسها ، والحقيقة ان الفونسو السادس لم يكن هو الذى استولى على قلمرية وانما استولى عليها فرناندو الاول فى عام ٤٥٦هـ ( ١٠٦٤ م ) كما سبق ان اوضحنا ، وكان ذلك فى عهد المظفر ابن الافطس وليس فى عهد ولده المتوكل عمر بن الافطس ( فى سقوط قلمرية انظر ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٨٤ ، ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ، ص ٢٥٣ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٨٦ ) .

(٣) الحلل الموشية ، ص ٣٣ .

(٤) ابن الابار ، الحلة السراء ، ج٢ ، ص ٩٩ - الحلل الموشية ، ص ٣٣ .

الى الجواز الى الاندلس.. ولو ان الفونسو كان يركز اطماعه في تلك  
الآونة تجاه طليطلة وحدها لكان اولى باميرها القادر ان يبادر  
بالاستصراخ بابن تاشفين ، وان كان من الصعب عليه ان يفعل لانه كان  
متواطئا مع الفونسو السادس طمعا في الاستقرار ببغنسيه ، ولو ان  
الفونسو كان يركز نظاره على طليطلة وحدها ، لكان اهل طليطلة قد  
بعثوا وقدما منهم الى امير المرابطين يستنجدون به (١) ، ولكن حتى  
لحظة رجوع القادر بالله الى مملكته طليطلة ( ٤٧٣ هـ ) ( ١٠٨٠ م )  
كان الفونسو لا يزال يضرب ذات اليمين وذات اليسار في مملكة بنى  
الافطس ، وقد نجح في انتزاع قورية في سنة ٤٧٢ هـ واستمر يهاجم  
اراضيها طوال ذلك العام وما يليه ، وارسل الى اميرها يهدده عسى ان  
يضعفه نفسيا ويرهبه ، ولكنه لم يجد من المتوكل الا كل اعتداد بنفسه ،  
وثقة في دينه ، واستهانة بتهديده له ، فلما يئس من محاولته معه لم  
يشأ ان يضيع فرصة الاستيلاء على مملكة طليطلة التي اصبح اميرها

(١) اكتفى اهل طليطلة باستصراخ ملوك الطوائف ، ولكن هؤلاء  
تقاعسوا عن انجادهم ، بل تراموا الى الفونسو ، ولادوا له  
بالجزيات والهدايا والمال ، وتجرعوا من اهانت الفونسو لرسولهم  
الملح الاجاج ، ويعبر ابن بسام عن ذلك بقوله « وطفق اهل  
طليطلة يستصرخون من حولهم ، ويعملون في ذلك سفاهة وقولهم ،  
فيعكفون على طلل بائد ، ويضربون في حديد بارد ... » .  
ولما مثل وفد اهل طليطلة امام الفونسو يطلبون منه ان يرسل  
عن بلدهم ، قال لهم : « الى متى تتخادعون ، وباقى شيء  
نطمعون ؟ قالوا : بنا بغية ولنا في فلان وفلان امنية ، وسموا له  
بتحصن ملوك الطوائف ، فضقق بيديه وتهافت حتى فحخص برجليه ،  
ثم قال : اين رسل ابن عباد ؟ فجىء بهم يرفلون في ثياب  
الخناعة ، وينبسون بالسنة السمع والطاعة ، فقال لهم : منذ كم  
تحومون على ؟ وترومون الوصول الى ؟ ومتى عهدكم بفلان ،  
واين ما جئتم به لا كنتم ولا كان ؟ فجاءوا بخملة مميّزة ، واحضروا  
بين يديه كل ذخيرة خظيرة . ثم مازاد على ان ركل ذلك برجله ،  
وامر بانتهائه كله ، ولم يبق ملك من ملوك الطوائف الا احضر  
يومئذ رسوله ، وكانت حاله حال من كان قبله ، وجعل اعلاجه  
يدفعون في ظهورهم ، واهل طليطلة يغضبون من ذلك مقامهم  
ومضيرهم » ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الرابع ، المجلد الاول ،  
ص ١٦٦ .

مطية له ، ودمية يحركها بين يديه ، لذلك - حول أنظاره شطر المملكة  
الطليطلية . وإذا طالعنا تفاصيل سقوط مملكة طليطلة في أيدي  
القشتاليين نخس لأول وهلة بتخاذل سائر ملوك الطوائف عن نجدة  
أهلها باستثناء المتريكل على الله بن الأفطس ملك بطليوس فهو الملك  
الوحد الذي حاول مساعدة طليطلة في محتتها . فالتى جانب تشجيعه  
لقاضيه التجليل أبى الوليد الباجى قبيل سقوط طليطلة مباشرة ليطوف  
بمختلف دويلات الطوائف مستهدفا امتنهاض الهمم ، وإثارة حماس  
هؤلاء الملوك الضعاف للجهاد ، والوقوف صفا واحدا أمام هذا الملك  
الطاغية العاتى (١) ، فانه تقدم بكل شجاعة أثناء حصار الفونسو  
السادس لطليطلة لانجاد هذه المملكة المتهالكة ، وسير ابنه الفضل بن  
الأفطس والتى مازدة في قوة كبيرة بمن خيرة قواته في محاولة مستميتة  
لرد هذا العبدى الغاشم عن طليطلة ، ورغم فشله في ردهم لكثرتهم  
وتفوقهم عددا وعدة ، ورغم الخسائر الجسيمة التى لحقت به ، ورغم  
الأعداد الهائلة من جنده الذين استشهدوا في ميدان القتال أثناء التحامهم  
بالعدو القشتالى في مغارك دامية ، رغم كل ذلك سجل التاريخ هذا  
الموقف البطولى لذلك الملك الأقطبي الشجاع خامة وإن هذه المعونة  
العسكرية بطليطلة لم تكن المعونة الأولى ، وإنما سبقتها مثلها عام  
١٠٧٠ هـ (٢) (١٠٧٨ م) .

وإذا قارنا هذا الموقف البطولى لعمر المتوكل ملك بطليوس بالموقف  
المخزي الذي وقفه غيره من ملوك الطوائف فس نجد أن معظم ملوك  
الطوائف كانوا قد فقدوا النخبة والخبرة والحماس ، وأصيبوا بحالة من  
الذعر واليأس ، الأمر الذي جعلهم يبادرون بالخضوع لتهديدات الفونسو  
السادس ، ويوادعونه بالجزيات دزعا لشره وحماية لعروشهم ، فالعتمد

(١) ابن الأثير ، الجلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٩٨ .  
(٢) ليفي بروفنسال ، الإسلام في المغرب والاندلس ، ص ١٤٤ ، محمد  
عبد الله عنان دول الطوائف ، ص ١١٠ ( ولا أدري على أى  
مصدر اعتمد كل من ليفي والستاذ عنان في سوق هذا الخبر .



بن عباد ملك اشبيلية اهم واقوى دويلات الطوائف ، هذا الملك الشهير ، تقاعس عن نجدة اهل طليطلة بل انه لم يتورع عن محالفة الفونسو السادس ضد طليطلة ، وهذا التحالف له جذور عميقة ترجع الى ايام والده المعتضد بالله بن عباد الذى لم يكن يتردد فى تقديم الجزية لفرناندو ملك قشتالة منذ سنة ٤٥٥ هـ (١٠٦٣ م) (١) . وبعد وفاته قام ابنه المعتمد بتأدية نفس الجزية ، وكان يمثل الفونسو السادس الى المعتمد بن عباد لتسلم هذه الجزية الفارس الشهير رودريجو دياث دى بيفار الملقب بالسيد الكمبيادور أو الكنبيطور كما تسميه المصادر العربية (٢) ، هذا

---

(١) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٧٢ ، وراجع الملحق الاول .

(٢) السيد كنبيطور : اقترن اسم السيد الكنبيطور بمغامراته فى بلنسية وفتحها لها ، وحكمه لها اعواما قبل وفاته وهو يدافع عنها ضد المرابطين ويرجع الشهيد الى اصل قشتالى ، واسمه الحقيقى رودريجو دياث دى بيفار ولقبه El Cid ، وشهرته الكنبيطور اى المحارب . وقد ولد السيد فى برغش Burgos فيما يقرب من عام ٤٣٦ هـ (١٠٤٣ م) ، وما نعرفه عن حياته يختلط بين الحقيقة والروايات الاسطورية ، ويرتبط بدء ظهوره بالخلافات التى نشبت عقب وفاة فرناندو الاول ملك قشتالة وليون فى اواخر سنة ١٠٦٥ م بين ابنائه ، ولم يتردد السيد آنذاك فى الانضمام الى شانجة ، واشترك مع قوات خليفة احمد بن سليمان بن هود صاحب سرقسطة فى محاربة ردميره ملك ارغون ٤٦١ هـ (١٠٦٨ م) . وقد نال السيد مكانة كبيرة فى التاريخ القشتالى ، فهو بطل اسبانيا القومى ، وكان وقوف السيد فى بداية حياته الى جانب شانجة ضد الفونسو قد اثار حنق الفونسو السادس عليه ، فلم ينس له قط هذا الموقف ، وهذا الذى ادى الى ابعاده عن بلاطه وعن سائر اراضيه فى عام ٤٧٤ هـ (١٠٨١ م) . وهنا بدأت الاساطير تحكى عن هذا الكنبيطور الذى خرج يجرى وراء رزقه دون وضع اى اعتبار للدين أو القومية ، فكان يساند المسلمين تارة ، وتارة اخرى يساند الامراء النصارى . وقد وجد السيد مجالا له فى هذه الفترة من عصر الطوائف لانها كانت تمتلئ بالثورات والحروب التى وجد فيها الكمبيطور مجاله وحياته ( لمزيد من التفاصيل عن السيد وعن علاقته بالمستعين صاحب سرقسطة وعن استيلائه على بلنسية انظر ابن عذارى ، البيان ، ج ٤ ، ص ٣١ - ٤١ ابن بسام ، الذخيرة ، قسم ٣ ، مجلد ١ ، ص ٩٥ .

الى جانب ان صداقة شخصية كبيرة كانت تجمع بين المعتمد والفونسو بعد ان دافع هذا الملك عنه ضد اعتداءات ملك غرناطة على اراضي اشبيلية .

ويورد الامتياز محمد عبد الله عنان بعض الروايات القشتالية التي تشير الى رحلة ابن عمار (١) وزير المعتمد ابن عباد الى ليون حيث تفاوض على مقدار الجزية وما سوف يتم انفاقه ، وانتهى الاتفاق

---

Mencendez - Pidal, la España del Cid, 2 vols. Madrid, 1947 - Huici Miranda, Historia musulmana de Valencia y su region, t. II, Valencia, 1970.

ليفى بروفيتسال : الاسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ١٩٥٨ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٣١ - ٢٥٣ ) .

(١) ابن عمار : هو أبو بكر محمد بن عمار الحسين بن عمار المهري أصله من قرية شنبوش من ارباض شلب ، ولد عام ٤٢٢هـ (١٠٣١م) من أسرة بسيطة متواضعة ، ودرس في قرطبة على يد اعظم شيوخها ونبغ في الشعر والادب ، ثم انتقل الى اشبيلية أيام المعتضد بن عباد ، ثم مدح المعتضد ، فجعله من بين شعرائه وأمنائه ثم اتصل ابن عمار بالمعتمد بن عباد ، وكان أيامها حاكما لشلب ، وتوثقت اواصر المحبة بينهما ، وحين أصبح المعتمد ملكا على اشبيلية أصبح وزيره وأثيره بل وسفيره في سفاراته الهامة للوك النصارى . ثم تزوج المعتمد بن عباد من السيدة اعتماد الرميكية التي اخذت تدس له الدسائس ، وقد غدرت به هذه السيدة حين اثار عليه زوجها المعتمد خاصة وأنه نسبت اليه مجموعة من الابيات هجا فيها المعتمد وزوجته الرميكية ومن الابيات التي هجا فيها الرميكية : تخيرتها من بنات الهجين رميكية ما تساوى عقالا فجاءت بكل قصير العذار ليتم النجادين عما وخالا قصار القدود ولكنهم أقاموا عليها قرونا طوالا . وكان ابن عمار قد حاول ان يستقل بمرسية بعد ان استردها لحساب سيده مما اغضب المعتمد عليه ، وزادت هذه الابيات من غضبه ، وكانت كل من اعتماد الرميكية والشاعر ابن زيدون يحيكان له المؤامرات التي انتهت بمقتل ابن عمار بيد مهيبة المعتمد بن عباد لتكون مأساة ذلك العصر وتلك المملكة ( انظر ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٩٨ ، ابن عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ٦٧ - ٦٨ ، ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص ١٨١ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٦٤ - ٦٩ ) .

على أن يساعد الفونسو السادس ملك قشتالة المعتمد بن عباد في كافة حروبه ضد أى عدو له من ملوك الطوائف المسلمين. في مقابل الجزية السنوية التى يؤديها له ابن عباد ، هذا الى جانب تسليم جبل البشارت ( سيرامورينا ) لالفونسو وزواجه من زائدة (١) كنة المعتمد بن عباد، ولكن الامور لم تتم وفقا لما كان يشتهيه المعتمد بن عباد ، ففى عام ٤٧٥ هـ ( ١٠٨٢ م ) ارسل الفونسو السادس سفارته المعقادة الى المعتمد لتلقى الجزية السنوية ، فوصل اليه رسول الفونسو ومعه اليهودى ابن شالب ، فقد كان الفونسو قد اقصى السيد الكنبيطور ونفاه من بلاده ونزل الوفد القشتالى خارج اشبيلية ، فسير اليهم المعتمد المال المعلوم مع بعض اشياخ اشبيلية واعيانها من بينهم الوزير ابو بكر ابن زيدون ، فلما قدموا له المال العين والسبائك ، رفض اليهودى أن يتسلمها ربما لانه ظن انها من عيار اقل من المتفق عليه ، واصر ألا يتلقى من الذهب إلا ما كان مشجرا أى خالصا ، ويبدو أنه تلفظ بالفاظ مهينة للمسلمين ، فبلغ ذلك المعتمد فغضب غضبا شديدا ، وارسل نفرا من عبيده وبعض جنده وامرهم أن يقتلوا اليهودى ابن شالب ويأسروا من كان برفقته

---

(١) زائدة المسلمة : تشير جميع الروايات الاسبانية النصرانية الى أن زائدة المسلمة هذه هى ابنة المعتمد بن عباد التى قدمها لالفونسو السادس مع الجزية لتكون حظية له وأن هذه الابنة كانت بارعة الجمال ، ولذلك فقد كانت من مغريات تحالف ابن عباد مع الفونسو ، وقد قام الاستاذ محمد عبد الله عنان بمناقشة هذه القضية واثبت اعتمادا على نصين أحدهما لابن عذارى والآخر للبشرىش أن زائدة كانت زوجة للفتح بن المعتمد الملقب بالمأمون الذى كان حاكما لقرطبة ، مؤيدا بذلك رأى ليفى بروفنسال الذى نشره فى سنة ١٩٣٤ وحين هاجم المرابطون المدينة هربت زائدة تأولادها بعد أن رأت زوجها يقتل أمام عينيها ، فكرهت المرابطين ولجأت حينئذ الى بلاط الملك الفونسو السادس حيث تنصرت وتسمت بايزابيل فتزوجها الملك ، وماتت أثناء ولادتها لشانجة ابنها وولى عهد قشتالة الذى سيقتل فى واقعة اقليش ( ١٠٨٠ هـ / ١١٠٨ م ) ( ليفى بروفنسال ، الاسلام فى المغرب والاندلس : ص ١٥١ - ١٦٤ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٤٥ - ٣٤٩ ) .



من النصارى (١) ، فكان ذلك الحادث سببا في فساد الصلح بين المعتمد وبين الفونسو (٢) ، فقد أقسم إيماننا مغلظة على الانتقام من ابن عباد ، فحشد لذلك جيشا كثيفا من الجلالقة والقشتاليين والبكشنس اجتاحت مملكة ابن عباد ، وعاتت فسادا في احوار باجة ولبلة ، اما هو فقد هاجم شرف اشبيلية واخذ يدمر ويحرق ويخرب كل ما كان في طريقه ، ولم يتردد في حصار اشبيلية ذاتها لمدة ثلاثة ايام ، مخربا ما حولها والمدن التي تقع في نواحيها ، وهنا تبين لابن عباد مدى الخطا الذى وقع فيه بتحالفه مع الفونسو على رفاقه ملوك الطوائف ، وأدرك المصير السئ الذى ينتظره وينتظر الاسلام فى الاندلس ، وربما كان ذلك سببا فى مبادرته بالاتصال بيوسف بن تاشفين والاستنصار به عليه . وجاء سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس نذيرا لملوك الطوائف ، فتوالت رسلهم على ابن تاشفين بلبتمسون منه العون والانجاد ، فوعدهم بالنصرة وأرجا تسير قواته حتى ينتهى تماما من برغواطة .

أما الفونسو فقد أسكره استيلاؤه على طليطلة ، فعربد فى اراضى الاسلام ، وراح يهدد ملوك المسلمين الواحد بعد الآخر ، فكتب الى المعتمد ابن عباد رسالة يطالبه فيها بتسليم أعماله ، ويحذره من مخالفته له ،

---

(١) الحل الموشية ، ص ٤٢ .

(٢) يعلل الحميرى سبب توتر العلاقات بين المعتمد والفونسو بأن المعتمد اشتغل عن أداء الاتاوة التى اعتاد أدائها فى فترة معينة من السنة الى الفونسو بغزو ابن صمادح صاحب المرية ، فتأخر عن أدائها فى وقتها ، فاستشاط الفونسو غضبا وتشطط ، فطلب بعض الحصون زيادة على الاتاوة « وأمعن فى التجنى فسأل فى دخول امراته القمظيجة الى جامع قرطبة لتلد فيه من حمل كان بها حيث أشار اليه بذلك للقسيسون . والاساقفة لكان كنيسة كانت فى الجانب الغربى منه معظمه عندهم ، عمل المسلمون عليها الجامع الاعظم وسفر بذلك بينهما يهودى وكان وزيرا لابن فرذلند . . فأغلظ له اليهودى فى القول وشافه بما لم يحتمله ، فأخذ ابن عباد محبرة كلنت بين يديه ، فأنزلها على رأس اليهودى فألقى دماغه فى حلقه ، وأمر به فصلب منكوما بقرطبة » .

( الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٤ ) .

ويضرب له المثل بما حدث في طليطلة ، ورد عليه المعتمد ردا قويا فند فيه اقوال الفونسو ، وسخر فيه من تهديداته ، والظاهر ان المعتمد لم يكن يستطيع الرد على الفونسو بمثل هذه القوة لو لم يكن واثقا كل الثقة في العون الخارجي الممثل في دولة المرابطين في المغرب ، وكان قد كتب الى يوسف بن تاشفين رسالة في غرة جمادى الاولى سنة ٤٧٨ هـ يستصرخه فيها على الفونسو ويدعوه الى الجواز الى الاندلس للجهاد واحياء شريعة الاسلام ، ثم أعقب ذلك بزيارة سريعة الى المغرب بعد ان استوثق من صدق نوايا ابن تاشفين في مساعدته (١) ، ولهذا فاننى اعتقد انه وجه رسالته الى الفونسو بعد زيارته لابن تاشفين ووثوقه من نصرته له .

ولما بلغ الفونسو اعتزام يوسف بن تاشفين الجواز الى الاندلس لنصرة ملوك الطوائف ، وتبين له تجرؤ المعتمد بن عباد والمتوكل بن الافطس عليه بعث من بلدة طريف رسالة الى يوسف بن تاشفين يتحذاه فيها ، وجاء فيها « فلا خفاء على ذى عينين أنك أمير المسلمين ، بل الملة المسلمة كما أنا أمير الملة النصرانية ، ولم يخف عليك ما عليه رؤساكم بالاندلس من التخاذل والتواكل ، والاهمال للرعية ، والاخلاد الى الراحة وأنا أسومهم الخسف فأخرب الديار ، وأهتك الاستار ، واقتل الشبان ، وأسر الولدان (٢) ... » .

وطالب بن يوسف بن تاشفين أما ان يجوز الى الاندلس ليقاتله ، وأما ان يرسل اليه المراكب ليحوز هو اليه ، فان غلبه ابن تاشفين كان له ملك المغرب والاندلس ، وان انتصر الفونسو عليه ، فان ذلك يكفل للفونسو الانفراد بحكم الاندلس ، فلما وصل كتاب الفونسو الى ابن تاشفين اكتفى بأن كتب على ظهر الرسالة « من أمير المسلمين يوسف

(١) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٤٥ ، المغرب الكبير ، ص ٧٢١ .

(٢) الحلل الموشية ، مؤلف مجهول ، ص ٤١ - ٤٤ .

ابن تاشفين الى اذفونش ، أما بعد ، فإن الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه بأذنك والسلام على من اتبع الهدى» . ثم سجل بيت أبى الطيب المتنبي :

ولا الكتب الا المشرفية والقنا ولا رسل الا الخميس العرمم (١)

وعلى الرغم من أن نص الرسالة يوحى بالتلفيق ، الا ان ليفى بروفنسال وغرسية غومت وأوليفر أسين نشروا رسالة كتبها يوسف بن تاشفين الى الناصر تميم بن المعز بن باديس يذكر فيها هزيمته لالفونسو السادس بالزلاقة تتضمن هذه الحقيقة (٢) .

وعلى أية حال لقد سبق ابن الأفطس المعتمد في مكاتبة يوسف ابن تاشفين سنة ٤٧٤هـ أى قبل سقوط طليطلة بثمان سنوات ، ويتمثل ذلك في الرسالة التى نسخها له ابن أيمن (٣) . بل أن المتوكل عمر بن الأفطس لم يكتف برسالة واحدة فقد سبقت تلك الرسالة التى جئنا بنصها رسالتين أخريين من نسخ ابن أيمن ، كذلك يقول عنها ابن بسام «لما اشتد كلب الروم بهذا الاقليم على ما تقتضيه شهادة المنثور والمنظوم بلسان من اندرج ذكره فى هذا الديوان من كل زعيم استصرخ ملوك الطوائف بأفققنا أمير المسلمين ، وناصر الدين أبا يعقوب يوسف بن تاشفين ، رخصة الله ، وقد القوا بأيديهم ، فكتب أبو عبد الله بهذه الرسالة عن صاحبه ، وأراها كانت ثالثة المفاتحة أو ثمانية المداخل» (٤) .

... وما كاد ابن عباد يعود الى حاضرتة عقب زيارته لابن تاشفين (٥)

- 
- (١) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٤٠ ، الحل ، ص ٤٣ .  
(٢) Lévi - Provençal, Garcia Gomez, Oliver Asin, Novedades sobre la batalla llamada al - Zallaaa, al - Andalus, Vol. XV, 1950, P. 112.  
وراجع السيد عبد العزيز معل ، المغرب الكبير ، ص ٧٢٣ .  
(٣) ابن بسام ، الذخيرة ، ج ٢ ، المجلد الثانى ، ص ٦٥٣ .  
(٤) المصدر السابق ، ص ٦٥٣ .  
(٥) النويرى ، نهاية الارب ، ج ٢٢ ، لوحة ٥٤ .



حتى اخذ يتأهب للمعركة المقبلة ، ويتعلق ابن الكريديوس على تلك الاحداث بقوله : « ولما يتيقن كل من ثار ورأس ، ولاسيما رؤساء غرب الاندلس كابن عباد وابن الافطس مذهب الفنش فيهم ، وأنه لا يقنع منهم بجزية ولاهدية ، راوا ان الرجوع الى الحق أحق ، فاستصرخوا بالمرابطين ، واستنصروا بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين على ان ينخرطوا في سلكه ويدخلوا تحت ملكه ، وفتحوا له بابا الى الجهاد كانوا قد سدوه ، فاجابهم الى ما رغبوه ، ولم يخالفهم فيما طلبوه ، اذ كان راغبا في جهاد المشركين ، والذب عن حريم المسلمين ، فاستيقظ طلب النصر من منامه ، وتطلع بدر التأييد من خلال غمامه » (١) .

و اول من فكر جديا في الاستعانة بقوى المرابطين الامير تميم بن بلقين ، امير مالقة ضد أخيه الامير عبد الله صاحب غرناطة (٢) . ولكن هذا الهدف الناقص من اجله اراد تميم الاستنجاد بالمرابطين لم يكن بقصد الجهاد والذب عن الاسلام في حين يعتبر المتوكل بن الافطس اول من فكر من ملوك الطوائف في الاستعانة بالمرابطين ضد قوى المسيحية في اسبانيا ، وتبعه في ذلك المعتمد بن عباد ، ومما لاشك فيه ان المعتمد ابن عباد باعتباره اعظم ملوك الطوائف قدرا واشدهم بأسا واكثرهم هيبه ، تحمس تحمسا شديدا لفكرة الاستعانة بالمرابطين ، ولم يلبث ان قرعها بعد ان وجد تجاوزنا من جاريه المتوكل على الله صاحب مملكة بطليوس والامير عبد الله بن بلقين صاحب مملكة غرناطة ، وعمد بالاتفاق مع صاحبيه الى تحريك كل من القليعي قاضي غرناطة وابى اسحق بن مقانا قاضي بطليوس الى الاجتماع بابى بكر عبيد الله بن ادهم قاضي قرطبة في مقره باشبيلية (٣) . وتم الاجتماع بحضور الوزير ابن زيدون ، وفيه تقرر ارسال سفارة مشتركة منهم الى يوسف بن

---

(١) ابن الكريديوس ، نصاب جديان ، ص ٨٩ - ٩٠ .  
(٢) مذكرات الامير عبد الله الزيرقي ، ص ١٠٢ - ١٠٦ .  
(٣) ابن الابار ، الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٩٨ ، ٩٩ - الحميري ،  
الروض المعطار ، ص ٨٣ .

تاشفين ، وكان ذلك اول احتكاك على المستوى الرسمى بين ملوك  
الطوائف وبين امير المرابطين ، ثم اعقبت ذلك زيارة المعتمد بن عباد  
ليوسف بن تاشفين فى المغرب (١) ، وتنازله له عن الجزيرة الخضراء  
للمجاز الى الاندلس ، وقد رسخت هذه الزيارة الصلات بين ملوك  
الطوائف يمثلهم ابن عباد وبين يوسف بن تاشفين .

---

(١) ذكر ابن الابار ان المعتمد بن عباد عبر البحر بنفسه مع جماعة من  
الزعماء للالتقاء بيوسف بن تاشفين . وتأيدا لهذا الخبر يذكر ابن  
الابار ان ابا عبيد الله البكرى الجغرافى الشاعر قال فى المعتمد  
بعض الاشعار عند اجازته البحر مستجيراً بابن تاشفين ( ابن  
الابار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ١٨٦ ) .

( ٥ )

هزيمة الفونسو السادس في الزلاقة من أرض

بطليوس

١ - مقدمات المعركة :

اشرنا فيما سبق الى ان ابن عباد تبين له بعد طول محالفته لالفونسو السادس ان هذا الملك المسيحي كان يتخذ من تحالفه معه قناعا زائفا يخفى حقيقة نواياه في انتزاع اراضي المسلمين ، وتوحيد اسبانيا تحت لوائه ، فقد اخذ يحقق اعدافه بعيدة المدى ، الهدف بعد الآخر ، فبعد ان جرد مملكة ابن ذي النون من حصونها المانعة ، انفرد بطليطلة نفسها واستولى عليها ، وبدأ ينفذ نفس السياسة مع المعتمد ابن عباد ، الذي تنبه بعد غفلته الى حقيقة ما يسعى اليه الفونسو السادس ، وأثر ان يكون تابعا لامير مسلم ، وان كان بدويا جلفا على ملك مسيحي (١) .

وكان ذلك بداية لاتصالاته المكثفة بابن تاشفين على النحو الذي اشرنا اليه (٢) ، وهي اتصالات انتهت بعزم ابن تاشفين على الجواز

---

(١) يذكر الامير عبد الله الزيري ان « الفونشي » سأل المعتمد وكان قد عقد معه محادثات كثيرة ان يتخلى له عن معقل « كان الموت عنده أولى من اعطائها ، فوجست نفسه منه بالجملة ورام كسره بطوائف المرابطين » ( ص ١٠٢ )

(٢) بدأت هذه الاتصالات بمكاتبات وانتهت في أواخر عام ٤٧٨هـ ( ١٠٨٥ م ) بزيارة قام بها المعتمد الى ابن تاشفين قيل في موضع من طنجة يعرف ببليطة على بعد ثلاثة مراحل من سبتة (ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٣) . ويذكر ابن الخطيب ان المعتمد جاز اليه في سنة ٤٧٨هـ ( ١٠٨٥ م ) بأسطول الاندلس جوازا فخما ، واختار لمصاحبته في سفره الخواص والاعيان بعد ان استخلف على أشبيلية ولده الرشيد (ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٤٦) ويجعل المراكشي تاريخ هذه الزيارة في سنة ٤٧٩هـ ( ١٠٨٦ م ) ( عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ٣ ) .



الى الاندلس بعد أن خصص المعتمد لقواته مدينة الجزيرة الخضراء (١)  
لتكون قاعدة لهم ، فنزلتها قوة من الفرسان بقيادة داود بن عائشة .

ولما اطمئن ابن تاشفين الى صدق نوايا المعتمد تجاهه ، اذ كان يخشى  
أن يكون متفقا مع حليفه الفونسو السادس على كسره (٢) ، أمر قواته  
بالعبور الى الاندلس ، فعبرت أعداد لاتعدولاتحصى الى الجزيرة الخضراء .  
ويسوق ابن أبي زرع رواية عن عبور ابن تاشفين الى الاندلس جاء فيها:  
« فلما كمل جواز الجيوش واستوفت عساكر المجاهدين بساحل الخضراء  
جاز هو في اثرهم في جيش عظيم من قواد المرابطين ، وانجادهم وصلحائهم ،  
فلما ركب السفينة واستقر على ظهرها رفع يديه ودعا الله تعالى وقال  
في دعائه « اللهم أن كنت تعلم أن في جوازي هذا خيرا وصلاحا للمسلمين  
فسهل على جواز هذا البحر ، وإن كان غير ذلك فصعبه على حتى  
لا أجوزه ، فسهل الله عليه الجواز في أسرع ما يكون ، فكان يوم الخميس  
عند الزوال بنصف ربيع الاول المبارك سنة تسع وسبعين وأربعمائة (٣) ،  
ونزل بالخضراء فصلى بها صلاة الظهر من يومه ذلك ، فالتقاه بها  
المعتمد في جميع أمراء الاندلس (٤) . . . » .

ثم بدأ في تحصين الجزيرة الخضراء واصلاح أسوارها وإبراجها  
قبل أن يمضى في حشوده الى اشبيلية (٥) .

وفي تلك الاثناء كان الفونسو السادس يحاصر سرقسطة ، فلما  
علم بجواز أمير المرابطين الى الاندلس « اسقط في يده وانحلت  
عزائمه (٦) . . » .

---

(١) عبد الله الزيري ، التبيان ، ص ١٠٢ ، وما يليها .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٠٢ ، ص ١٠٣ .

(٣) الموافق ٣٠ يونيو ١٠٨٦ م .

(٤) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٣ .

(٥) الحلل الموشية ، ص ٥١ .

(٦) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ .

وكان الفونسو قد عزم عزمًا صادقًا على الاستيلاء على مرقسطة بعد أن سقطت طليطلة في قبضته ، فبادر بإحكام الحصار حولها في صفر سنة ٤٧٨ هـ ( مايو ١٠٨٥ م ) ، واقسم ألا يرفع حصاره عنها حتى تسقط في يده أو يهلك دونها (١) . وكان صاحب مرقسطة آنذاك هو أحمد المستعين (٢) بن هود ، الذي مرعان ما أدرك مدى خطورة

(١) ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، تحقيق د. مختار العبادي ، ص ٩١

R. Menendez - Pidal, La España del Cid, t. I, P. 300 - A. Huici Miranda, la invasion de los Almorávides y la batalla de zallaca, Hespéris, t. XL, Paris, 1953, P. 32.

(٢) أحمد المستعين بالله بن هود ، هو ولد يوسف المؤمن بن هود ويعرف بالمستعين الأصغر ، وشهد في بداية عهده ( ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م ) هجوم الفونسو السادس على مرقسطة وحصاره لها ، وما كاد يتخلص من مشكلة الحصار الفشتالي عند نزول المرابطين الاندلس حتى زج نفسه في سلسلة من المغامرات للظفر ببلنسية ، كلفته التحالف تارة مع « السيد الكمبيطور » وتارة مع برنجير كونت برشلونة ، ولم تسفر هذه المغامرات إلا عن فشل ذريع لخطته ، إذ تمكن السيد الكمبيطور من السيطرة على بلنسية . ثم تعرضت مرقسطة في عهده أيضا لاطماع شانجة راميرث ملك أرغون الذي استولى على منتشون في ٤٨١ هـ ( ١٠٨٩ م ) وأقام أمام وشقة ثانية قواعد مملكة بني هود حصنا منيعا تمهيدا للاستيلاء عليها ، ثم حاصرها شانجة راميرث ٤٨٧ هـ ( ١٠٩٤ م ) ، وتابع بطره الاول ولده حصار وشقة التي سقطت بعد معركة طويلة عرفت بالكرازة ، دارت بين جيوش المستعين تؤيده قوات الفونسو السادس وبين بطره الاول في اواخر ذي القعدة سنة ٤٨٩ هـ ( ١٠٩٥ هـ ) وانتهت بهزيمة المسلمين ومقتل قائد قوات الفونسو السادس وسقوط وشقة في أيدي نصارى أرغون ، وأصبحت عاصمة لهم .

وكان المستعين بالله أثناء الحصار قد أرسل الى يوسف بن تاشفين أمير المرابطين يستنجد به ، فاستقبل ابن تاشفين رسوله استقبالا حسنا ، ورد على المستعين ردا طيبا . واستشهد المستعين في رجب سنة ٥٠٣ هـ ( يناير سنة ١١١٠ م ) في معركة دارت بينه وبين الفونسو المخارب ( ابن ردمير ) ملك أرغون بالقرب من حصن ارنيط ( انظر ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ١٧٣ ، الحل الموشية ، ص ٦٩ - ٧٠ ، ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٣٥٢ )

Menendez - Pidal, la España del Cid, t. I, P. 301.

محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٢٨٩ .

الموقف ، فبذل قصارى جهده للتصدي لهجوم الفونسو ورد عدوانه ، كما عرض عليه أموالا طائلة عسى أن يقبلها لقاء فك حصاره عن سرقسطة ورحيبه عنها ، ولكن الفونسو ، وكان مصمما على انتزاع المدينة عنوة من يد بنى هود ، رفض أن يرفع الحصار ، وأصر على أن يستولى عليها مع الاموال المقدمة (١) ، وبدأ يشيع أنه في حالة سقوط سرقسطة في يده فسوف يحكم بالعدل بين ابنائها ، ووعد أهلها بأنه لن يفرض عليهم من الضرائب الا ما جاءت به شريعة المسلمين (٢) .

وظل الفونسو يحكم الحصار على سرقسطة الى أن وصلته الانباء بقدم المرابطين ، فحاول حينئذ خداع المستعين ظنا منه أن المستعين لم يكن على علم بجواز ابن تاشفين ، فبعث اليه من يبلغه باستعداده لقبول الجزية التي سبق أن عرضها أمير سرقسطة ، ولكن المستعين بن هود ، وكان قد اطمأن جانبه بقرب مجيء اللمتونيين ، أبى أن يدفع اليه درهما خشية أن يتقوى به ويستعين (٣) ، وعندئذ اضطر الفونسو الى رفع الحصار عن سرقسطة ، وقفل عائدا الى بلاده لمواجهة خطر المرابطين الداهم ، فبعث الى ابن ردمير ( الفونسو المحارب ) Sancho Ramirez والى البرهانس Alvar Hañez ، وكان ابن ردمير يحاصر مدينة طرطوشة ، أما البرهانس فكان يحاصر بلنسية ، فبادرا بموافاته بجيوشهما ، ولحقا به ، وكذلك بعث الى بلد قشتالة Castilla وجليقية Galicia وبيونة Bayona ، فانتته من قوات الروم حشود لاتحصى ، فلما

---

Huici Miranda, op. cit, P. 33.

(١) ذكر ابن الكردبوس ان الفنش « جعل لكل من دان له من الاسلام البر والرعاية وأخذ نفسه بالعدل فيهم والامان ، والرفق في اليسر والاعلان ، ووعدهم ألا يلزمهم غير ما توجبه السنة الاسلامية ، وأنه يحملهم في سائر ذلك على الخيرية . وقد كان قد تحقق أنه فرق على ضعفاء أهل طليطلة مائة ألف دينار ليستعينوا بها على الزراعة والاعتماد ، فاستدل أهل طليطلة على صدق مقاله ، وتحقق فعاله » ( انظر ابن الكردبوس ، تاريخ الاندلس ، ص ٩١ ) .

(٣) ابن الكردبوس ، نفس المصدر ، ص ٩٢ . وانتظر  
Menéndez - Pidal, op. cit. P. 331.



تجمعت لديه هذه القوى شرع في التحرك للقاء يوسف بن تاشفين وجيوش المسلمين (١) .

وذكر الحميري أنه استنفر جميع أهل بلاده وما يليها وما وراءها، فاجتمع له من الجلالقة والافرنجة وما يليهم مالا يحصى عدده (٢) .

ولا نشك في أن المعركة التي كان يقودها الفونسو السادس ومن تابش اليه من الجلالقة والافرنجة والرومية ، كانت حربا صليبية واضحة المعالم فقد كان الفونسو قد دعا قومه وجيرانه من الافرنجة الى هذه المعركة ، ويذكر الحميري أن القسيسيين والرهبان والاساقفة شاركوا في المعركة ، «ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم» (٣) ، فالمعركة كانت معركة مصير بين بقاء الاسلام في الاندلس أو انتصار كفة المسيحية .

ويذكر الحميري أن المعتمد بن عباد أوفد ولده عبد الله لاستقبال يوسف بن تاشفين عند جوازه الى الجزيرة الخضراء ، واستقبل أهل الجزيرة المرابطين استقبالا حافلا ، فأقاموا لهم الاسمطة ، وزودوهم

---

(١) ابن الكردبوس ، ص ٩٢ ، ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ ، عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٣٢ ،

Huici Miranda, op. cit. P. 35.

وتبالغ مدونة لوزيتانو المسيحية في ذكر من توافد من الممالك المسيحية الى الفونسو السادس ، فتذكر أنه تقاطرت عليه سيول من الفرنجة ومن بلاد الالب

«Ubi unanimites convenerunt cum rege nostro christiani a partibus Alpés, multique Francorum in adiutorium ei affuerunt» انظر  
Franc. Henrique Florez, España sagrada, t XIV, chronicon lustranum, P. 405, AEra 1125.

وراجع Menendez - pidal, la España del Cid, t. I, P. 331.  
وعن وفود القوات الافرنجية ( الفرنسيين ) يذكر الفونسو العاشر أنه انضم الى قوات الفونسو قوة كبيرة من الفرنسيين

Primera Crónica general de España, P. 577.

(٢) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٨

(٣) الحميري ، المصدر السابق ، ص ٨٨

## بالاقوات والضيافات (١) .

وفي تلك الاثناء ، كان يوسف بن تاشفين قد انتهى من تحصين الجزيرة الخضراء (٢) ، وبدأت حشوده تتجه نحو اشبيلية قوة بعد قوة . ويذكر المؤرخون أن ابن عباد تلقاه على مقربة من اشبيلية على بعد مرحلة من الجزيرة في مائة فارس (٣) ووجوه أهل رجاله ، فالتقيا منفردين ، وتصافحا وتعانقا في محبة وإخاء . ويصف صاحب الحل الموشية مآدار بينهما في هذا اللقاء بقوله « فسلم عليه ، وهم ابن عباد بتقبيل يديه » ، فبادر لمعانفته وسأله عن حاله وانبطح معه في الحديث ، وهناه ابن عباد بالسلامة ، ولحقت ضيافات ابن عباد ، فعمت جميع المحلة على حال كبرها (٤) . . . . . « ثم ركب ابن عباد واستعرض العساكر اللمتونية وأخذ يدور بمحلتها ، فألقى أمامه جندا أقوياء ، تتفجر في وجوههم الحمية والحماسة ، فاطمان قلبه ، وهذات نفسه ، وأيقن بنصر من الله قزيب ، وحمد الله وسجد له » ، وعفرو وجهه في التراب تواضعا لله سبحانه وتعالى (٥) .

وتعد هذا اللقاء الغاطفي عاد يوسف إلى محلبه ، وعاد ابن عباد إلى معسكره ، فبات الجميع تلك الليلة ، وفي اليوم التالي ارتحلوا جميعا إلى اشبيلية ، وهناك أقاموا ثلاثة أيام انتقلوا بعدها إلى بطليوس (٦) .

---

(١) الحميري ، نفس المصدر ، ص ٨٧ .  
(٢) الحل الموشية ، ص ٥١ ، يقول صاحب الحل الموشية بهذا الصدد « ولما احتل يوسف بن تاشفين بالجزيرة شرع في بناء أسوارها ، ورم ما تشعث من أبراجها ، وحفر الحفير عليها ، وشحنها بالاطعمة والاسلحة ، ورتب فيها عسكرا انتقاه من نخبة رجاله » .  
(٣) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٨٧ ، الحل الموشية ، ص ٥١ .

(٤) الحل الموشية ، ص ٥١ وما يليها .

(٥) المصدر السابق ، ص ٥٢ .

(٦) نفس المرجع ، ص ٥١ .

وكان ابن تاشفين أثناء اقامته في اشبيلية ، قد أرسل الى جميع ملوك الطوائف بالاندلس (١) ، يستنفرهم للجهاد ويدعوهم لقتال العدو ، فبادر جميعهم بالاستجابة لدعوته ، واخرجوا ماديهم ، وأقبلوا من كل صقع من اصقاع الاندلس صابرين ومجاهدين (٢) ، باستثناء المعتصم بالله أبو يحيى محمد بن معن بن صمادج صاحب المرية الذي اعتذر بضعفه وكبر سنه وانشغاله بحصار العدو لحصن لبيط (٣) ، ولكنه كان في حقيقة الامر متخوفا من نوايا المرابطين ، وكان يشك في انتصارهم على الفونسو السادس « فبقى متربصا ليرى كيفية الامر » ، ومخترجه مع الروم (٤) ، واكتفى بارسال ابنه معز الدولة ليعتذر عن غياب أبيه .

ويتفق صاحب الحل الموشية ، والامير عبد الله الزيرى ، على موقف ابن صمادج المتخاذل تجاه يوسف بن تاشفين ، وان كان ابن أبي زرع وهو مشكوك في روايته قد أورد في روض القرطاس نصا يفهم منه أن ابن صمادج صاحب المرية قد خرج بنفسه للقتال مع المرابطين ، فيذكّر أسماء من شارك في موقعة الزلاقة من ملوك الطوائف مع ابن تاشفين فيقول : « وتقدم أيضا المعتمد بن عباد أمام ابن عائشة مع أمراء الاندلس وجيوشهم » ، منهم ابن صمادج صاحب المرية ، وابن حبوس (٥) صاحب

---

(١) عبد الله الزيرى ، التبيان ، ص ١٠٤ ، الحل الموشية ، ص ٥٢ ، وقد أدركه الامير عبد الله الزيرى بقواته عند جريشه Jerez de los Caballeros وهو في طريقه الى بطليوس . (Huioi Miranda, op. cit, p. 40).  
كذلك أدركه المتوكل ابن الاقطس في عسكره ببطلينوس (مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ٢٠٤ ، (كما لحقه تميم صاحب مالقة .  
( الحل الموشية ، ص ٥٢ ) .

(٢) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٨ .

(٣) الحل الموشية ، ص ٥٢ .

(٤) عبد الله الزيرى ، التبيان ، ص ٢٠٤ .

(٥) المقصود به الامير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس بن زيرى الصنهاجى .



غرناطة وان مسلمة صاحب الثغر الاعلى (١) ، وابن ذى النون (٢) ، وابن الافطس ، وينوعزون (٣) . » .

ولكن يبدو ان ابن ابي زرع كان يقصد معز الدولة بن صمادح الابن وليس الاب محمد بن معن بن صمادح الذى كان موقفه واضحا كل الوضوح فى الحلل الموشية الى جانب مذكرات أحد امراء الطوائف وهو الأمير عبد الله الزيرى الذى شارك مشاركة فعلية فى المعركة .

وتجمع المصادر العربية على ان المتوكل عمر بن الافطس كان من بين المشتركين فى معركة المصير فى الاندلس ، فقد تاهب للجهاد ، واسرع للقاء يوسف بن تاشفين ، ووطن العزم على الموت فى هذه المعركة الفاصلة (٤) ، وقد خرج ليلقى ابن تاشفين على ثلاثة مراحل من بطليوس « احتفل لهم بالتضييف والعلف والقرى الواسع » (٥) . وكان المتوكل خلال الفترة التى شغل فيها المعتمد بدعوة المرابطين الى الاندلس يحصن ثغوره ، ويسد عورات مدته ، ويرمم ما هى من اسوارها ، ومع ذلك فلم يكن بمتأى عن الاحداث ، فقد ظل متابعا لكل ما يطرأ على الموقف ، وتحول عداؤه القديم لبني عباد الى تحالف من اجل انقاذ الاسلام فى

---

(١) يذكر صاحب الروض القرطاس هذا الاسم خطأ ، فينو مسلمة هم بنو الافطس اصحاب بطليوس ، والافطس اسم الشهرة ، اما اصحاب الثغر الاعلى فهم بنو هود الجذاميون .  
(٢) لم يكن ابن ذى النون ، ويقصد به القادر بالله ، مشاركا للوكة الطوائف فى هذه المعركة ، فقد كانت طليطلة قاعدته قد سقطت قبل ذلك بعام فى حين رحل هو الى بلنسية ، فى رفقة البرهانس القائد القشتالى فدخلها بدون قتال ، وكان مكروها من رعاياه ، ثم اضطر البرهانس الى ترك بلنسية للاشتراك مع ملكه الفونسو السادس فى معركة التلاقة ، وانتهر المخدر صاحب لاردة ، هذه الفرصة فهاجم القادر الذى استنجد فى نفس الوقت بملك قشتالة وملك مرسطة .

(٣) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ .

(٤) مذكرات الأمير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٤ .

(٥) الحلل الموشية ، ص ٥٣ .

الاندلس ، وكان هو والامير عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة والمعتمد ابن عباد يؤلفون حلفا ثلاثيا يمثل دول الطوائف ضد الفونسو السادس ، وقد رايناه اول من بدا بمخاطبة يوسف بن تاشفين يستحثه لانقاذ اهل الاندلس ، ويؤكد ابن بسام انه كتب اليه رسالتين اخريين نسخهما وزيره الكاتب ابن ايمن (١) .

واقام ابن تاشفين في جيوشه ببطليوس عدة أيام حتى بلغتهم الانباء بوصول الفونسو السادس ملك قشتالة ، بعد أن رفع حصاره عن مرقسطة واتجه بحشوده الكثيفة التي تقاطرت اليه من مائت اسبانيا وجنوبى فرنسا وايطاليا (٢) نحو بطليوس ، يروم الملاقاة ويحدوه الامل فى قهر المرابطين .

ويبدو أن حشود المسلمين تجمعت بازاء مدينة بطليوس ، لم تبعد عنها كثيرا ، ويعبر الامير عبد الله الزيرى عن ذلك فى مذكراته بقوله « ونحن بازاء المدينة متربصون ان كانت لنا ، فيها ونعمت ، وان لم تكن : كانت وراءنا حرزا ومعقلا ناوى اليها ، وامير المسلمين يدبر هذا الامر بحسن رايه ويلتوى ، عسى ان تقع الملاقاة بتلك الناحية دون ان يحوج الى التوغل فى بلادهم » (٣) .

---

(١) ابن بسام ، الذخيرة ، المجلد الثانى ، القسم الثانى ، ص ٦٥٤ وما يليها .

(٢) Menendez - Pidal, op. cit. P 334 . وذكر ابن الكردبوس أن الفونسو كتب الى جميع النصارى « معلما بجواز المرابطين ، فوافاه اهل قشتالة فى عدد لا يحصى ، وأقلع قائده البرهانش عن بلنسية فلحق به ، وأقبلت عليه العساكر من أقصى الرومية حتى ملأوا البطاح والافضية فأعجب بنفسه ، وقد وثق بكثرة من اجتمع اليه من أبناء جنسه واقسم أنه لا يقوم له طالب لا يغلبه مغالب .... وانفصل عن طليطلة بجيوشه التى ضاقت بها البطاح ، ولم يصحبها نصر ولا نجاح ، كانها الليل الدامس ، والبحر الطامس ، قد لبسوا الدروع الضافية ، وتقلدوا السيوف الماضية ، وتقلسوا بالحديد ، وتقدموا ببأس شديد ، طبولهم القرون ، والويتهم كانها السحاب الجون » ( ابن الكردبوس ، المصدر السابق ، ص ٩٢ ) .

(٣) مذكرات عبد الله الزيرى ، ص ١٠٥ .

وما أن اقتربت حشود الفونسو من تجمعات المسلمين حتى بادر  
بارسال رسالة الى يوسف بن تاشفين عن طريق المتوكل بن الافطس (١)  
يقول له فيها : « هاأنا قد أقبلت أريد ملاقاتك وأنت تتربص وتختبئ  
لاهل المدينة (٢) » . فأما وصلت رسالته هذه الى يوسف بن تاشفين عن  
طريق عمر المتوكل لم يكن أمام أمير المرابطين سوى أن ينتقل اليه  
ليقترب بجيشه من جيش العدو ، وانتهى الامر بأن تواعد معه على  
اليوم الذي يبدأ فيه القتال (٣) .

ويورد صاحب الحل الموشية رواية تفسر السبب في الكتاب الذي  
أرسله الفونسو الى المتوكل ليبلغه بدوره الى ابن تاشفين وفيه يطلب  
منه تحديد يوم اللقاء للمعركة الفاصلة ، جاء فيها أن يوسف بن تاشفين  
حين اقترب من بطليوس ، أرسل وهو قريب من فحص الزلاقة « كتابا  
على مقتضى السنة » خير فيه الفونسو السادس بين ثلاثة : الدخول في  
الاسلام أو الجزية أو القتال ، وختم خطابه بقوله « وقد بلغنا يا اذفنش  
أنك دعوت الى الاجتماع بك ، وتمنيت أن تكون لك فلك تعبر البحر

---

(١) بينما يذكر الحميري أن الفونسو كتب الى يوسف بن تاشفين عن  
طريق ابن عباد ، يقول الحميري « ويعث ابن فردلند الى ابن عباد  
أن صاحبكم يوسف قد تعنى من بلاده ، وخاض البحور وأنا اكفيه  
الغنائم فيما بقى ، ولا اكلفكم تعباً ، أمضى اليكم والقاكم في بلادكم  
رفقا بكم وتوفيرا عليكم » يقصد أن يدعو الى المضي الى المرابطين  
لمحاربتهم في بلادهم ( الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٨ )  
(٢) عبد الله الزيري ، التبيان ، ص ١٠٥ .

(٣) ذكر صاحب الحل الموشية أنه لما احتلت عساكر المسلمين بظاهر  
بطليوس واحتل اذفونش بفحص الزلاقة على أربعة فراسخ من  
بطليوس كتب الى أمير المسلمين مكرأ منه يقول « ان غدا يوم  
الجمعة ولانحب مقاتلتكم فيه لانه عيدكم ، وبعده السبت يوم عيد  
اليهود ، وهم كثيرون في محلتنا ونحن نفتقر اليهم ، وبعده الاحد  
عيدنا ، فنحترم هذه الاعياد ويكون اللقاء يوم الاثنين ، فقال أمير  
المسلمين « أتركوا اللعين وما أحب » ( ص ٥٧ ) .

ولا نستبعد من الفونسو هذا التصرف المخادع ، ولا من ابن  
تاشفين موافقته على اليوم الذي حددته الفونسو للقاء ، فقد كان  
يوسف متلهفا على الجهاد واثقا بنصر الله .



عليها الينا، فقد اجتزنناه اليك وجمع الله في هذه العرصة بيننا وبينك  
وسترى عاقبة دعائك » وما دعاء الكافرين الا في ضلال » (١) .

فلما وصلت هذه الرسالة الى الفونسو السادس ، اشتد غضبه ،  
وقرر الايبرح مكانه ، واصطنع الحيلة في استدراج ابن تاشفين اليه ويفاجاه  
بالهجوم بدلا من ان يمضى هو اليه ، وقد احتفى بمدينة بطليوس ، فاذا  
ما انتصر النصراني تمكن الفونسو من قتله بسهولة ، وختم كلامه بأن  
بينهما هذا البسيط المتسع وكان يقصد به فحص الزلاقة (٢) .

ونفهم من رواية صاحب الحلل أن الرسالة التي ارسلها يوسف بن  
تاشفين الى الفونسو السادس عند اقترابه من بطليوس . يخيره فيها بين  
الاسلام او الجزية او الحرب انما كتبها وهو في طريقه من اشبيلية الى  
بطليوس اى قبل ان يمضى الى فحص الزلاقة ، وهو امر نستبعده ،  
فلا يعقل ان يوجه ابن تاشفين هذه الرسالة قبل ان يعبىء قواته للقتال  
في أرض المعركة ، ثم ان الفونسو لم يكن قد وصل بعد الى موقعه  
من الزلاقة . ويسوق صاحب روض القرطاس رواية اقرب الى رواية صاحب  
الحلل ، فيذكر ان قوات المسلمين نزلت بمدينة طرطوشة فاقاموا بها  
ثلاثة ايام وكتب منها يوسف بن تاشفين كتابا الى الفتنش يدعوه فيه الى  
الجزية او الحرب او الاسلام ، فلما وصل كتابه الى الفتنش ادركته  
الانفة وداخله الكبر ، وقال للرسول : قل للامير الاتتعب نفسك انا اصل  
اليك . فارتحل يوسف وارتحل الفتنش حتى نزل بالقرب من بطليوس ،  
ونزل يوسف بموضع يعرف بالزلاقة من احواز بطليوس (٣) . . . . » .

ونستنتج من ذلك ان ابن تاشفين وجه رسالته الى الفونسو بعد  
رحيله من بطليوس في طريقه الى أرض المعركة بعد اقامته في بطليوس

(١) الحلل الموشية ، ص ٥٣

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٤

(٣) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ .

واثناء خروجه منها لتحديد موقع المعركة . ومع ذلك فنحن نشك في انه كتب اليه من طرطوشة الوارد ذكرها في روض القرطاس لوقوعها في أقصى الشمال الشرقى من بلاد الاندلس ، والارجح انه كتب اليه عندما كان معسكرا بقواته بازاء بطليوس أى قبل أن يتفق مع الفونسو على موعد القتال وهو ما يؤكد الحميرى اذ يقول «فأناخوا بظاهرها، وخرج اليهم المتوكل عمر بن محمد فلقبهم بما يجب من الاقوات والضيافات ، وبذل مجهوده . . . ثم كتب يوسف الى ابن فرذلند يدعوه الى الاسلام او الجزية او يأذن بحريه ، فامتلا غيطا وعتا وطغا (١) . . . .

ويمكننا من خلال مذكرات الامير عبد الله الزيرى أن نربط سلسلة الاحداث ببعضها البعض ، فالامير عبد الله الزيرى يؤكد أن الفونسو ارسل الى ابن تاشفين اثناء اقامته في بطليوس ذاتها رسالة عن طريق ابن الافطس سبق أن أوردناها يقول « ها أنا قد اقبلت أريد ملاقاتك ، وأنت تتربص وتختبئ لاصل المدينة » (٢) .

ويؤكد الامير الزيرى انه عقب رسالة الفونسو هذه لم يكن امام ابن تاشفين سوى أن ينتقل خارج بطليوس ليكون على مقربة منه . وفي ذلك يقول الامير عبد الله الزيرى « فلم يكن بد أن ينتقل اليه ليكون الجيش على مقربة منه ، وتواعدة اللقاء في يوم سمياه (٣) . . . » .

ومن سياق الكلام يتبين لنا أنه على اثر رسالة الفونسو للمرابطين وهم في بطليوس أمر ابن تاشفين بالانتقال خارج المدينة في مكان المعركة الذى حدده كل من الحميرى (٤) وابن الكردبوس (٥) وصاحب الحل

---

(١) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٩٠

(٢) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٥

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٥

(٤) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٧ - ٩٣

(٥) ابن الكردبوس ، نصاب جديان ، تحقيق د. مختار العبادى ، ص ٩٣ .

الموشية (١) بفحص الزلاقة الذى دارت فيه المعركة ، ونستنتج من هذه النصوص المختلفة الحقائق التالية :

١ - أنه لا يمكن باى حال من الأحوال أن يكون ابن تاشفين قد انتقل من بطليوس الى طرطوشة كما ذكر ابن أبى زرع وأقام بها مدة ثلاثة أيام أرسل خلالها رسالته الى الفونسو السادس ، ثم عاد ابن تاشفين مرة ثانية الى فحص الزلاقة ليكون قريباً من الفنش الذى كان قريباً من بطليوس ، فطرطوشة تبعد عن بلنسية بنحو مائة ميل وعشرين ميلاً (٢) ، وهى فى أقصى الشمال الشرقى من الاندلس ومن المحال أن ينتقل جيش بأكمله من غرب الاندلس الى شرقه مرتين ذهاباً وإياباً فى فترة وجيزة قدرها بضعة أيام ، هذا الى جانب أنه لم يكن هناك أى مبرر لذهابه الى مدينة طرطوشة . وحتى لو افترضنا أن ابن أبى زرع قد اختلط عليه الأمر وأن ذهاب ابن تاشفين الى طرطوشة وإقامته بها مدة ثلاثة أيام كان عقب جوازه للاندلس وإقامته بالجزيرة الخضراء مباشرة فإن هذا الافتراض لا يتماشى مع المنطق ولا مع تسلسل الأحداث ولا مع ما ذكرته المصادر العربية فى هذا الصدد ، فجميع المصادر أجمعت على أن ابن عباد قد أرسل ابنه عبد الله لاستقبال أمير المرابطين فى الجزيرة الخضراء بعد أن أخلاها له ابنه البراضى ، ثم توجه ابن تاشفين بعد أن انتهى من تحصينه للجزيرة الخضراء الى اشبيلية حيث استقبله المعتمد بن عباد فى منتصف الطريق ، يضاف الى هذا أن طرطوشة تبعد كثيراً عن الجزيرة الخضراء وعن بطليوس .

وبهذا لم يتبق أمامنا إلا أن نرفض ذهاب ابن تاشفين بقواته الى طرطوشة اللهم إلا إذا كان قد توجه على رأس جزء من قواته إليها فى الفترة ما بين انتقاله من الجزيرة الخضراء ، وبين تخديده لتاريخ وموقع

---

(١) الحل الموشية ، ص ٥٣

(٢) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٢٤



المعركة مع الفونسو السادس لفك حصار ابن ردمير ( شانجة راميرث ) ملك أرغون عنها وكان يحاصرها في ذلك الوقت ، ولكن لم يحدد أى مصدر من المصادر المعاصرة هذا بوضوح أو حتى بإشارة بسيطة ، هذا الى جانب أن الفونسو السادس كان كما سبق أن أوضحنا قد طلب من ابن ردمير ( شانجة راميرث ) أن يهرع لنجدته ، وحشد كل قوات المسيحية ضد المرابطين (١) ، وبهذا يتضح لنا أن حصار شانجة راميرث لطرطوشة قد انتهى بمجرد جواز امير المرابطين الى الاندلس . ونعتقد أن صاحب روض القرطاس انما كان يقصد بطرطوشة مدينة جريشة أو شريشة Jerez de Los Caballeros ، فاسمها اقرب فى رسمه الى طرطوشة ، ومع ذلك فاننا نستبعد ذلك لان جريشة تقع الى الجنوب الشرقى من بطليوس على مسافة تبعد عنها بما لا يقل عن ٧٠ كيلو مترا ولا عجب فى هذه الاخطاء التى يقع فيها صاحب روض القرطاس .

٢ - فيما يتعلق برواية صاحب الحل الموشية ، فقد سبق أن استبعدنا قوله بأن رسالة ابن تاشفين لالفونسو وجهت اثناء سيره من اشبيلية الى بطليوس ، وان كنا نعتقد أن هذه الرسالة ارسلت من فحس الزلاقة بعد خروج جيوش المسلمين من بطليوس فى طريقهم الى ارض المعركة استعدادا للقتال وليس قبل وصولهم الى بطليوس كما ذكر صاحب الحل .

٣ - وفقا لرواية الحميرى ، فسر الفونسو السادس لاصحابه السبب فى اصراره على التحرك للقاء المرابطين ، ورفض مجيئهم اليه لكى يحاربوه بأنه كان يخشى فى حالة اذا ما حاربه المرابطون فى عقرداره وعلى أبواب مملكته ، ثم دارت عليه الدوائر ، وهزم فى هذه الواقعة أن يكتسح المرابطون بلاده ويستولوا على عرشه . وكما أوضح لهم كيف

انه يخطط للاستيلاء على كافة اراضي المسلمين عند انتصاره هو عليهم وهو يقاتلهم في اراضيهم وفي قلب ممالكهم (١) .

#### ب - القوات المسيحية والقوات الاسلامية امام بطليوس

ولقد تعددت الروايات بشأن تقدير عدد قوات المسلمين والنصارى غير أن جميع المصادر تجمع على أن عدد المسلمين كان أقل من عدد النصارى (٢) ، فصاحب الحلل الموشية يذكر أن عدة جيش النصارى بلغت ثمانين ألف فارس يلبسون الدروع ، بينما كان عسكر المسلمين يناهز خمسين ألف فارس : ٢٤ ألفا من فرسان الاندلس ما بين مدرع ولابس ومثلها أو أكثر منها مرابطون وأهل العدو (٣) .

ويذكر الحميري أن المختارين من اجناده بلغوا على أقل تقدير أربعين ألف دارع (٤) ، كما يذكر أن عدة المسلمين كانت أقل من عدة المسيحيين (٥) ، وذكر ابن الكردبوس في تاريخه انه كان قد خرج للقاء المسلمين في ستين ألف فارسي (٦) ، أما صاحب روض القرطاس فقد بالغ في ذكر عدد قوات الفونسو ، فذكر أن عدد الروم فيما نقل ثمانين ألف فارس ومائتي ألف راجل وانهم قتلوا جميعا ولم ينج منهم إلا الفئش في مائة فارس (٧) ويجعل عبد الواحد المراكشي عدد قوات المسلمين عشرين ألفا من المتطوعة والمرتزقة (٨) .

---

(١) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٨

(٢) الحلل الموشية ، ص ٥٦ ، الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ،

ص ٨٨ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٢٢ .

(٣) الحلل الموشية ، ص ٥٦

(٤) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٨

(٥) المصدر السابق ، ص ٨٨

(٦) ابن الكردبوس ، ص ٩٤ Huici Miranda, op. cit, P. 47

(٧) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٦

(٨) عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٣٣

انتقل يوسف بن تاشفين بعد ذلك الى موقع الزلاقة « من احواز بطليوس <sup>(١)</sup> » ، ويقول صاحب الحلل الموشية في ذلك أنه « لما احتلت عساكر المسلمين بظاهر بطليوس واحتل اذفنش بفحص الزلاقة على اربعة فراسخ من بطليوس <sup>(٢)</sup> » ، انقسم جيش المسلمين الى قسمين ، القوات الاندلسية ، والقوات المرابطية ، فقد تقدم المعتمد بن عباد وأمراء الاندلس فنزلوا بجهة غير الجهة التي نزل بها ابن تاشفين والمرابطون ، ويغلب على الظن أن جيوش أهل الاندلس ، وكان يتولى قيادتها من ملوك الطوائف المعتمد بن عباد والمتوكل بن الافطس ، وعبد الله وتميم ولدى بلقين <sup>(٣)</sup> ، اختبأت خلف ربوة حاجزة ربما للاحتماء وراء هذا المانع أو لتعمية رجال الفونسو عن تقدير عددها الحقيقي ، وليس كما يزعم صاحب روض القرطاس <sup>(٤)</sup> . وهذا يعنى بصراحة وجود تموجات في أرض المعركة كانت تحمى قوات المسلمين ، وهو ما اشار اليه يوسف بن تاشفين في خطابه الذي أرسله الى تميم بن المعز ابن باديس بالمهدية يصف فيه انتصاره الساحق على جيوش النصارى ، وفيه يقول « واستشهد الكل بحمد الله ، وصاروا الى رغبوان الله ، ونحن في ذلك كله غافلون ، حتى ورد علينا وارد ، وقصد إلينا قاصد ، فخرجنا من وراء الشعب كقطع اللهب بجميع من معنا <sup>(٥)</sup> » . . . » وتصف مدونة الفونسو العاشر المعروفة بتاريخ اسبانيا العام ، معسكر

---

(١) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤

(٢) الحلل الموشية ، ص ٥٧ ، ويجعل ابن الكردبوس المسافة ثلاثة اميال ( ابن الكردبوس ، ص ٩٣ )

(٣) ذكر صاحب الحلل أن ملوك الطوائف بالاندلس اتفقوا على أن يكون المعتمد ابن عباد في قلب المقدمة والمتوكل بن الافطس في ميمنتها وأهل شرق الاندلس في ميسرتها وسائر أهل الاندلس في الساقة ، والمرابطون وأهل العدو كمائن متفرقة تخرج من كل جهة عند اللقاء ( ص ٥٩ )

(٤) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤

(٥) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ملحق ١ ، ص ٤٤٩



يوسف بن تاشفين الذى تحصن وراء خندق أقامه خوله  
(<sup>١</sup>) Que estavam bien cercadas de carcaua

وربما كان القونسو العاشر يعنى بهذا الخندق ما ذكره ابن الكردبوس  
بقوله « نزل بين جبلين » (<sup>٢</sup>) ، وكان يفصل بين المسلمين والمسيحيين  
رافد لواديانه يسمى اليوم جيرو Guerrero (<sup>٣</sup>) . ويعزى كل من  
مانويل البران Manuel Albarran (<sup>٤</sup>) ومنندت بيدال  
Menendez - Pidal (<sup>٥</sup>) توفيق المسلمين فى المعركة الى ذكاء يوسف  
ابن تاشفين الحاد الذى جعله يحسن استغلال طبوغرافية الموقع . لتنفيذ  
مخططه ، وان كان أويثى ميراندا Huici Miranda (<sup>٦</sup>) ينزى  
ان ما أوردته المصادر العربية عن اختباء جيوش المسلمين خلف وهدة  
لا يعدو قصة مختلفة تماما لانه حين زار ساحة الزلاقة لم يجد شيئا من  
هذه التموجات الارضية ، هذا الى جانب اعتماده على الحميرى فى تعريفه  
للزلاقة بأنها « بطحاء » (<sup>٨</sup>) أى انها منطقة مسطحة ، وكذلك يفتد على  
مذكرات الامير عبد الله الزيرى الذى لا يذكر شيئا بخصوص هذا  
الموضوع .

وقد اتاحت لنا الفرصة لزيارة موقع المعركة أى ساحة الزلاقة ،  
فراينا سهلا ممتدا لا اثر فيه لاية مرتفعات ، ولكن هذا لا يمنع من وجود  
بعض الوهاد أو المرتفعات على أيام المرابطين ، وقد تكون هذه الوهدة قد  
تعرضت لبعض العوامل الطبيعية التى أزالها اليوم أو سوتها مع سائر  
المنطقة المسطحة .

(١) Primera Cronica general de España, ed, R. Menendez Pidal, t. II, P. 558.

(٢) ابن الكردبوس ، ص ٩٣

(٣) Menendez pidal, la España del Cid, p. 333.

(٤) Albarran, el solar de los Aftasies, P. 237-238.

(٥) Menendez - pidal, la España del Cid, t. P. 333.

(٦) Huici Miranda, op. cit., p. 48.

(٦) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٣ .

ورغم أن أويثى لم ير هذه المرتفعات على سهل الزلاقة ، فإنه لا يوجد شاهد أو دليل أفضل من المصادر التي ذكرت وجوده وأكدته، وربما يكون الشيء الوحيد الذى لانستطيع أن نثبتته معرفة عدد المرتفعات الصغيرة التى كانت ترتفع على سطح الفحص ، وأى من هذه المرتفعات استخدمه يوسف لاختفاء كمينه ؟

وهنا اتساءل اذا كان Huici يتشكك فيما ذكر من لجوء ابن تاشفين الى هذه الحيلة بحجة أن يوسف لم يسبق له أن زار هذه المنطقة من قبل ، فكيف له أن يتكهن بوجود هذه المرتفعات لو كانت حقا موجودة ؟ ويرى البران Albarran أن الاجابة على ذلك امر فى غاية السهولة ولايحتاج الى معرفة سابقة بالموضع ، فبمجرد ملاحظة وجود التموجات الطبيعية أوحى اليه بضرورة استغلالها للاستتارة خلفها (١) .

أقام المسلمون فى مواقعهم مدة ثلاثة أيام والرسل تجيء وتذهب بينهم وبين العدو الذى لم يكن يفصله عنهم سوى «نهر بطليوس» وهو نهر حاجز يشرب منه هؤلاء وهؤلاء (٢) ، وكان الفونسو كما ذكرنا قد اتفق مع ابن تاشفين على أن يبدأ القتال يوم الاثنين .

ولكن المعتمد بن عباد وكان على دراية كبرى بكل حيل الفونسو السادس داخله الشك فى نوايا الفونسو ، فنصح يوسف بن تاشفين ألا يثق فى اقواله فهذه خديعة منه يريد بها الايقاع بالمسلمين ، كما امر عساكره بأن يظلوا على أهبة الاستعداد طوال يوم الجمعة (٣) . وتختلف الآراء حول هذا الموضوع وهو امر طبيعى بالنسبة لجميع الإحداث

---

(١) Albarran, op. cit, P. 239.

(٢) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤

(٣) المصدر السابق ، ص ٩٤ ، عبد الواحد المزركشى ، المعجب ، ص ١٣٤ ، الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ٩١ .

الهامة، فقد أورد الحميرى رواية تبدو مختلفة وان كنا سنوردها هنا لتوضيح مدى اهتمام المسلمين بهذه الواقعة واثار هذه المعركة في تغيير مسار التاريخ الاسلامى فى الاندلس الى حد أن المصادر العربية لم تكف عن احاطتها بجو اسطورى غامض . يقول الحميرى « وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس ، بجميع المحلات ، خائفين من كيد العدو ، وبعد مضى جزء من الليل انتبه الفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبى ، وكان فى محلة ابن عباد ، فرحا ، مسرورا ، يقول انه رأى النبى ﷺ فبشره بالفتح والشهادة فى صبيحة غد وتاهب ودعا ودهن رأسه وتطيب ، وانتهى ذلك الى ابن عباد ، فبعث الى يوسف فخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر ابن فرذلند ، فحذروا أجمعين ، ولم ينفع ابن فرذلند ما حاوله من غدر (١) » .

وذكر عبد الله بن بلقين فى مذكراته أن عسكر الفونسو فاجأ المسلمين « وهم على غير اعداد ، وكان مختلما ، انما له ما ألفى فى تلك الساعة ، والقى سمه فى الرجل ، ومات منهم خلائق ممن لم يكن يقدر على نفسه (٢) » .

وفى رواية صاحب الحلل الموشية أن الفونسو استعد للغدر بالمسلمين يوم الجمعة بدلا من الاثنين ، وهو اليوم الذى اتفق عليه مع ابن تاشفين على القتال ، « لياخذهم على حين غفلة ، غدرا منه ، وارتقى فى رهوة مع جماعة زعماء قومه ليبصر اعداد جيوشه ، فاعجبه ما رأى من كثرتهم ولمعان دروعهم ... فلما أعلم ابن عباد. بقدوم الطاغية عليه ، بادر الركوب على غير تعبئة ولا أهبة ، وغشيتهم خيل العدو كالسيل ، وعمتهم كقطع الليل (٣) ... » .

---

(١) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٩٠ - ٩١

(٢) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٥

(٣) الحلل الموشية ، ص ٥٩



وفي رواية عبد الواحد المراكشي أن الفونسو السادس وابن تاشفين اتفقا على أن يبدأ الاشتباك يوم الاثنين ، « وقصد - لعنه الله - مخادعة المسلمين واغتيالهم ، فلم يتم له ما قصد ، فلما كان يوم الجمعة تاهب المسلمون لصلاة الجمعة ، ولا أمانة عندهم للقتال ، وبني يوسف بن تاشفين الأمر على أن الملوك لا تغدر ، فخرج هو وأصحابه في ثياب الزينة للصلاة ، فأما المعتمد فإنه أخذ بالحزم ، فركب هو وأصحابه شاكى السلاح، وقال لامير المسلمين : صل في أصحابك ، فهذا يوم ماتطيب نفسى فيه وها أنا من ورائكم ، وما اظن هذا الخنزير الا وقد أضمر الفتك بالمسلمين، فأنفذ يوسف وأصحابه في الصلاة ، فلما عقدوا الركعة الأولى ثارت في وجوههم الخيل من جهة النصارى وحمل الأذفنى - لعنه الله - في أصحابه يظن أنه قد انتهز الفرصة ، وإذا المعتمد وأصحابه من وراء الناس، فأغنى ذلك اليوم ، غناء لم يشهد لاحد من قبله (١) .»

وأورد صاحب روض القرطاس نص رسالة موجهة من يوسف بن تاشفين إلى بلاد العدو جاء في فقرة منها « فإن العدو لعنه الله لما قربنا من حماه ، وتواقفنا بازائه ، بلغناه الدعوة وخيرناه بين الاسلام والجزية والحرب ، فاختار الحرب ، فوقع الاتفاق بيننا وبينه على الملاقاة في يوم الاثنين الخامس عشر لرجب . . . فافترقنا على ذلك ، وأضر اللعين خلاف ما شرطناه وعلناه أنهم أهل خدع ونقض عهود ، فأخذنا أهبة الحرب لهم وجعلنا عليهم العيون ليرفعوا إلينا أحوالهم ، فأتتنا الأنباء في سحر يوم الجمعة من رجب المذكور أن العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين (٢) . . . »

من كل ما تقدم يتضح لنا أن الفونسو اصطنع الحيلة والدهاء في حمل المسلمين على التواعد على القتال يوم الاثنين ، ولكن المعتمد تشكك

---

(١) عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٣٤

(٢) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٧

في الامر لما كان يعهده في الفونسو من مكر وغدر ، وتاهب من يوم الخميس لخوض المعركة . فلما اقبل الليل من يوم الخميس العاشر من رجب عام ٤٧٩ هـ ( ١٠٨٦ م ) اخذ المعتمد بن عباد يعبىء جيشه ويصف صفوفه استعدادا للمعركة ، وجعل عيونه يسهرون لمراقبة جيش العدو ويوافوه باخبارهم في حالة تحركهم تجاه معسكر المسلمين ، واستمر على استنفاره حتى فجر يوم الجمعة ، وبينما كان المعتمد بن عباد يؤدي الركعة الاخيرة من صلاة الصبح ، دخل عليه رجاله المراقبون للعدو في عجلة من امرهم وابلغوه بغدر العدو بالمسلمين وزحفهم نحوهم « بأمم كالجراد المنتشر » (١) .

فقد سمعوا ضوضاء الجيوش ، وصيليل الاسلحة ، وبعد لحظات بسيطة لحق بهذه المجموعة من طلائع ابن عباد ، مجموعة اخرى من عيونه ، وكانوا قد استرقوا السمع بداخل معسكرات الفونسو السادس ، فسمعوه يامر قواته بالهجوم على الجناح الذي يقوده ابن عباد لانه هو الوحيد في اعتقاد النصارى الذى يفهم فى اصول الجهاد والحرب ، وانه وحده ادرى بالطبيعة الجغرافية للبلاد ، فاذا تمكن النصارى من هزيمته يسهل عليهم بعد ذلك التغلب على ابن تاشفين ، وكان الفونسو السادس يستهين بابن عباد ويظن ان بإمكانه القضاء عليه بكل بساطة ويمر ، فارسل ابن عباد كاتبه ابا بكر بن القصيرة الى يوسف بن تاشفين يبلغه بهجوم العدو ويستحثه على الجهاد فجاءه ابن تاشفين يطمئنه بانه وراءه يحميه ويدافع عنه (٢) .

وكان جيش المرابطين ينقسم الى قسمين :

القسم الاول : كان يضم فرسان البربر على مختلف قبائلهم ويتولى

---

(١) ابن ابي زرع ، نفس المصدر ، ص ٩٤ .

(٢) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٩١ .

قيادته داوود بن عائشة وكان « لا نظير له في الحزم والعزم  
والنجدة » (١) .

القسم الثاني : ويشكل الجيش الاحتياطي كان يقوده يوسف بن  
تاشفين بنفسه وقد استبقى ابن تاشفين معه أفضل جنده من لتونه  
وصنهاجه (٢) ومصمودة وزناتة وغمارة مع الحرس الزنجى الاسود  
الخاص بالامير المرابطى شخصيا (٣) .

أما قوات الفونسو فكان يقود مقدمتها القائد القشتالى البرهانس  
وكان معظمها من جنود ارغون والمتطوعة (٤) . أما معظم جيشه  
فقد كان بقيادته شخصيا . وقبل ان نبدا في سرد تفاصيل واقعة الزلاقة  
يجدر بنا ان نذكر الطريق الذى سلكه كل من جيش المرابطين وجيش  
النصارى للوصول الى ساحة القتال في فحص الزلاقة ، وهو سهل يمتد  
في الاراضى الواقعة الى الشمال الشرقى من حاضرة بنى الاطلس .

فمن المعروف ان امير المرابطين كان قد اتجه مع جيوش اشبيلية  
نحو بطليوس لان ذلك كان الموقع الاستراتيجى الذى يجب على الفريقين  
المتنازعين من حيث المنهج التكتيكى البحث عنه ، مع الأخذ بعين  
الاعتبار اولية تقديم العون للمتوكل بحمر بن الافطس على غيره من  
ملوك الطوائف باعتباره اكثر هؤلاء الملوك تعرضا للخطر القشتالى ،  
لاسيما بعد ان قضى الفونسو على مملكة طليطلة . أما القول بان يوسف  
لم تكن لديه النية في ضياع وقت طويل للوصول الى بطليوس ، وان هذه  
المدينة كانت الهدف الرئيسى لحملته التالية كما يذكر البران (٥) فقول

(١) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ - ٩٥

(٢) محمد بن عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٢٢

(٣) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٤٩٦ . Albarran, op. cit., p. 135.

(٤) صاحب الحلل الموشية ، ص ٧٢

Albarran, op. cit., P. 210.

(٥)



نرفضه تماما لان يوسف بن تاشفين في جوازه الثانى قد جاز الى الاندلس لفك الحصار عن حصن لييط ، وفي جوازه الثالث الذى حدث في اوائل سنة ٤٨٣ هـ ( ١٠٩٠ م ) استهدف منه الاطاحة بملوك الطوائف بدءا بالامير عبد الله بن بلقين ولو انه كان يريد بطليوس كما يعتقد البران بحجة انه قد اختار ان يذهب الى بطليوس قبل حربه مع الفونسو وان يستقر بظاهرها لاطماعه الشخصية فيها ، لكان قد سارع بالاستيلاء عليها في جوازه الثانى او حتى بعد جوازه الثالث الى الاندلس بدلا من توجهه الى غرناطة في الجواز الثانى وخلعه لملكها ثم نفه الى ارض المغرب ، واصداره الامر لقائده الاكبر سير بن ابي بكر بمحاصرة ابن عباد في اشبيلية ونفيه باغمات بينما ترك امر ابن الافطس لسنوات اربعة مضت من وقعة الزلاقة (١) .

ولقد سلك المرابطون اقصر الطرق الى بطليوس وهو الطريق الذى يمر عبر سيرا مورينا بدءا بفريجينال ومرورا بشريشة وهى التى اطلق عليها العرب اسم جريشة (٢) Jerez de los caballeros وباركاروتا Barcarrota ثم لابويره la Albuera واخيرا وصل الى بطليوس ، هذا الطريق هو نفس الطريق الذى يسلكه المسافر اليوم من اشبيلية الى بطليوس (٣) .

وقبل ان نبدا في سرد تفاصيل معركة الزلاقة ينبغى ان اوضح امرا هاما وهو ان اختيار امير المرابطين يوسف بن تاشفين لبطليوس على وجه الخصوص دون غيرها من المناطق الثغرية الاخرى ، لتكون ميدان قتاله ضد العدو ، تم نتيجة ادراكه التام من خلال الرسائل العديدة التى سبق لابن الافطس ان ارسلها له ، بان هذه المملكة الغنية بخيراتها ، اصبحت عرضة للخطر المسيحى عقب استيلاء الفونسو على مملكة

(١) صاحب الحلل الموشية ، ص ٧٢

(٢) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٤

(٣) تقع باركاروتا على بعد ٢٧ كم . الى الشمال من جريشه و ٤٧ كم الى الجنوب من بطليوس . اما لابويره وهى مشتقة من العربية « البحيرة » فتقع في منتصف الطريق بين باركاروتا ( ٢٣ كم ) وبطليوس ( ٢٤ كم ) .

طليطلة مما يؤكد وجهة نظرنا التي سبق أن أوضحناها وهي أن الفونسو السادس كان يطمح في بطليوس بنفس قدر طعمه في مملكة طليطلة ، وأنه لو كانت لمملكة بطليوس نفس الظروف السياسية المضطربة التي اقترنت بمملكة طليطلة لكان قد استفتح بها حروبه ضد المسلمين . ونستدل على رأينا بما ورد في رسالة يوسف بن تاشفين إلى الناصر تميم بن المعز بن باديس في المهدية ، وفيها يشير إلى خروجه من بطليوس في طريقه للقاء الفونسو وجاء فيها : « فجمعنا عساكرنا وسرنا إليه ( أي إلى الفونسو ) وصرنا قفل قورية عن بلاد المسلمين ، صرف الله فسمع بنا ، وقصدنا قصدنا ، وورد وردنا واحتل بفنائها منتظرا لنا » .

ونستنتج من ذلك النص أن ابن تاشفين عزم على الخروج من بطليوس نحو قورية ولكن الفونسو عجل بالمجيء إلى بطليوس للقاءه ، ووضح من النص أن اهتمام يوسف ابن تاشفين كان موجها إلى مملكة بنى الأفطس .

ولقد انتظر يوسف بن تاشفين في بطليوس عدة أيام لراحة قواته من جهة ، ولكي يترك للملك المسيحي فرصة التوغل في أراضي المسلمين من جهة أخرى ، أي أن انتظاره هذا كان ضربا من الإيقاع به في شباك المسلمين ، واستمر في ذلك إلى أن تأكد له أن الفونسو قد اقترب أكثر فاکثر من معسكر المسلمين . هذه الخطة تؤكد أن اللقاء قد جرى في أراضي قريبة للغاية من العاصمة بطليوس ، وهذا سيساعدنا على تحديد موقع الزلافة في يومنا هذا كما سنوضحه في الصفحات التالية ، ومما لا شك فيه أن نزول ابن تاشفين بظاهر بطليوس يعبر عن ذكاء واضح إذ أنه باتخاذ أرض المعركة في ظاهر بطليوس سيضمن لنفسه ولجيشه ملجأ آمينا لهم في حالة الهزيمة أمام العدو والشئ الغريب الذي أورده الأمير عبد الله الزيرى أن يوسف بن تاشفين أصابه التياث ويعتقد البران أن هذا الخوف يصيب عادة كبار السن من الخوف أو

القلق (١) لاسيما في المواقف الحاسمة وقد أشار عبد الواحد المراكشي الى ذلك بقوله « ولما تراءى الجمعان من المسلمين والنصارى ، رأى يوسف أمرا عظيما هالهم من كثرة عدد وجوده سلاح وخيل وظهور قوة قتال للمعتمد : ماكنت اظن هذا الخنزير لعنه الله يبلغ هذا الحد » (٢) . . . .

اما الطريق الذى سلكه الفونسو السادس ليصل بقواته الضخمة الى ساحة القتال ، فقد قام اوليفر اسين *Asin* بدراسته وان كان البران يرفض نتائج دراسة اسين *Asin* ويرى أن الجغرافية الطبيعية هي التى تتحكم في مسيرة الجيوش ، لذا فقد وضع خطأ آخر لسير الفونسو غير الذى اقترحه اسين (٣) . ومن يتبع الخريطة الجغرافية يتبين له من المنطقي أن يكون الفونسو السادس قد هبط من قورية التى كان قد استولى عليها في عام ٤٧٢هـ ( سبتمبر ١٠٧٩م ) نحو الجنوب سالكا الطريق المؤدى الى العمق الاسلامي حيث قوات المسلمين . وكان على الفونسو لى ينحدر من قورية ان يسلك الطريق الى القنطرة المؤدى الى الجنوب ، وكان طريقا معروفا ومسلوكا .

ولكننا لانستطيع ان نحدد على وجه اليقين هل سلكه الملك الليونى مع قواته ام لا ، حيث ان القنطرة في ذلك الوقت كانت تابعة للمسلمين ، وليس لدينا من المصادر العربية او النصرانية ما يشير الى انها سقطت في يد الملك المسيحي الفونسو السادس او من قبل في يد ابيه فرديناند ( فرناندو الاول ) .

ولذلك نرجح ان يكون الفونسو ورجاله قد سلكوا قطاعا من الجادة الرومانية التى كانت تربط بين بودوا القديمة وهي القرية التى كانت تقوم في موضع مدينة بطليوس او قريبا منها *Budua* وسبتم آراس

( ١ ) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٥ .

( ٢ ) عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٣٣ .

( ٣ ) *Albarran, op. cit, p. 213*



Septum Aras التى تقع بالقرب من حصن كركر Albuquerque وهذا القطاع من الجادة يحف بمجرى خيفورا Gevora وينتهى ببطليوس والسهول ، وكانت هذه الجادة تربط بطليوس بالشمال وكان المسلمون يستخدمونها فى أسفارهم الى قورية ، بمعنى أن الفونسو سلك الطرق القديمة لكى يصل الى سهول بطليوس من الشمال ، وكان عليه أن يعبر سلاسل جبال مان بدرو التى تعترض طريقه ، ويهبط منها فيتجه المرابطون نحوها للقاءه ، وفى هذه الحالة يكون الفونسو السادس قد أصبح قريبا للغاية من بطليوس .

وإذا دققنا فى تاريخ المعركة فسنجد أن الاشتباك قد تم فى فصل الخريف ، وهو فصل معتدل بالنسبة لاقليم استراما دورا ، أيامه طويلة ، أما النهر الذى كان يفصل بين المتحاربين وهو نهر جيريرو ، فقد كان ما يزال آنذاك شحيح المياه فهو لا يمتلئ بالماء إلا فى مواسم السيول ، وظاهرة وجود شريعة أو نهر كحاجز طبيعى كانت تؤخذ فى الاعتبار دائما فى التكتيك العسكرى فى العصور الوسطى خاصة فى المعارك التى كانت تدور بين المسلمين والمسيحيين ، ويؤيد هذا الاتجاه أبيات من الشعر نظمها الشاعر أبو بكر الصيرفى من شعراء القرن السادس الهجرى يدعو فيها المرابطين أن يفصل بينهم وبين النصارى نهر عند الشروع فى القتال ، لايتخطونه (١) .

ونطالع فى هذه القصيدة الابيات التى تعبر عن سياسة المسلمين فى الحروب :

خندق عليك اذا ضربت محلة    سيان تتبع ظاهرا او تتبع  
وتوق من كذب    الطلائع انه    لا رأى للكذاب فيما يصنع  
فاذا احترست بذاك لم يك للعدى    فى فرصة او فى انتهاز مطمع

لا تبقيين النهر خلفك عندما تلقى العدو فأمره متوقع  
اجعل مناجزة العدو عشية ووراءك الصدف الذي هو امنع (١)

ويعتقد البران اعتقادا راسخا أن يوسف بن تاشفين استعرض قواته  
امام الفونسو السادس لتخويله وبث الذعر في نفوس قواته ، واعتمد  
البران في رأيه هذا على نص الحميري ، الذي قال فيه « فلما صلوا  
الصبح ، ركب الجميع ، وأشار ابن عباد على يوسف بالتقدم الى اشبيلية  
ففعل ، ورأى الناس من عزة سلطانه ما سرهم ، ولم يبق من ملوك  
الطوائف بالاندلس الا من بادر واعان وخرج (٢) ... » .

ولكننا لانرى ما يراه البران ، فاذا امعنا النظر في هذا النص  
يتبين أولا أن هذا الاستعراض الذي ذكره البران (٣) لم يكن في ظاهر  
مدينة بطليوس أو في فحص الزلاقة ميدان القتال كما ذكر البران ،  
وانما حدث اثناء خروج الجيش من الجزيرة الخضراء الى اشبيلية ونص  
الحميري صريح لايحتاج الى تفسير في تحديد ذلك ، وثانيا أن هذا  
العرض لم يكن يهدف تخويل العدو أو بث الذعر في نفسه فالعدو كان  
مايزال بعيدا عن عيون المسلمين ، وانما كان بهدف بثروح الطمأنينة  
في نفوس مسلمي الاندلس واعادة ثقتهم في احرار النصر ليواجهوا العدو  
باقدام ثابتة ونفوس مجبورة ، واذا كان هناك ثمة عرض عسكري أمر  
به يوسف بن تاشفين فهو العرض الذي أجراه عند موضع يعرف بالركة .

فقد أورد عبد الواحد المراكشي نصا يثبت أن أمير المرابطين قام  
بعرض عسكري قبل الوصول الى بطليوس وليس بعد وصوله اليها وأمام  
العدو كما يرى البران ، يقول المراكشي « ثم إن يوسف المذكور استعرض  
جنده على حصن الرقة ، فرأى منهم ما يسره ، فقال للمعتمد على

---

(٢) الحلل الموشية ، ص ١٢٦ ، وما يليها

(٢) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٧

(٣) Albarran, el solar, op. cit, p. 226. (٣)

الله : هلم ماجئنا له من الجهاد ، وقصد العدو (١) . . » . ولانعرف على وجه التحديد أين يقع حصن الرقة هذا ، فلم يأت ذكره في الروض المعطار للحميري ، ولا في نزهة المشتاق لادريسي ، ولكن كل ما نستطيع ان نؤكدده هو أن هذا الحصن يقع في الطريق الى بطليوس على مسافة بعيدة منها بدليل أن ابن تاشفين بعد استعراضه لجنده في هذا الحصن ، طلب من المفتد الأسراع في لقاء العدو وتحقيق الهدف الرئيس الذي من أجله جاز الى الاندلس .

وأورد صاحب روض القرطاس ما يشير الى قيام ابن عباد بتعبئة كتائبه يوم الخميس العاشر من رجب استعدادا للقتال ، والنص كما يلي « فلما جاء الليل من يوم الخميس العاشر لرجب المذكور عبا ابن عباد كتائبه وصف جيوشه واستعد للقتال » (٢) .

ونستنتج من رسالة الفونسو السادس الى ابن تاشفين التي طلب منه فيها أن يكون يوم الاشتباك بينهما هو الاثنين لأن الجمعة عيد المسلمين والسبت عيد اليهود والاحد عيد النصارى : « أن جملة كبيرة من اليهود شاركوا في الحرب الى جانب الفونسو . ويشير أما دور دي لوس ريوس (٣) في بحثه عن التاريخ الاجتماعي والاقتصادي لليهود الى إثارة الفونسو السادس لأصحابه اليهود الذين حاربوا معه بشجاعة في الزلافة وأنه كان يميزهم بعمائمهم السوداء والصفراء ، وكان من نتيجة ذلك المعاملة الكريمة التي عومل بها اليهود في « كتب قوانين المحن في دولة ليون » .

واستخدم المزابطون الجمال ، وقد أربع وجودها خيول المسيحيين

---

(١) عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٣٢

(٢) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤

(٣) Amador de los Rios, Historia social y económica de los Judios, (٣.)



فتفرت عند رؤيتها وعند سماع رغائها (١) . وبينما يؤيد منندث بيدال (٢) ذلك نجد البران يعارض بحجة أن الجمل لا يصلح للقتال وإنما لنقل المتاع ، والمسلمون كانوا يحاربون على الخيل ، ويستطرد البران عرض راية قائلا « ثم أن هذه الجمال حتى لو افترض أنها شاركت في القتال ، فإنها لم تكن لترهب قوات الفونسو أو تنفر منها الخيول لأنها كانت معروفة في اسبانيا ، ففي عصر الامارة الاموية حمل جسد المنذر من ببشتر الى قرطبة على جمل ، وفي القرن العاشر وصلت الى مدينة الزهراء قافلة من ١٣٠ جملا ارسلت من لمغرب (٣) ، واستخدم المنصور بن ابي عامر في حملته الاخيرة (٣٩٣ هـ) ( ١٠٠٢ م ) جيشا من الجمال لحل ادوات القتال ، كما وصف ابن جاح الشاعر البطليوسي جملا في قصيدته الوداع (٤) .

ونضيف الى هذه الامثلة التي ساقها الاستاذ البران مثلا آخر للنقش يمثل جملا تحتت صورته نحتا بسيطا في اخذ الجوانب الخارجية لحوض صغير من الرخام مزين بالزخارف البارزة من جوانبه الداخلية وتمثل صور بط يصيد سمكا (٥) .

ومع ذلك فإننا نميل الى الاعتقاد بأن يوسف بن تاشفين استخدم

(١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ٧٠ ص ١١٦ ، يقول ابن خلكان « وامر ( يوسف بن تاشفين ) بعبور الجمال ، فعبر منها ما اغص الجزيرة ، وارتفع رغاؤها الى السماء ، ولم يكن اهل الجزيرة راواقط جملا ولا كانت خيلهم قد رأت صورها ولا سمعت اصواتها ، وكانت تذعر منها وتقلق ، وكان ليوسف بن تاشفين في عبورها رأى مصيب كان يحدق بها معسكره وكان يحضرها الحرب ، فكانت خيل الفرنج تحجم عنها » .

(٢) Menendez - pidal, Espana del cid, op. cit, p. 335

(٣) Levi - Provençal, op. cit., v IV, P 201.

(٤) Albarran, el solar, op. cit., p. 231.

(٥) جومث مورينو ، الفن الاسلامي في اسبانيا ، ترجمة د. لطفى

عبد البديع ، ود . السيد عبد العزيز سالم ، ص ٢٢٤ .

الجمال بكثرة في موقعة الزلاقة وان وجود الجمال في حد ذاته لخدمة  
اجناده في القتال واجابة نجابته في مهاجمة الاعداء ، كان ثورة في  
الفن التكتيكي الحربي عند المرابطين في ارض الاندلس .

ومن حيث الاسلحة استخدم المرابطون درق اللط وسيوف الهند  
ومزاريق الزان (١) .

### ج - تفاصيل المعركة :

حدث ما توقعه ابن عباد ، فقد هاجم الفونسو قوات المسلمين يوم  
الجمعة الثاني عشر من شهر رجب من سنة ٤٧٩ هـ الموافق ٢٣ أكتوبر  
سنة ١٠٨٦ م على حين غفلة (٢) ، وبدأ القتال بهجوم مقدمة القشتاليين

- 
- (١) ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج ٧ ، ص ١١٨  
(٢) تختلف الروايات الاسلامية بشأن تحديد تاريخ معركة الزلاقة ،  
فابن الاثير يذكر ان الزلاقة وقعت في اوائل شهر رمضان ٤٧٩ هـ  
( ١٠٨٦ م ) ( ابن الاثير ، الكامل ، ج ١٠ ، ص ٥٣ ) وعبد  
الواحد المراكشي يذكر انها كانت يوم الجمعة الثالث عشر من شهر  
رمضان الكائن في سنة ٤٨٠ هـ ( ١٠٨٧ م ) ( انظر المعجب ، ص  
١٣٥ ) اما ابن ابي زرع وصاحب الحل الموشية فقد اجمعا على  
انها دارت يوم الجمعة ١٢ رجب من سنة ٤٧٩ هـ ( ١٠٨٦ م )  
( انظر الحل الموشية ، ص ٥٩ ، ابن ابي زرع ، روض  
القرطاس ، ص ٩٦ ) وهذا التاريخ هو الذي اخذ به الاستاذ  
محمد عبد الله عنان ( دول الطوائف ، ص ٣٢٣ ) - وتأخذ به  
نحن حيث ان يوسف بن تاشفين قد حددده وذكره صراحة في رسالته  
الرسمية التي ارسلها الى الناصر لدين الله تميم بن المعز بن باديس  
بالمهدية ، فهو يقول له « وينينا على لقاية يوم الخميس لاحدى  
عشر ليلة خلت لرجب سنة تسع وسبعين واربعمئة ، فلما كان يوم  
الجمعة ثمانية ورد علينا بكتايب قد ملأت الافاق ... » ( انظر  
محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٤٤٨ ) وهذا التاريخ  
١٢ رجب سنة ٤٧٩ هـ يوافق الثالث والعشرين من شهر أكتوبر  
العجمي كما يذكر ابن ابي زرع في روض القرطاس ، ص ٩٨ =

والارغونيين على مقدمة القوات الاندلسية بقيادة القائد البرهانس .  
 اما جانب الدفاع الاسلامي / الاندلسي ، فكان يقوده ابن عباد ، وكان  
 هذا الهجوم من العنف والقوة بحيث ارتدت القوات الاندلسية جميعها  
 الى بطليوس ماعدا قوات المعتمد ، وذلك يعنى أن عمر المتوكل بن  
 الافطس تراجع مع قواته (١) التي كانت تشكل الميمنة في المقدمة  
 الاسلامية الى حاضرتة محتما بها من ضربات العدو ، كذلك تراجعت  
 معه قوات الميسرة ، ويمثلها عسكر شرق الاندلس (٢) .

اما ابن عباد فقد كان له دور بطولي في هذه المرحلة الاولى من  
 واقعة الزلاقة ، فقد استمات في القتال ، وتلقى الطعنات الى جده أنه  
 اُخذ بالجراح العديدة (٣) اما جنده فقد استشهد منهم اعداد كبيرة ،

---

= سنة ١٠٨٦ م ، وذلك هو نفس التاريخ الذي تضعه الرواية الاسبانية  
 Huici Miranda, op: cit, p. 65. "بامتثال مدونة الفونسو"  
 العاشر فقد حدد الفونسو العاشر في مدونته عن تاريخ امبانيا العام  
 التاريخ الذي دارت فيه المعركة بيوم الجمعة الموافق أول نوفمبر  
 Esta batalla fue fecha, assi como cuenta la estoria, viernes primero  
 dia de noviembre (Cronica general de España p. 558).

(١) نستدل على ذلك من قول ابن الابار في الحلة السيراء « ونكل  
 المتوكل يومئذ وغيره من الرؤساء وكان فيه للمعتمد ظهور مشهور »  
 ( الحلة السيراء ، ج ٢ ، ص ١٠١ ) .

(٢) الحلة المشوية ، ص ٥٩ .

(٣) ابن الكردبوس ، ص ٩٤ ، الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص  
 ٩٣ ، ويقول الحميري في ذلك « وصبر ابن عباد صبرا لم يعهد  
 مثله لاحد ، واستبطا يوسف وهو يلاحظ طريقة وغضبة الحرب ،  
 واشتد البلاء وابطل البصحر اويون . ، وساعت ظنون أصحابه ، وانكشف  
 بعضهم وفيهم ابنه عبد الله ، واتخذ ابن عباد جراحات ، وضرب  
 على رأسه ضربة فلقت هامته حتى وصلت الى صدغيه ، وجرحت  
 يمنى يديه ، وطعن في أحد جانبيه وعقرت تحته ثلاثة أفراس ،  
 كلما هلك واخذ . ، قدم له آخر ، وهو يقاسي حياض المسوت ،  
 ويضرب يمينا وشمالا ، وتذكر في تلك الحالة ابنا له صغيرا كان  
 مغرما به ، تركه بأشبيلية غليلا ، اسمه الغلام وكنيته أبو هاشم » =



ولم يكلف العدو الغادر بهذا الهجوم العنيف الذى تراجع له المسلمون وانما تتبع الكثير منهم قلوب المسلمين فى المناطق المجاورة لارض المعركة وتلفت ابن عباد خوله فالفى معظم جيوش الاندلس قد فر من مساحة القتال الى بطليوس ، وثبت وحده وسط عسكره واجناده وابلى بلاء حسنا ولكنه صبر رغم الخسائر الفادحة التى تعرض لها جيشه ، وكان اول من واقاه من قادة المرابطين داود ابن عائشة ، فخفف عنه عبء القتال وانتظم به شمل ابن عباد . وفى نفس الوقت انحطت قوات يوسف ابن تاشفين بقيادة سير بن ابي بكر على مؤخرة جيوش الفونسو ، واقتحمت محلته واضرمتها نارا ، واهتزت ساحبة المعركة بطبولهم ، فارتفعت لها قلوب عسكر المسيحيين وسقط فى ايديهم ، قالوا اعنتهم وتراجعوا ، فانحصروا بين قوات المرابطين فى المؤخرة وقوات ابن عباد واستمر القتال ، ولم تلبث صفوف العدو ان انهارت وأذرع المسلمون فيهم بالسيوف ثم دارت الدائرة على جيش الفونسو فمزقه المرابطون شر ممزق ، وسحقوه سحقا ، وتداعى الاجناد والحشم والعبيد للنزال ، كما عادت قلوب الاندلسيين بعد سماعهم بأخبار النصر فكانت الهزيمة النكراء التى منى بها الفونسو السادس وحلفاؤه وتمكن احد الغلمان السود من طعن الفونسو بخنجره ففر أمامه مع فئة قليلة من رجاله ، فاقبض المسلمون إثرهم وركبوهم بالسيف ، وتمكن الفونسو من التسلل اثناء الليل فى ثلاث مائة فارس من رجاله (١) ، ولحق بطليطلة مهزوما (٢) .

= ( وانظر مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٥ - ١٠٦ ، ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٥ ، عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٣٤ ، الحل الموشية ، ص ٥٦ ) .

(١) : ابن الكيرديوس ، ص ٩٤ ، ويجعل صاحب روض القرطاس عدد الناجين معه خمسمائة فارس ( ص ٩٦ ) ويعطى الحميرى نفس الرقم ، وذكر صاحب الحل الموشية انه لم يفلت معه من اصحاب سوى اربعمائة ( الحل ، ص ٦٢ ) .

أما عبد الواحد المراكشى فيبالغ فى تقدير عدد الناجين ، فيقلل من عددهم تعظيما للنصر ويجعلهم تسعة ( المعجب ، ص ١٣٤ ) =

ومما لاشك فيه ان يوسف بن تاشفين كان يستهدف ايها الفونسو بأن الهجرم الذي شنه على قوات ابن عباد الاندلسيين كان موجها أيضا الى جيوش المرابطين ، فاذا ما ركز الفونسو هجومه على ابن عباد تحركت جيوش ابن تاشفين المتوارية وراء الربوة لتضرب مؤخرة جيوش الفونسو وبذلك يجعل قوات الفونسو بين شقى رحى وبطوقها تطويقا شاملا فيبيدها ابادة تامة وهو ما تحقق له في النهاية .

وخطه يوسف على هذا النحو تعبر عن مدى الذكاء والمهارة الحربية التى كانت تتوفر لدى هذا القائد الصحراوى ، فقد تقدم وسط قواته الاحتياطية من لمتونة وصنهاجة قاصدا المعسكر المسيحي نفسه فهاجمه بكل عنف وشدة ، وكان من حسن طالع الامير المرابطى ان كانت القوة المسيحية التى تتولى حراسة هذا المعسكر محدودة العدد ، فأتخن فيهم من الخلف وسحقها تماما . ثم اطلق يوسف بن تاشفين مفاجاته الاخيرة حين دفع بحرسه الاسود ، وكان عددهم يصل الى أربعة آلاف مقاتل الى قلب المعركة ، وقد تمكن احد هؤلاء الفرسان السود من طعن الملك الفونسو فى فخذه طعنة انهارت لها البقية الباقية من قواته فلاذت بالفرار .

---

= والارجح ان عدد الذين افلتوا مع الفونسو السادس من سيوف المسلمين بلغ ١٥٠٠ استنادا الى الرسالة التى بعث بها يوسف بن تاشفين الى بلاد العدو ( انظر نص الرسالة فى روض القرطاس ، ص ٩٧ ) .

(٢) لمزيد من التفاصيل عن معركة الزلاقة ارجع الى ابن الابار ، الحلة السراء ، ج٢ ص ١٠٠ ، ١٠١ ، مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٤ - ١٠٦ ، ابن خلكان ، وفيات الاعيان ، ج٧ ، ص ١١٣ - ١٢١ ، عبد الواحد المراكشى ، المعجب ص ١٣٢ - ١٣٥ ، ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٤ - ٩٧ ، الحلل الموشية ص ٥٩ - ٦٦ ، الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس فى كتاب الروض المعطار ، ص ٨٣ - ٩٥ وراجع أيضا .

A. Huici Miranda, La invasión de Los Almorávides y La batalla de Zalaca, Hesperis, t. XI, P. 17 - 76 & P. R. Menendez Pidal La España del Cid, Vol, pp. 328 - 339.

ورغم اجماع كافة المصادر العربية على الدور البطولى الذى قام به المرابطون فى واقعة الزلاقة الا ان ابن الكردبوس قد اورد ما يتعارض مع ما جاء فى تلك المصادر ، فابن الكردبوس يبرز مدى الشجاعة والفروسية التى ابداهها المعتمد بن عباد دون سائر ملوك الطوائف فى بدء المعركة « ووقف لهم المعتمد كالاسد الورد ، وناطحهم مناطق الاقران وثبت ثبوت راسخات الرعان حتى ائخذ بالجراح ، وتبع الروم فل المسلمين ، ثمانية عشر ميلا فى تلك البطاح يقتلون ويأسرون وينتهبون (١) » ثم يصور ابن تاشفين على انه لم يكن بالبسالة والوفاء الذى اوضحته المصادر الاخرى فيذكر انه عندما علم بالهزيمة النكراء التى منى بها مسلمو الاندلس فى بادىء الامر قال « اتركوهم قليلا للفناء فكلا الفريقين من الاعداء ، فلما تحقق ان اكثرهم قد اسر وقتل راي انه قد آن ان يفترس العدو اذ قد تباعد عن محلته وتحمل ، وقصد بجيشه محلة العدو فتغلبها واستأصلها وانتهبها وقتل فيها نحو عشرة آلاف راجل وفارس وما منهم الا بطل مداعى ، ومضى على وجهه فى اثر الفئس وقد تفرق له فى اتباع الاسلام اكثر الجيوش ، فوضعوا السيوف فى ظهورهم ، والارسل فى نحورهم ، فانهزموا وولوا مدبرين (٢) . . . . » .

وهذه الرواية التى اوردها ابن الكردبوس تتناقض تناقضا تاما مع غيرها من الروايات الموثوق بها والتى ساقها مؤرخون معاصرون للمعركة امثال الامير عبد الله الزيرى ، ويبدو ان ابن الكردبوس قد اختلط عليه الامر ، فهناك خلاف من نوع آخر ، وقع بين ابن تاشفين وبين المعتمد ابن عباد بعد انتصار المسلمين فى الزلاقة ، فالمعتمد كان يرى الاستمرار فى مطاردة العدو اثناء انسحابه مقلولا ، اما يوسف بن تاشفين فكان يرى الكف عن مطاردته حتى تعود فلول المسلمين التى ولت الادبار بعد

---

(١) ابن الكردبوس ، نصاب جديديان ، تحقيق د. مختار الغبادى ،

ص ٩٤ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٤ .



الهجوم الذي شنه الفونسو السادس على جيوش الاندلسيين ، وقال  
انتصار ابن عباد للم يخف على يوسف : ان ابن عباد لصاب وجه الصواب  
والراى فى معالجته ، ولكنه خاف ان يهلك العدو الذى من اجله  
استدعاه فيقع الاستغناء عنه ، وقالت شيع يوسف : انما اراد ابن عباد  
مقطع حبال يوسف من العود الى جزيرة الاندلس . وقال آخرون : كلا  
الرجلين لمرحسوا فى ارتغاء ، وان كان ابن عباد لجرى بالصواب (١) .

ويرى اويثى ميراندا Huici Miranda ان الانتصار الذى  
احرزته المسلمون فى الواقعة الزلاقة انما يدينون به للفرسان المغاربة (٢)  
وعلى نقيض ذلك نجد منندث بيدال يشير الى ان الامر يتعلق بتخطيط  
عسكرى جديد يكفى لارياك الروح القتالية عند عسكر المسيحيين ، فقد  
عمد الميرابطون الى القتال فى صفوف متراصة متناسقة ، ولم يكن الفرسان  
المسفحيون على علم بهذا الاسلوب القتالى ، اذ كانوا قد اعتادوا على  
القتال الفردى ، ويعزو اسباب الهزيمة الى دور الطبول اللمتونية التى  
سمعت لأول مرة فى اسبانيا فى هذه الموقعة مما ادى الى ارباك جيوش  
الفونسو السادس (٣) .

ولذا حاولنا تقدير الخسائر التى لحقت بكل من الفريقين يتبين لنا  
ان خسائر الجانب المسيحى فاقت الى حد كبير خسائر المسلمين ، فكما  
سبق ان راينا من نص اين ايبى زوع انه لم ينج من الجيش النصرانى  
سوى خمسمائة فارس او اقل ، هم الذين قرأجعوا متقهقرين مع ملكهم  
الفونسو السادس عقب اصابته فى الواقعة ، وقد تابعوا فرارهم مع قلوبه

(١) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٩٣ ، الحلل الموشية ، ص ٦١ .

(٢) Huici Miranda, La invasión de los almorávides y la batalla de Zalaca, p. 70 - Albarran, el solar, op cit., p. 133.

(٣) R. Menéndez - Pidal, la España del Cid, pp. 335 - 339.

ولم يتوقفوا الا عند قورية ، ولما كان معظمهم مثخنين بالجراح فقد مات معظمهم في الطريق ولم يصل الى طليطلة مع ملكهم مهوى مائة (١) .

وهذا نفس ما ذكره ابن تاشفين في خطابه الرسمي الذي ارسله الى بلاد المغرب عقب واقعة الزلاقة ، فهو يقول « وتسلى الفئس تحت الظلام فارا لا يهدى ولا ينال ومات من الخمسمائة فارس الذين كانوا معه بالطريق اربعمائة فلم يدخل طليطلة الا في مائة فارس (٢) » .

ويرى صاحب الحلل الموشية ان خسائر النصارى من القتلى بلغت نحو ثلاثمائة الف ، اما من نجا من هؤلاء الاعداء ، « لم يفلت منهم اكثر من اصحاب قرسية الذى اعتزل عن القتال ، وهو نحو اربعمائة افلتوا مع الطاغية (٣) » .

ويذكر ابن ابي زرع ان عدد من استشهد من المسلمين قد بلغ في هذه الموقعة نحو الثلاثة آلاف رجل وان امير المرابطيين قد أمر بقطع رموس القتلى من الزوم فتقطعت وجمعت بين يديه « كأمثال الجبل وبعث منها الى اشبيلية عشرة آلاف رأس ، وإلى قرطبة كذلك وإلى بلنسية مثلها وإلى نهر قسطة ومرسية مثلها وبعث الى بلاد المغرب اربعين ألف رأس فقسمت على مدن العدو ليرها الناس فيشكروا الله على ما منحهم من النصر والخير العظيم (٤) » .

ويقدر ابن ابي زرع عدد النصارى الذين اشتركوا في المعركة بنحو ثمانين ألف فارس ومائتى ألف راجل قتلوا جميعا ولم ينج منهم سوى

---

(١) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٦ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٦ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ملحق ٢ ، ص ٤٥١ .

(٣) الحلل الموشية ، ص ٦٢ .

(٤) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٦ .

المائة الذين وصلوا مع ملكهم الى طليطلة (١) . اما صاحب الحل الموشية فيرى ان عدد الرؤوس التي اجتمعت لابن عباد بلغت أربعة وعشرين الف فارس (٢) .

ويرى الاستاذ محمد عبد الله عنان (٣) انه لا بد وأن تكون خسائر المسلمين أعلى بكثير مما ذكرته المصادر العربية فليس من المنطقى ان تقتصر على ثلاثة آلاف خاصة وأن اهل الاندلس فوجئوا بهجوم قوات الفونسو عليهم فخرجوا للقتال من غير تعبئة فانهزموا وولى معظمهم الادبار الى بطليوس وثبت المعتمد بن عباد في أصحابه الى أن وافتهم قوات ابن عائشة . وواضح أن الارقام التي أوردها ابن. أبى زرع مغالى فيها للغاية من حيث تقدير القوة المسيحية ومن حيث عدد القتلى منهم .

واذا أردنا بعد سردنا لاهم أحداث تلك المعركة أن نقيم اهم المصادر التي تناولت هذه المعركة فسوف نجد أن النصوص المتأخرة وفيرة في هذا الصدد لاسيما من الجانب الاسلامى ، أما النصوص المعاصرة للموقعة فشحيحة وتقتصر على النصوص العربية وأهم هذه النصوص المعاصرة بلا شك ما احتوته مذكرات ملك غرناطة عبد الله بن بلقين ابن باديس الزيرى ، ولقد شهد هذا الملك الزيرى موقعة الزلاقة ، ولهذا فان رواياته لها أهمية خاصة ، وقيمة كبرى كما أن تحليله للأحداث وما وراءها عميق ورائع يعبر عن حقيقة الأوضاع ، ويتميز بالصدق في التفاصيل الواردة .

وهناك نص آخر معاصر اذا ما استبعدنا الشكوك في صحته ، ذلك هو الرسالة التي كتبها يوسف بن تاشفين الى أمير بنى زيرى بأفريقية يبلغه فيها بهزيمة الفونسو السادس ، هذه الرسالة وثيقة رسمية صحيحة ،

---

(١) المصدر السابق ، ص ٩٦ .

(٢) الحل الموشية ، ص ٦٣ .

(٣) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٢٨ .



عثر عليها بين المخطوطات العزبية المحفوظة في مكتبة الاسكوريال  
اكتشفها الدكتور العراقي صلاح الدين عبد الرحمن خالص ، وقد نشر  
ليفى بروفنسال وغربية جومت النص العربى لهذه الوثيقة بالاضافة  
الى الترجمة والتعليق (١) .

ولكن اويثى ميراندا Huici Miranda تشكك ووضع تحفظات  
على صحة هذه الوثيقة ، فذكر ان الرسالة لاتسجل الرواية الرسمية عن  
المعركة (٢) ، ويرى البران Albarran ان هذه الرسالة لاتتضمن حقا  
اسم الكاتب الذى كتبها فى ديوان يوسف بن تاشفين ، ولا تاريخ الرسالة  
ولا حتى موضع المعركة وهى ظروف لاحظها المترجمان والمعلقان عليها  
فى القار. سالف الذكر ، ولكن رغم ذلك فان اغفال أى من هذه الامور  
لاينهض دليلا على التشكك فى صدقها تماما ، فان صياغتها تتفق وتخضع  
للاسلوب الشائع عند كتاب الاندلس فى تلك الفترة (٣) . كذلك تشكك  
كارلوس كيروس فيما بعد فى هذه الرسالة اذ اعتبرها غير رسمية وغير  
موثوق فى أنها صدرت من ديوان يوسف (٤) . ونحن لانميل الى الاخذ  
بهذه الاراء التى تشكك فى صحة الوثيقة فمهما كان مؤلف هذه الوثيقة  
فلا ينبغى ان نشك فى أنه كان مطلعاً على جليلة الامر ، فهو يؤكد حقائق  
معروفة ويزودنا بأخرى ليس مشكوكا فيها ، وسواء أكانت الوثيقة  
قد صدرت من ديوان يوسف أم لم تصدر منه ذاته فانه يتعين علينا ان نقبل

---

(١) راجع : E. Lévi - Provençal, Garcia Gomez, Oliver, Novodades sobre la batalla llamada de la zallaca, '1086 en

«al Andulus t, XV, 1950, pp. 114.- 124. Huci miranda, op. cit., p. 71.

(٢) ويعلل طعنه فى صحتها بأنها لاتتضمن اسم الكاتب الذى نسخها ولا التاريخ الذى كتبت فيه ، ولا الموضع الذى وقع فيه الاشتباك .

(٣) Albarran, el solar de los Affasies, p 139.

(٤) Carlos quiros, los almoravides, en archivo del instituto de estudios

Africano, Madrid, no 32, 1955 p. 21 - 22.

النص، نستخرج منه مادة علمية وتفاصيل. تضعنا على الاثر الصحيح لدراسة كاملة. وحكم صادق على المعركة ، ولا ينبغي أن نغفل مثل هذه الرسالة اذ لابد من اعتبارها مستندا معاصرا له قيمته ووزنه التاريخي .

### ومن المصادر التاريخية المتأخرة :

١ - أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري صاحب كتاب الاكتفاء الذي عاش في اواخر القرن السادس الهجري وكتبه في حدود عام ٥٧٠ هـ ( ١١٧٠ م ) والكتاب مخصص للتاريخ العالمي وفيه يظهر بجانب كبير من ادب الاساطير يتجلى بصورة واضحة في مجال وقعة الزلاقة ولما كان المؤلف مغربيا فقد طغى في الكتاب تحيزه للمرابطين وتحامله الشديد على اهل الاندلس ، ويصور ملوك الطوائف بالسوان تقائمة فيتهمهم بالجبن ، والخور ويوصفهم بالفساد (١) .

٢ - الحلل الموشية ، يرجع بعض الباحثين المحدثين أن مصنف هذا الكتاب - وكان يظن حتى عهد قريب أنه مجهول الاسم وإن كان بعض مؤرخي المغرب ينسبونه الى أديب مالقي يدعى ابا عبد الله محمد بن أبي المعالي بن السماك العاملي (٢) . هو محمد بن أبي العلاء محمد بن سماك العاملي المتوفى في النصف الثاني

---

(١) A. Huc: Miranda, La invasion de los Almoravides y la batalla de Zalaca, pp. 46 et sq.

(٢) أرجع الى : احمد مختار العبادي ، دراسة حول كتاب الحلل الموشية في ذكر الاخبار المراكشية ، مجلة تطوان ، العدد ٥ ، لسنة ١٩٦٠ ، ص ١٣٩ - ١٥٨ ، محمود علي مكي مقدمة كتاب الزهرات المنتورة في تكت الاخبار الماثورة ، لابن سماك العاملي ، تحقيق د. محمود مكي ص ٤١ ، هامش ٢ .

من القرن الثامن الهجرى. (١) . والكتاب تلخيص مفصل يتضمن تاريخ دولة المرابطين وصدر من دولة الموحدين حتى نهاية عبد المؤمن بن علي ، ثم عرض سريع لهذه الدولة حتى نهايتها ثم مرد لاسماء سلاطين بنى مرين حتى سنة ٧٨٣ هـ ( ١٣٨١ م ) والكتاب صنف في عام ٨٧٢ هـ ( ١٣٨١ م ) ، ويهمننا من مادته الخطابين اللذين وجههما المتوكل ابن الافطس صاحب بطليوس الى الفونسو السادس والى يوسف ابن تاشفين ، الاول يرفض فيه دفع الاتاوة ، والثاني يلتمس عون الامير المرابطى ويبلغه بسقوط قورية ( انظر ملحق ٢ ) هذا بالاضافة الى التفاصيل الدقيقة لمعركة الزلاقة .

٣ - عبد الواحد المراكشى ، صاحب كتاب « المعجب فى تلخيص اخبار المغرب » ألفه فى سنة ٦٢١ هـ ( ١٢٢٤ م ) ، أما وصفه للمعركة فهو يتسم بالبساطة اذ سجله فى الشرق الاسلامى بعيدا عن ضغوط الموحدين ، ويخلو هذا الوصف من الاسلوب الدعائى الخيالى ، ونظرا لقلة ما كان لديه من مصادر ، فقد التبس عليه الامر فى تواريخ الزلاقة وحصار النيط (٢) .

٤ - ابن عبد المنعم الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس من كتاب الروض المعطار فى خبر الاقطار ، كتبه فى اواخر القرن التاسع الهجرى ، ووصف تحت مادة الزلاقة كل تفاصيل المعركة ، وقد نقده اويثى ميراندا Huici Miranda نقدا علميا مطولا . وفيه سجل كثيرا مما تواتر من قبل من اخبار وهمية مختلفة عن المعركة (٣) ولكن نص الحميرى

---

(١) من هؤلاء الباحثين الدكتورة ماريا خيسوس روبيرا فى بحثها القيم

عن « حول مؤلف محتمل لكتاب الحل الموشية » .

Maria Jesus Rubiera, sur un possible auteur de la chronique intitulée Al-hulal al Murwsiyya fi - Dikr al 'Aftar al Marrakusiyya en el II coloquio hispano tunecino-madrid, p. 143 - 146.

Huici, Miranda, op. cit, p. 48.

Huici, Miranda, op. cit, p. 49 - 52.

(٢)

(٣)



على الرغم من ذلك موضوعى الى حد كبير وفيه حقائق على جانب كبير من الاهمية .

٥ - ابن عذارى المراكشى ، كتب فى اواخر القرن السابع ، ولم يصل لنا ما كتبه ابن عذارى عن موقعة الزلاقة ، ولكن تعليقه عليها عند حديثه عن موقعة الارك فيه شئ من التفصيل ، فقد ذكر كيف تعمد يوسف بن تاشفين ترك المعتمد بن عباد هو واهل الاندلس يحاربون وحدهم طوال الليل حتى ضحى النهار الى ان اتى القتل على المسلمين ولم يتحرك لنجدتهم الا بعد ان ارسل اليه المعتمد كاتبه ابا بكر بن القصيرة ، كما قدر عدد قوات الفونسو السادس تقديرا اقرب الى الحقيقة فجعل عدته ستين الفا بين فارس وراجل ، وحدد عدد الناجين مع الفونسو بثلاثة عشر فارسا (١) ، ولكن الناسخ للمخطوط يخطئ فى ذكر سنة المعركة فيذكر سنة ٤٧٧هـ ( ١٠٨٤م ) بدلا من ٤٧٩هـ ( ١٠٨٦م ) وقد صحح المحققون للبيان هذا الرقم .

٦ - ابن ابى زرع من الثلث الاول من القرن الثامن ، اورد وصفا مطولا عن الموقعة ، وقد انتقد اويثى ميراندا روايته نقدا شديدا ، ويذكر ان كتاب روض القرطاس يعتبر من بين جميع المصادر التاريخية الاملامية ، اقلها قبولا للثقة ، ويتفق كل من اويثى ميراندا ودوزى (٢) على ان روايته لاتوحى اطلاقا بالثقة ، فارقام عدد المقاتلين ، وعدد القتلى من الجانبين غير معقولة كما ان وصفه للمعركة لا يمت بصلة الى الحقيقة .

اما المصادر القشتالية فعلى نقيض الوثائق التاريخية العربية ،

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، تحقيق اويثى ميراندا ، ومحمد بن تاويت ومحمد ابراهيم الكتانى ، تطوان ١٩٦٣ ، ص ١٩٦ .

Huici Miranda, op. cit., p. 54.

(٢)

تبدو فقيرة ولا يوجد مصدر منها معاصر للموقعة فكل المدونات التاريخية التي تعرضت لها متأخرة عن تاريخ الموقعة وكلها باستثناء مدونة لوزيتانو زهيدة لاقيمة لها ، وبعض هذه الوثائق كتب في القرن ١٣ م ، وتتزامن في ذلك مع نظائرها العربية المتأخرة التي اشرنا اليها . ولقد زودتنا الحوليات الطليطلية *Annales Toledanos* بما يلي « وتقاتل الملك دون الفونسو مع المسلمين في الزجالة *Zagalla* »<sup>(١)</sup> . بينما اشارت مدونة برغش *Cronicon Burgense* فقط الى الذهاب الى بطليوس في حين تشير مدونة دون بلايو الى اشتباك الفريقين في الزلاقة حيث تقاتل الفونسو في *Sacralias* مع الملك يوسف<sup>(٢)</sup> .

اما مدونة لوزيتانو فقد اطنبت في وصف المعركة ، ويذكر اويثي ان الوصف الذي ورد فيها يشابه كثيرا الوصف الخيالي الذي شاركهم فيه مؤرخو العرب لاسيما صاحب الحلل الموشية . وقد جاء في هذه المدونة « واشتبك الملك دون الفونسو في معركة عنيفة مع ملك العرب يوسف امام مدينة بطليوس في الموضع المسمى ساكرالياس *Sacralias* حيث اشترك مع ملكنا جميع المسيحيين من مناطق الالب وكثير من الافرنجة جاءوا لنصرته ، ولكن بسبب معارضة الشيطان ، مري رعب شديد في نفوس كثير من رجالنا وولى الادبار الوف كثيرة منهم دون ان يطاردتهم احد ، ودخل الملك وهو يجهل فرارهم بكل ثقة في المعركة التي حضرها جميع المسلمين من كل اسبانيا مدججين بالسلاح ، وكان يوسف بن تاشفين قد امر بان يعبر معه الوف كثيرة من البربر من الجانب الاخر من الزقاق ، وقاتل الملك دون الفونسو ، ومعه من بقى منهم حتى الليل ولم يستطع احدهم ان يقاوم هجومه ، ولكن المسلمين وقد احكموا صفوفهم ، قتلوا عددا كبيرا من النصارى ، واثناء ذلك غزا

---

(١) Ibid, p. 59 - Albarran, el solar de Los Aftasies, op. cit., p. 185.

(٢) Florez, Chronicon de don Pelayo, p. 473 «Fecit item in campo in Sacralias cum rege juceph.»

الملك الحصن وخطوط المسلمين ، وهو يقتلهم ويشقتهم. ويدفعهم من جانب الى آخر حتى وصل الى المحلة التي نصبت فيها خيمة الملك يوسف. وقد طوقت بسياج ضخم ، وعندما هاجمها الملك بحماس ، وألح عليها بالقتال جاءه واحد من عسكره ، وأفضى اليه قائلا « أعلم يامولاي الملك انه اثناء قيامك بالقتال هنا ، فان كمائن من المسلمين غزت مخيمك » ، وعندما سمع الملك ذلك ، وأخذ بنصائح أتباعه ترك ملك المسلمين ، ورحل عن محلقته ، ثم أتى متعجلا مع ذلك مع من كان برفقته ضد المسلمين الذين كانوا قد أغاروا على معسكره ، وقتلوا كثيرا منهم ، وحملهم على الفرار عن هذا المعسكر ، ولكن قتل من المسيحيين هناك عدد كبير ، ومن بقى ناجيا ، انضم الى الملك . ولما كان الفونسو قد طعن برمح فقد أحس بالعطش بسبب نزيف الدم الذي تسبب فيه الجرح ، فسقوه نبيذا بدل الماء لعدم توافره في معسكرهم واذ أصيب بأغماء عاد مع رفاقه الى قورية ، وعاد المسلمون أيضا ، كل الى موقعه » (١) . . .

وتذكر المدونة العامة الاولى رواية مشابهة لرواية مدونة لوزيتانو، فتشير باختصار الى مبادرة الفونسو بترك خصاره لسرقسطة ، وارساله في طلب البرهانس ببلنسية وسيره الى أمير المزابطين ، والاشتباك مع المسلمين في موضع قريب من بطليوس يسمونه بالعربية زلاقة Zallaqua وباللغة القشتالية يسمونه ساكر الياس ، ويؤكد ان الفونسو قد أصيب بطعنة رمح ، وحمل أتباع الملك ملكهم الى قورية (٢) .

---

(١) Florez, España sagrada, Chronicon Lusitano, p. 405 - 406 Huici  
Miranda, la invasión de los Almorávides y la batalla de Zalaca,  
p. 59.

Primera Cronica General

(٢)



( ٦ )

تحقيق موقع الزلاقة من اراضي بطليوس ( ساجرا خاس ) Sagraja

هناك خلاف كبير لدى بعض المؤرخين حول تحديد موضع الزلاقة الامر الذى يدعو الى التساؤل ، هل الزلاقة هى موضع الزجالة الحالى Azagala ام المسمى حاليا "Sagraja"

Cronicon Burgense

ولقد وردت اشارة فى مدونة برغش

وهى Fuit la de Badajoz « اى ان الموقعة دارت عند بطليوس

ان من درس طبوغرافية بطليوس ، وعلى الاخص القسم الشمالى منها يمكن ان يدرك ان واديانه يصل طاميا فياضا متبعا مجراه حتى يصل الى بطليوس ، وعندما يصل الى هذه المرحلة ينثنى برفق نحو الغرب ليواصل مجراه حيث يلتقى برافد الكايا Caya (على الحدود البرتغالية الحالية ) ثم يمضى الى الجنوب ، ويلتقى برافده نهر خيفورا Gevora عموديا عليه عند انحداره من الشمال مع بعض الانحراف نحو الشرق ويتحدد نهر خيفورا Gevora مع نهري ثاباتون

Zapaton والبراجنة Albarragena اللذين يرتبطان ارتباطا وثيقا بأرض المعركة . ويوازي نهر خيفورا وعلى مسافة تبعد نحو ٢ كم نهر جيريرو Guerrero الذى يلتحم مع احد فرعى واديانه (١) على مسافة قدرها ٧ كم من نقطة التقائه بنهر خيفورا ، الى الشمال الشرقى من بطليوس ، وتبعد المنطقة الفسيحة التى تخترقها هذه الروافد على شكل فحوص رائخ ، يمتد فيه سهل من جهة نهر الخيفورا يسمى ساجرا خاس يبعد عن بطليوس بنحو ٧ كم ، ويبلغ ارتفاع هذا السهل عن سائر الاراضى المحيطة به بما يقل بعض الشيء عن مائتى

---

(١) يؤلف واديانه فيما بين نقطة التقائه بنهر خيفورا ونهر جيريرو، جزيرة بين فرعيه، تسمى جزيرة رومو Romo

متر (١) فوق سطح البحر ، ويبرز في هذا السهل ، على بعد أربعة عشرة كم من بطليوس ، تل يسمى كاربونيراس Carboneras ، يفوق ارتفاعه ارتفاع سهل ساجراخاس Sagrajas بنحو ٥٠ مترا ، ولكنه ينشطر الى شقوق واضحة ويمكن تمييز تل كاربونيراس هذا تماما عن المسطح الافقى للمنطقة ، واذا تتبعنا هذا الخط الى اليسار حيث تبدأ الحدود الحالية مع البرتغال نجد تلا آخر يأخذ في الارتفاع يسمى ليفيانا Liviana ، يقع على بعد ١٢ كم من بطليوس ويمكننا تمييزه بوضوح على مقربة من الضفة اليمنى من خيفورا ويبلغ ارتفاع هذا التل نفس ارتفاع تل كاربونيراس .

وما زال الموضع يحتفظ اجمالا بكل مظاهره الطبيعية ، وان كان قد تحول الى اراضى مزروعة تعتبر جزءا مما يسمى بالفحوص السفلى «Vegas bajas» (٢) .

اما غابة البلوط القديمة التي كانت تكسو الموقع فقد تناقصت اليوم ، وما زالت اشجارها الكثيفة التي كانت تصل منذ عهد قريب الى ضفاف واديانه هي العالية على الصورة العامة للمنطقة ، وهي صورة يمكن ان نتأملها من اعلى بقايا اسوار مدينة بطليوس الاسلامية (٣) .

اما السهل فقد أصبح يتخذ شكل مثلث رأسه يمكن ان تشغله مدينة بطليوس نفسها وتنفرج زاوية الرأس من المدينة ، وتنسبط نحو الشمال الغربى في اتجاه معاكس في حين تحف بواديانه من الشرق ، حيث ما تزال ترى في الجهة الشرقية المتجهة نحو مازدة تحصينات قديمة . ويتألف فحوص واديانه من سهول فيضية ، وكذلك فحوص نهري

Huici Miranda, op. cit. p. 61.

(١)

Albarrán, el Salar, op. cit., p. 189.

(٢)

Huici Miranda, op. cit., p. 62.

(٣)

خيفورا ، وان كانت نسبها اقل . اما بقية الاراضي فطينية باستثناء مناطق  
كلسية بجوار بطليوس تتيح وجود جرفين مرتفعين تقوم على احدهما  
القسبة ، وتواجه المرتفع الآخر المسمى بقمة سان كريستوبال حيث ينفتح  
باب فسيح يسمى باب النخيل يمر منه واديانه .

واذا ارتقينا ببصرنا الى خط الافق نجد ان السهول تتوقف عند خط  
ازرق يمثل سلاسل الجبال . وبحذاء نهر آنة يخترق الفحص اجزاء  
قديمة من الجادة الرومانية القادمة من ماردة ، والى الشمال الشرقى  
من هذا الموضع تتفرع الجادة الى فرعين نحو الغرب حيث تقوم قرية  
بودوا Budua التى تعرف اليوم باسم Botoa ، وكانت فيما  
مضى تابعة لبطلليوس .

وبهذا الوصف نكون قد اوضحنا اهم النقاط عن المواضع التى  
سنعالجها فيما يتعلق بواقعة الزلافة المشهورة .

وهناك ثلاثة مناطق خالية او مناطق قضاء محددة تماما دارت  
حولها المناقشات ، واحدى هذه المناطق كانت تعرف عند المسلمين  
بالزلافة ، واول هذه المناطق التى تحدثت عنها المصادر العربية ، بطحاء  
بطليوس الفسيحة الممتدة بحذاء واديانه وتتسع لمجرى نهر خيفورا ،  
وهى التى تغزف اليوم باسم Sagrajas ، والثانية ارض خزان اخيلا  
حتى حصن الزجالة وهو حصن قائم على قمم مرتفعة يبعد عن بطليوس  
بنحو ٦٠ كم (١) وتجتمع ادناه روافد ثلاثة هى البراجنة ، وسان  
فوستري وثاباتون ، ولعل تشابه الزجالة مع الزلافة فى النطق كان من  
الاسباب التى دعت الى القول بان المعركة دارت فى ٤٧٩ هـ (١٠٨٦ م)

---

(١) J. Oliver Asin, el lugar de la batalla de Zalaca. - Sacralias, al - Andalus, vol XV, 1950, p. 135 - Huici Miranda, op. cit. p. 62.



بين المرابطين والنصارى ، في الفحص الممتد حول الحصن ، والثالثة هي الموج الفسيحة الممتدة الى الشمال .

والزلاقة اسم يطلقه جميع مؤرخى العرب على الموقعة الشهيرة التى دارت بين مسلمى الاندلس والمرابطين وبين قوات الفونسو السادس ، ومعناه فيما يبدو المناطق التى يفيض فيها النهر ويغطس ، وتغطى مياهه اراضى هذا الفحص فى زمن السيول ، وهو معنى مجازى باعتبار ان الزلاقة الموضع الذى لا يمكن الثبوت عليه من شدة زلقه (١) . وربما كان للاسم علاقة ما بكلمة « زلاق » كما يعتقد اوليفر آسين (٢) وهى الاسوار المائية التى تتخذ فى التحصينات الدفاعية لاسيما على الانهار مثل سور اشبيلية القبلى من جهة الوادى ما بين باب مقارنة وباب قرطبة الذى اقيمت له زلاق فى عهد ابي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن ٥٦٧هـ (١١٧١م) بعد ان تأثر هذا السور قبل ذلك بسيل جارف ، وفى ذلك يقول ابن صاحب الصلاة : « وابتنى الزلاق لاجواب اشبيلية من جهة الوادى احتياطاً من السيل الخارج عليها » (٣) .

ويرى الاستاذ البوان ان الاسم ربما اشتق من كلمة « سهلة » بمعنى الارض السهلة المنبسطة استناداً الى ان تخمينته دى راذا الورد هنا فى حويلاته فى صورة مقطعين : Zalla - Quao ، الاول ينطق زلا ، وهو نطق اقرب الى سهلة ، والمقطع الثانى ويعنى « التى » زائد ، وهذا التفسير فى رايى غير مقبول لان معنى زلاقة فى هذه الحالة يصبح

(١) ياقوت ، معجم البلدان ، مادة زلاقة .

(٢) Jaime Oliver Asin, el lugar de la batalla de Zalaca - Sacralias, al - Andalus, vol XV, Fasc. I, 1950, p 147.

(٣) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، تحقيق د. عبد الهادى العازى ، بيروت ١٩٦٤ ، ص ٢٣٥ ، وراجع السيد عبد العزيز سالم ، اضواء على مشكلة تاريخ بناء اسوار اشبيلية ، مجلة المعهد المصرى بمديرى ، مجلد ١٨ ، ١٩٧٥ ، ص ١٤٨ .

• « السهلة التي » (١) •

أما المصادر المسيحية فتتحدث عن ساكرا لياس Sacralias بصورة متعددة ولكن بعضها يشير الى الاسم العربى زلاقة كما ورد فى مدونة خيمينث دى رادا (٢) •

ومن المعتقد أن الاسم العربى « زلاقة » كان معروفا فى القرن الثالث عشر الميلادى أى فى نفس الوقت الذى كتب فيه المؤرخون المسيحيون أخبار هذه الموقعة ، ولكنهم فضلوا عليه بدافع من الشعور القومى استعمال الاسم المستعرب ثم عمموه من خلال التقريب اللاتينى ، ولامجال للمناقشة فى أن الزلاقة تعادل ساكر لياس ، ويؤيد ذلك ما روته المدونة العامة الاولى التى كتبت فى القرن الثالث عشر الميلادى بقولها « التى يقال عنها بالعربية زلاقة » ، وبالله : القشتالية ساكر لياس ... »

«Un lugar cerca de Badajoz a que dizien en arauigo zalláque et en el lénguage de castiella dizenle sacrálias»

وبقى علينا أن نتعرف على موقع الزلاقة من الوجهة الجغرافية ، ولا يعدو هذا الموضع أن يكون سهلا يمتد بالقرب من بطليوس ، ويمكننا أن نشاهده من الشرفة الكبرى بقصبة بطليوس التى تيزى اللبظر منها بكل المناطق الشمالية ، وعلينا أن نطرح ابن عتيقنا من البداية كل الأفكار القائلة باتجاهات أخرى غير الجهة الشمالية التى قدمت منها جيوش الفونسو السادس •

ولكن علينا أيضا أن نقرر أولا بأن الوثائق المعاصرة لم تتحدث عن

(١) Albarran, op. cit. p. 195 - Oliver Asin, la invasión de los

Almorávides y la batalla de Zálaca, p. 140.

Albarran, op. cit., p. 194.

Primera Crónica General de España, ed. por Menéndez. - Pidal (٢):

p. 557.

هذا الاسم ولكنه ورد في المصادر المتأخرة التي توسعت فيها المعرفة الجغرافية ، فالحميري في الروض المعطار ، الذي اعتمد فيه على الادريسي والبكري يعرف الزلاقة بقوله « بطحاء الزلاقة من اقليم بطليوس من غرب الاندلس فيها كانت الواقعة الشهيرة للمسلمين على الطاغية عظيم الجلالة اذفونش ابن فرذلند » (١) .

اما الادريسي فقد اغفل الإشارة اطلاقا الى الزلاقة ، واما الحل الموشية فقد اشار اليه بقوله : « ولما احتله عساكر المسلمين بظاهر بطليوس ، واحتل اذفونش بفحص الزلاقة على اربعة فراسخ من بطليوس ، كتب الى امير المسلمين مكرما منه (٢) . . . » .

ويفسر اوليفر آسين فقرة الحل بالمفهوم الجغرافي الواسع الذي يشير اليه المؤلف مجهول الاسم ، وفيه يتحدث عن فحص الزلاقة على انه منطقة او اقليم فسيح يمكن ان يضم مساحة كبيرة في الجزء الذي يشغله اليوم المرج المذكور شأنه في ذلك شأن فحص البلوط .

ولا بد قبل البحث في تحديد الموضع توضيح اسم الزلاقة (٣) ، على نحو اكثر تحديدا ، فليس هناك جغرافي عربي واحد تحدث عن تقسيم اقليم بهذا الاسم ، لا الرازي قبل القرن الحادي عشر الميلادي ، ولا واحد من الجغرافيين المتأخرين ، امثال الادريسي ، ولا حتى ياقوت الذي يعرف الزلاقة بانها « ارض بالاندلس بقرب قرطبة كانت عندها وقعة في ايام امير المسلمين يوسف ابن تاشفين مع اذفونش » (٤) . ومن المعروف ان ياقوت في اوصاف اخرى للمواضع بحرص دائما على توضيح اذا ما كان الموضع المذكور منطقة ام اقليم ام حصن .

---

(١) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٨٣

(٢) الحل الموشية ، ص ٥٧

(٣) Oliver Asin, el lugar de la batalla de Zalaca, p. 144.

(٤) ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، مادة زلاقة .



والمشكلة القائمة اليوم هي التحديد الجغرافى لمنطقة الزلاقة ، وهل الزلاقة هي نفس الزجالة التى ورد ذكرها فى بعض المصادر المسيحية ، وما زالت تطلق على حصن يقع على بعد ستين كم شمالى بطليوس ؟

ولقد تعرفت منذ عامين على حصن الزجالة ، وقمت بزيارته خلال رحلتى الى بطليوس ونواحيها ، ولاشك فى أن موقعه ومناطقه المجاورة اثرية ، فقد تم العثور بأعلى السلاسل الجبلية التى لاتبعد عنه سوى عدة كيلو مترات على مذبح رومانى ، ويحتاج الامر الى اجراء حفريات فى نفس مستوى الارض التى يرتفع عليها الحصن . ومن الجدير بالذكر ان بالامكان تمييز اجزاء اثرية فى الجانب الشمالى من اسوار الحصن تثبت ان الموضع كان مأهولا فى عصور سابقة ، ومعنى ذلك ان الموقع استراتيجى منذ القدم ، ولم يلبث هذا الموقع ان اصبحت فى القرن الثالث عشر الميلادى قرية تابعة لمدينة بطليوس .

ومن انصار الرأى القائل بأن اسم الزجالة هو مجرد تحريف طرا فى القرن الثالث عشر على اسم الزلاقة بمعنى أن الاسم الاصلى وهو الزلاقة تم تعرضه لتحريف لغوى فتحول بذلك الى الزجالة ، كل من مارتينث اى مارتينث وأوليفر آسين<sup>(١)</sup> ، وهما يعتقدان ان حصن الزجالة الحالى هو نفسه الزلاقة التى ذكرها المؤرخون المسلمون ، وتفسير

---

(١) وانضم اليهما امبروسيو اويثى ميراندا فى مقاله عن الزلاقة (Huici, op. cit. p. 75) ، ولكنه يتحفظ فى قبوله لرأى أوليفر آسين فى نهاية مقاله فيقول « وعلى أى حال فلفظ الزجالة على الرغم من بنائه العربى وتشابهه الواضح مع الزلاقة ، لا يمكن قبوله مرادفا للزلاقة ما دمنا لانملك مادة جديدة نعتمد عليها فى حسم الموضوع ، وعلينا اعتبار ان الزلاقة هي موضع مفقود ، لم يرد ذكره سوى فى المصادر القديمة ، ولم يترك أثرا فى اللغة الشغيبية عند أهل غرّب الاندلس » (Huici Miranda, op. cit. p.76)

هذا التحريف على حد زعمهما يرجع إلى سهولة نطق القاف العربية بالحجيم الإسبانية، والاقتصار على اللام بدون تشديد يرجع إلى قرب المنطقة من البرتغال حيث ينطق كذلك.

هذا التفسير أخذ به أوليفر آسين وأويثى ميراندا وان كان أويثى ميراندا *Huici Miranda* قد انتهى بأن الزلاقة هي اسم موضع مفقود لا يوجد له أثر في اللغة الشعبية عند أهل غرب الأندلس.

أما البران، ونحن نميل إلى الأخذ برأيه فهو ممن يرفضون الرأي القائل بأن الزلاقة هي الزجالة، فهو يرفض تفسير أوليفر آسين الذي يحل اللفظة القشتالية الزجالة محل الكلمة العربية الزلاقة. قال البران يعتقد أن رأي أوليفر آسين غير صحيح على أساس أن أقرب لفظ إلى الزجالة هو لفظ زغل <sup>١</sup> وهذا اللفظ لم يشتق من زلاقة. (١) ولقد حاول آسين أن يتجنب وجود أية صلة بين اللفظة زجالة ولفظة زغل العربية بمعنى شاب حدث قوى ونشط حتى يدعم رأيه السابق (٢).

ويرى البران أن الميزة الأولى التي ورد فيها اسم الزجالة *Azagala* حدث في وثيقة تاريخية من القرن الثالث عشر، وهي الفترة التي كتبت فيها المدونات المسيحية، ولما كانت هذه الوثيقة تشير بوضوح إلى الزجالة فإننا نستنتج نفس الرأي الذي نستنتجه البران وهو أن الموضع وقتئذ في القرن الثالث عشر الميلادي كان يعرف في تلك الحقبة بهذا الاسم الحالي، وعلى هذا الأساس لا تكون الزجالة تحريفا للزلاقة حدث فيما بعد القرن ١٣.

وَأَوَّلُ وَثِيقَةٍ جَاءَ فِيهَا ذِكْرُ الزَّجَالَةِ كَحَصْنٍ وَمَنْطَقَةٍ صَرِيحًا، وَوَاضِحًا

Albarrán, op. cit. p. 200

J. Oliver Asín, el lugar de la batalla de Zalca - Sacralias, p. 141.

(١)

(٢)

• يرجع تاريخها الى عام ٦٢٧ هـ ( ١٢٢٩ م ) ، وهناك وثيقة أخرى يرجع تاريخها الى ٦٥١ هـ ( ١٢٥٣ م ) ورد فيها اسم الزجالة .

• ثم بدأ الاسم يتردد وروده في وثائق عديدة (١) . والزجالة في هذه الوثائق هي اسم موضع او قرية كانت تابعة لبطلبيوس ثم ضمت فيما بعد الى بلدة كركر *Albuquerque* ، وحول مسجدتها بعد الاسترداد الى كنيسة ، وكان هذا المسجد ما يزال قائما حتى القرن الخامس عشر الميلادي .

لهذا كله لانوافق الراى القائل بأن ذلك السهل الذى دارت فيه واقعة الزلاقة الشهيرة هو سهل الزجالة حيث يقوم حصن الزجالة .

فالزلاقة العربية هي ذاتها ساكر الياس *Sacralias* التى وردت في المدونات المسيحية وهى ذاتها سجراخاس *Sagrajas* التى تردد ذكرها في المراجع الاسبانية الحديثة . أما عن تحويل سكرالياس الى سجراخاس الحالية ، فلا يشكل مشكلة على الاطلاق في اعتقاد الاستاذ اوليفر: آسين والابستاز البران ، فاسم *Sacralias* لفظ مستعرب يدل على موضع خاص بالمستعربين ، كان يكون ارضا مجاورة لكنيسة او موضع مقدس من اللفظة اللاتينية *sacraia* وتحولت بمرور الزمن الى *Sagrajas* (٢) .

ومن الجدير بالذكر ان نفس الاستاذ البران *Albarran* كان قد ادلى قبل ذلك بسنوات برأى أكد فيه ان موقعة الزلاقة دارت بنجوار حصن الزجالة (٣) ، وعلى وجه التحديد الى الشمال من هذا الحصن وفي السهل المتموجة التى تشغل اليوم مروج وادي *La Jarron* .

*Albarran, op. cit. p. 201.*

(١)

*J. Oliver Arin, op. cit, p. 148 - Albarran, op. cit., p. 201.*

(٢)

*Manuel Torron Albarrán, la sierra de tornada, Badajoz, 1955, pp. 57.- 65.*

(٣)



ولكن هذا المؤلف سرعان ما عدل عن رأيه حين وجد أن المسافة ما بين هذا الموقع وبطليوس تصل الى ٦٠ كم ، وهذا يتعارض مع ما ذكرته المصادر الاسلامية التي حددت موقع المعركة بصراحة ، ثم أن هذا البعد لمساحة المعركة يتعارض مع امكانية وصول امدادات من بطليوس في نفس اليوم ، ومن المنطقي أن تكون الموقعة قد دارت في موقع أكثر قربا من بطليوس ، كذلك رفض البران رايه آخر كان قد سبق أن ساقه وهو أن المنطقة الجنوبية من حصن الزجالة هي المنطقة التي دارت فيها المعركة ، ولكن سرعان ما غير رأيه حيث أن هذه المنطقة الجنوبية من الزجالة لاتصلح سوى لكمين ، بينما اكدت المصادر العربية والاسبانية أن موقعة الزلاقة دارت في منطقة مفتوحة .

أما الرأي الثالث القائل بأن الزلاقة قد تكون السهول الفسيحة الممتدة نحو الشمال فنرفضه لأن جميع المصادر الاسلامية حددت على وجه التقريب المسافة بين أرض المعركة ومدينة بطليوس ، وهذا في حد ذاته يكفي لإعلان رفضنا لهذا الرأي لبعد هذه السهول عن بطليوس .

وعلى أية حال فقد انتهت مهمة المرابطين عند انتصارهم في الزلاقة فلم يشأ يوسف بن تاشفين أن يتتبع فلول النصارى ، وسرعان ما تفرق الجيش الاسلامي ، فعاد كل ملك من ملوك الطوائف الى مملكته ، فعاد ابن الاقطس الى بطليوس ، وعاد ابن عباد الى اشبيلية ، وعبد الله الزيري الى غرناطة بعد أن اطمأنت نفوسهم بهذا الانتصار الذي كسر به المرابطون شوكة الفونسو السادس ولو الى حين . أما يوسف بن تاشفين فقد عجل بالقول الى المغرب بعد أن تكدر لوفاة ابنه أبي بكر ولي عهده ، وكان قد تركه مريضا بسبته (١) ، وإن كان الأمير عبد الله الزيري لا يشير الى شيء من ذلك ، ويعلل عودته السريعة الى المغرب ، بضيقه من اختلاف كلمة ملوك الطوائف ، وتظاهره بعدم رغبته بالتدخل

في شؤونهم ، يعبر عن ذلك في مذكراته بقوله « وأخذ أمير المسلمين في الانصراف الى بلاده وهو قد اطلع عيانا وسمعا من اختلاف كلمتنا ، مالم يروجا لبقائنا في الجزيرة . وانس الجميع ، ولم يتربص في البلاد الا يوحش سلاطينها مما يتوقعونه من انحياش رعيتهم اليه ، فكل من شكا اليه ذلك الوقت من رعية يقول له « لم نأت لهذا والسلاطين اعلم بما يصنعون في بلادهم » (١) .

وهكذا لم يتمخض تدخل المرابطين في الاندلس وانتصارهم في الزلاقة على قوى المسيحية عن شيء ذي قيمة ، فلم يستفد المسلمون من هذا الانتصار في استرجاع طليطلة أو قورية ، بل لم يحاولوا مجرد محاصرة إحدى المدينتين (٢) .

عاد يوسف الى المغرب بعد أن اكتفى بترك قوة من ثلاثة آلاف من المرابطين في خدمة المعتمد .

ويرى الاستاذ محمد عبد الله عنان « أن لقاء الأسلام والمسيحية في سهل الزلاقة إنما هو صفحة من سيرة الحروب الصليبية التي كانت اسبانيا أول مهاد لها والتي اضطرت بعد ذلك بقليل في المشرق ، في الوقت الذي كانت تضطرم فيه في اسبانية » (٣) فانتصار الزلاقة كان يعنى أكثر من هزيمة ملك مسلم لملك مسيحي ، فهذا الانتصار قد جعل الغرب المسيحي يتوجس خيفة (٤) من غلبة الروح الدينية عند المرابطين ، فها هو الأسلام ، يهدد من جديد الغرب المسيحي ، وتتقدم موجاته ما كان قد انحسر من ملك المسلمين بعد وفاة المنصور بن أبي غامر وابنه المظفر عبد الملك ، وليس أدل على صدق ما ذكرناه من تتبع تصرف الفونسو السادس عقب الموقعة ، فتصرفه يؤكد هذا المعنى

(١) مذكرات الأمير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٧

(٢) R. Menendez - pidal, la España del Cid, p. 339.

(٣) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٢٩

(٤) مذكرات الأمير عبد الله الزيرى ، ص ١٠٨

إلى الصليبي . ، فكما تضمنت للراباطون في المغرب مع مسلمي الاندلس ، بدأ  
 الفونسو يبحث ، رسله ، وكتبه إلى مملوك المسيحية ، في إسبانيا وفيما وراء  
 البرزائيس . ، يدعوهم إلى منجذته . وقد استجابت ملكيت وماريات فرنسا  
 الفرنسية لصيحات الفونسو السادس . : وبادر . Eudes Borel . أوديسوس  
 دوق بورجونيا . ، صهر الفونسو السادس في بداية سنة ٤٨٠ هـ . ( ١٠٨٧ م )  
 بإرسال جيشه بقيادته ، بقيادة أخيه انريكي . Enrique . كما لبى نداه  
 عدد من أمراء فرنسا الجنوبية ، وعلى رأسهم ريمون دي سان جيل  
 ( الصنجلي ) Raimond de saint Gilles . كونت طولوشه . وفي رفقته  
 عدد كبير من محاربي لانجدوك وبيروفانس وعدد من فرسان ليموسين  
 Limosin . وبواتو Poitou . ونورماندي Normandie . ولما رأى  
 الفونسو السادس أنه لم يعد لوجود هذه الامدادات التي وصلت متأخرة ،  
 ضرورة فقد شكر الوافدين وأمرهم بالقول . . ولكن الفرنسيين رفضوا  
 العودة إلى بلادهم ، فوضعوا أنفسهم في خدمة ابن ديمير . ( شانجة  
 راميرث ) ( ١ ) .

أما يوسف بن تاشفين . ، فقد عاد إلى المغرب . . ويعلق المستشرق  
 الأسباني كوديره في كتابه عن ( ظهور دولة المرابطين وسقوطها في  
 الاندلس ) على موقف يوسف بن تاشفين بقوله « : كان من حين الطالع  
 بالنسبة للنصارى أن يوسف الذي حاز النصر في الزلاقة ، تلقى عقب  
 انتصاره نبأ وفاة ولده ، الأمير أبي بكر سير . ، فاضطر إلى العودة إلى  
 مراكش تاركاً فكرة مطاردة الجيش المنهزم وجنى الثمرة التي يمكن أن  
 تجنى من مثل هذا النصر العظيم ، وهي الاستيلاء على طليطلة . . وهي  
 فكرة كانت تبدو طبيعية ، ولكنها لم تكن قد استقرت بعد في ذهنه  
 بصورة عملية وذلك على الرغم مما يزعمه مؤرخو العرب من أنه لولا  
 موت ابنه لما غادر الاندلس بهذه السرعة » ( ٢ ) .

( ١ ) R/ Menendez - Pidal, op. cit. p. 340:

( ٢ ) F. Coderca, Decadencia y desaparición de los Almorávides en España, Zaragoza, 1899, p. 243.



(٧١)

### نهاية بنى الافطس اصحاب بطليوس

#### ١- الجفوة بين ابن تاشفين وملوك الطوائف :

بعد أن عاد ابن تاشفين الى مراكش ، اضطربت احوال ملوك الطوائف بالاندلس اضطرابا شديدا ، وقبل أن نبدا في سرد تلك الظروف السيئة التى أدت فى نهاية الامر الى سيطرة المرابطين الكاملة على الاندلس تجدر الإشارة الى أن مصير هؤلاء الملوك أصبح بعد واقعة الزلافة مشتركا ، فالخطر المرابطى لم يعد يتهدد مملكة واحدة ، وانما يتهدد الاندلس كلها ، تماما كما كان الخطر المسمى يتهددهم جميعا ، وكان سقوط أية مملكة فى يد أحد العدوين يعنى سقوط جميع منالاء الطوائف ، الواحدة تلو الاخرى .

ونعتقد أن هؤلاء الملوك اخذوا بعد عودتهم الى بلادهم يشعرون بالخطر ، يحيط بهم ، وإن كانوا لا يدركون تمام الادراك مصدر هذا الخطر فهل هو خطر المرابطين ؟ أم هو الخطر المسمى ؟ وحتى لو أنهم ايقنوا بحقيقة هذا الخطر لما استطاعوا أن يفعلوا ازاءه شيئا ، فقد كانوا جميعا فى مرحلة من الاضطراب والشعور بالضيق ، وفى الوقت الذى كان يخشى فيه ملوك الطوائف العدو المسمى ، ويتوجسون منه ويستنرخون أهل الغدوة لنصرتهم ، والتصدي له ، كان عدد منهم ، بل كبارهم امثال ابن الافطس ، وعبد الله الزيرى ، يلتجأون الى الملك المسمى الفونسو السادس ، ويسعون الى خطب وده وموادمته .

وفى نفس الوقت أسرع كل من ابن عباد وابن الافطس لاستقبال ابن تاشفين عندما جاز الى الاندلس بجوازه الثانى مرجين به ، مقدمين له انفس الهدايا .

لقد بلغ ملوك الطوائف فى تلك الفترة درجة كبيرة من التخبیط والاضطراب ظهر اثرها فى سياساتهم المرتبكة وكل ما نود أن نوضحه أنه

ربما كانت سياسة واحد من هؤلاء الملوك السبب الرئيسى فيما حل بباقي دويلات الطوائف الاخرى من مصائب .

فبعد ان عاد ابن تاشفين الى بلاده ، عاد اهل الاندلس . يستصريحونه وعادت الوفود الاندلسية الى التردد على المغرب ، وفي هذه المرة تنوعت الوفود القادمة من الاندلس ، فقد « وفدت على امير المسلمين ، يوسف ابن تاشفين بحضرة مراكش جملة من وجوه الاندلس من اهل بلنسية (١) ، ومرسية (٢) » .

(١) بلنسية Valencia ، من مدن شرق الاندلس ، كانت في تلك الآونة من قواعد الاندلس ، واهم ثغوره ، عرفت بانها مدينة التراب لخصوبة ارضها ، وكان لها سور منيع احكمه المنصور واشتهرت برخائها الاقتصادية ورواج تجارتها ، فعنها يقول الحميرى « والسفن تدخل نهرها ، وسورها مبنى بالحجر والطوايى ، ولها اربعة ابواب ( وعند العذرى خمسة ) وهى من امصار الاندلس ، الموصوفه ، وخواصرها المقدمة ، ولاهلها احسن زى ٠٠٠ » وقد ظهر العنصر الصقلبى واضحا في زمن الطوائف في مملكة بلنسية ، هذا الى جانب الدور الكبير الذى لعبه السيد الكمبيادور في تاريخ هذه المملكة ( الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٤٧ ، الحلل الموشية هامش ٣٣ ، ص ٦٧ ، العذرى ، ص ١٧ ، ١٨ .

R. Menendez Pidal, la España del Cid, op. cit. P. 593 - 604.

محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٢١٦ - ٢٥٢ . راجع رسالة الماجستير المقدمة من السيد كمال ابو مصطفى عن بلنسية ، تحت عنوان : تاريخ مدينة بلنسية الاسلامية من الفتح العربى حتى نهاية عصر المرابطين ، ونوقشت بكلية آداب الاسكندرية في ١٩٨١ مرسية Murcia ، مدينة على نهز شقورة ، كانت قاعدة كورة تدمير ، بنيت على عهد الامير عبد الرحمن الاوسط سنة ٢١٠ هـ ( ٨٧٥ م ) وقد ازدهرت مرسية ازدهارا كبيرا في عهده ، واشتهرت مرسية بمسجدها الجامع ، وكان لها من الحمامات والاسواق العامرة الكثير ، وقد عرفت مرسية بثروتها واثرائها الاقتصادى فهى « رخيصة الفواكة كثيرة الشجر والاعناب واصناف الثمار بها معادن فضة عزيزة متصلة المادة ، وكانت تصنع بها البسط الرفيعة الشريف » .

ولورقة (١) ، وبسطة (٢) ، فشكوا اليه ما عاناه اهل بلنسية من الكنبيطور ، وكان من ملوك الروم قد لازم حصارها سبع سنين حتى دخلها ، وشكوا له ما جل بأهل مرسية واعمال لورقة وبسطة من شأن لبيط ، وهو حصن حصين على رأس جبل شاهق بينه وبين لورقة نصف يوم ، يملكه العدو ، وكانت سراياه تغير شرقا وغربا ، اذ كان في موسطة بلاد المسلمين ، فلم يزل وجوه الاندلس من تلك البلاد ،

= أرجع الى العذرى المعروف بابن الدلائى ، نصوص عن الاندلس من كتاب ترصيع الاخبار وتنويع الآثار ، تحقيق د. عبد العزيز الأهوانى ، مدريد ١٩٦٥ ، ص ٦ ، الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٦٧ - الحل الموشية ، ص ٦٧ هامش ٣٤ ، وراجع كذلك السيد عبد العزيز سالم ، مدينة مرسية موطن أبى العباس المرسى ، مجلة جمعية الآثار بالاسكندرية  
Salem, Historia de Murcia musulmana, articulo publicado por la Univ. del Cairo en memoria del defunto profesor Abdel Aziz al Ahwani.

وراجع كذلك رسالة الماجستير المقدمة من السيد عزت قاسم ونوقشت فى مايو ١٩٨٤ بقسم التاريخ بعنوان « تاريخ مدينة مرسية الاسلامية منذ تأسيسها حتى استيلاء المرابطين عليها » .  
(١) لورقة Lorca ، من بلاد تدمير فهى احدى المعاقل السبعة التى عاهد عليها تدمير ، تبعد عن مرسية نحو أربعين ميلا ، مقامة على ظهر جبل ، واشتهرت بتوافر المعادن ( انظر الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٧٠ ، الحل الموشية ص ٣٥ ) ولورقة باللاتينية تعنى « الزرع الخصيب » . وهذا الاسم يناسب هذه المدينة تماما لانها من المدن الخصيبة التى لها نهر يجرى الى الشرق منها مما تسبب فى رواجها وازدهارها فى المجال الاقتصادى .  
ويفسر بعض العلماء اسمها بالدرع الحصين .

(٢) بسطة Baza ، مدينة بالاندلس ، تقع بالقرب من وادى آش ، امتازت بحسن موضعها ، وخصانتها وبرواجها الاقتصادى ، فهى « عامرة ، أهلة ، حصينة ، ذات أسواق ، وبها تجارات وفعلة بضروب الصناعات ... وشجر التوت فيها كثير وعلى قدر ذلك غلة الحرير والزيتون ، وسائر الثمار بها على مثل ذلك من الكثرة وأرضها ، غداة كثيرة الريح ... » .



يترددون اليه بالشكوى حتى وعد بالنجواز اليهم اذا تمكن الفصل (١) « . .  
ومن هذا النص يتبين لنا ان شرق الاندلس ، كان مصدر الصريح  
في هذه المرة ، فثثون هذا الاقليم كان قد سادها الاضطراب من جراء  
تدخل قشتالة في شئون مملكة بلنسية عن طريق صنيعهم القادر بن ذى  
النون من جهة وعن طريق السيد الكنييطور من جهة اخرى . هذا النص  
جانب الاعتداءات المستمرة التى كان يشنها النصارى على بلاد المسلمين  
من حصن لبيط Aledo (٢) خاصة على اراضى المعتمد بن عباد

واشتهرت بسطة بانتاج الكحل الاسود من جبل يعرف بالجبل  
الاسود . وتبعد بسطة عن غرناطة بنحو ١٢٥ كم ، وعن مدينة وادى  
آش بنحو ٤٨ كم .  
( انظر الحميرى ، الروض المعطار ، ص ٤٥ ، الحل الموشية ،  
ص ٦٧ ) .

(١) الحل الموشية ، ص ٦٧ .

(٢) حصن لبيط Aledo او الليط : بعد سقوط طليطلة فى يد الفونسو  
السادس يادر هذا الملك بارسال قائده الشهير غرسية خيمينث الى  
اراضى شرق الاندلس للاغارة عليها ، فاجتاحت قواته هذه المنطقة  
وعلى وجه التحديد المنطقة الواقعة بين لورقة ومرسية ، ونكاية فى  
المسلمين وامعانا فى مضايقتهم قاموا ببناء حصن فى هذه المنطقة  
الواقعة بين لورقة ومرسية فى مكان يسمى لبيط يقع على مقربة من  
لورقة وبهذا اصبح هذا الحصن المنيع ، قاعدة للنصارى يهاجمون  
منها الاراضى الاسلامية فى مرسية والمرية ، مما دفع الاهالى الى  
مراسلة امير المرابطين ، يوسف بن تاشفين طلبا فى التجدة والغوث  
وقد كان المعتمد ابن عباد وصاحب السيادة الشرعية على مرسية  
ولورقة ، فكان بطبيعة الحال اكثر ملوك الطوائف انزعاجا من  
هذه الضربات المتتالية التى كان يوجهها اليه النصارى مما دفعه  
الى العبور بنفسه الى المغرب ليلقى يوسف بن تاشفين بوادى  
سبوليشرح له الظروف القاسية التى يعانى منها ، فوعده يوسف  
ابن تاشفين بان يجيبه على مطلبه بالعبور الى الاندلس ، وكان  
ابن تاشفين فى ذلك الوقت قد تلقى العديد من الرسائل والمكاتبات  
من اهل الاندلس كما سبق ان اوضحت وجميعها تلح عليه راجية  
الغوث ، لوضع حد لهجمات النصارى وضرباتهم ، وللاستيلاء على =

في مرسية ولورقة (١) انتقاما منه لاستدعائه المرابطين الذين الحقوا بالنصاري الهزيمة المروعة في واقعة الزلاقة .

« ولما رتب اشغاله ومهد أحواله وكمل من ذلك مراده ، اتصل به قدوم أمير المسلمين ، وجوازه البحر ، واستقراره بالجزيرة الخضراء ، فتلقيه ابن عباد على عادته بما يقدر عليه من الكرامات والمهرة ، وانفذ أمير المسلمين كتبه للملك الأندلس يستدعيهم للجهاد معه ، والموعود حصن

= هذا الحصن المنيع لبيط ، ولهذا فقد كان جواز ابن تاشفين الثاني عام ٤٨١ هـ ( ١٠٨٨ م ) يهدف النظر في أمر حصن لبيط وقد زرت حصن اليط أو لبيط المذكور Aledo ويقع قريبا من مرسية على هضبة شديدة الارتفاع تشرف على الطرق المؤدية الى مرسية والمرية ولورقة ويتحكم في هذه الطرق . والحصن لا يعدو برجا مربع الشكل شديد الضخامة قيل انه كان يتسع لالف فارس واثنى عشر الف رجل ( الحل الموشية ، ص ٦٩ ) وعلى الرغم من اجتماع المسلمين على حصار الحصن المذكور فقد ظهر لهم من حصانته ومنعته ما أياسهم عنه . ( انظر ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٨ ، الخل الموشية ، ص ٦٧ ، محمد عبد الله بجان ، ص ٣٣٤ )

(M. pidal, op. cit. p. 361)

(١) كان المعتمد يستهدف من وراء استدعائه لأمير المرابطين يوسف بن تاشفين اغتنام فرصة وجوده لتحقيق أكبر قدر ممكن من الأهداف ، فهو يريد ضرب أكثر من هدف بحجر واحد ، فلو أن المرابطين تمكنوا من الاستيلاء على حصن لبيط فإنه يتخلص أولا من عيش النصاري ويسترد سلطاته الحقيقية على مرسية ثانية ، فقد كانت يومئذ تحت تحكم ابن رشيق ، وكان ابن عباد قد توجه مع عسكر المرابطين الذين تركهم ابن تاشفين رهن اشارته فسار الى لورقة وحاصرها ولكنها امتنعت عليه ، فتركها الى مرسية وحاصرها ، ولكن ابن رشيق تمكن من أن يكسب ود قوات المرابطين وأن يقتلعهم بأن يتركوه في سلام ، فعاد ابن عباد وهو يعانى من خيبة الأمل الى اشبيلية .

لييط» (١) .

كان يوسف يتمنى لو أنه تمكن من الاستيلاء على حصن لييط ،  
ورغم آلات الحصار الضخمة التي استخدمها المرابطون لاستنزال حامية  
الحصن إلا أنه امتنع على ابن تاشفين « وشن يوسف الغارات على بلاد  
الروم ، كل يوم قدام الحصار على لييط أربعة أشهر لا يفتر عنه القتال  
ليلاً ولا نهاراً ... » (٢) .

وجاء استنجد ابن عباد بأمير المرابطين نذير شؤم على ملوك  
الطوائف ، فثناء حصاره للييط أدرك مدى الضعف الذي انتهى إليه أمر  
هؤلاء الملوك ، واتضحت له الخلافات العميقة التي كانت قائمة بين هؤلاء  
جميعاً : فالخلاف والوقعية كانا سائدين بين الأخوين الزيريين ، الأمير  
عبد الله بن بلقين صاحب غرناطة وأخيه الأمير تميم صاحب مالقة  
بحيث أخذ كل منهما يشكو الآخر لابن تاشفين ويوقع به ويتهمه باغتصاب  
حقوقه ، هذا إلى جانب الخلاف الذي كان قائماً بين ابن عباد والمعتصم  
ابن صمادح كل منهما يتهم الآخر بمختلف التهم أمام ابن تاشفين ، وببالغ  
ابن عباد في شكائاته ، فقد أبدى ضيقه بابن رشيق وسخطه عليه ، واتهمه  
بانتزاع ولاية مرسية منه ، إثار كل ذلك اشمئزاز ابن تاشفين من هؤلاء  
الملوك الذين تهافتوا لتحكيمه فيما شجر بينهم من خلافات ، واستغرقوا  
في منازعاتهم الشخصية ، ناسين القضية الرئيسية وهي الدفاع عن الإسلام  
في الأندلس واستاء ابن تاشفين من استغراقهم في مشاحناتهم الأمر الذي

جاءت به النتيجة : (١) الحلل الموشية ، ص ٦٨ .

(٢) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٠ ، ولكن صاحب الحلل  
الموشية يرى أن الحصار دام شهراً واحداً ، وفي ذلك يقول « وجاءهم  
من مرسية التجارون والبناعون والخدّادون ، واضطربت المحلة  
محدقة بحصن لييط ، وكان بداخله من الروم ألف فارس واثنا  
عشر ألف راجل ، واتصلت الخروب ، وكثر الوارد ، وتمسكوا  
القتال على الحصن ليلاً ونهاراً مدة شهر ، وكل أمير من أمراء  
الأندلس يقاتل في يوم بخيله ورجله ... » ،  
( انظر الحلل الموشية ، ص ٦٩ )



دعاه الى التفكير جديا في اسقاطهم عن عروشهم الواحد تلو الآخر ، فقد سعى ابن عباد للاطاحة بابن رشيق بأن اتهمه لدى أمير المراتبين بأنه يتعاون مع الحامية المسيحية في الخفاء ضد المسلمين ، واقنعه بأن ابن رشيق هو السبب الذي أخر سقوط حصن لبيط في أيديهم حتى ذلك الحين واحتار ابن تاشفين في أمر ابن رشيق ، ولكنه انحاز في النهاية الى ابن عباد . ويروي عبد الله الزيري ذلك في مذكراته فيقول « اعمل في ذلك عقله ودبره برأيه وقال ماتنبغي لنا مفاسدة ابن عباد من أجل ابن رشيق لاحتياجنا اليه فيما نحن بسبيله ، ونحن لم نأمن أمر الرومي والاوكد علينا في هذا الوقت مداراة ابن عباد حتى ترينا الامور وجوها ، فتعسف على ابن رشيق في الذي اظهر من الخلاف على صاحبه ... » (١) .

ثم أنه استفتى . في أمر ابن عباد وابن رشيق الفقهاء ، فحكموا على ابن رشيق « فأمر يوسف بن تاشفين بالقبض عليه ، واسلامه في يد ابن عباد ، ونهاه عن قتله ، فثقله ابن عباد ، فهرب للحين اصحاب ابن رشيق وقرابته وجميع محلته الى مرسية وانتزوا بها ... » (٢) .

ومن النص السابق يمكننا أن نتبين الاثر السيء الذي ترتب على هذا الحادث ، وصداه على ما تلى ذلك من احداث ، فان قادة مرسية ، وكان معظمهم من اقارب ابن رشيق ورجاله ، انسحبوا من الميدان ، فاختل التوازن في المعسكر ، وانتهى الامر بانسحاب أمير المراتبين حين علم بقدوم الفونسو السادس الى الحصن لعدم كفاية قواته (٣) .

وكان لهذا الاخفاق في افتتاح الحصن أكبر الاثر في نفس ابن

---

(١) مذكرات الامير عبد الله الزيري ، ص ١١١

(٢) الحلل الموشية ، ص ٧٠ ، محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٣٦ .

(٣) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٩ ، الحلل الموشية ، ص ٧٠ ، ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص ٢٤٧ .

تاشفين ، فقد عاد يوسف الى المغرب . (١) وهو نلقم على مواقف ملوك الطوائف المخزية ، عاد الى المغرب بعد أن ترك جيشا قوامه اربعة آلاف جندي تحت امره دلود بن عائشة في مرسية وبلنسية ، وعزم في قرارية نفسه عزما قاطعا على وضع حد لهذه الاوضاع المؤسفة واللاطاحة بعروش ملوك الطوائف لوهنهم الشديدة أمام العدو في معركة قد تصبح حاسمة بالنسبة لمصير الاسلام في الاندلس وانشغالهم عن الجهاد باطماعهم الشخصية وخلافاتهم المتواصلة ، واستهتارهم بما تتعرض له البلاد من انقطار حرب صليبية لا مجال للشك فيها . . . ومن هذا المنطلق : المغيرة على الاسلام ، والرغبة في توحيد الصف الاسلامي ، أعدم يوسف ابن تاشفين للجوار الثالث الى أرض الاندلس عدته في أوائل عام ٤٨٣ هـ ( ١٠٩٠ م ) ، ولم يكن جوازه هذه المرة الا لاسقاط ملوك الطوائف اللاهين عن الجهاد بما أختلقوه من خرافات ، المستغرقين في متع الحياة الرخيصة داخل قصورهم الأسطورية ، الغافلين عن مسؤوليات شعوبهم بشهوات النفس والترف ومتاع الدنيا .

وايا كانت الدوافع التي حركت ابن تاشفين (٢) على الجواز الى

(١) بعد أن رجع يوسف بن تاشفين الى المغرب جاء الفونسو السادس الى حصن لييطه فأخلاه بعد أن وجد بداخله مائة فارس نصراني مع ألف راجل مما جعله يتأكد من عدم جدوى الدفاع عنه ، فقرر تقويض أسواره وأبراجه ، وتم ذلك في عام ٤٨٢ هـ ( ١٠٨٩ م ) واحتل ابن بباد اطلال هذا الحصن بعد أن غادره الفونسو السادس بمن فيه من النصاري ( أنظر ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٩ ، الحلل الموشية ص ٧٠ ، محمد عبد الله عيان ، دول الطوائف ، ص ٣٣٦ ) .

(٢) هناك العديد من الدوافع التي دفعت يوسف بن تاشفين الى العبور لاندلس فمنها العامل الدفاعي والاستراتيجي الذي ساقه الاستاذ عنان ، ففي اعتقاده أن يوسف بن تاشفين أدرك منذ أن جاز الى الاندلس في المرة الاولى أن مثل هؤلاء الملوك الاندلسيين المترفين المنعمين لا يمكن لهم أن يتحدوا لحركة اليركنگستا التي نشطت في =

الاندلس فقد قدم هذه المرة وهو يتلمس الاعتذار لتبرير ما سيقدم عليه .

عهدهم بنشاطا لم تشهد الاندلس من قبل ، فاثارت غيرته على الاسلام ، حماسة الدينى ، فان سقوط الاندلس فى ايدى المسيحيين يعنى سقوط جتاج المغرب الدفاعى فى الشمال ، ولذلك بادر بالدفاع عن الاندلس ، لانه فى حمايته له حماية للمغرب الاسلامى ، (انظر محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٣٩ ) .

ويأتى عبد الواحد المراكشى بدافع هام هو طمعه فى الاستيلاء على الاندلس لما تنعم به من ثراء ، فحين رجع الى مراكش قال لاصحابه « كنت اظن اننى ملكت شيئا فلما رايت تلك البلاد بصغر فى عيني مملكتي ، فكيف الحيلة فى تحصيلها ؟ » وبالتالي فان هذه الرواية توضح لنا بصراحة تامه ووضوح مدى اطماع ابن تاشفين فى الاندلس ورغبته الشخصية فى الاستيلاء على تلك الاراضى الغنية ( انظر عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٣٨ ) وقد ذكر ابن الخطيب رواية تشابه رواية عبد الواحد المراكشى وفيها ما يؤكد طمعه فى السيطرة على الاندلس ، جاء فيها « ولما استوثق ليوسف بن تاشفين بسعيه امر الجهاد ، وراقه حسن ما بالاندلس بين البلاد ، واغرى بملوك الطوائف ، وقررت لديه مساومتهم ازمع على خلعهم » ( انظر ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص ١٩٣ وكذلك المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٥٣٣ ) . ومن الدوافع ايضا دافع نفسى هو كراهته للحياة التى كان يحياها ملوك الطوائف كما سبق ان عبر عنه الامير عبد الله الزيرى ، فيوسف ابن تاشفين حين شهد الخلافات الشديدة بين امراء الطوائف وملوكها ، طمع فى الاستيلاء على بلادهم وممتلكاتهم « واتخذ امير المسلمين فى الاتصاف الى بلاده ، وهو قد اطلع عيانا وسماعا من اختلاف كلمتنا ، ما لم يرونها لبقائنا فى الجزيرة » . ( انظر مذكرات الامير عبد الله الزيرى ص ١٠٧ ) ولم يتخذ امير المسلمين هذا القرار الخطير فجأة ، وانما لجأ الى مشاورة الفقهاء فى المغرب والاندلس فى ذلك الامر ، وقد افتى له العديد من الفقهاء امثال الامام الغزالى وابنى بكر الطرطوشى بجواز خلع الملوك الطوائف ، وايدوه فيما اتخذه من اجراءات بعد ان بدأ امراء الطوائف فى الاندلس فى الاتصال بالفونسو السادس وممالاته وامداده بالاموال والهدايا ، وقد كان هذا التصرف باعنا جديدا لدى ابن تاشفين لغزو الاندلس والاستيلاء عليه . ( انظر ابن زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٨ ، ٩٩ ، ابن خلدون ، ج ٢ ، ص ١٨٧ ) .



فتظاهر بأنه ما قدم الا للجهاد وكان هدفه مدينة طليطلة ، مقر الفونسو ، وكانت غاية امانيه ان يعيدها الى الاسلام ولكن ملوك الطوائف لم يقدموا له هذه المرة العون اللازم ، فاثار ذلك عليهم ابن تاشفين ، فقد استاء من موقفهم حياله ، فكان ذلك مبررا مباشرا لموقفه العدائى منهم « فنوى الشر لهم » (١) ، ولم يعقبه هذا التقاعس عن قيامه بحصار طليطلة « والفنش بها ، وهتكها ، وقطع اثمارها » وخرب احوازها ، وقتل وسبا ، ولم يات له أحد من امراء الاندلس ولم يعرج عليه فغاضه ذلك » (٢) .

ويورد عبد الواحد المراكشى خبرا هاما وهو ان ابن تاشفين عندما كان بالعدوة اشار عليه اصحابه ان يرسل الطوائف يستأذنهم في ارسال مجموعة من رجاله يرغبون بالرياط بالاندلس « ومجاهدة العدو والكون ببعض الحصون المصاوبة للروم الى ان يموتوا ، ففعلوا ، وكتبوا الى المعتمد بذلك ، فأذن لهم بعد ان وافقه على ذلك ابن الافطس المتوكل صاحب الثغور ، وانما اراد يوسف واصحابه بذلك ان يكرن قوم من شيعتهم مبثوثين بالجزيرة في بلادها ، فاذا كان امر من قيام بدعوتهم او اظهار لملكهم وجدوا في كل بلد لهم اعوانا ... » (٣) .

وبالاضافة الى ان هذا النص قد اثبت بما لا يدع مجالا للشك في ان رصد العيون للتجسس كان أمرا شائعا ومألوفا في العصر الاسلامى ، فانه سلط الاضواء كذلك على الدور الهام الذى لعبه عمر المتوكل بن الافطس في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الاندلس . ويوضح لنا هذا النص كذلك ان المعتمد بن عباد لم يوافق على رسالة ابن تاشفين وعلى طلبه الا بعد ان استشار ابن الافطس ، فوافقه على ذلك ، ويحمل هذا

(١) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ٩٩

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٩

(٣) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٣٩

السلوك من جانب المعتمد على الاعتقاد بان ابن الاقطس ، وابن عباد كانا يشكلان في تلك الفترة محورا اندلسيا هاما ، وسنرى فيما بعد انهما سيتوجهان معا الى ابن تاشفين في غرناطة بعد استيلائه عليها ، وانهما سيتصلان سرا بالفونسو السادس ملك قشتالة بهدف ان يتعاون معهما ضد المرابطين ، فسياستهما كانت موحدة ومشاركة مما يدل على خطورة هذا الحلف الذي افه هذان الملكان ، ضد امير المسلمين يوسف ابن تاشفين ، واذا كان ابن عباد قد اتهم في فترة ما بممالة الفونسو السادس ، وتخليه له عن قلاع وحصونه ، واذعانه لمشيئته في دفع الجزية ، وموافقته له على تزويج ابنته زائدة المسلمة (١) منه ، فان هذا الاتهام كان له ما يبرره وهو موقفه العدائى المخزى من المرابطين وتحالفه مع الفونسو السادس ضدهم ، وقد ظهرت آثار هذا التحالف عندما ارسل ابن عباد الى الفونسو السادس يستغيث به عندما علم بحصار المرابطين له في اشبيلية « فبعث اليه الفتح قائده القومس في جيش من عشرين الف فارس واربعين الف راجل ٠٠٠٠ » (٢) .

ونعتقد ان هذا القول مبالغ فيه للغاية ، ولو ان الفونسو امده حقا بهذه الاعداد الضخمة من الرجال لما كان المرابطون قد اقلحوا في اقتحام اشبيلية واسقاط المعتمد بن عباد ، واعتقد ان هذا الخبر مختلق مدسوس على المعتمد ، شأنه شأن كثير من الاخبار التي يسوقها صاحب روض القرطاس .

اما بالنسبة لابن الاقطس فقد كان جزاء اتصاله بالفونسو السادس وتحالفه معه ، وتنازله له عن شنترة وشنترين واشبنونة ، لقاء مساعدته

(١) وكنا قد اوضحنا كذب هذا الافتراء على ابن عباد وان زائدة انما كانت زوجة ابنه الفتح بن عباد صاحب قرطبة وكبة المعتمد بن عباد .

(٢) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٠ .

لنه ضد المرابطين ان قتل هو وولدان له بعد فتح المرابطين لبطلينوس كما ستوضح في الصفحات التالية ، وانما اردنا ان نؤكد تلك الحقيقة الهامة ، وهى ان المتوكل بن الافطس أصبح فى تلك المرحلة التاريخية الاخيرة من عصر الطوائف ، هو والمعتمد ابن عباد نجمين ساطعين فى سماء السياسة الاندلسية يمثلان فى ذلك ملوك الطوائف المبلهضين فى الاندلس للوجود المرابطى ، وايا ما كان الامر ، فقد اقام يوسف بن تاشفين بعض الوقت محاصرا لطليطلة ، ولكنه ادرك استحالة افتتاحها وحده لقوة دفاع الفونسو السادس وابن رخمير عنها ، اذ كانا يتوليان مسؤولية الدفاع عنها آنذاك ، ولذلك فقد غادرها ابن تاشفين الى غرناطة (١) .

(١) كان عبد الله للزيرى قد جهر بالاعراض والتغير على ابن تاشفين ، وفى ذلك يقول صاحب الحل الموشية « ولما آتينا لهم تبغيره عليهم واعراضه عنهم ، نظر كل منهم لنفسه ، بتأية عزمه ، فاول من جهر بذلك وتظاهره به ، وجد فيه ، المظفر عبد الله بن بلقين بن باديس ، واتصلت انباؤه بيوسف بن تاشفين ، فاشتد غضبه وزاد حرجه عليه ... » ( الحل الموشية ، ص ٧١ ) هذا وكان عبد الله الزيرى قد عقد معاهدة مع الفونسو السادس تعهد فيها بدفع الجزية فى مقابل ألا يغترض الفونسو له بلداً ، ولا يغدر به بعد هذه المعاهدة ( انظر مذكرات عبد الله الزيرى ، ص ١٢٥ ) وشرع عبد الله الزيرى فى تحصين بلاده لمواجهة يوسف بن تاشفين ، كما بدأ بالفعل فى نقل امواله ومتاعه الى قصبة المنكب لمناعتها وحصانتها .

وكان الفونسو السادس قد أكد لعبد الله الزيرى وقوفه الى جانبه ومساعدته له ، وفى تلك الاثناء كان مؤمل أحد موالى باديس جد الامير عبد الله الزيرى قد وثى به لدى ابن تاشفين بالاضافة الى اقدام فقهاء غرناطة على اصدار فتوى بخلع عبد الله الزيرى من غرناطة ، واخيه تميم من مالقة بسبب الخروج عن احكام الدين والشرع ، فحاصر ابن تاشفين غرناطة ، وعرض على عبد الله الامان فى النفس والاهل دون المال ، فاستمهل عبد الله فترة من الوقت بحجة تقليب الامر ، واتخذ قرار حاسم فى ذلك رغم الحاج اصحابه وامه عليه بقبول امان امير المرابطين ، اذ كان ينتظر قدوم الفونسو السادس لانجاده ، فلما اقترى ابن تاشفين من المدينة ، =



لمواجهة صاحبها عبد الله الزيرى الذى قرر البدء باسقاطه ، فقد استقر  
فى ذهن يوسف ان ملوك الطوائف عقدوا مع ملك قشتالة اتفاقات سرية  
يتعهدون فيها بالامتناع عن بذل العون للمرابطين ، ومن المعتقد ان  
ابن تاشفين بدأ بتنفيذ سياسته تجاه ملوك الطوائف بدويلة غرناطة  
اصغر دويلات الطوائف ثانيا واقلها قوة ، ولم تلبث غرناطة ان سقطت  
فى يده (١) .

= واشتد الهياج بها ، وافق الامير عبد الله على امان ابن تاشفين  
الذى بادر بضبط امواله المقدسة التى ورثها عن جده باديتس ، ولم  
يلبث ان اصدر ابن تاشفين امره بنفيه واهله الى اقمات حيث  
عاشوا موضع تكريم ورعاية حتى وفاته ( انظر فى ذلك ، مذكرات  
الامير عبد الله الزيرى ، من ص ١٦٢ الى ص ١٧٢ ، ابن  
الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٣٣٥ ، خاصة فى وصفه لكيفيته  
استسلام الامير عبد الله لابن تاشفين ، ابن ابى زرع ، روض  
القرطاس ، ص ٩٩ - ١٠٠ ، الجبل الموشية ص ٧١ ، محمد  
عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٤١ ، ٣٤٢ ) .

(١) بلغ يوسف بن تاشفين وهو بمراكش بعد عودته من حصاره الفاشل  
لحصن لبيط ان الامير عبد الله الزيرى صاحب غرناطة اتفق مع  
البرهانس وكيل الفونسو السادس فى جهات غرناطة والمرية وتعاقد  
معه على نصرته نظير ثلاثين ألف دينار ، كما ثبت ان ابن رشيق  
تعاون مع النصارى اثناء حصار المسلمين لحصن لبيط ، اذ كان  
يقويهم ويعينهم ، خوفا مما قد يحل عليه يفقدهم ، ( مذكرات  
الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٧٥ ) لذلك عزم ابن تاشفين على  
استئصال شافة ملوك الطوائف وخلعهم عن عروشهم مبررا لذلك  
بأنه لا ينبغي لهم اى للمرابطين « قتال الروم ، ويتركوا وراءهم  
الاعداء ممن يؤمى عليهم معهم » ( مذكرات الامير عبد الله  
الزيرى ، ص ١٧٥ ) .

فلما جاز الى الاندلس للمرة الثالثة فى سنة ٤٨٣ هـ ( ١٠٩٠ م ) ،  
وكان قد عزم على الاطاحة بعروش ملوك الطوائف ، بدأ بنكبة  
عبد الله الزيرى ، فعزله عن عرشه ونفاه الى مكناسة ( الحل  
الموشية ، ص ٧١ ) ثم اردفه بأخيه تميم .

## ب - خلع المعتمد بن عباد عن مملكته اشبيلية ونفيه

وكان يوسف بن تاشفين قد وعد المعتمد بن عباد بغرناطة قبل قدومه اليها بان يسلمها اليه لانه ادرى اكثر من غيره من ملوك الطوائف، بمصالح المسلمين ، ويذكرون في ذلك انه قال له « انا رجل مغربى ، وليس قدمنى اخذ مال ولا بلاد ، وقد ترى ما رفع على صاحب غرناطة، ونتوقع عليها من الرومى ، وليس غرضى اكثر من تخليصها ، فاذا صارت في يدى ولا يمكننى امساكها لبين بلاد الاندلس من العدو وضعتها عند ذلك في يدك فتكون اعلم بما تصنع بها ، واقعد لما يصلح للمسلمين . » (١)

وكان على ابن عباد وصاحبه ابن الافطس ان يبادرا من قبيل التظاهر والمجاملة بتهنئة ابن تاشفين بعد دخوله غرناطة ، فلما التقيا به « لم يقبل عليهما ، واعرض عنهما وانصرفا عنه الى بلادهما ، وادرك ابن عباد الندم على استدعاء يوسف بن تاشفين الى الاندلس ، وقال لحليفه المتوكل ابن الافطس : والله لا بد له ان يسقينا من الكأس التى سقى بها عبد الله بن بلقين . » (٢) .

هذا ويسوق الامير عبد الله الزيرى في مذكراته رواية اخرى يوضح فيها كيف ان الحليفين ابن عباد وابن الافطس ، استشعرا الخطر المرابطى عند مقابلتهما لابن تاشفين فيقول « وان المعتمد بن عباد ، لما ابصر بدخول الامير غرناطة . واستنجز وعده ، فلم يلتفت ، ورأى ثقافها بالمرابطين واخراج من فيهما من الحشم ، وكل من طمع بالبقاء على حاله ، جزع جزعا شديدا ، وخاف ان يثنى به ، اذ رأى الامير مذهبه

---

(١) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٦٤ - ٦٥ .

(٢) الحلل الموشية ، ص ٧٢ ، ومرة اخرى يؤكد صاحب الحلل الموشية قيام حلف اندلسى يجمع بين ابن الافطس وابن عباد ، فاستخدام صاحب الحلل الموشية لكلمة « حليفه ابن الافطس » يؤكد الرأى الذى ذكرناه .

في البلاد واستصراخه ، ولم يمكن للامير ان ياخذه بغير ذنب فيقبح ذكره ، وأشار اليه المرابطون بثقافه ، فأبى حتى يلوح قبله ذنب يؤخذ به . ثم انه بعد أن نهض واتبعه قرور ، يقول له « الامير يحتاج الى تذكارك بعض الامراء » ، فأبى ، ومضى لوجهته فارا بنفسه ، واطوى المراحل حتى وصل قرطبة ، وقال له في طريقه الى ابن الافطس « انج بنفسك فقد ترى ما حل بصاحب غرناطة ، وغدا بنا » (١) .

ومن هنا أدرك الحليقان الحقيقة المروعة ، وعلما بأن نهايتهما أصبحت محتومة ، فعاد كل منهما الى بلده يحصنها ، ويعتزم الدفاع عنها حتى الرمق الاخير . أما عن ابن الافطس فقد عاد لبلاده مضطربا حائرا ، واختلط عليه الامر اذ كان لايعرف كيف يتصرف امام هذا الخطر المربطى المائل ، وتصمت المصادر العربية عن ذكر اى تفاصيل عن هذه الفترة الدقيقة من عهده ، وكل ما يمكننا ان نتصوره انه استمر على اتصال بحليفه ابن عباد، وفي الوقت الذى رأى كل منهما ضرورة معاودة الاتصال بالفونسو السادس عدو الامس للاحتماء به والاستعانة بقواته ضد المرابطين ، رأى ابن الافطس ان يمسك بالعصا من وسطها ، فبدأ سلسلة من الاتصالات الودية بالامير سير بن أبى بكر ، كان لها اثر كبير

---

(١) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٦٩ ، وتؤكد هذه الرواية ان ابن الافطس وابن عباد قد ربطتهما روابط الخوف والتوجس من نوايا امير المرابطين مما قريهما وزادهما تعلقا وصداقة ، وتؤكد هذه الرواية ايضا ان تلك الزيارة التى قاما بها لابن تاشفين فى غرناطة كانت نذيرا لهما بنوايا ابن تاشفين حيالهما . ومن الجدير بالذكر ان اسم قرور ، ورد فى نص الامير عبد الله ، وقرور هذا هو فى حقيقة الامر جرور الحشمى الذى ورد اسمه فى الحلل الموشية ص ٧٣ ، باسم « جؤذر الحشمى » وتصويبها « جرور » « الحشمى » وهو كما سنشير اليه فيما بعد القائد الذى ولاه يوسف بن تاشفين على احد جيوشه ليحاصر يزيد الراضى فى رنده ، ورغم ان يزيد سوف يسلم له رنده فى مقابل حصوله على الامان الا ان جرور يقدم على قتله .



في الابقاء على عرشه الى حين ، فبعد سقوط مملكة اشبيلية في ايدي المرابطين كان للعلاقة الطيبة التي ربطت بينه وبين سير بن ابي بكر الفضل الاعظم في حماية دولته طوال ثلاث سنوات من السقوط الى ان تاكد للمرابطين خيانة المتوكل لهم واتصله بالفونسو السادس<sup>(١)</sup> .

وكان ابن الافطس شديد الاهتمام بتطور العلاقات بين ابن عباد ، الضحية التالية لابن تاشفين ، والمرابطين ، وقد تبين له هذا الامر منذ ان دعا يوسف بن تاشفين المعتمد بن عباد للحضور اليه ، فامتنع ، ثم عاد فطلب منه اتباع احكام الشرع ، والغاء المكوس الجائرة ، ولكنه لم يستجب الى طلبه<sup>(٢)</sup> . ولاشك ان ابن عباد كان على يقين من ان ابن تاشفين يبغى استذلاله والتقليل من شأنه ، وربما اراد ان يتخذ اى مبرر للانقضاض على بلاده واسقاطه عن عرشه .

ولم يلبث ابن تاشفين ان قفل عائدا الى المغرب في شهر رمضان ٤٨٣ هـ ( ١٠٩٠ م ) بعد ان اطمأن الى احتلاله لقرطبة تاركا على الاندلس قائده سير بن ابي بكر ويرى ابن ابي زرع ان ابن تاشفين اكتفى بترك قائده سير في الاندلس مطمئنا بذلك الى حسن ادارته وكفايته ، فانه لم يأمره بفتح اى حاضرة اخرى من حواضر دويلات الطوائف ، ويعبر عن ذلك بقوله « وقدم على الاندلس قائده سير بن ابي بكر تحو اشبيلية ، وهو يظن ان ابن عباد اذا سمع به يخرج اليه ويتلقاه على بعد بالضياقات فلم يفعل » ، وتحصن منه ، ولم يضيفه ، ولم يلتفت اليه ، فراسله سير بن ابي بكر ان يسلم اليه ويدخل في طاعته ، فامتنع المعتمد عن ذلك ، فآخذ سير في احصاره وقتاله وبعث قائده بطي الى جيان فيحاصرها حتى دخلها صلحا ... »<sup>(٣)</sup> .

(١) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٦٨ .  
(٢) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٠ - مذكرات الأمير عبد الله الزيزي ، ص ١٦٩ .  
(٣) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٠ .

أما صاحب الحل الموشية فيؤكد أن ابن تاشفين كان قد قدم « ابن عمه الأمير سير بن أبي بكر على عسكر وأمره بمحاصرة ابن عباد باشبيلية وأوعز إليه أنه إذا فرغ من شأنه يتقدم لبلاد المتوكل ابن الأفطس ، لشبونة ، وشتترين ، وغير ذلك مما كان بيده » (١) . كما أرسل ابن تاشفين قائده ابن الحاج لفتح قرطبة حيث كان بها الفتح بن عباد الملقب بالمأمون زوج زائدة المشهورة كنة المعتمد بن عباد وأم ولد الفونسو السادس قتيما بعد (٢) .

كذلك سير قائده أبا زكريا بن واسينو على رأس جيش ثالث لمحاصرة المعتصم بن محمد بن معن بن صمادح بالمرية ، وجيشا رابعا بقيادة جوذر الحشمي على عسكر رابع ، وأمره بمنازلة يزيد الراضى بن المعتمد بن عباد وإلى زائدة (٣) .

- (١) الحل الموشية ، ص ٧٢ ، وانظر أيضا ابن الكردبوس ، تحقيق د. مختار العبادي ص ١٠٦ .
- (٢) عندما افتتح المرابطون قرطبة ، واستشهد المأمون ولد المعتمد ووزيره ابن زيدون وأبو بكر بمدخله من أهل قرطبة ( مذكرات الأمير عبد الله الزيري ، ص ١٧٠ ) امتلا قلب زائدة زوجة المأمون بالحقد على قتلة زوجها وسجاني أبيه فيما بعد ، والظاهر أن حقدها على المرابطين دفعها إلى الأقدام على ارتكاب خطأ فاحش فقد فرت من الأندلس وأولادها ، والثبات إلى طليطلة ، وأصبحت زوجة غير شرعية لالفونسو السادس ملك قشتالة بعد أن ارتدت عن الإسلام ، واعتنقت المسيحية حتى تستحله على محاربة المرابطين ، وقد أنجبت منه ولدها الأمير شانجة الذي قتل في معركة الأقطاب السبعة المعروفة بأقليش ( ٥٠٦ هـ ) ( ١١٠٧ م ) ( الونشريش ، استى المتاجر في بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم يهاجر ، تحقيق د. حسين مؤنس ، صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمديرية سنة ١٩٥٧ ، ص ١٨٩ ، وانظر أيضا التفاصيل في الإسلام في المغرب والأندلس تأليف ليفي بروفسال وترجمة السيد عبد الغزيز سالم ، ص ١٦٢ ) .
- (٣) الحل الموشية ، ص ٧٢ ، ٧٣ ، محمد عبد الله عثمان ، دول الطوائف ، ص ٣٤٣ .

وأياما كان الامر (١) ، فان سير بن أبى بكر وباقي القادة الذين أرسلوا لفتح مملكة اشبيلية والمناطق التابعة لها ، قد نجحوا في تنفيذ ما كلفهم به اميرهم ، وتمكن سير بن أبى بكر بعد طول مقاومة من فتح اشبيلية والاستيلاء عليها (٢) ، وتمكن المرابطون من اقتحام اشبيلية من جهة باب الفرج ، واستولوا على القصر ، وقبضوا على المعتمد بن عباد ، وساقوه اسيرا الى اغمات في صحبة زوجته الرميكية وبناته ، وهناك انتابه شعور بالحزن والاسى عبر عنهما بقصائد تقطر الما الى أن توفي في اغمات سنة ٤٨٨ هـ ( ١٠٩٥ م ) وتم العثور على قبره الذي دفن فيه (٣) .

(١) نحن اميل الى الاخذ برأى صاحب الحل الوثية فلا يمكن للقائد مهما كانت مكانته أن يتحرك لفتح مملكة كبيرة مثل مملكة اشبيلية دون أن يتلقى تعليمات سيده ، الامر الذي يدعونا الى أن نرجح أن ابن تاشفين هو الذي أمر بهير بن أبى بكر بفتح تلك الممالك قبل عبوره الى المغرب .

(٢) سقطت مملكة اشبيلية في ايدي المرابطين بعد مقاومة عنيفة من جانب المعتمد ، وقد بدأ سير بن أبى بكر هجومه على هذه المملكة باستيلائه على طريف أقصى لغور اشبيلية الجنوبية ( انظر عبد الواحد المراكشي المعجب ، ص ١٣٩ ) ثم توجه الى اشبيلية نفسها ، بينما كانت سائر الجيوش الاخرى التي أرسلها ابن تاشفين تتخذ طريقها الى جهاتها المختلفة : قرطبة ورندة والمرية ( انظر ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٠ ) . وقد دافع ابن عباد عن بلاده دفاع الابطال ، وظل محاصرا داخل مدينته عدة أشهر ، وفي إحدى المعارك مع المرابطين خرج يدافع فيها عن مدينته وليس عليه سوى غلالة رقيقة تشف عن بدنه ، وقد أصيب في هذه المعركة بطعنات قاتلة ، وذكروا أنه استنجد بالفونسو السادس فيادر بارسال جيش لنجده ، ولكنه انهزم امام المرابطين ( انظر عبد الواحد المراكشي ، المعجب ص ١٤٠ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٦٣ ) .

(٣) راجع مقال :

Emilio Garcia Gómez, un supuesto sepulcro de Mu'tamid :  
de Sevilla en Agmat, al-Andalus, vol. XVIII, Fasc. 2, 1953, pp.  
402 - 411.



### ج - نهاية المتوكل على الله وسقوط دولة بنى الافطس

ذكرنا من قبل ان ابن الافطس ادرك حين رأى الخطر المرابطين باشبيلية ان دوره هو الآخر أصبح وشيكا ، ولذلك بدأ يتوودد الى الامير القائد سير بن أبى بكر ، ومن الغريب ان هذه السياسة تكللت بالنجاح واثمرت بدليل انه وفق فعلا فى حماية دولته من السقوط فى ايدى المرابطين مدة ثلاث سنوات . ويبدو ان سير بن أبى بكر ارسل احد اعوانه من المرابطين الى بطليوس ، وهو ابن الاحسن السجلماسى الذى كان قد ارسل من قبل يوسف بن تاشفين الى المعتمد بن عباد قبل جوازه الاول مع عبد الملك القاضى لتمهيد الامور لامير المسلمين ليقوم مع المتوكل ابن الافطس فيكون بمثابة رقيب عليه ، ويطلع على احوال البلاد ، ويحصى عليه كل تحركاته . ويؤكد الامير عبد الله الزيرى ذلك فى مذكراته فهو يقول « وبقي ابن الافطس يتخدم امره ، وكان يدارى ابن الاحسن وينفعل له فى كل ما اراد طمعا منه فى البقاء لحيته ... » (١) .

وقد بدأ ابن الاحسن فى الايام الاخيرة لابن الافطس يتدخل فى امور المملكة البطلية ويتشدد مع المتوكل مما جعل الاخير يتوجس خيفة من المرابطين لاسيما بعد توتر العلاقات بينه وبين الامير سير بن أبى بكر (٢) ، الامر الذى دعاه الى ان يلجأ فى نهاية الامر الى الفونسو السادس . ويورد اشباخ فى كتابه « تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين » خبرا غاية فى الاهمية ، فهو يذكر انه بعد ان ترك يوسف بن تاشفين قائده سير بن أبى بكر فى الاندلس ورجع الى المغرب ، توجه سير بن أبى بكر مع امير بطليوس الى وسط البرتغال الحالية مما يلى نهر تاجة

---

= وعن ابن عباد ومصيره التعس أنظر ، ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٢١ - ٣١ ص ١٣٨ - ١٤٦ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ج ٦ ، ص ١٠ ، ١٣ ، ج ٥ ، ص ٣٧٩ .

(١) مذكرات الامير عبد الله الزيرى ، ص ١٧٢

(٢) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٧٢ .

واثخنا في هذه الانجاد تخريبنا ونهبنا وأسرا في سكاكنها (١) . ونحن نميل الى الاخذ بهذا الخبر ، فابن الاقطس قد لجأ في فترة ما بعد سقوط اشبيلية في ايدي المرابطين الى التودد الى الامير سير بن ابي بكر كما اسلفنا القول ، وربما كانت مشاركة ابن الاقطس لسير بن ابي بكر في بعض المعارك جزءا من سياسته لكسب قلوب المرابطين وصرف انظارهم عن بلاده . وقدم المتوكل عمر لالفونسو نظير مساعدته له ، ثلاثة مدن من اهم مدن مملكة بطليوس هي شنترة واشبونة وشنترين (٢) ، وفي ذات الوقت كان المتوكل « يخاطب الامير باظهار الطاعة والمشاركة في امر الرومي ، ويخاطب الفونسو ليستعين به على ملمة ذهتبه من المرابطين ... » (٣) .

فلما رأى اهل بطليوس ما فعله بهم عمر بن الاقطس ، بدأت بوادر الثورة في الاشتغال داخل المدينة ، ولعل هذا الوضع يذكرنا بما حل بابن عباد حليف عمر المتوكل ، فقد اشتعلت الثورة في مملكة اشبيلية ضد ابن عباد اثناء حصار المرابطين لها بتحريض بعض الخونة ، وهكذا كانت الاحداث في هاتين المملكتين متشابهة الى حد كبير فيما يخص هذه الفترة الحرجة على وجه التحديد ، فقد انزعج الناس في بطليوس حين سلم عمر المتوكل شنترين وشنترة واشبونة لالفونسو السادس ثمنا لمساعدته له ، فارسلوا الى المرابطين في اوائل عام ٤٨٨ هـ ( ١٠٩٥ م ) يستدعونهم ، فقدموا بجيش يتقدمه سير بن ابي بكر ، وفي تلك الاثناء استصرخ المتوكل ابن الاقطس حليفه الفونسو السادس واقام منتظرا وصول امداداته ، ولكن انتظاره طال بلا نتيجة (٤) . وحين علم اهل بطليوس بوصول

(١) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، في عهد المرابطين والموحدين ،

ترجمة عبد الله هنان ، ص ٨٩ .

(٢) ابن الخطيب : اعتقال الاعلام ، ص ١٨٦ .

(٣) مذكرات الامير عبد الله الزيري ، ص ١٧٢ .

(٤)

جيش المرابطين الى مدينتهم فتحو ابواب بطليوس للمرابطين فدخلوها ، واقتحموا قلعة المدينة متجهين الى قصبة بطليوس حيث امتنع المتوكل عمر ، ومن المعروف ان قصر المتوكل عمر كان قريبا من القصبة وكانت تحيط بقصره وبالقصبة اسوار المدينة : بأبراجها البرانية (١) .

ويمكن تفسير عدم تمكن ابن الافطس من الفرار من باب الغدر قبل وصول جيش المرابطين بأن وصولهم كان مفاجئا وسريعا بحيث فوجئ ابن الافطس بهم فأسقط في يده . ومن المحتمل أن يكون الفونسو السادس قد وعد ابن الافطس بالقدوم لمساعدته . ، ولهذا فقد ظل ابن الافطس منتظرا في قلعة على أمل وصول هذا الحليف ، ولكن بدون جدوى ، حتى فات الاوان ، فتم القبض عليه حيث كان مختبئا .

ويرى اشباح ان المتوكل ابن الافطس دافع عن بلاده دفاع الابطال شأنه في ذلك شأن ابن عباد ، ويأخذ بذلك الرأي الكثير من المؤرخين الاسبان امثال فرناندو فالدث الذي يؤكد انه لولا قتل عمر بن الافطس ، وأولاده بشجاعة فائقة ضد المرابطين ، ولولا استنجادهم بقوى المسيحية ، لما تعرضوا لغضب سير بن ابي بكر وجنده المرابطين بحيث انتهى مصيره بالقتل . ، فابن الافطس يعد الملك الوحيد من بين ملوك الطوائف الذي

---

(١) قمنا مرتين بزيارة بطليوس ودراسة تخطيطها العمراني ونظامها الدفاعي الممثل في اسوار المدينة والقصبة ، ومن بينها برج اسنتابروس الذي يشبه برج الذهب باشبيلية ، كما اشتركت مع جامعة مدريد ، قسم الآثار في الحفريات الاثرية التي أجروها برئاسة الدكتور فرناندو فالدث داخل القصبة وفي الرض ، واطلعنا على أحدث الاكتشافات التي توصل اليها سيادته ، ويتمثل في باب صغير لا يعدو نقية أو خوخة في السور القبلي لبطلوس كانت تفضل بين قصر المتوكل ، والقصبة ، وقد سماه الدكتور فالدث « بباب الغدر » وفي نقطة انفتاح هذا الباب اقيم برج براني ، ربما تم بناؤه زمن المتوكل بنية لباب الغدر وتمويهه للتأخرين ، وكان المتوكل يستخدمه في اوقات الخطر .



قتل على ايدى المرابطين ، ولم يكن هذا بسبب تحالفه سرا مع الفونسو السادس ، فيكون قتله عقابا له على خيانتة ، فمن الثابت في جميع المصادر العربية ان ابن عباد قد اتصل هو الآخر بالفونسو السادس كما اتصل ابن رشيق من قبل وكذلك عبد الله الزيرى .

اذن فلم يكن تعاون ابن الافطس مع الفونسو هو المبرر الوحيد لقتله ، واعتقد ان هناك اسبابا اخرى تضافرت مع ذلك العامل لتبرير قتله ، لعل من اهمها المقاومة الشديدة التي ابدتها المتوكل بن الافطس ، وان كان ابن عباد قد تصدى قبله للمرابطين ولم يقتل . ويرى اشباخ انه بينما كان داوود بن عائشة يفتح شرقى الاندلس ، كان سير بن ابي بكر يقتحم منطقة الغرب Algarvo ، وقد بدأ باستيلائه على شلب ويابرة بعد مقاومة تكاد لا تذكر ، ثم ظهر بعد ذلك في مروج بطليوس التي كانت ماتزال تحتفظ بعظام النصارى الذين قتلوا على ايدى المسلمين في واقعة الزلاقة ، وقد خرج اليه عندئذ ملك بطليوس عمر بن الافطس واولاده يقاتلون ببسالة نادرة على رأس جيشهم ، ولكنهم انهزموا امام المرابطين . ويؤكد اشباخ ان السبب الرئيسى في هزيمة ابن الافطس وغضب المرابطين عليه غضبا شديدا هو الشعور العدائى الشديد الذى كان يحمله جمهور بطليوس لبني الافطس بسبب تسليمهم المدن الثلاثة للعدو المسيحى ، يضاف الى ذلك ان اهالى بطليوس ، كانوا يؤثرون اسقاط الحكم الافطسى لان نفقات البلاط البطليوسى ، وان كانت تساعد في نمو التجارة الا انها كانت تزيد في المكوس زيادة كبيرة ، هذا الى جانب انتشار نبوءة في تلك الآونة بين اهل الاندلس خاصة في هذا الجزء الغربى كما يذكر اشباخ خلاصتها ان الامراء الاندلسيين سوف يقهرون على يد فاتح من المغرب ، ومن ثم فقد انحاز اهل بطليوس الى المرابطين مؤثرين الا يناهضوا القدر بمعركة خاسرة (١) . ولعل اتفاق ابن الافطس مع

---

(١) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، في عهد المرابطين والموحدين ، ص ١٠٠ ، ١٠١ .

سير بن أبى بكر وتعاونته معه ثم خيانتته له واتصاله بالفونسو السادس بعد أن كان سير قد تركه يحكم مع ابن الاحسن لمدة ثلاث سنوات ، اغضب سير وجعله يصمم على نكبته .

وقد أدت هذه الاسباب مجتمعة الى تحامل المرابطين عليه الى حد أنهم قتلوه هو وولديه صبرا ، اما العامل الرئيسى والمباشر فيتمثل فى تسليمه ثلاث من أهم مدن مملكته الى الفونسو السادس . وبعد أن تغلب المرابطون على قوة المتوكل ، تراجع الى بطليوس وتحصن بقصبتها المنيعه ، ولكن الاحداث تتابعت سريعا ، بحيث أنه لم يتمكن من الهروب عبر باب الغدر ، ويبدو أنه انخدع بأمان منحة المرابطون له ووعد قطعوه على أنفسهم بأنهم سينقلونه هو وولديه الى اشبيلية ليعيشوا هناك (١) . ولكن بدخول المرابطين القصبة أسرعوا بالقبض على المتوكل « وعلى بنيه وعبيده واستخراج ما كان له من مال وفخيرة (٢) » بعد أن عذبه لكشف مخابئها ، فقد كانت كل أموال بنى الاقطس مدفونة فى القصبة بعد ذلك أمر سير بنقل عمر المتوكل ابن الاقطس مع ولديه الفضل وعباس الى اشبيلية ، وبالفعل سار الامراء الثلاثة مع حراسهم فى طريق اشبيلية، ولكن ما كاد المتوكل يغادر المدينة مع ولديه ليحتلها سير بن أبى بكر وقواته حتى أرسل سير سرية من فرسان المرابطين وراءهم « وفى أثناء الطريق لما بعد من بطليوس ، أنزل وأمر بالتأهب للموت ، فسأل أن يقدم ابناه قبله ليحتسبهما فكان ذلك ، وقتل الجميع صبرا وذلك فى اخريات سنة ٤٨٨ هـ » ويؤكد ابن خاقان فى قلائد العقيان أن المتوكل « رغب فى تقديم ولديه بين يديه ليحتسبهما عند ربه ، ويكتسبهما حسنة تمحو بعض ذنبه (٣) » . ويشهد قاتل الفضل ابن الاقطس والعباس أخيه بأنهما كانا فى غاية الجلد مما حير قاتليهما من المرابطين ، وأن

---

(١) أشباخ ، تاريخ الاندلس فى عهد المرابطين والموحدين ، ص ١٠١ .

(٢) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٨٦ .

(٣) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٣٨ .

المتوكل عمر بن الافطس كان مثالا للاب الحنون ، ، الذي تجيش نفسه  
بالعاطفة الابوية الخالصة: فما ان رأى ولديه يقتلان امامه حتى قلم ، « عند  
صرعتهما مختبلا من لوعتهما ليصلى ، وقد افترط في ملائمة وتشطط في كلامه  
واختلط افتاحه بسلامه » (١) .

ولكن المرابطين لم يمهلوه حتى ينتهى من صلاته فبادروه بأسنتهم  
في الصلاة « وناهشوه مناهشة الطير لقتيل الفلاة ، حتى خرلا لسجود ،  
واستقلن لغير هجود . . . . » (٢) ، ثم ترك المرابطون هؤلاء القتلى الثلاثة  
في الفلاة دون ان يدفنوهم ، فصارت اجسادهم غذاء للسباع ، ودمائهم  
طعاما للتصور . وقد رثاهم ابن خلقان بقوله « فرويت الارض من دمائهم ،  
وتعطلت المخابر من أسمائهم ، وعاذ صبح ملكهم عاتما ، واقامت النجوم  
عليهم ماتما ، فخروا على الثرى بدورا ، وسعروا بالنجوى ضدورا ،  
وغدوا صرعى تسفى عليهم الشمال ، وتلتفى منهم الامال ، مجدلين على  
وجه الارض ، معفرين الى يوم الثشور والعرض ، قد توسدوا القتراب  
بدل الارائك ، وتضرجوا بالذماء بعد التضمخ بالمسك الضائك . . . » (٣) ،

وكان للمتوكل بن الافطس ولد آخر هو المنصور ، كان قد ارسله  
بكثير من الذخائر الى حصن شانجش بالقرب من حدود قشتالة ، فلما  
علم ما حل بوالده واخويه « وجه الى اذفونش باهله وماله ، ودخل -  
زعموا - في دينه ، ويصدور معه الى بلاده بعد ان ثقف الحصن برجاله ،  
وانتهى امر بني الافطس » (٤) .

وكان المنصور داهية بالامور وغاية في الذكاء ، وقد حذر والده من  
ابن الاحسن ، فقد استطاع ان يتبين اهداف ابن الاحسن منذ مجيئه الى

---

(١) ابن خاقان ، قلائد العقيان ، ص ٣٨

(٢) المصدر السابق ، ص ٣٨ .

(٣) نفسه ، ص ٣٧ .

(٤) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٨٦ .



بطليوس . » وقد رأى طريقة ابن الحسن وسعيه على أبيه وهو رجل سجلماهي فقيه ، متصرف في أمور الأمير ، استوطن بطليوس ، واكتسب فيها مالا ، يرى أن كونه في الثغر ، لما ينفع المسلمين ، وهو يعمل في خلع صاحبها . . . . » (١) . كما كان دائم النصيح لوالده عمر المتوكل لاسيما ما يتعلق بسياسته . مع ابن الحسن هذا ، فقد كان المتوكل متبعا له في هذا الرجل السجلماهي . « لو سأله روجه مالا يحل عليه ، عمل به بمقوعا لشره ، وكل شيء يحذره الانسان ويكرهه بقلبه ، ولا يكون عليه بالخيار ، فهو متورط لا محالة فيه ، فان المدارة فيه مما لاتنفع . . . . » (٢) . « فنصح الابن اباه بالآلا يحاول استمالة هذا الرجل الذي يمثل سلطان المرباطين ، وقال له « فلن تبلغ مرضاته الا بالانخلاع له ووضع البلد في يديه وتقنع بأن تكون متحريرا ، متخليا عن الرياسة ، فعاجل ذلك تجد عنده الامان » (٣) فان قبل ذلك فسوف يجد الراحة من الخطر المرباطي ، وكان الولد يعرف اباه فان المتوكل كان يرفض تسليم اموره الى ابن الحسن والى المرباطين ، لذا فقد استطرد المنصور في النصيح بأن طلب منه أن يفر الى الفونسو السادس يئتجا اليه تاركا بطليوس ، ولكن المتوكل اباه ، رفض نصيحة ولده المنصور وسفه رايه ، فلما رأى الابن ذلك نجا بماله وأهله ، وأخذ لنفسه بالراى الذى أشار به على أبيه ، وبقي الشيخ لحيته حتى نفذ أمر الله فيه . . . . » (٤) .

وهكذا نرى أن الروايات الواردة في المصادر العربية اختلفت في شأن المنصور الثانى بن عمر المتوكل بن الافطس ، فمنها ما يؤكد أن والده هو الذى قام بارساله الى حصن شانجش بماله وذخيرته (٥) ، ومنها

(١) - مذكرات الأمير عبد الله الزيرى ، ص ١٧٢

(٢) - مذكرات الأمير عبد الله الزيرى ، ص ١٧٢

(٣) - نفس المصدر ، ص ١٧٢

(٤) - نفسه ، ص ١٧٢

(٥) - ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٨٦

ما يذكر أن المنصور هو الذي فر من تلقاء نفسه إلى الفونسو السادس تاركاً بطليوس خلفه لأدراكه وتيقنه بخطورة ابن الأحسن والمرابطين <sup>(١)</sup> .

وأيا ما كان الأمر فقد انضم المنصور مع جيوش النصاري ، وشاركهم في حرب المرابطين ، وفي ذلك يقول الأمير عبد الله الزيري « ثم صار ابنه المنصور في جملة الروم حنقاً لما جرى على أبيه ، يطلب الثأر ويتطرق معهم بلاد المسلمين » <sup>(٢)</sup> .

ويرى الأمير عبد الله الزيري أن الذي دل الأمير سير بن أبي بكر على طريقة الهجوم على مملكة بطليوس هو ابن رشيق الذي كان له عليه من الأيادي الكثير من قبل فيليب ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لأنه أندلسي عالم ببواطن وخفايا الأمور والفتن ، وقد كان ابن رشيق في أسر جرور الهاشمي ، فأطلق سراحه على أن يقوم بإرشاد المرابطين على الكيفية التي يفتحون بها بطليوس وقد كان لابن رشيق دور كبير في تأليب الناس في بطليوس وثورتهم على بني الأفطس « فلما وصل : تخدم أمر بطليوس بكل وجه من المداخلة لأهل البلد ومن معه في القصة من الحرس وغيرهم حتى وقع الاتفاق على أن يطرقها ليلاً ويفتحون له الباب فكان من ذلك ما حاولوه ..... » <sup>(٣)</sup> .

وقد أذكت محنة بني الأفطس كما أذكت محنة بني عياد من قبل

---

(١) مذكرات الأمير عبد الله الزيري ، ص ١٧٣

(٢) المصدر السابق ، ص ١٧٤ ، هذا وقد ذكر ابن عذارى أن المنصور فارق أرض النصرانية في صفر عام ٥٠٥ هـ ( ١١١١ م ) ونزل بأشبيلية ومن هناك نقل إلى المغرب ليمثل في حضرة أمير المسلمين على بن يوسف حيث قربه إليه وأدناه منه ورفع منزلته ، وأصبحت له مكانة رفيعة في دولة المرابطين ( راجع ابن عذارى البيان ، ج ٤ ، ص ٥٦ ) .

(٣) مذكرات الأمير عبد الله الزيري ، ص ١٧٤

فجيلة الشعر الاندلسي ، فقام شاعر يابرة العظيم أبو محمد عبد المجيد  
ابن عبدون الذي كان وزيرا للمتوكل بن الافطس بكتابة مرثيته الشهيرة  
التي مطلعها :

الدهر يفجع بعد العير بالاثـر      فما البكاء على الاشباح والصور  
انهاك انهاك لا آلوك موعظة      عن نومة بين ناب الليث والظفر (١)

---

(١) انظر باقى القصيدة فى ابن خاقان ، القلائد ، ص ٣٩ - ٤٠ ، ومن  
الغريب ان يصفه الدكتور حسين مؤنس صاحب القصيدة ويزعم انها  
مع شهرة هذه المرثية واجماع المصادر العربية على اعتبارها من اروع  
ما قيل فى الرثاء ابرد مع الثلج . ( راجع ردى على د . مؤنس  
فى مجلة اكتوبر ١٩٨٤ ) .





### الباب الثالث

بطليرس منذ دخولها في فلك دولة المرابطين  
عام ٤٨٨ هـ ( ١٠٩٥ م ) حتى سقوطها في أيدي  
اليونيين عام ٦٢٧ هـ ( ١٢٣٠ م ) «





## الفصل الخامس

### بطليوس في عصر دولتي المرابطين والموحدين

- ( ١ ) بطليوس في عهد علي بن يوسف
- ( ٢ ) الثورة في غرب الاندلس وانهايار سلطان المرابطين
- ( ٣ ) بطليوس في عهد عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف
- ( ٤ ) بطليوس في عهد الخليفة ابي يوسف يعقوب المنصور
- ( ٥ ) بطليوس في عهد خلفاء المنصور
- ( ٦ ) سقوط بطليوس في ايدي الليونيين سنة ٦٢٧ هـ ( ١٢٣٠ م )



## الفصل الخامس

### بطليوس في عصر دولتي المرابطين والموحدين

( ١ )

#### بطليوس في عهد علي بن يوسف

##### ١ - نشاط عسكر المرابطين في الغرب :

بعد سقوط بطليوس في أيدي المرابطين ، تصمت المصادر العربية عن ذكرها في الفترة الباقية من عهد يوسف بن تاشفين ، وكل ما استطعنا ان نستنتجه من خلال دراستنا لعصر يوسف ان بطليوس أصبحت إحدى القواعد المرابطية الرئيسية في غرب الاندلس : ففي ذي الحجة من سنة ٤٩٦ هـ ( ١١٠٢ م ) . جمع يوسف بن تاشفين في قرطبة أمراء المرابطين وأشيائهم وفقهائهم لعقد البيعة لابنه علي ، فقد كان يوسف قد جاز إلى الاندلس للمرة الرابعة في أواخر هذا العام ٤٩٦ هـ ( ١١٠٢ م ) الاستئناف الجهاد ضد القشتاليين ، وقد تم لابن تاشفين ما أراد ، ووفق في أخذ بيعة أهل الاندلس بولاية العهد لابنه علي ، وكان من شروطهم أن ينشئ ابن تاشفين في الاندلس جيشا مرابطيا عدته سبعة عشر ألف فلرس ، يخصص منهم سبعة آلاف في أشبيلية ، وأربعة آلاف في شرق الاندلس وألف بقرطبة ، وألف بغرناطة ، وإلباقون يتم توزيعهم على الثغور (١) . ولما كانت بطليوس ثغرا من أهم ثغور الاسلام في الاندلس بحكم مجاورتها لدولتين مسيحيتين تزعمتا حركة الاسترداد ، ونعنى بهما مملكتي قشتالة وليون ، ثم ان بطليوس كانت مسرحا لأهم مواقع المرابطين ، ففي أنوارها دارت موقعة الزلاقة المشهورة ، وفي فحوصها أيضا دارت موقعة أخرى في عهد علي بن يوسف انتصر فيها المسلمون ، ونعتقد أنها اتخذت في عصر المرابطين قاعدة حربية لقواتهم في الغرب ، بحكم موقعها

---

(١) الحل الموشية ، ص ٨٠ .



الاستراتيجى الهام ، كانوا يحرصون على شحنها بقواتهم المحاربة فى مواجهة العدو (١) .

ثم توفى يوسف بن تاشفين فى يوم الاثنين مستهل شهر المحرم سنة خمسائة ٥٠٠ هـ (٢) ( ٢ سبتمبر سنة ١١٠٦ م ) فى مراكش ، وخلفه على اماره المرابطين ابنه ابو الحسن عثى الذى كان يوسف قد اختاره لولاية العهد من دون ابنائه جميعا ، وبالأذات ابنه أبى طاهر تميم الذى يكبر ولى العهد فى العمر (٣) . وكان قد عقد البيعة له فى الاندلس سنة ٤٩٦ هـ ( ١١٠٢ م ) وحضرها بقرطبة عبد الملك بن المستعين بن هود ، وكتب العقد الكاتب ابو بكر بن القصيرة (٤) .

وقد تعرض على بن يوسف فى بداية امارته لثورة محلية تزعمها يحيى بن أبى بكر ، وهو ابن أخى على بن يوسف فى فاس ، فبادر على بالتوجه اليها على رأس قواته ، فلما رأى يحيى قدوم عمه اليه فى فاس ، فر منها الى تلمسان حيث احتفى بحاكمها الامير مزدلى الذى شفع له

---

(١) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٧٢ .  
(٢) يخطىء عبد الواحد المراكشى فى تاريخ وفاته فيجعله سنة ٤٩٣ هـ ( ١٠٩٩ م ) بدلا من ٥٠٠ هـ ( ١١٠٦ م ) ( راجع عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٧٠ ) .

(٣) الحلل الموشية ، ص ٧٧ . والظاهر ان يوسف كان يفضل على سائر بنيه ، لما كان يفضلهم باتزان تفكيره وحسن تدبيره ، رغم كونه أصغر من أخيه تميم سنا ، وفى ذلك يقول أحد شعراء الاندلس معبرا عن فضائله :

وان كان فى الاسنان يحسب ثانيا \* على ففى العليا . يحسب أولا  
كذلكم الايدى سواء بنانها \* وتختص فيهن الخناصر بالاجلا  
( الحلل الموشية ، ص ٧٨ ) .

(٤) ابن عذارى ، البيان ، ج ٣ ، ص ٤٣ ، وورد فى الحلل ان الذى كتب نص البيعة الوزير الفقيه ابو محمد بن عبد الغفور ، وقد سجل صاحب الحلل نص العهد كاملا ( راجع الحلل الموشية ، ص ٧٨ ، ٧٩ ) .

عند على بن يوسف ، وانتهى الامر بأن عفا الأمير على عنه ، فجاء الى مراكش ليعيش بها ثم عاد من جديد يسعى لثورة جديدة ، فامر عمه الأمير على بن يوسف بالقبض عليه ونفيه الى الجزيرة الخضراء حيث اعتقل الى أن توفى (١) .

ثم جاز جوازه الاول الى الاندلس في منتصف عام ٥٠٠هـ (١١٠٧م) (٢) لبيايحه زعماء الاندلس وفقهاؤها وقضاتها وشعراؤها ، وادباؤها ، وفي ذات الوقت كان على بن يوسف يرغب في تعديل بعض النظم الادارية في الاندلس ، فقام بعزل اخيه ابي طاهر تميم عن ولاية المغرب . وولاه على غرناطة بالاندلس ، ونصبه قائدا اعلى للجيش المرابطية فيما وراء البحر . ووضع على ولاية المغرب ابا عبد الله محمد بن الحاج ، ولم يلبث أن عزله عن منصبه هذا بعد ستة اشهر ، وولاه على بلنسية وشرقي الاندلس . اما قرطبة فقد جعل على ولايتها ابا عبد الله محمد بن ابي بكر اللمتوني (٣) . ثم قفل عائدا الى المغرب ، ومن هناك ارسل الى اخيه تميم قائد الجيش المرابطية في الاندلس يأمره ببدء الجهاد ضد النصارى في الاندلس ، بينما تخلف على بن يوسف في المغرب ، ولم ينتقل الى الاندلس للمرة الثانية الا في عام ٥٠٣هـ (١١١٠م) (٤) . ويرجع السبب في صدور الامر من مراكش الى قادة المرابطين بالاندلس بالجهاد الى اقدام الفونسو السادس على مهاجمة احوار اشبيلية وعيته فسادا فيها بمجرد سماعه نبأ وفاة يوسف بن تاشفين عام ٥٠٠هـ (١١٠٦م) ، فخرج سير بن ابي بكر ، حاكم اشبيلية ، ومعه قوات غرناطة بقيادة ابي عبد الله بن الحاج لطاردة القشتاليين ، ثم اتجهت قوات المسلمين لمهاجمة وغزو النصارى في عقردارهم ، وانضمت

---

(١) ابن ابي زرع ، روى القرطاس ، ص ١٠٣ .

(٢) الحلل الموشية ، ص ٨٥ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٤ ، ص ٤٩ - ٥٠ .

(٤) الحلل الموشية ، ص ٨٥ .

اليهم ، في تلك الاثناء حشود من مرسية بقيادة ابي عبد الله محمد بن عائشة ، وقوات من بلنسية بقيادة محمد بن فاطمة ، واتجهوا جميعها الى اقليش. احصن معلق كورة شنتبرية (١) التي سيعان ما سقطت في ايدي المرابطين في اليوم التالي وهو يوم الخميس ١٥ شوال (٢٨ مايو) والتجأ النصارى الى قسبة اقليش العليا ، فامتنعوا بها في انتظار مساعدة مواطنيهم بينما حاضرتهم قوات المرابطين مجتمعة ، وكان الفونسو السادس في تلك الاونة ، قد هدمه المرض ، واعياه الضعف والوهن ، فأرسل حملة قوية بقيادة ولى عهدة شائجة ومؤدبه غرشيبة اردونيث Garcia Ordoñez ، ويعرف بالقلم المعوج ، والتبار هانس ، ولا يهمننا في هذا المجال الحديث عن تفاصيل موقعة اقليش ، وكل ما يهمننا أن نعرفه

(١) اقليش : Uclés ، لقد قلم اويثى ميراندا بكتابة بحث مفصل عن هذه الموقعة في كتابه سالف الذكر ، ثم ترجم ذلك البحث الى العربية ونشر تحت عنوان « وقعة اقليش ومصرع الأمير شائجة » ، صدر في مجلة تظوان سنة ١٩٥٧ (العدد الثاني ، ص ١١٥ - ١٣٠) وقد اعتمد اويثى ميراندا في هذه البحث على نص ابن القطائين ( نظم الجمان ، ص ٥ - ١٠ ) وعلى رسالة تميم التي وجهها اليه اخيه علي يشره بهذا الفتح ، وعلى نص مخطوط من كتاب البيان المغرب ( مخطوط تامجروت ) ، وقد عرفت الحميري اقليش بقوله « مدينة لها حصن في شغل الاندلس وهي قلعة كورة شنتبرية ، وهي محدثة بناها الفتح بن موسى بن زياد النون ، وفيها كانت ثورته وظهره في سنة ١٦٠ هـ ، ثم اختار اقليش دارا وقرارا فبناها ومدنها ، وهي على نهر منبعث من عين عالية على رأس المدينة فيعم جميعها ، ومنه ماء خمامها ، ومن الخجائب ، البلاط الأوسط من مسجد جامع اقليش ، فان طول كل جائزة من جوائزه مائة شبر » ( انظر الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ٢٨ ) . ويرفض الاستاذ محمد عبد الله عنان رأي الحميري القائل بأن من بناها كان الفتح بن موسى بن زياد النون لان ثورة الفتح حدثت في مستهل عهد الناصر بعد سنة ٣٠٠ هـ ( ٩١٢ م ) ( انظر محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٦١ ) ، ويرفض الدكتور محمود مكي رأي عنان ويؤكد استنادا الى المقتبس أن الفتح هو الذي ابثنى حصن اقليش ( ابن حيان ، المقتبس ، ص ٢٧ ) .



إننا نقدر المرابطين على أعدائهم النصاري في تلك الموقعة كان عظيما ،  
وهو التقدير يذكروا يوم التلافة ، وتعرف هذه الواقعة في الروايات  
بالتجربة بلانم : «موقعة القوامين السبعة» ، نسبة إلى سبعة قوامين ،  
كافوان بن إبلشية ، وأبو عهد : شاتجة (١) ، ابن الفونسو السادس من  
زوجته زائدة المسلمة ، وعندما سقط شاتجة الصغير صريحا ومعه مؤدبه  
غومية : أودونيش ، جاول : هؤلاء القوامين السبعة الفرار إلى حصن بلشون  
Belinchon ، بالقرب من بلشون ، جماعة من فرسان المرابطين تمكنوا من  
الغلق عليهم وإبادتهم ، عن آخرهم (٢) .

ثم جاز على بن يوسف للمرة الثانية ، وكان ذلك عام ١٠٣ هـ  
( ١٠٩١ م ) . « برسم الجهاد ، ونصر الملة ، وإعزاز الكلمة » (٣) .  
وبدا سلسلة حروبه للجهاد بطليطلة حيث نزلوا على بابها ، وأخذت

(١) شاتجة Sancho ، كان يبلغ من العمر في تلك الموقعة نحو  
خمس عشرة عاما ويذكر ابن أبي زرع في ( روض القرطاس ، ص  
١٠٤ ) أن زوجة الفونسو هي التي أشارت عليه أن يرسل ولده  
شاتجة على رأس الجيش نحيي غلتم بأن تميم بن يوسف بن  
تاشفين ، هو قائد الجيش الإسلامي ، « فيكون مقابلا لتميم بن يوسف  
ابن ملك المسلمين ، وشاتجة ابن ملك الروم » ، وكان شاتجة هو ابن  
الفونسو السادس من زوجته المسلمة زائدة ، وواضح أن رواية روض  
القرطاس خيالية ، فلم تكن تميم ابنا لعل بن يوسف وإنما أخاه ،  
ثم أن الفونسو كان يجتاز السنة الأخيرة من عمره وقد أصابه المرض  
والوهن .

(٢) انظر الروايات المختلفة في : ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص  
١٠٤ ، ابن القطان ، نظم الجمان ، تحقيق د . محمود علي مكي ،  
قطوان ، ص ٥ - ٦ .

Huici Miranda, Las Grandes batallas de la reconquista, p. 118-  
119 : Primera Crónica General de España, (Ed. M. Pidal) parte  
II, p. 554 - 556.

(٣) التحليل المؤشحة ، ص ٨٥

جيوش المرابطين تعيثُ فسادا في نواحي طليطلة ويغنم استولوا على  
 طليطلة (١) Talavera وقنالش Canales ومجريط Madrid ووادى  
 البحارة Guadalajara ، وبعدها عادوا إلى طليطلة فحاصرونها ، ولكن  
 على بن يوسف لم يتمكن من اقتناحها بعد أن طال بخصار المرابطين لها ،  
 وتغشى بينهم الوباء ، فعاد إلى مراكش ، وعلى الرغم من رعيته إلى  
 المغرب ، فقد واصل المرابطون غزوهم لبلاد النصارى ، واشتد عيبتهم في  
 أراضيهم ، وفي نفس الوقت الذي كانت فيه جيوش المرابطين تحتل أنشوار  
 طليطلة ، كان سير بن أبى بكر يتجه بقواته صوب البرتغال في الغرب (٢) ،  
 وكانت مملكة مسيحية ناشئة ، أميرها هنري البرجوني زوج تيريسا بنت  
 ألفونسو السادس غير الشرعية ، وكانت قاعدة هذه المملكة البرتغالية  
 الصغيرة مدينة قلمزية Coimbra التي كانت قد سقطت في أيدي  
 الليونيين أيام المظفر ابن الأفطس في سنة ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٣ م ) وكانت  
 تضم بعض ولايات الغرب التي كانت تابعة لمملكة بنى الأفطس من قبل ،  
 وكنا قد ذكرنا أن المتوكل عمر بن الأفطس كان قد تنازل لألفونسو السادس  
 عن أشبونة Lisboa وشيترين Santarem وشنترية Cintra .

وفي خروج سير بن أبى بكر نحو الغرب يقول ابن أبي زرع : « وفي  
 سنة أربع وخمسين مائة فتح الأمير سير بن أبى بكر سنترين ( شيترين ) ،  
 وبطلوشين ، وبرتغال وياقوزة ( يقصد يابرة Evora ) والأشبونة وجميع  
 بلاد الغرب ، وذلك في شهر ذي القعدة منها » (٣) .

(١) عن غزوة طليطلة ، انظر : ابن القطان ، قطعة من نظم الجمان ،

ص ١٤٠ ، ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ١٨٦ .

(٢) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٥ .

ويؤكد هذا النص الوارد بالمتن أن سقوط يابرة تم على يد سير

ويتشكك الأستاذ محمد عبد الله عنان في صحة هذا النص ، لان بطليوس كانت ماتزال في بجوزة المراتطين منذ أن دخلوها يحنوة في سنة ٨٨٨ هـ ( ١٠٩٥ م ) .

ولو أن شكوك الأستاذ عنان كانت في موضعها ، فإن ظهور اسم بطليوس في هذا النص يتهض بليلا على أن بطليوس كانت منطلقا لغزوات المراتطين في غرب الاندلس وقاعدة عسكرية لهم : منها كانوا يخرجون لقتال العدو ، واليهاء يعودون بعد تحقيق اهدافهم . ونخلص من ذلك بان الأستاذ عنان يرى أن وجود اسم بطليوس بين اسماء المدن التي استولى عليها سيز بن أبي بكر في هذه الفترة ( ٥٠٤ هـ ) ( ١١١٠ م ) رغم بقائها في أيدي المراتطين منذ سنة ٤٨٨ هـ ( ١٠٩٥ م ) هو مجرد تحريف في نص ابن أبي زرع ، ونعتقد أن ما أراد أن يعنيه من هذا النص أن سيز بن أبي بكر أمير اشبيلية خرج الى بطليوس قاعدة المراتطين في الغرب والشرقي للاندلس ، ومنها زحف الى يابرة التي كانت قد سقطت بالفعل في أيدي القشتاليين منذ فترة طويلة ، ثم اتجه بغد سقوط يابرة في أيدي قواته الى الاشبونة وصاحبيتها شنترة ، ونجح الى استرجادها : فهما للمدينتان اللتان كان عمر المتوكل ابن الأفطس قد سلمهما مع شنترين الى الفونسو التمامن لقاء مساعداته له ضد المراتطين .

وبالرجوع الى كتاب تاريخ بطليوس الاسلامية للمؤرخ الاشباني مارتينث اي مارتينث Martinez y Martínez نجد تحليلا آخر - يستند فيه على الرواية المسيحية - يلقي مزيدا من الضوء على نص ابن أبي زرع سالف الذكر الذي تشكك الأستاذ عنان في صحته ، ورجح أن

بن أبي بكر في عام ٥٠٤ هـ ( ١١١٠ م ) أثناء حملته القوية التي قاذها ضد بلاد النصارى ، وليس في عام ٤٨٨ هـ ( ١٠٩٥ م ) كما يزعم اشباخ .



سيكون، هذا، المؤرخ قدسوق في منخطها التجويف: مدوقنسيها، ميزانتيشيم بعرض  
 من المخلية النسيانية هذه، الفقرة الحقيقية، تايمنح: بالغزينة الانتطقي: بميفاضد  
 مصرع الامير شانجة ابن الفونسو السادس من زائدة المسطمة: في هوقعة  
 اقليش Uclés ، انهار والده - الفونسو السادس - الذي كان قد شاخ  
 وهرم، معه يقوى حتى شعلن الخروج، وتاميليشنا: استوفى في عام  
 ١١٠٢ م. (٩٠٠ هـ) وتخلقه، على العرش، ابنته الكبرى، غوتيا، ابنة Urraca  
 وكنيتها: زوجة لاريمون: البورجونيس طفيرة نونية مستفودة: رينمايلقولي: جت  
 نابغق: الارغوى: قيريس: ... Teresa: من هيروى: اليوس: فوني: الذي: اقوة: تفلع  
 ريمون: من: قريسا: (١٠٠٠) ، كليل: غنا: بم: في: في: العام: الذي: لجاز: غقيه: على: بين  
 يوسف، جواز: الثاني: الى: المختار: عبر: هم: المجهل: ، والفي: تمكين: جليل: من  
 الاستيلاء على طابيرة ، وحضار: معصون: ما: قليم: بطليم: (١١٠٠) ، وكان: في: طابيرة  
 السادس: قدم: سلم: الاثيون: او: مختون: توفترة: الى: صهار: ريمون: واليوس: فوني  
 زيبعب: انه: انتوعها: موبغمو: المتوكل: بن: الحفاس: (١٠٠٠) ، ثم: التي: يعيد: وفنة  
 ريمون: هذه: الى: هري: غليور: فوني: الذي: ملك: اديف: اني: غوقلة: جميعها: الملك  
 الفونسو: السادس: نجى: واعتبر: نفسه: مستقلا: بطابيرة: غليور: ، غليور: انتوع: فونية  
 الا: خطر: ابنت: العتيف: التي: توفترة: في: ملك: قشتالة: غليور: ، عقب: لعل: وغي  
 اراكي: العرش: من: غوته: ، وانفال: ليل: اقليش: القفاح: عن: القفحة: البر: الخلية  
 نتيجة: ، توكيز: هم: الترمي: على: طليم: (١١٠٠) ، وليم: في: ، وليم: بتوجيه: بعض  
 الحملات: على: بلاد: المسلمين: في: الغرب ، وتمكن: في: تلك: الحملات: من  
 الاستيلاء على: نيا: في: طليم: ، وقوة: الجلاح: (١١٠٠) ، وليم: في: ، سير: بن

**Martínez y Martínez, Historia de Badajoz, pp. 183, 184.**

Codera, Decadenica y desaparición de los Almorávides en España, p. 11 233.

Martínez y Martínez, op. cit., p. 184.

**Ibid.**, p. 184.

أبى بكر بن خلفه خضطر إلى توجية حملة مرابطية إلى المغرب لوضع بعض  
لتطلعات هنري الثورخوفن وأهدافاته المخطيرة ، وقاد سير هذه الحملة  
بنفسه ، وتمكن في هذه السنة من استرجاع بطليوس ويابرة والاشبونة  
والغزيرة وستين ، ونهضة يكون ما ورد في نص ابن أبي زرع ضحيفا ،  
ويمكننا أن نستقبل بعد أن أتضح لنا أن هنري هذا - صاحب قلقرية -  
استطاع فيما بين أواخر عام ١٠٥٢ هـ ( ١١٠٨ م ) ونهاية عام ١٠٥٣ هـ  
( ١٠٩٩ م ) انتزاع بطليوس ويابرة من أيدي المرابطين .

ويرجح مارتينيث سقوط قلعة قورية Coria في البلدة Albelda  
في يد سير بن أبي بكر في حملته لاسترداد بطليوس ويابرة الوارد خبره  
في نص ابن زرع . وكانت قورية قد سقطت في يد الفونسو السادس في  
عام ١٠٧٢ هـ ( ١٠٧٩ م ) . كما سبق أن ذكرنا ، ومن الجدير بالذكر أن  
المدونة المسيحية التي اعتمد عليها مارتينيث في ذلك ، وورد فيها هذا  
الخبر عن سقوط القلعتين المشار إليهما ، وهي مدونة الإمبراطور الفونسو  
(Cronicon Adefonsi Imper.) لم تذكر سوى أن عددا من النصارى  
سلموا قورية للمسلمين وأن المرابطين استولوا على البلدة ، ثم شحفوا  
الدينيين بعسكر من الرجال والفرسان الذين كانوا يغيرون يوميا على كل  
أشبرا مادورا حتى نهر دويره ، وقد عمل مارتينيث على توضيح ما ورد  
في هذه المدونة من وجهة نظره ، فذكر أن تسليم قورية للمسلمين إنما يتم  
بسبب خيانة ، ولهذا لا يمكن أن نعتبره فتحا عسكريا بمعنى الكلمة .  
ولهذا السبب فإنه يذكر في كتابه « أنها سلمت بفضل سفلة من القوم  
يسمونهم مسيحيين وليسوا كذلك » (١) . وبطبيعة الحال فإن هذا  
الأسلوب الذي يتحدث به مارتينيث أن دل على شيء فأنما يدل على تعصب

بعض مؤرخي الغرب الاورولي عند تعرضهم لانتصارات المسلمين ،  
وهدفهم هو تجريد الاسلام من امجاده وبطولات ابطاله .

اتجه سير بن أبي بكر بعد ذلك الى شنترين ، وقد وصلتنا تفاصيل  
استيلائه على هذه المدينة في الرسالة (١) التي كتبها له وزيره الاجل  
أبو محمد عبد المجيد بن عيدون . وكان يكتب للمرابطين بعد سقيوط  
دولة بنى الافطس الى أبي علي بن يوسف أمير المرابطين ، وقد أورد سير  
في هذه الرسالة أهمية مدينة شنترين ومدى حصانة قلعتها ، وفي ذلك  
يقول : « وكانت قلعة شنترين - ادام الله امر أمير المسلمين - من أحصن  
المعاقل للمشركين ، واثبت المعقل على المسلمين ، فلم تزل تستعيك الذي  
اقتفيناها ، وهديك الذي اكتفيناها ، تحصد شوكتها ، ونحت الثلثا ،  
وتتناولها علا بعد نهل ، وهذه القلعة التي انتهينا التي قرارها ،  
واستولينا على أقطارها ، أرغب المدن أمدا للعيون ، وأخصبها بلدا في  
السنين ، لا يزيما الخضب ولا يخطاها ، ولا يرومها الجذب ولا يغاطاها ،  
فروعها فوق الثريا شامخة ، وعروقها تحت الثرى راسخة . . . فأمكننا  
الله تعالى من ذروتها ، وأنزل ركبنا لنا عن صهوتها (٢) » . ويوضح  
سير في هذه الرسالة مدى أهمية شنترين من الوجهة الاقتصادية ، ويشيد  
بخصوبة تربتها . ويبدو أن سير لم يتمكن من افتتاح مدينة قلمازية في  
خفلة السابقة على الغرب في سنة ٥٠٣ هـ ( ١٠٠٩ م ) بل أن الأستاذ عنان  
يرفض الاخذ برواية ابن أبي زرع التي تؤكد أن سير بن أبي بكر افتتح  
بطلپوس ويزقال (٣) ، وقد أوضحنا سبب رفضه لهذه الرواية لاسيما

(١) انظر نص الرسالة في : عبد الواحد المراكشي ، المعجب في تلخيص  
اخبار المغرب ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .

(٣) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٥ .



ما يتعلق بفتح بظليومس . أما برتقال ، فيستبعد قيام المرابطين بافتتاحها ويعبر عن ذلك بقوله : « وبرتقال وهي تعنى في الجغرافية الاندلسية ثغر بورتو . Porto . فهي تقع في اقصى شمال البرتغال ، وفي شمال قلمرية ، ومن ثم فان المرابطين لم يصلوا في زحفهم اليها ولم يفتحوها . » (١) . واذا ما كان الامر فقد جاز على بن يوسف الى الاندلس للمرة الثالثة لهذا السبب في عام ٥١١ هـ ( ١١١٧ م ) وتقدم على رأس قواته بهدف فتح مدينة قلمرية قاعدة مملكة البرتغال الناشئة ، « ودوخ بلاد الشراك بخيوش لا تحصى ، وكان اثره بها عظيما » (٢) . ويؤرخ ابن عذارى اخبار هذه الغزوة ببعض التفصيل ، فيذكر ان الأمير على بن يوسف تحرك من مراكش وجاز الزقاق في الايام الاخيرة من شهر المحرم من عام ٥١١ هـ ( ١١١٧ م ) ، واتجه بقواته الى مدينة اشبيلية حيث اقام فترة وجيزة الى ان انتظمت قواته ، واستوفت ترتيب صفوفها ، « وتاهبت العساكر الاندلسية ، ولحقت من قرطبة لمة من الفقهاء والعلماء ، وليف من المجاهدين الزعماء ، خيلا ورجلا ، وتاهب فقهاء اشبيلية وعجاهدوها ، واستوفت منطوعة غرناطة ومرتبوها . » (٣) . ثم تحرك على بن يوسف مع كل هذه القوات من اشبيلية الى قلمرية ، واستفدت قيادة بخيوش المرابطين الى قائدين من اعظم قادة المرابطين واقدرهم على القتال : اخذهما عبد الله ابن قاطمة ، والاخر المنصور ابن المشوكل بن الأفطس الذي كان قد حظى بعفو الأمير بعد رجوعه الى الحق واظهار توبته ، ودخل في خدمة المرابطين ، فعلت مكانته ، وارتفعت منزلته الى حد ان على بن يوسف جعله احد قادته الموثوق بهم ،

(١) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٧٠ .

(٢) ابن سمالك ، كتاب الحل الموشية ، ص ٨٦ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، المغرب ، ج ٤ ، ( طبع احسان عباس )

ونسندنا إليه بقطادة نقوة من جيتش المراتيق بالوجهة الغفولة قلمريتنا (١) « . »

حاصرت قوات المراتيق مدينة قلمرية مدة عشرين يوما ، وضيقته عليها ، ولكنها لم تتمكن من فتحها ، فأنصرفت بعد ذلك إلى اشبيلية . وإن كان كل من ابن فاطمة وابن الافطيس قد تمكن من التوغل في بلاد الاعداء . وفي ذلك يقول ابن عذارى : « ومضى عبيد الله ابن فاطمة وابن الافطيس فقايلاروا ما في بلاد الروم ، ثم هذا إلى اشبيلية . » (٢) . مثقلين بالغنائم العظيمة ، وعبيد كبير من الاسرى ، ويؤكد صاحب الحلل الموشية سقوط قلمرية في يد علي بن يوسف في هذه الغزوة (٣) ، ويؤكد ذلك يؤكد ابن أبي زرع في روض القرطاس ، وقد أخطأ في اسم قلمرية فجعله سنيرية ، كما أخطأ في تحديد تاريخ حواره علي بن يوسف فجعله عام ٥١٣ هـ ( ١١١٩ م ) بدل من ٥١٠ هـ ( ١١١٧ م ) . فيقول ابن أبي زرع : « فجار معه خلق كثير من المراتيق والطوعة من العوب » ، وزيادته ، والبصامدة ، وسائر قبائل اليرموك . ثم أرقحل إلى مدينة سينية فميزان ظليها حتى فتحها عنوة . » (٤) ، ولكن يرجعنا إلى نصنا المتبع عذارى ، سالف الذكر وإلى المصادر المسيحية الاسبانية يتضح لنا أن علي بن يوسف لم يتمكن من فتح قلمرية ، (٥) ومع ذلك فربما يكون قد أفتتحها وبقيل لرواية ابن أبي زرع وصاحب الحلل الموشية ولكنه لم يحتفظ بها لمدة طويلة أو احتفظ بها لأيام قليلة ، ثم أنصرفت بعد ذلك إلى اشبيلية .

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، ج ٤ ، ص ٦٤ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٦٤ .

(٣) الحلل الموشية ، ص ٨٦ .

(٤) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٧ .

(٥) ابن عذارى ، البيان ، ج ٤ ، ص ٦٤ .

ويحكى تفسير سبب راحة على الاستيلاء عليها بعد هذه عن بلاد المجلدين  
ووقوعها في قلب بلاد البرتغال (١٠٠٠ م).

عاش علي بن يوسف إلى مراكش بعد هذه الأحداث ، حيث أقام  
تحت من أربعة أعوام ، ثم حارب إلى الأندلس للمرة الثالثة في عام ١١٢٥ هـ  
( ١١٢١ م ) بهدف النظر في الفتنة القرطبية على الحكم المرابطي  
وتضمنت جميع المصادر العربية عن أخبار بطليوس في هذه الفترة  
بامتياز فترة ولاية الأمير تاشفين بن علي بن يوسف على الأندلس (١١٢٠ م)  
التي أصبح لبطليوس خلالها شأن كبير .

ب . نشاط تاشفين بن علي بن يوسف المغربي في أخبار بطليوس والغرب :

في عام ٥٢٠ هـ ( ١١٢٦ م ) قام الأمير تاشفين بن علي بغزو طليطلة  
« فدخل حصنا من حصونها بالسيف ، وهتك أحوازها وفيها ، أعنى  
سنة عشرين المذكورة ، هزم الأمير تاشفين النصارى بفحص الصبات  
وقتلهم قتلًا ذريعًا ، وفتح ثلاثين حصنًا من حصون بلاد الغرب ، وكتبه  
سنة ٥٢٠ هـ » .

(١) محمد عبد الله عثمان ، عصر المرابطين ، ص ٨١ .  
(٢) هناك اختلاف كبير في المصادر العربية حول السنة التي تولى فيها  
تاشفين أمور الأندلس ، فابن أبي زرع يذكر أنه تولى الأندلس في  
عام ٥٢٠ هـ ( ١١٢٦ م ) عقب وفاة عمه أبي الطاهر تميم ( روض  
القرطاب ، ص ١٠٦ ) ، أما ابن الخطيب فيذكر أن ذلك حدث  
في أواخر عام ٥٢٢ هـ ( ١١٢٨ م ) ولولا علم عام ٥٢٣ هـ ( انظر  
الاحتاطة في أخبار غرناطة ، القاهرة ١٩٧٣ ، ج ١ ، ص ٤٤٦ ) . أما  
ابن خلدون فيجعل توليه شؤون الأندلس في عام ٥٢٦ هـ ( ١١٣١ م )  
( ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ١ ، ص ١٨٦ ) ويؤكد ابن عذاري  
أن تاشفين تولى شؤون الأندلس في عام ٥٢٢ هـ ( ١١٢٨ م ) ( البيان  
للغريب ، ج ٢ ، ص ٢٧٤ ) ونحن نقول إلى الآن بذلك التاريخ  
الآخر استنادًا إلى خبر ساقه ابن عذاري عرضًا ذكر فيه أن علي  
بن يوسف ولي تاشفين الأندلس في نفس عام ٥٢٢ هـ الذي عقد



بافتح الى ابيه: . . . » (١) . وتستنتج من هذا النص، ان غريبة الاندلس كانت مجالا لغزوات الامير تاشفين منذ حلوله بالاندلس ، وفي تفين الوقت نستدل من النص على ان بطليوس التي كانت من مراكز غرب الاندلس ، قد تعرضت بالتالي للخطر القشتالي والبرتغالي، او كانت مهددة بالغزو من حين لآخر ، فكانت احوازها ، مجالا للصراع المراتبي القشتالي، ولهذا نستنتج ان بطليوس في هذه الفترة من حكم علي بن يوسف لم تكن في وضع حربي آمن ، فهي شأنها شأن بلاد غرب الاندلس ، كانت منطقة ممر وجزر بحكم كونها بغرا . ويؤكد هذا الاستنتاج الأحداث التالية التي تعرضت لها بلاد غرب الاندلس ، في عهد علي بن يوسف وابنه تاشفين ففي عام ٥٢٢ هـ ( ١١٢٨ م ) قام القشتاليون بغزو منطقة الغرب ، ووصلوا بقواتهم حتى مدينة قلعة رباح . فقام تاشفين بقتالهم ، فانتهوا عن غزائهم الى قشتالة مرة ثانية ( ٢ ) .

فيه لسير بن علي بولاية العهد . ( ابن عذاري ، المصدر السابق . ص ٧٨ ) . يضاف الى ذلك ان تاشفين كان موجودا في الاندلس في تلك السنة ، فقد اشترك فيها بالقشتاليين على مقرية من قلعة رباح ( انظر محمد عبد الله عنان ، عصر المراتبين ، ص ١٣٢ ) وعلى اى الحالات فانه نرى زاي الأستاذ عنان الذي يذهب الى ان تاشفين عبر الى الاندلس منذ عام ٥٢٠ هـ ( ١١٢٦ م ) كما ذكره ابن ابي زرع في روض القرطاس ( ص ١٠٧ ) ، وانه غزا في اراضي طليطلة في هذا العام ، ثم سار الى غرب الاندلس فيما بعد ، وقايل المسيحيين في منطقة تعرف بقحص الضباب وانتمر عليهم ، وربما يكون قحص الضباب المذكور هو نفس قحص الزلاقة الذي ورد ذكره في الحلل المؤشنة على انه كان مسرحا للقتال بين قوات تاشفين وبين قوات المسيحيين ، ولم يحدد صاحب الحلل تاريخ هذه المعركة ( الحلل ، ص ١٢٢ ) .

( ١ ) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٧ .

( ٢ ) محمد عبد الله عنان ، عصر المراتبين ، ص ١٣٣ .

وفي عام ٥٢٥هـ ( ١١٣٠م / ١١٣١م ) اغار القشتاليون على حصن ارنيط ، الواقع في الثغر الاعلى ، فتوجه اليهم المرابطون ، وتمكنوا من وضع حد لهذه الاغارات التي كانت تعيثُ فسادا في اراضي المسلمين (١) ويتوضح لنا قدا الغزو القشتالي لحصن ارنيط (٢) ، ان النصارى كانوا يركزون غاراتهم على المناطق الثغرية فما يؤكد لذينا ضرورة تعرض بطليوس اجدي القواعد الثغرية الهامة في غرب الاندلس للخطر المسيحي في تلك الاونة شأنها شأن سائر مناطق الثغور .

وفي منتصف رجب عام ٥٢٦هـ ( اول يونيو ١١٣٢م ) اختارت التجيوش القشتالية بقيادة القومس رودريجو جنثالث Rodrigo González قائد جيوش طليطلة والغرب على اشبيلية متحذرين الى الشرق ، وقد قتل في هذه الغارة عدد كبير من المسلمين (٣) ، فلما علم الامير تاشفين بهذا الخطر القشتالي الذي كان قد اقترب من اشبيلية ذاتها وتسبب في قتل اعداد كبيرة من المسلمين ، خرج على رأس قواته تجاه اشبيلية ، واشتبك مع خيل النصارى وطاردهم « ثم رجع النصارى دمرهم الله تعالى ، التي بلادهم بعد نهاية عظيمة في المسلمين » (٤)

(١) ابن عذاري ، البيان ، ج ٤ ، ص ٨٤ .

(٢) حصن ارنيط عرفه الحميري بقوله « مدينة بالاندلس ، اولى بيئها وبين تطيلة ثلاثون ميلا ، وحواليها بطاح طيبة المزارع ، وهي قلعة عظيمة منيعة من اجل القلاع ، وفيها بئر عذبة ... وهذه القلعة مطلة على ارض العدو وبينها وبين تطيلة ثلاثون ميلا ... » ( انظر الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٤٠ )

(٣) راجع التفاصيل في

A. Huici Miranda, Contribución al estudio de la dinastía almorávide: el gobierno de Tāsfīn ben Ali Ben Yusuf, en el - Andalus, p. 612.

(٤) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ١٩٧ ، وانظر هامش ٤ ، ص ١٩٨ وهامش ١ .

وتشير المصلحون العربية إلى أن قوات النصارى هاجمت يابرة في نفس عام ٥٢٦ هـ. (١١٣١ - ١١٣٢ م.) ، فتصدى لها تاشفين وهو بعد وال على غرناطة، وخرج معه ابن قنونة وإلى قوطية إلى الغرب <sup>Algarve</sup> حيث التقى بالقوات القشتالية التي هاجمت يابرة. وأجواز بطليوس « فالتقوا معهم ، فهزمهم النصارى ، وقتلهم وانقذوا الغنيمة » (١).

ويستوق صاحب الحلل زواية مختلفة عن عزوة تاشفين هذه جاء فيها أن الأمير تاشفين اتصل به أن عظماء « الزوم ورعماهم ثألف لهم جيش يحتوى على آلاف من إيجاد رجالهم ومشاهير إيطاليهم ، وقصدوا ناحية بطليوس ، فجلسوا خلالها ، ودوخوا أرضها ، فزحف إليهم ، وتلاقى معهم بمقربة الزلاقة ، فلما ترامى الجمعان اضطربت المقاتلة ، وتراكمت المراكيب ، فاتخذت مصافها ، ولزمت الرجال مواكزهم فكان في القلب مع الأمير تاشفين للرايطون وأصحاب الطباعات ، تتقدمهم البندوب البيض البلسقات المكتوبة بالآيات ، وفي الجانبين كفاة الدولة وحماة الدعوة من إيطال الأندلس ، تتقدمهم حمير الرايات ، بالصيور الهائلة وفي الجناحين أهل الثغور وذوو الجلاذم والبصير ، وفي المقدمة مشاهير الزنقة ، ولفيف الحشم أهل العزائم الماضية والبصائر الثابتة بالرايات المطيفة والاعلام المنيفة ، فالتقى الجمعان ، واشتد الضرب والطعن ، فولى الكفرة الدبار ، وأمعنوا في الفرار ، فتبعهم المسلمون ، يقتلون ويسللون ، وصعد تاشفين إلى قوطية عن زوايا ظافوا (٢).

أما ابن الخطيب فيذكر أن وخبر هزيمة المخلصين في المصطبة عوالتشهاد عدد كبير منهم سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م.) ، بلغ الأمير تاشفين « فطوى

(١) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٩٨ .  
(٢) الحلل الموشية ، ص ١٢١ ، ١٢٢ .



المراحل ، ودخل اشبيلية ، وقد أسرها ، واستولت بآلاتها ، وكثر بها  
التأديب والتكامل فاحذ الخفاف العدو ، وقد قصد ناحية بطليوس وباجنة  
ويابرة في ألف غديدة من أنجاد الرجال ومشهور الأبطال ، قرش بجولا  
عهدا بالروع ، فظفر بما لا يخصيه أحد ولا يقع عليه عدد ، واثنى على  
رسله انتقل الشقة ، وأفضى به الأعداء التي فلاة بقرب الرلاقة ، وهو  
المهيع الذي يضطر العدو اليه ، ولم يكن إلا كلا ولا ، حتى أقبلت للطلاع  
منذرة بأقبات العدو ، والعزيمة على يده قد ملأت الأرض ، فلما تواخى  
الجمعان ، واضطربت المحلات وزابت المراكب لتخفت مصافها ، (١) .

بأول واضح أن نصرة الخلل بمقتضى من نص ابن الخطيب .

ويتمما جعل ابن الخطيب هذه الغزوة سنة ٥٢٦ هـ ( ١١٣٢ م )  
يحددها صاحب الحل سنة ٥٢٨ هـ ( ١١٣٣ م ) أما ابن عذاري ،  
فيؤرخ لخروج تاشفين على رأس قواته إلى بطليوس سنة ٥٢٨ هـ  
( ١١٣٣ م ) ( ٢ ) .

ويكتفى ابن القطان بذكر تلك الأحداث بين تاشفين وبين القشتاليين  
في أخبار ذلك العام ، وقد أخذ الأستاذ محمد عبد الله عنان بروايته  
هذه ، فهو يرى أن تاشفين بعد هزيمته للقشتاليين في يابرة وأنقاده  
الغنائم والامبري ليث حتى عام ٥٢٨ هـ ( ١١٣٣ م ) إلى أن تجددت  
الحروب بينه وبين القشتاليين في منطقة الغرب وقد أخذ في تحديده  
لتاريخ المعركة برواية صاحب الحل الموشية .

١١٣٢ - ١١٣٣ هـ

(١) ابن الخطيب ، الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق الأستاذ عنان ،  
ج ٢ ، ص ٤٥٢ . وهذا النص مليء بالتحريف والتشويه .

(٢) التجليل الموشية ، ص ٢٣ (١١٣٢ هـ) .

(٣) ابن عذاري ، البيان ، ج ٤ ، ص ٨٨ .

وإذا رجعنا إلى حوليات ألفونسو السابع Cronica de Alfonso VII  
 فيوجد أن قائد الجيوش المسيحية رودريجو جونزالث كان مكلفاً بقتال  
 المسلمين في كل منطقة غرب الأندلس Extremadura عام ٥٢٦ هـ  
 (١١٣٢ م) كما أن الجوليات الطليطلية Anales Toledanas  
 تؤكد ذلك ، وتوضح أن انتصار رودريجو في معاركه مع والي اشبيلية  
 عمر بن الحاج وقتله له في معركة Azarada قد شجع باقي النصاري  
 على الاستمرار في مهاجمة أراضي المسلمين ، وقد شرحت حوليات ألفونسو  
 السابع ذلك ، فإن مجموعة من قادة شلمنقة Salamanca يادروا بمهاجمة  
 بطليوس عندما بلغهم انتصارات رودريجو جونزالث على قوات اشبيلية  
 فلما علم تاشفين بن علي توجه إلى لقاء جند شلمنقة ، والتعنم الطرفان  
 في معركة ضارية تمزقت فيها القوات المسيحية ، وانتصر تاشفين ، وعاد  
 بعد ذلك إلى قرطبة مظفراً (١) .

ونينما يتخذ استاذنا الدكتور محمود علي مكي بالتاريخ الذي خدده  
 ابن الخطيب لهذه المعركة ، فيميل إلى تاريخ المعركة لسنة ٥٢٦ هـ  
 (١١٣٢ م) (٢) ، نميل نحن بدورنا إلى الإخف برأي الاستاذ محمد  
 غيم الله عتيان الذي يرجح سنة ٥٢٨ هـ (١١٣٣ م) تاريخاً للمعركة  
 التي خاضها تاشفين .

فلم يكن انتصار تاشفين في قتاله مع النصاري عند بطليوس انتقاماً

(١) ابن القطان ، نظم الجمان ، حاشية ١ ، ٢ ، ص ١٩٨ - ١٩٩

وأنظر أيضاً :

Huici Miranda, Gobierno de Tashfin Ben Ali en al-Andalus,  
 P. 612, 613.

(٢) أنظر تحقيق د. محمود علي مكي لنظم الجمان ، حاشية رقم ٢٢ ،

ص ١٩٨ .

لما حدث في أشبيلية وأحوازها ، إذا أخذنا في الاعتبار أن قوات الجيش المسيحي الذي تصدى له تاشفين في بطليوس كانت تتألف من بضعة آلاف ، وهو عدد كبير لا يستقيم مع ظروف الجالة الأولى التي تفترض خروج تاشفين في مطاردة جيوش الإعداء حتى بطليوس ، والمنطقى إلا يتجاوز عددهم بضعة مئات خاصة بعد أن اشتبكت قواتهم مع قوات تاشفين ، وانهزمت في أحواز أشبيلية وباجة ، وقتل منها عدد كبير .

فيمن المنطقي أن يكون غزو تاشفين للتصاري وهزيمته لهم في بطليوس قد حدثت في عام ٥٢٨ هـ ( ١١٣٣ م - ١١٣٤ ) وليس في عام ٥٢٦ هـ ( ١١٣٢ م ) .

أما عن الأسباب التي أدت إلى خروج تاشفين للغزو في سنة ٥٢٨ هـ ( ١١٣٣ م ) فهي اعتداء ملك قشتالة على أراضي بطليوس في تلك السنة ، وحيث قواته في بواجيه ، فيادر تاشفين بالخروج عندما بلغه أن الفونسو السابع ( الفونسو ريمونديس ) المعروف بالسليطن ، قد حشد جيشاً « يحتوي على آلاف من زعمائهم ومشهوري أبطالهم وقصدوا ناحية بطليوس ، وباجة وباجة » (١) .

فشنوا الغارة على أحواز بطليوس فجاسوا خلالها ودوخوا أرضها (١) « واستحوذوا جميع ما القوا بها ، واثتوها إلى مواضع كانت لاتروع بعدو لبعدها ومنعتها وتعذر الوصول إليها ، فجاسوا

(١) ابن عذارى ، البيان ، ج٤ ، ص ٨٨ ، وأنظر كذلك الحل الموشية ، ص ١٢٢ .

(٢) الحل الموشية ، المصدر السابق ، ص ١٢٢ .



بجلاها ، « هودجوا ، ابنها ، واخترقوا بطولها ، وعرضها : » (٢) .

فاجتمع الناس في عن الكسود في البيوت ، صفت ما كانت عليه قلوب  
السلالة ، وخرج من البيوت فتجها للقاء أعمامه ، واستعصى في غيره  
بجماعة من الأدلة يظنونه على كل ذروة وثنية ، حتى يتمكن من التفتاق  
بهم سريعا ، وفي ذلك يقول ابن عذاري : « فقلت الأمير تاشفين الدعة ،  
وامر الأدلة أن يتجسوا به كل ذروة وثنية ، رجاء في لحاقهم ، فافضى  
بالدعة به ، والى تفتاق ، يقرب ، وثيقة : » من وضع المبتدئين الذين وقع فيه جده  
بالمطاعنة فوشش بين فرادله » (٣) .

وقد وصف كل من ابن عذاري وصاحب الحل الموشية الجيش  
المرابطين ، ومن خلال وصفهما يتضح لنا أن الجيش الأساقى قد نظم  
مطلقا نظم يوم الثلاثاء ، فقد كان الأمير تاشفين يتخلل القلب مع وتجنوه  
المرابطين ، وقد زعموا : « البنوة البيضاء الباسقات المكتوبة بالآيات » (٤)  
وفي الجانبين اصطفت جيوش وحماة الدعوة من أبطال الأساقى ، وتوغلهم  
الرايات الحمراء « قد رسمت عليها الشور الهائلة » ، أما أهل القصور  
فقد احتلوا الجناحين ، « وذوو الجلالة أو الضرب » وفي المقدمة مشاهير  
زناتة ولفيف الحشم أهل العزائم الماضية ، والبصائر الثابتة ، بالرايات  
المظيفة ، والاعلام المنيعة ، « (٥) » .

(٣) ابن عذاري ، البيان ، ج ٤ ، ص ٨٨ ، وقارن ابن الخطيب ،  
الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٥٢ .

(٣) ابن عذاري ، البيان ، ج ٤ ص ٨٨ .  
(٤) صاحب الحل الموشية ، ص ١٢٢ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٢٢ .

... ومصرعان بما اشتعل القتال بين الطرفين ، وانهمزم القشتاليون ، وولوا  
الادبار فقتلهم لقوات المرابطين أثناء فرارهم ، تقتل وتأسر ، ويصد  
لانتصار تاشفين في هذه المعركة عاد مظفراً الى قرطبة ، ومنها قبل عائدا  
الى أغرناطة في عهده الاولى من سنة ثمان وعشرين وخمسمائة : (٣)  
(... سنة ٥٢٨ هـ / ١١٣٣ م ) .

وقد أنشده الشعراء القصائد الطويلة التي تصف شجاعته وانتصاره  
على العدو (١) .

ولم تكن هزيمة القشتاليين على يد تاشفين في حواز بطليوس آخر

---

(٣) ابن عذارى : البيان : ج ٤ ، ص ٨٩ ، الليخل الموشية ، ص ١٢٢ ،  
محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ١٣٨ .  
(١) تنافس الشعراء في وصف هزيمة تاشفين للقشتاليين ، منها قصيدة  
طويلة أورد ابن عذارى نبذة منها :

أما وبيض الهند عنك خصوم  
فالروم تبذل ما ظباك تروم  
تمضي سيوفك في العدى ويردها  
عن نفسه حث الكلام رحيم  
دار جعلت بيوتها قطبا لها  
أبدا علي قمم الملوك تحيوم  
وكانها الفرسان قد عرفت بها  
فقطعت وغاصت برؤس وحشوم  
خاست جلال ديارهم وخماتها  
في كل واد بالفـرار تهيم

هزائمهم على يديه . . وانما منوا بهزيمة أخرى أشد وأعظم أثرا. في جبل  
القصر (٢) ، . . . ففي سنة ٥٣٠ هـ ( ١١٣٥ م ) عاد النصارى إلى حشد كل  
قواتهم وتوالتسحوا تلك المنطقة من أرض الاندلس ، فلما علم تاشفين بأمر  
هجومهم على القصر كان له موقف مشرق ، فقد جمع زعماء المرابطين  
وقال لهم « الدولة لنا ، فأما تركها أو حمايتها ، لا يتعذر منا أحد إلى  
لقاء عدونا ، فإذا نحن استشهدنا ، فالامر لمن شاء الله بعد . . . » (٣) .  
ثم إنهم جمع عرب الاندلس ، وحثهم على القتال إلى حد أنهم طلبوا منه  
أن يلقي بهم في ميدان القتال وحدهم ووعدوه بالنصر ، كما استدعى  
زناته الذين عزموا على القتال الأكيد طالبين اما النصر واما الشهادة ،  
فخرج بهذه الحشود للجهاد إلى جبل القصر حيث تحصن النصارى وهناك  
« أتى على نجلهم القتل » ، وأقلت النذر وأمثلة أيدي المسلمين من دوابهم  
واسلحتهم ، وفكت الاغلال عن الاسارى . . . » (٤) وعاد تاشفين بعد  
ذلك إلى قرطبة منتصرا مظفرا .

٢٥ . واستمر الخطر المسيحي يهدد منطقة الغرب بأكملها ، فقد لحق  
تاشفين بموقعة أخرى في بداية عام ٥٢٩ هـ ( ١١٣٤ م ) مع جيوش قشتالة

.....

- (٢) انظر ابن عذارى ، البيان ، ج ٤ ، ص ٨٩ .  
(٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٤ ، ص ٩٤ ، الحلل الموشية ، ص ١٢٣ .  
(١) يقصد بها مدينة قصر أبي دانس ، وهي مدينة بالاندلس ، عرفها  
بقوله « بيننا وبين شلب أربعة مراحل » ، وهي مدينة حسنة متوسطة  
على ضفة نهر كبير ، وهو نهر تصعد فيه السفن السفرية ، وفيما  
استديار بها من أرض كلها شجر الصنوبر ، وبها الانشاء الكثير ، وهي  
خصيبة كثيرة الالبان ، والسمن والعسل واللحم ، وبين القصر  
والبحر ، عشرون ميلا » ( انظر الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس  
ص ١٦١ ) .





وقتلوا عددا كبيرا من أهلها ، ثم رجعوا إلى بلادهم (١) .

وكان رد فعل تاشقين على هذه الغارة الوحشية أن خرج بقواته غازيا إلى الغرب في سنة ٥٢٧هـ ( ١١٣٣م ) ، فتنزل بعسكره على حصن أنطاكة Idanha - a - Vella (٢) ويقع بالقرب من قنطرة السيف .

(١) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٤٠ ، ابن عذاري ، البيان ، ج ١ ، ص ٨٥ ، ومن الملاحظ أن ابن القطان هو المؤرخ الوحيد الذي ذكر اشتراك ابن هود مع اللقشاليين في تلك الغزوة المسيحية على إشبيلية وعلى شريش ، وابن هود المقصود هنا هو أحمد المستنصر بن عماد الدولة عبد الملك بن المستعين أحمد بن الحوثم يوسف بن المقتدر أحمد بن سليمان بن أحمد بن هود ، أي أنه ينتمي إلى سلالة بني هود ملوك مرسطة في عهد الطوائف ، وقد وضح لنا الدكتور محمود علي مكي أن ابن هود كان صاحب قلعة روضة Rueda من عمل تطيلة Tudela ، ولكنه لم يتمكن من الاستقرار بها ، فسلمها للتصاري ، واشترك في الفتن التي أثرت على المرابطين في الأندلس فاستولى على قوطبة أثناء ثورة ابن قسي في الغرب ، ثم ملك جيان وقتل عام ٥٤٠هـ ( ١١٤٥م ) ( انظر ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ١٧٢ ) .

(٢) يرجع الأستاذ بولبي ميراند في مقاله عن ( روض القرطاس والمرابطين ) بمجلة Hespéris ١٩١٠ ، وكذلك في مقالة عن حكومة تاشقين بن علي في الأندلس ، المنشورة في العدد المخصص لليفي بروفنسالي ( ص ١٣ ) أن المقصود بهذا الموضع مدينة Idanha - a - Vella البرتغالية القريبة من الحدود الإسبانية في منطقة Castell - Branco أي على بعد ١٥٠ كم من ماردة ، وقد جعل ابن الخطيب ( الاحاطة ، ج ١ ، ص ٤٥١ ) هذه الغزوة في عام ٥٢٨هـ ( ١١٣٤م ) وليس عام ٥٢٧هـ ( ١١٣٣م ) كما يذكر ابن القطان ( انظر نظم الجمان ، ص ١٠٧ ، حاشية ١ ) ويوافقه على ذلك ابن أبي زرع في روض القرطاس ، ص ١٠٧ ( انظر التفصيل في ابن القطان ، ص ٢٠٩ ، تعليق الدكتور ملكي ، هامش ١ ) .

فافتتحها وهدم الحصن (١) ، ويذكر ابن أبي زرع أن تاشفين قام بغزوته المذكورة سنة ٥٢٨ هـ ( ١١٣٤ م ) « فغزا » قنطرة مجمود ودخلها بالسيف (٢) . وهنا يظهر خلاف بين نص ابن القطان ونص ابن أبي زرع فيما يتعلق بهدف الغزوة ، فالأول يذكر المكان الذي غزاه تاشفين على أنه حصن أنطاطة القريبة للغاية من قنطرة السيف ، والثاني يسمى الموضع قنطرة مجمود ، وكلا الموضعين يقع في منطقة الغرب ، فقنطرة السيف حصن بينه وبين ماردة مسافة بسيطة قدرها التخمير بيومين (٣) أما قنطرة مجمود ، فقد ذكر الإدريسي أن هناك مكان يعرف بقنطرة مجمود يقع على ضفاف نهر تلجة بين القنطرة (٤) وشتتين (٥) ويميل الأستاذ الدكتور مجمود علىمكن إلى الأخذ برواية روض القوطاني ، وإن كان لم يظهر هذا الميل صريحا ولكنه واضح ضمنا .

وعلى أي وجه فما يهمنا من ذلك هو استنتاج الحالة التي كان عليها الغرب الأندلسي في تلك الفترة من الحكم المرابطي ، وبالتالي يمكننا تخيل وضع بطليوس الذي كان مضطربا بلا شك نتيجة لهذه الغزوات القشتالية التي يعقبها ردود فعل مرابطية بقيادة الأمير تاشفين .

وتنتهي الغزوات المرابطية عند هذا الحد وفقا لما ورد في الروايات المسيحية وإن كان ابن أبي زرع قد ذكر في حوادث سنة ٥٣٠ هـ ( ١١٣٥ م ) أن الأمير تاشفين هزم جموع الروم بفحص عطية ، وأنه أهلك منهم خلقا كثيرا (٦) ، وأنه دخل في ٥٣١ هـ ( ١١٣٦ م ) مدينة كركر Albuquerque بالسيف ، ولكنه لم يجد بها سكانا .

- 
- (١) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٠١ .
  - (٢) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٧ .
  - (٣) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١٦٤ .
  - (٤) الإدريسي ، نزهة المشتاق ، ص ١٨٩ .
  - (٥) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٧ .



ونود أن نوضح أن الهدف الرئيسي الذي استهدفناه من وراء تتبعنا  
لحملات تاشفين هو التوصل إلى حقيقة الأوضاع السياسية والعسكرية  
لبطليوس خلال الحكم المزابي ، حيث أن المصاهر العربية لم تسعفنا  
بمادة كافية ، ولم تزودنا بأخبار عنها إلا في مواضع قليلة ومحدودة ،  
وقد اتاحت دراستنا لظروف المناطق المحيطة بها والقريبة منها فرصة  
التوصل إلى حقيقة هامة وهي : أن بطليوس تعرضت لكثير من الاضطرابات  
المسيحية شأن جارائها ، وأن تونجيه الحملات الاسلافية الموجهة للغرب ،  
كان له اعظم الاثر في تعرض سلامها للخطر ، واصاب احوالها بالاضطراب  
والخلل الامر الذي اشعر اهلها بفجز المزابيين عن الدفاع عنهم ، مما  
ترتب عليه ثورة الغرب العازمة على الحكم المزابي .

( ٢ )

الثورة في غرب الاندلس وانهيار سلطان المرابطين

١ - اسباب ثورة الغرب على المرابطين :

ظل الأمير تاشفين بن علي بن يوسف اميرا وقائدا اعلى للجيش المرابطية في الاندلس حتى عام ٥٣١ هـ ( ١١٣٦ - ١١٣٧ م ) (١) أو بداية عام ٥٣٥ هـ ( ١١٣٥ - ١١٣٦ م ) عندما استدعاه أبوه علي بن يوسف الى المغرب فلم يتردد في العبور الى العدو في هذه السنة ، يجر وراءه عددا كبيرا من أسرى غزواته الأخيرة الى اشكونية (٢) ، فاحسن والذلة لاقباله رغم مرضته الشديد الذي كان يعانيه منذ عام ٥٣٠ هـ ( ١١٣٥ - ١١٣٦ م ) « وكان علي بن يوسف اعتل في السنة الفارطة ، وارتبك في مرضه حتى ارجف به ، فشاعت الظنون وتمكن الجزع ببلاد الاندلس » (٣) .

وفي عام ٥٣٣ هـ ( ١١٣٨ - ١١٣٩ م ) توفي الأمير أبو محمد سير ابن علي بن يوسف وولى عهده ، فأصدر علي بن يوسف عندئذ مرسوم ولاية عهده لولده الأمير تاشفين وأخذ له البيعة بذلك (٤) .

ويعلل الأستاذ محمد عبد الله عنان المراجعة التي تم بها ، استدعاء تاشفين من الاندلس الى المغرب بما جل بالمرابطين في المغرب من ظروف خطيرة ، فقد كان المهدي محمد بن تومرت قد ظهر في تلك الأونة بدعوة

- 
- (١) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٢٤٦ .  
(٢) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٠٧ ويقصد باشكونية لمدينة أكشونية إحدى مدن غرب الاندلس .  
(٣) ابن عذاري ، البيان ، ج ٤ ، ص ٩٦ .  
(٤) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٤٤ . ولاختصار تاشفين لولاية عهد علي بن يوسف ، ومقتل ابنه سير قصة فصلتها المصادر العربية (انظر ابن عذاري ، البيان ، ج ٤ ، ص ٩٧ - ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٤٥ )

دينية جديدة اسفرت عن قيام دولة الموحدين في تينملل وتهديدها للمرابطين في مراکش<sup>(١)</sup> .

(٤) في بداية عام ٥١٥ هـ (١١٢١ - ١١٢٢ م) توجه ابن تومرت الى اغمات ، وبدأ يعلن دعوته ببطلان دعوة علي بن يوسف . وخلق طاعته ، ثم قصد بلاد السوس حيث جيان اللمصامدة ، ثم طاف بمصفيوة وهناتلة واككين ، واستمر يبت هذه الدعوة بين القبائل والناس يفدون اليه سراعا ، يؤمنون به ، ويدعونه . وفي ذلك الوقت اشتعلت الفتنة في قرطبة عام ٥١٥ هـ (١١٢١ م - ١١٢٢ م) فتمزع علي بن يوسف للتظلم في ارض البلاد ، ولكنه لم يمكن بالاندلس طويلا لوصول اجبار ابيه تومرت اليه ، فعاد الى المغرب وبعث الى قتاله والي السوس ابا بكر ابن محمد اللمتوني ، ولكن ما كاد اللقاء يتم بين الفريقين حتى هزم المرابطون ثم هزيمة ، وطاردتهم الموحدون حتى مدينة مراکش ، وبذلك سجل الموحدون اول انتصار لهم عام ٥١٦ هـ (١١٢٣ م) ، وازداد عدد الموحدين ، والتقوا بالجيش المرابطي مرة ثانية فانهمزم المرابطون امام الموحدين دون قتال ، فجهز علي بن يوسف جيشا ثالثا بقيادة سير بن مزعل اللمتوني ، ولكن هذا الجيش لم يكن مصيره افضل مما سبقه ، فانهمزم المرابطون امام الموحدين للمرة الثالثة وشغل محمد بن تومرت فيما بين عامي ٥١٦ هـ و ٥١٨ هـ (١١٢٣ م) و (١١٢٤ م) في نشر مذهبه الموحدي في منطقة السوس كلها ، ثم غادر مقره في جبل ايجليز الى تينملل التي كانت حينئذ محلة صغيرة تقع فوق رتوة عالية في سفح جبل درن ، واخذ يؤسس فيها حصنا ومسجدا جامعيا ، واحاطها بسور ، ثم دارت في الغامق التالين ٥١٩ هـ (١١٢٥ م) و ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) عبدة مرقع بين المرابطين والموحدين تكبد خلالها المرابطون العديد من الهزائم ففي عام ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) ، التقى الفريقان على مقربة من جبل كيك ، فانهمزم المرابطون هزيمة نكراء ، وطاردتهم الموحدون حتى جبل وريكة الى ان وصل الموحدون الى اسوار مراکش ، وندى ابن تومرت بعد هذا الانتصار في رسم خطة للاستيلاء على مراکش واسقاط الدولة المرابطية ، وانتهى الامر بان حاصر الموحدون مراکش مدة ثمانية ايام ، وتخللت فترة الحصار معارك دامية بين الطرفين ، انهزم فيها المرابطون بالقرب من باب بركة . وكان يقود الجيوش المرابطية الشيخ ابو محمد وابو ديعن بن سير ، وبدأ القتال ، وانتصر المرابطون في هذه المعركة الهامة في جمادى



ويمكننا أن نتصور رد فعل الصراع الموحدي - المرابطي في المغرب على الأندلس ، فقد انتهز الأندلسيون انشغال الدولة المرابطية بالخطر الموحدي ، وفجروا ثورة أندلسية علنية ضد المرابطين ، ولابد أن ندرك تمام الإدراك أن هذه الثورة الأندلسية العارمة لم تكن رد فعل لحركة ابن تومرت في المغرب فحسب وإنما نبعت من واقع الشعور بالعصبية الأندلسية ضد البربر ، فقد كانت الفتنة البربرية التي تسببت في سقوط الخلافة الأموية في الأندلس ماثلة في أذهانهم ، وهي الفتنة المشنومة التي يعميها ابن حيان شيخ مؤرخي الأندلس « بالفتنة البربرية الشنعاء المذهمة المفرقة للجماعة ، الهامة للملكة المؤتلة » (١) .

وكانت انتصارات المرابطين في إفريقيش سنة ٥٠١ هـ ( ١٢٠٧ م ) - ١١٠٨ م ) ، وإفراغه سنة ٥٢٨ هـ ( ١١٣٣ - ١١٣٤ م ) ، قد أنتت أهل الأندلس إلى حين عصبيتهم الأندلسية ، إلى أن بدأت غارات القشتاليين على غرب الأندلس ووسطها واستيلائهم على مواضع هامة من الغرب ، فكانت الثورة التي اندلعت في قرطبة سنة ٥١٥ هـ ( ١١٢١ م ) التعبير الأول عن شغورهم بالاستيلاء ، ونعتقد أن تعرض الغرب الأندلسي للاعتداءات المتواصلة من جانب القشتاليين والليوثيين ورد المرابطين على هذه الهجمات قد سبب الكثير من الضيق لأهالي الغرب الذين اقتصدوا الأمن والسلام ، فحتى عام ٥٢٣ هـ ( ١١٣٨ - ١١٣٩ م ) ، هاجم

الأولى من سنة ٥٣٤ هـ ( ١١٣٠ م ) ، ولم ينج من الموحدين سوى قلول بسيطة .

(انظر الحل الموشية ، ص ١٣٠ - ١٤٢ ، ابن عذاري ، البيان ، ج ٤ ، ص ٩٦ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٣ - ٩٧ ، عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ١٠٢ - ١٠٣ ، ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ١١٠ - ١٣٣ ، ابن خلدون ، الغبر ، ج ٢ ، ص ٢٢٩ ، محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ١٥٦ ، ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الأول ، المجلد الثاني ، ص ٥٦٦ .)

البقشتاليون بلاد الغرب ، فقام عسكر شنترين وبابرة برد هؤلاء المعتدين « فكانت للمسلمين جولة ، ثم كر المسلمون عليهم فانهزم النصراري ، دمرهم الله تعالى ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا واسروا منهم جملة ، واحتبوا المسلمين على اسلابهم وانهابهم » (١) .

ونستدل من كل ما سبق على الحالة المضطربة التي عاشها الغرب الاندلسي في تلك الآونة ، وهذه الحالة المضطربة الى جانب بعده وتطرفه عن سلطان الحكومة المركزية ، شجعت العناصر المعارضة للمرابطين على التحفز والوثوب ، واتفق ذلك مع نفس الوقت الذي تغلب فيه الموحدون على الجيوش المرابطية بقيادة الامير تاشفين بن علي الذي لقي مصرعه في موقعة وهران في رمضان سنة ٥٣٩ هـ ( ١١٤٤ م ) ، فكانت ثورة الغرب العارمة .

#### ب - ثورة ابن قسي في غرب الاندلس :

قدر ان يكون اول رؤساء الثورة في الاندلس ، رجلا من غرب الاندلس ، من شلب ، يسمى ابو القاسم احمد بن الحسين بن قسي ، من المرجح انه يرجع الى اصل مسيحي ، وقد عمل في بدء حياته ، في الاعمال المخزنية ، كما يذكر ابن الابار ، في الاعمال الحكومية ، ثم آمن فجأة بالمبادئ الصوفية وتنسك ، او تظاهر به ، فذكروا انه « باع ماله ، وتصدق بثمنه وساح في البلاد » (٢) ، ثم بدأ يؤلف العديد من الكتب الصوفية اهمها كتاب ، « خلع النعلين » (٣) ، وانتقل الى المرية احد المراكز الهامة للتصوف في الاندلس ، حيث التقى بابي العباس بن العريف

(١) ابن القطان ، نظم الجمان ، ص ٢٤٤ .

(٢) ابن الابار ، الحلة المسيرة ، ج ٢ ، ص ١٩٧ .

(٣) ابن الخطيب اعمال الاعلام ، ص ٢٤٩ ، محمد عبد الله زغتان ، عصر المرابطين ، ص ٣٠٧ .

شيخ الصوفية وغفيدهم في الاندلس في تلك الآونة (١)، واستاذ اساتذة ابن عربي، ودرس على يديه، ثم عاد الى شلب مرة ثانية حيث: « اقبل على قراءة كتب ابي حامد الغزالي في الظاهر، وهو يشتغل به أهل هذا الشأن، مجرّبا على الفتن وداعيا إلى الثورة في الباطن » (٢)، هذا بخلاف ما قرأه من كتب الصوفية والباطنية حتى ذاع أمره هو واتباعه الذين سموا بالمريدين في شلب وميرتلة وليلة (٣) وبطليوس وكل أعمال غريب الاندلس، ولعلنا نتبين من خلال قراءتنا لنص ابن الأبار ان ابن قسي كان يتخذ من التصوف ستارا لافكاره الإستقلالية واطماعه وطموحاته، فقد ادعى الهداية وتسمى بالامام (٤)، وبالمهدي (٥)، بينما هو يدعو للثورة في حقيقة الامر. وبدأت الوفود والجماعات تتوافد عليه وتعلن

بنيته

(١) ابن العريف هو ابو العباس احمد بن محمد بن موسى بن عطية الله ابن العريف الصنهاجي (٤٨١ - ٥٣٦ هـ) (١٠٨٨ - ١١٤١ م) وسمى والده بالعريف لانه كان صاحب جرس الليل، وعريف القوم، القائم بأمره. ثم رحل والده الى المريّة، حيث ولد له ابنه ابو العباس أحمد، وقد اتجه ابو العباس أحمد منذ نعومة أظفاره الى العلم والادب ودراسة الفقه، ولما كانت المريّة مركز الصوفية في الاندلس في ذلك الوقت فقد اقبل ابو العباس على دراسته فنبغ فيه، واصبحت له طائفة من الاتباع والمريدين، وسرعان ما نشب الخلاف بين الفقهاء من البناح على بن يوسف وبينه هو واتباعه، وكان القاضي ابن الاسود على رأس من تزعم معارضة ابن العريف، وحدث ان استدعاه على ابن يوسف مع زميله ابو بكر محمد بن الحسين الميورقي وابو الحكم ابن براجين، ولم يجد ابن العريف الا كل لطف من أمير المسلمين، وتوفي ابن العريف بعد تلك الحادثة بمراكش. (انظر ابن الأبار، الحلة السريّة، ج ٢، حاشية ٢، ص ١٩٧، ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص ٢٤٩، راجع السيد عبد العزيز منال، تاريخ مدينة المريّة الاسلامية، ص ١٨٤).

(٢) ابن الأبار، الحلة السريّة، ج ٢، ص ١٩٧.

(٣) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص ٢٤٩.

(٤) ابن الأبار، الحلة السريّة، ج ٢، ص ١٩٧.

(٥) ابن الخطيب، أعمال الاعلام، ص ٢٤٩.



تأييدها. التام له ، ومن هؤلاء ، أبو محمد سيدرأى بن وزير ، وابن عفان فارس بن يابرة ، ومحمد بن المنذر بن أهل شلب ، وعبد الله بن أبي حبيب « وامثالهم من أعيان ذلك الصقع الغربى » (١) .

ولم تكن حكومة المرابطين غافلة عن هذا النشاط الخفى الذى يمارسه ابن قسى ، لذا بادرت بالقبض على بعض أصحابه ، فهرب ابن قسى الى ميرتله فى قرية تعرف بالجوزة حيث تعرف على رجل سيكون أحد أقرب أصدقائه اليه ، هو محمد بن يحيى الشلطيشى المعروف بابن القابلة الذى اطلق عليه المصطفى لاختياره له .

وبدا ابن قسى ثورته فى عام ٥٣٩ هـ ( ١٢٤٤ م ) ، باصدار أوامره لاتباعه بالاستيلاء على قلعة ميرتله ، فجمع ابن القابلة سبعين رجلا من المريدون ، « وكان قائد حصن ميرتله قد واعد رجلا من أهلها على الاتيان اليه فى الليل بوشوة على حال استتار من أهل الحصن » (٢) .

ونجح المريدون فى الاستيلاء على ميرتله ، وتم ذلك ليلة الخميس الثانى عشر من صفر ٥٣٩ هـ ( ١٤٤٠ م ) ، ثم دخلها ابن قسى فى غرة ربيع الاول وسط التهليل والتكبير « فصعد الى قصبته واحتل بقصرها ، وشرع فى مخاطبة أعيان البلاد . . . فاستجاب له كثير منهم وأولهم أهل يابرة ، ثم أهل شلب ، واتسع على المرابطين بخرق لم يرقعوه ، ووهجم عليهم حادث طالما توقعوه . . . » (٣) .

ومن هذا النص يتضح ان كلا من يابرة وشلب قد تزعتا سلطان المرابطين اسوة بابن قسى ، وقد كانت يابرة حينئذ تحت رئاسة سيدرأى ابن وزير ، أما شلب فقد كانت تحت رئاسة محمد بن عمر بن المنذر .

(١) المصدر السابق ، ص ٢٤٩ .

(٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٢٥٠ .

(٣) ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج ٢ ص ١٢٩ .

وكان ابن قسي في تلك الاثناء يحاول الاتصال بالموحدين عقب انتصارهم في موقعة وهران سنة ٥٣٩هـ ( ١١٤٤م ) ، ولكن عبد المؤمن ابن علي لم يعره اهتماما لان ابن قسي كان في رسالته اليه قد لقب نفسه بـ"المهدي" ، مما جعل عبد المؤمن يفكر من هذه اللهجة المتعالية التي خاطبه بها ابن قسي .

ولنا ما كان الامر فان ابن قسي ولى قبل انتقاله الى ميرته محمدا ابن اعمز بن المنذر على شلب ، وكان محمد هذا قد انتزع حصن مرجيق للواقع في شرق شلب من المرابطين مقتديا في ذلك بما فعله ابن قسي في ميرته .

اما باجة فقد كانت بعد في جوزة المرابطين ، فلما علموا بثورة ابن المنذر بشلب طلبوا من اهل باجة للامان ، ثم رجلوا منها الى اشبيلية ، فاسرع ابن المنذر اليها مباشرة عقب خروج المرابطين ومعه مجموعة من جند يابرة بقيادة احمد بن وزير شقيق سيدراى فافتتحها ، واشترك معه في فتحها بخاله عبد الله بن الصميل ، وبعد سقوط باجة في يد ابن المنذر وابن وزير اتصلا بابن قسي ، وبايعاه بالطاعة في ربيع الاول سنة ٥٣٩هـ ( ١١٤٤م ) ، وعندئذ منح ابن قسي باجة لابن وزير ، وشلب لابن المنذر .

اما بطليوس فقد كانت تابعة لابن قسي (١) ، شأنها في ذلك شأن ميوتلة من ولايات الغرب طوال عام ٥٣٩هـ ( ١١٤٤م ) ، ولم يلجأ ابو محمد سيدراى بن وزير ان انتزعها هي وميرتلة من يد ابن قسي بسبب خلاف نشب بينه وبين ابن قسي مرجعه محاولة سيدراى الاستيلاء على قرطبة لصالح ابن قسي لئلا يغيبه ابن المنذر في حروبه ، فغدر ابن قسي بسيدراى وخلعه عن باجة ويابرة وثبض عليه ، ثم عاد فاطلق مزاحه ، وردة الى ولايته ، وعندئذ كره سيدراى صديق الامس وتخوف منه ،

(١) ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٢٧٢ ، حاشية رقم ١ .

وحاول ابن قسي ان يتفاهم معه ، ولكن دون جدوى ، فبعث ابن قسي ابن المنذر لمحاربة سيدراى ، فانهزم ابن المنذر امام سيدراى ووقع فى اسره ، ثم زحف سيدراى الى شلب فاستولى عليها (١) ، وانتهى به الامر الى انتزاع ميرتلة وبطليوس من يد ابن قسي كما سبق ان ذكرنا ، واسند ولاية بطليوس واعمالها الى خاله عبد الله بن الصميل .

اما ابن المنذر فصاحب الفضل الاعظم فى نجاح ثورة ابن قسي ، بمساعدة الایمن قبل ان يقع فى اسر سيدراى ، ومحمد بن عمر بن المنذر هذا ينتمى الى احدى الاسرات المولدة العريقة فى شلب ، وكان نابغة «تميز بالمعارف الادبية والفقهية وولى خطة الشورى ببلده ثم تزهد وانزوى» (٢) وكان قد استولى مع قواته على كل من ولبة وليلة لصالح ابن قسي بعد ان كان ابن قسي قد جدد له عهده على ما بيده من البلاد وشماه العزيز بالله ، وبعد هذا الانتصار تملك الغروز ابن المنذر فخرج من ليلة مستهدفا لاستيلاء على اشبيلية ، ونجح فى الاستيلاء على حصن القصر Aznaicazar (٣) وطبلاطه Tablada (٤) من مشارف اشبيلية الغربية ، ولكن ابن غانية قائد المرابطين تصدى له وأوقع به الهزيمة فى

(٢) ابن الخطيب ، اعمال الاعلام ، ص ٣٥١ ، محمد عبد الله عثمان ،  
تاريخ المرابطين ، ص ٣١٤ ، عبد الله علام ، الدولة الموحدية ،  
ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٣) ابن الأبار ، الرحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٢ .  
(٤) حصن القصر من الحصون المشهورة بأقليم الشرف باشبيلية ، واشتهر  
فى هذا الموضع الوادئ المعروف بواذئ الطلح وهو تهر فى نهاية الحصن  
(ابن سعيد ، المغرب فى جلى المغرب ، ج ١ ، ص ٢٩٦) .

(٤) طبلاطه ، محلة بينها وبين اشبيلية عشرون ميلا ، وبفحصها جرت  
معركتان الاولى مع النورمان فى عهد عبد الرحمن الاوسط ، والثانية  
مع البرتغاليين فى سنة ٦٢٢ هـ (١٢٢٥ م) عندما فتكوا بالمسلمين ،  
وقتلوا منهم مقتلة عظيمة (راجع التفاصيل فى الحميرى ، صفة  
جزيرة الاندلس ص ١٢٨ ، ١٢٩) .



طريانة . Triana (١) ، ففر الى لبلة ، ثم تركها الى شلب تاركا احد  
اعوانه وهو يوسف البطروجي بلبله يدافع عنها بسبب حصار ابن غانية  
لها ، وعندما قام ابن حمدين (٢) بثورته في قرطبة ظن ابن قسى انه من  
المكن التدخل في شئونها اثناء الثورة ، فأمر ابن المنذر بالتوجه اليها  
ولكن اهل قرطبة كانوا قد طردوا ابن حمدين حليفهم وجاعوا بابن هود  
ليثولن زعامتهم ، فازتد ابن المنذر الى الغرب .

في تلك الاثناء كان الخلاف قد دب بين سيدراى بن وزير وبين ابن  
قسى ، فدفع ابن قسى بابن المنذر في حرب ضارية مع سيدراى اسفرت عن  
كارثة لكل من ابن قسى وابن المنذر وضاعت شلب ، وميرتله ، وبطليوس  
من املاك ابن قسى من جهة ، ووقع ابن المنذر في قبضة سيدراى من  
جهة اخرى . ثم ارتأى سيدراى بن وزير ان يمعن في معاقبة ابن المنذر ،

(١) طريانة ، مدينة ممتدة على ضفة الوادى الكبير في مقابلة مدينة  
اشبيلية وتعتبر من رياضها ، وكانت مسورة من جهة الصحراء ،  
واستوفت طريانة كل مقومات المدن من حمامات واسواق ضخمة .  
وكانت بيوتها المظلة على النهر تبيض بالكلس حتى لا تنبو العين  
عنها (ابن سعيد : المغرب في حلى المغرب ، ج ١ ص ٢٩٣) .  
(٢) هو الفقيه ابو جعفر حمدين بن محمد بن على بن محمد بن عبد  
العزيز بن حمدين ، التغلبى القرطبي ، من اهل بيت رئاسة ، ولى  
قضاء الجماعة بقرطبة في شعبان سنة ٥٢٩ هـ (١١٣٤ م) ثم صرف عنه  
سنة ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م) وعاد الى توليته سنة ٥٣٦ هـ (١١٤١ م) الى ان  
اعلن ثورته في سنة ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م) على حكم المرابطين استجابة  
لثورة ابن قسى في غرب الاندلس وتسمى بامير المسلمين المنصور بالله ،  
ودعى له على منبر جامع قرطبة ، ثم خلع ، ثم رد ، ثم خرج الى  
العدوة حيث اقام فترة من الوقت عاد بعدها فاستقر به المطاف بمالقة  
وظل مقيما بها الى ان توفي سنة ٥٤٨ هـ (١١٥٣ م) وقيل سنة ٥٤٣ هـ  
(١١٤٨ م) (بغنية الملتبس في تاريخ رجال الاندلس ، مجرطة ،  
١٨٨٤ : ترجمة رقم ٦٨٥ ، ص ٢٦١ ، ابن الأبار ، الحلة السيرة ،  
ج ٢ ، ص ٢٠٤ ، ٢١١ ، وارجع الى ابن القطان ، نظم الجمان ،  
ص ٢١٧ ، هامش ٢ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٥٢ ، ٢٥٣) .

فأرسل سیدرای النی. خاله عبد الله بن الصمیل. يأمره «: «بیان یسیر: الی بلجة. ویستخرج ابن المنذر من منجته. ویسمل عینیه. «: ففعل ذلك. «: وأقام فی معتقله الی ان فتح الموحدون اعزهم الله. بلجة. «: وسائر بلاد الغرب. «: فانقذه الله علی ایدیهم. وعاد الی ثلب. «: «: (١) أما بالنسبة لثورة قرطبة. فقد تزعمها القاضی حمید بن محمد بن علی بن حمید بن «: وولاه اهل قرطبة علیهم عند قیامهم بالثورة علی والیهم المرابطی. «: وفی ذلك یقول ابن الخطیب. «: «: ثارت العامة بوالی البلد الرئیس ابی عمر اللمتوتی. «: وخلعوا دعوة الملثمین. «: ولحقوا علی مبایعة القاضی ابی جعفر بن حمید مبایعة الخاصة والعامة بالمسجد الجامع من قرطبة. «: خامس رمضان من سنة ٥٣٩هـ (١١٤٤م) المذكورة. «: وسكن قصر الخلافة. «: «: (٢)

وتسمى بامیر المسلمین. «: وناصر الدین (٣) «: وتلقب بالمنصور بالله. «: ولا یهمنا من أحداث ثورة قرطبة الا توضیح العلاقة الی كانت تربط بین بطلیوس وقرطبة فی تلك الفترة او بمعنى اصح توضیح الدور الذي قام به عبد الله بن الصمیل والی بطلیوس لتأيید ابن حمید زعیم الثوار بقرطبة. «: فقد كان هناك من بین ثوار قرطبة من كان یتعصب ضد البربر ویأنف من التبعية لهم. «: فسعوا الی استدعاء سیف الدولة المستنصر بالله ابی جعفر أحمد بن عبد الملك بن هود لانه من وجهة نظرهم. «: بخیر ممثل للزعامة الاندلسیة العریقة. «: علی حد تعبیر الاستاذ مخمد عبید الله عنان (٤) «: فلما أقبل ابن هود الی قرطبة. «: أدبر ابن حمید عنها. «: ولاد بحصن فرنجولش Homachuelos المنیع (٥). «: الواقع شمال غربی

(١) ابن الأبار. «: الحلة السیراء. ج ٢. ص ٢٠٧.

(٢) ابن الخطیب. «: أعمال الاعلام. «: ص ٢٥٣.

(٣) المصدر السابق. «: ص ٢٥٣.

(٤) محمد عبد الله عنان. «: عصر المرابطين. «: ص ٣١٣.

(٥) فرنجولش. «: مدينة تقع علی مقربة من حصن المور Almodovar من نواحي قرطبة. «: اشتهرت بكثرة عرومها واشجارها. «: وتوفر معدن الذهب والفضة فی موضع منها یعرف بالمرج. (الخضیری. «: صفة جزيرة الاندلس. «: ص ١٤٣).

قرطبة ، حيثما أقام إماماً معدودة ، خلق خلالها أهل قرطبة على سيفه  
 الخولة ابن هود ، فهاجموه فقتلوه ، وزيروا ابنه الشمخ ، فهرب ابن  
 هود ، وبعث ابن حمدين إلى قرطبة ، ومارى بين سلطانه هناك مدة شهرين  
 دون خلافها إلا دواوين ، وورعهم بالخطبة ، وبنو جنيد الأحناف ، وبعث النبي  
 أنصاره في المناطق الأخرى يطلبون ما يرجعهم إلى قبائعه ، أبو الغمر ابن عزون  
 صاحب شريش ، وأبو جعفر بن أبي جعفر صاحب مرسية ، غير أن ولايته  
 لم يثبت أكثر من ١٠ أشهر ، إذ تمكن محمد بن غانية من التغلب على  
 قريته في موقعة جاريته في أحوار بطليوس ، فواري حمدين على أثرها  
 إلى بطليوس ، وبقاها في كنف حليفه القديم زعيم الألبين الضفيل ، ويبدو  
 أن الصيراج الذي كان قائماً بين ابن قطن من جهة وبين سيدناي والصميل  
 من جهة أخرى لم يؤثر على حسن العلاقة بين ابن حمدين والصميل  
 والى بطليوس ، فأجازه مدة عشرين يوماً ، بطليوس إلى حصن اندوجند  
 Andujar الواقع شرقي قرطبة (١) .

ولا يعني من أمر ثورة قرطبة ما عثرنا عليها من تكتورات (٢) ، ولكن  
 بهما أن نعرف أن ابن حمدين زعيم قرطبة المعزول عبر إلى المغرب عام  
 ٤٤٥ هـ ( ١٠٥٠ م ) واستخف عبد المؤمن بن علي أول خلفاء الموحدين ،  
 وهو يخاصم مراكش على التدخل في شؤون الأندلس بحجة الظروف  
 الأثيمة التي كانت تمر بها البلاد في تلك الأونة ، وتدخل الفشتالين في  
 شؤون قرطبة ، ولم يكن ابن حمدين أول من وفد على عبد المؤمن بن علي  
 بل سبقه أبو الغمر بن الثائب بن عزون المنتزى بشريش وأركش

(١) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٥٣ .

(٢) لمزيد من التفاصيل عن باقي أحداث ثورة قرطبة ، خاصة عند قدوم  
 الفونسو السابع إليها ، انظر ابن غالب الأندلسي ، قطعة من فرحة  
 الأنفس ، تحقيق د. لطفي عبد البديع ، ص ٨٨ ، محمد عابد الله  
 عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣١٤ ، السيد محمد العزيز سالم ،  
 قرطبة حاضرة الخلافة ، ص ١٤٨ ،



ورنده (١) ، وابن قسي بعد انقلاب سيدراي بن وزير عليه واقدامة على انتزاع شلب وميرتلة ويطليوس من مناطق نفوذه بالغرب ، كذلك وفد على عبد المؤمن وفد اشبيلي كبير ، يستنهضون عبد المؤمن لانقاذ الاندلس ويبايعونه ، ولم يتردد عبد المؤمن بن علي في الاستجابة الى طلب هذه الوفود ، فارسل قوات من قبله الى الاندلس ، للنظر في شأنه .

و اول البلاد التي افتتحها الموحدون هي شريش ، افتتحها الموحدون صلحا عام ٥٣٩ هـ ( ١١٤٤ م ) في قول (٢) وفي تاريخ لاحق في قول آخر (٣) ، فقد خرج حاكمها ابو عمران موسى بن سعيد الذي ينتمي الى بني غانية الى الموحدين واعلن طاعته لهم ، وفي ذلك يقول ابن ابي زرع « فكان اول بلد فتحوه من الاندلس ، مدينة شريش فتحوها صلحا ، وكائن بها قائدها ابو القمر من بني غانية في ثلاث مائة فارس ، من المرابطين ، فخرج بمن معه فتلقي الموحدون وبايعهم لعبد المؤمن ، فدخل في طاعته ، فكان الموحدون يسمونهم السابقين الاولين (٤) » . وتبع افتتاح شريش ، فتح طريف ، والجزيرة الخضراء .

وفي عام ٥٤١ هـ ( ١١٤٦ م ) قام عبد المؤمن بإرسال جيش تحت قيادة براز بن محمد المسوفي لفتح شلب وانتزاعها من سيدراي بن وزير وإرجاعها الى ابن قسي صاحبها الاول ، ثم بإدراج عبد المؤمن بإمداد هذا الجيش بجيش آخر بقيادة موسى بن سعيد ثم بجيش ثالث بقيادة عمر بن صالح الصنهاجي . وقبل ان يستولي الموحدون على شلب تمكنوا من

(١) Codera (Francisco), Decadencia y Desaparición de los Almorávides en España, Zaragoza, 1899, P. 159.

• عبد الله علام ، الدلة الموحدية ص ١٨١ ، ١٨٤ .

(٢) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ٢٢٢ .

(٣) ابن الأبار ، الحطة السراء ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ ، ابن خلدون ، العبر ،

ج ٦ ، ص ٢٣٣ .

(٤) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٢٢ .

الاستيلاء على ميرتلة خاضرة ابن قسى ، ومنها اتجهوا الى شلب فأسقطوها ثم الى بلاجة ومنها الى بطليوس ، وكانت كل من مدينتي بلاجة وبطليوس تحت حكم ابن وزير وان كانت بطليوس خاضعة لخاله عبد الله بن الصميل الذي كان يجيئها من قبله ، ولم يكن امام ابن وزير سوى بذل الطاعة لجيوش الموحدين . فدخلت قواتهم بطليوس وخرجوا محمد بن عمر بن المنذر من سجنه ، كما سبق ان اوضحنا ، ولم يتردد هذا في السير الى شلب (١) ليستقر جنبا الى جنب مع جليفه السابق ابن قسى .

### ج - قيام الثورات على الموحدين في الغرب :

وما ان تمت للموحدين السيطرة على معظم قواعد الغرب حتى اتجهوا الى اشبيلية لفتحها بعد ان انضمت اليهم قوات الغرب بزعامة احمد بن قسى وسيدراى بن وزير ، ويوسف البطروجى ، كل يراس جنده وانتهى الامر بقتل عبد الله بن العزى الناصر في اشبيلية ولد القاضى ابى بكر بن العزى زعيم فقهاء المدينة ، وكان ذلك في شعبان من ٥٤١ هـ (يناير ١١٤٧ م) .

ثم ولى اشبيلية كل من عبد العزيز وعيسى اخوى المهدي بن تومرت ، ولكنهما ، اساءا التصرف في اشبيلية ، فافقعا الظلم باهلها ونهبوا الاموال مما دفع يوسف البطروجى ، صاحب لبله على الثورة على الموحدين ، ففر من اشبيلية الى لبله ، وجدد الثورة هناك ناقضا عهده للموحدين ، فتحالف مع من كان في لبله من بقايا المرابطين ، وكانت هذه الثورة مثل ثورات اخرى نشبت في غرب الاندلس في ذلك الوقت ، فقد ثار سكان طبلاطه ، وحصن القصر ، ثم ثار ابن قسى في شلب وابن ميمون في قانس وثار ابن الحجام والى بطليوس ، ويذكر ابن الخطيب في اعمال الاعلام ان ابن الحجام الثائر هذا هو محمد بن علي بن الحجام ، وليس عبد

(١) ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ .

الله بن الصميل الذي كان حاكما لها، عندما دخلها الموحديون، (١) ، كما يذكر ابن خلدون (٢) ، باعتبارها من بين الزعماء الذين دخلوا طائفة الموحدين ، وتورد ابن عصفور بعض التفاصيل فيذكر أنه حينما عين يوسف بن سليمان بخصاكر الموحدين لقاتلة ثوار المغرب ، ولد ابن الحجام (٣) وكان قد سماه بـ (ابن الحاج) (٤) ، للطلاقة ، وأن ملك هدية قيمة ، إلى عبد المؤمن بن علي ، كان لها أكبر الأثر في نفسه ، وعلق الاستاذ بمجد عبد الله عن علي ذلك بأنه لا يعرفه ، متقن ولا تحصى أية ظروف ، تمكن ابن الحجام من حكم بطليوس بدلا من ابن الصميل .

ولقد استطعنا عن طريق استقراءنا للروايات المختلفة أن نحصر المدة التي قفز فيها ابن الحجام إلى حكم بطليوس وهي مدة تتراوح فيما بين سبعة شهور وعام هجري ، فابن الصميل كان علي حكم بطليوس ، حين تمكن ابن حمدين من الفرار إليه في عام ٥٤٠ هـ ( ١١٤٥ - ١١٤٦ م ) كما جاء في رواية ابن الخطيب (٥) ، واستمر ابن الصميل يتولى بطليوس حتى تم للموحدين فتحها بعد شهر المحرم ٥٤١ هـ ( ١١٤٦ - ١١٤٧ م ) لان عبور الموحدين الى الاندلس حدث في المحرم من ذلك العام (٦) .

أما ثورة ابن الحجام فقد نشبت بعد سقوط اشبيلية في أيدي الموحدين في شعبان ٥٤١ هـ ( ١١٤٧ م ) ويؤكد كل من ليفي بروفنسال (٧) والاستاذ محمد عبد الله عنان أن ثورة ابن الحجام حدثت في نفس الوقت الذي قام فيه الماسي بثورته ضد الموحدين في المغرب أي في عام ٥٤٢ هـ .

.....

- (١) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٤٨ .
- (٢) ابن خلدون ، المغر ، ج ٦ ، ص ٢٣٤ - ٢٣٥ .
- (٣) ابن خلدون ، المغر ، ج ٦ ، ص ٢٣٤ ، ٢٣٥ .
- (٤) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٢٥٣ .
- (٥) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣٢٧ .



(١٤٨٠هـ / ١٨٦٩م) (١) ، وهذا يقع بعودة ابن الحجام إلى الحكم بطليوس في المدة ما بين المحرم ١٢٥٥هـ (١٨٦٩م) وما بعد شيفان ١٢٥٥هـ .

وربما فكر الموحدون بعد استيلائهم على بطليوس في اقضاء حاكمها الاول عنها ، وربما كان ابن الحجام في هذه الآونة يشكل أحد المتنافسين لابن الصميل ، فبدأ يتقرب إلى القادة الجدد بحيث نجح في اقناعهم كجاءهم موال لهم في بطليوس .

وتعلق كوديوة في معرض بحذيفة عن ابن الحجام : ( ويسميه ملك بطليوس ) بقوله : ان وجهه الغلبة فيما تذكره ابن الخطيب في سياق حديثه عن الثوار الاندلسيين الذين اغتروا عضدا للطلعة على المرابطين واعلنوا استقلالهم في مواقعهم عنهم ، انه اورد اسم محمد بن علي الحجام ، وهو شخصية لم تصلنا عنها الا اختبار قليلة ، ولم يكن ابن الحجام هذا من الشخصيات التي بلغت في الفترات الاولى من الثورة على المرابطين ، وهذا ما يدعونا إلى الاعتقاد بأنه لم يظهر فجأة اذ ورد ذكر سيد آخر على بطليوس وهو سيدراي بن وزير : اما عن محمد بن علي ابن الحجام كما يسميه ابن الخطيب فلم نجد عنه أي ذكر إلى ان اشتعلت نار الثورة الاولى التي قام بها رؤساء الاندلس ضد الموحدين بعد ان تمكن ابن جانية من ابتزاز الجزيرة من الموحدين سنة عككذ ، انضم محمد بن الحجام كجليي سمييلين ، فلمونه التي الحركة الثورية في بطليوس (٢) .

كذلك يذكر كوديوة ان ابن الحجام اعتبر في فترة ما ، ملكا مستقلا على بطليوس ، جليل الدنانير التي ضربت في بطليوس سنة ١٢٥٣هـ ( ١١٤٨ - ١١٤٩م ) وتجهل اسمه ، وقد رجح كوديوة فيما يختص بإمر هذه الدنانير إلى A. Prieto y Vives ، وهذه العملات كانت تحتفظ تماما بطابع العملات المرابطية .

(١) محمد عبد الله عتآن ، عصر المرابطين ، ص ٣٢٩ .

Codera (F), Decadencia y desaparición, Op. Cit., P. 160 - 161.

ومن الجدير بالذكر أن ليفي بروفينسال أوربد في كتابه عن النقوش الكتابية العربية في اسبانيا نقشا محفورا على لوح من الرخام ٢٨×٤٦ سم يشير إلى أن خروج المرابطين عن بطليوس لم يتم بدون سفك دماء ، ففي شهر رمضان سنة ٥٣٩ هـ ( ١١٤٤ م ) اشتعلت الثورات كما سبق أن ذكرنا في الأندلس كله ، ويسمى ليفي بروفينسال هذه الفترة بعصر الطوائف الثاني ، فتوار الأندلس يبررون قيامهم بالثورة على المرابطين بإطلاق نفس الشعارات الدينية التي أطلقها الموحدون ، وهذا يفسر لقب الشهيد الذي منجبه كاتب النقش على المتوفى ، فالمرابطون وهم مجسمون ، وكان ينظر إليهم على أنهم مارقون ، لذلك فإن قتلهم في نظر هؤلاء الثوار يعد جهادا والقتل على أيديهم يعتبر استشهادا (١) .

#### ونطالع في النقش النص التالي :

( بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا قبر الشهيد المقتول ظلما ، رحمه الله عبيد الله بن محمد بن أحمد الماردي - ابن المقتول في قتلوه المظلمين يوم خروجهم وذلك يوم الأحد يوم تسعة وعشرين من رمضان المعظم عام تسعة وثلاثين وخمسمائة ) (٢) .

ولما ما كان الأمر فقد قامت الثورة في مدن الغرب على الموحدين بعد فترة قصيرة من الدعوة لهم في هذه المدن بحيث لم يبق في الغرب على ولائه لهم سوى ابن عزون ، صاحب شريش ، وولده ، فاغتنم ابن غانية القائد المرابطي الذي كان قد ظهر في الأحداث السابقة تلك الفرصة وأرسل قوة مرابطية تمكنت من السيطرة على الجزيرة الخضراء ، قتلوا عظم أهل سبتة بذلك الأمر تاروا وخلعوا عليهم يوسف بن مخلوف التينملتي وترغمهم في ذلك القاضي غياض السبتي .

Lévi - Proyeçal, op. cit., p. 57.

(١)

Ibid, p. 56.

(٢)

١. وكانت أمور اشبيلية قد بلغت حدا كبيرا من السوء بخيث. أن عبد المؤمن بن علي حين علم بأحوال الاندلس الغربى واشبيلية، بادر بإرسال جيش من الموحدين، بقيادة يوسف بن سليمان الذى تمكن من اخماد الثورات، فقد زحف بقواته بادية ذى بدء الى لبلبة، وقضى على البطروجنى، راس الثورة هناك، ثم توجه الى طليطلة التى اخضعها ثم اتبعها بحصن القصر ومنها الى طبيرة التى أعلن حاكمها الطاعة. وبدأ ثوار الغرب، يعيدون من جديد الى الطاعة ومنهم محمد بن علي ابن الحجام صاحب بطليوس، وعلى بن عيسى بن ميمون صاحب شنتمرية الغرب وقادس.

أما ابن الحجام فقد بادر بإرسال مجموعة من الهدايا الفخمة الى الخليفة عبد المؤمن بن علي الذى قبلها بسرور بالغ، وبهذه الهدايا تكون بطليوس قد انضوت تماما في قلب دولة الموحدين (١).

أما ابن قسى حاكم بطليوس السابق فقد انتهى أمره نهاية حزينة، ففي ٥٤٥ هـ (١١٥٠ م) دعا عبد المؤمن بن علي وفود الاندلس للعبور الى المغرب للقاءه في مدينة سلا، فسار اليه كل زعماء الغرب وفي مقدمتهم سيدراى بن وزير وابن الحجام صاحب بطليوس، جميعهم ساروا اليه باستثناء ابن قسى صاحب ميرتلة وشلب.

وكان ابن قسى في الواقع أول من ثار على السلطان المرابطى، وأعلن تأييده وطاعته للموحدين، وهو أول من أشعل الثورة. ليس في غرب الاندلس فحسب وإنما في الاندلس كله، إلا أنه لم يلبث أن نكب بعد ثورة اشبيلية، فخرج عن طاعة الموحدين وظل متمردا عليهم، فلما ألفى نفسه وحيدا بعد أن قدم جميع رؤساء الغرب فروض الطاعة للموحدين لجأ الى ملوك اسبانيا المسيحية، ولم يجد أمامه سوى مملكة البرتغال الناشئة



وفي ذلك الوقت . . . ولم يتردد الفونسو أن يركب أوليغرين (١) ، صاحب قلموية (٢) في التوسيع به ، ولقد قدم العون له ، فأظهر إصابته على جواده ، ويعد إليه بفرس ، وبسلاح . . . (٣) ، في سفينة زايغ ، أهل . . . طلب موقفه يلهن قسى . هذا غضبوا . غيوتيرغهم بحين ذلك ، ابن المنذر ، صفيق ابن قسى ، المستأبق ، وعليفه القديم ، . . . وصموا ، على القتل ، من ابن قسى ، فأعدوا الجنتين . ولد ابن قسى ، نزهة الأعداء ، . . . قبضوا والده ، (٤) ، . . . وتكفوا ، عن طريق الحيلة ، من دخول ، . . . بقصر والده ، . . . (٥) ، . . . فأتى بعضهم ، . . . بكتاب قبض عليه من الجاهل ، . . . والآخر ، . . . واختلوا على مقدم الحرس ، فعندما دخل إلى البلد يستأذن في أمرة ، . . . فتخطت الطائفة الحصن . . . (٦) ، وقتلوا ابن قسى ، واحتزوا رأسه ورفعوها على الرمح الذي سبق أن أهده له الفونسو أن يركب ملك البرتغال ، . . . وجلس ابن المنذر الأغني مكان ابن قسى ، وأعلن طاعته وولاهة للموحدين ، وكان ذلك في جمادى الأولى من عام ٤٤٦ هـ (١١٥١ م) (٧) ، وبهذا تكون ثورة الغرب على المرابطين قد انتهت ، بسقوط دويلاتهم على أيدي الموحدين . . .

وهناك ملاحظة هامة للغاية ، وهي أن معظم ثوار غرب الأندلس كانوا من الشعراء والأدباء التوهونيين ، فابن قسى على سبيل المثال كان عالما ، ممن تفقهوا في علم الكلام والتصوف إلى جانب قوة شعره ، وقد أورد ابن الأبار ، في الرحلة السيرة ، نماذج جديدة من هذا النوع (٨) .

مبنيمة . . .

(١) ابن الأبار ، الرحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٢) ابن الخطيب ، الخطب ، ص ٢٥٤ ، ٢٥٥ .

(٣) ابن الأبار ، الرحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٤) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٥١ .

(٥) ابن الأبار ، الرحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ .

(٦) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٥٢ .

(٧) ابن الخطيب ، أعمال الأعلام ، ص ٢٥٢ .

(٨) ابن الأبار ، الرحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ .

«لما سب ابن المنذر فقد سيطر على شطب بعد مقتل ابن يحيى ، ولكن الموحدين توجهوا منه وخافوا أن يقاتل الثورة «فخيفهم منه أن يثور» الثالثة : فنقل إلى اشبيلية بعد أن عطله ابن وزيره وملك شلب دونه « (١) » وقد أورد هذا المختبر ابن صاحب الصلاة في كتابه «ثورة المرينيين» ، وهذا الكتاب لم يصل إلينا ولنفا عرفتاه من خلال رواية ابن الأبار في كتابه «الحلة للسيرة» ، فقام الموحدون بنقله إلى اشبيلية ليقوم بها تحت مراقبتهم ، ولكنه «اجاز البحر إلى سلا فتوفي بها سنة ثمان وخمسمائة ...» (٢) .

وإبن المنذر ، هذا كان هو الآخر من الشعراء الكبار وقلة عده ممن القوا في التي أوردتها ابن الأبار كذلك في الحلة للسيرة (٣) ، وقد فسر الامتياز محمد عبد الله حقان هذه الظاهرة بقوله : «لأن المرابطين أثناء حكمهم للأندلس قد تمكنوا من إسقاط كافة الزعامات العسكرية والملكيات الطائفية ، أما الزعامات الفكرية ، فلم يتمكن المرابطون من التخلص منها وخاصة نفوذ الفقهاء ، فكان سلطان الأدباء والشعراء والفقهاء (٤) والقضاة في شرق الأندلس (٥) قويا للغاية مما منحهم الفرصة للترغم على حساب المرابطين . هذا ، ويقول مارتينث إي مارتينث «لقد نعت طبقة رجال الدين والفقهاء في عهد المرابطين ، فقد كان أمراء المرابطين آنذاك على درجة كبيرة من الورع ، كما كانوا لجهلهم بالعلوم يحرصون على أن يستلهموا سياستهم بمشورة الطبقة «الكهنوتية» ، ولهذا فإن الشعراء والفلاسفة وسائر أفراد الطبقة المستثيرة من الشعب بدأوا يضيقون لذلك ، وتاقوا إلى البلاطات الصغيرة في عهد ملوك الطوائف ...» (٦) وكلام مارتينث في حديثاته منطقي وقوي إلا أن تعبيرة عن الفقهاء المسلمين بالطبقة الكهنوتية فخطيئة للغاية ، فلا توجد طبقات كهنوتية أو رجال

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠٧ .

(٢) ابن الأبار ، الحلة للسيرة ، ج ٢ ، ص ٢٤٨ .

(٣) المصدر السابق ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ .

Martípezy Martínez, Historia de Badajoz, op. cit., p. 182.

(٤) .

دين في الاسلام ، ورغم ان فقهاء الاندلس في عصر المرابطين كانت لهم مكانتهم الدينية ، الا انهم لم يشكلوا اى طبقة متميزة ، يضاف الى هذا ان معظم كتاب عصر الطوائف وشعرائهم عملوا لدى المرابطين ابتداء من عبد الرحمن بن اسباط الذى يرجع اصله الى مدينة المرية ، وابى بكر ابن القصيرة ، وابى بكر بن عبد العزيز بن القبطرنة ، وابن عبدون من شعراء بنى الافطس في عصر الطوائف .

واذا كان اهل بطليوس هم الذين استدعوا المرابطين لتخليصهم من حكم بنى الافطس ، فانما حدث ذلك عندما تأكدوا فقط من خيانة المتوكل عمر بن الافطس لدينه ، فقد استعان بالفونسو السادس ضد المرابطين ، وتنازل له عن كل من اشبونة وشنترين وشنترة كما سبق ان ذكرنا .

ولم يكن هذا يعنى ان اهل الغرب وفي مقدمتهم معظم اهل بطليوس قد زهدوا في حياة الترف والنعيم التى كانوا يحيونها زمن الطوائف ، فبعد ان سيطر المرابطون على الاندلس ، وتبين الاندلسيون تقشفهم وجفافوتهم ، وظهرت لهم بداوتهم وخشونتهم وبعدهم عن مظاهر الترف التى كانوا ينعمون بها في ظل ملوك الطوائف ، اندى الناس يدا وارقيهم مشاعر واجزلهم عطاء ، ضاقوا ذرعا بالحكم المرابطى واقتقدوا ايام ملوكهم في عصر الطوائف ، فاشعل الغرب ثورته التى كانت فاتحة الثورات في الاندلس كله ، واستدعوا الموحدين ، على ان يخلصوهم من غلظ المظلمين وجفوتهم .

حقيقة ان اهل الاندلس بوجه عام والغرب وبطليوس بالذات على وجه الخصوص لم يعترضوا على سلوكيات المرابطين في الفترة الاولى من حكمهم ، اذ كانوا لا يزالوا في بداية هذا العهد تحت تأثير انتصار الزلافة ، الذى احيا الامل في نفوسهم واعاد لهم الاطمئنان والامن والسلام ، فلم تعد الطرق والمسالك محفوفة بالاعطار الناجمة عن قطاع الطرق (١) ، كما



إن المسيحيين لم يعودوا يلزمونهم بدفع الاتاوات ، وعلى هذا النحو تحسن الوضع الاقتصادي ، فالخبز كان يباع بأقل ثمن أو بثمن أكثر انخفاضاً مما كان عليه زمن ملوك البطوائف .

ولكن الأمر تغير في النصف الثاني من العهد المرابطي ، فقد إفتقدت بلاد الغرب وموسطة الأندلس الأمان بسبب اقدام مملكة قشتالة وليون على شن الغارات المتواصلة وكثر عيثرهم في البلاد ، الأمر الذي أدى بالتالى الى خروج عسكر المرابطين لتأديبهم ، مما ترتب عليه تعرض بلاد الغرب الى الإضطراب الداخلى والخراب والتدمير ، وقد ساعد ذلك ، على زيادة سخط الأهالى على المرابطين الذين عجزوا أمام جماهير الأندلس عن مدافعة القشتاليين ، وتسببوا فيما أصاب بلادهم من أضرار ودمار .

ويورد الأدريسى وصفاً لعمران مدينة بطليوس زمن المرابطين فيقول « ومدينة بطليوس مدينة جليلة في بسيط الأرض ، وعليها سور منيع وكان لها ريش كبير أكبر من المدينة في شرقها ، فخلا بالفتن ... » (١) . ونستخلص من هذا الوصف أن ريش بطليوس الذى كان يقع في شرق المدينة تعرض للفتن والثورات في عهد المرابطين ، ولم يشر الأدريسى الى أسباب تلك الفتن التى أدت بالريش الى الزوال ، ولم يرد في المصادر العربية أى إشارة عن قيام ثورة أو فتنة في ذلك الريش ، ولهذا فيمكننا أن نتصور احتمالين ، الاول ، أن تكون تلك الفتن التى ذكرها الأدريسى قد قامت في أيام ابن قسى بعد أن دخلت كل من ميرتلة وبطليوس تحت نفوذه ، فيكون أهل بطليوس قد ثاروا على المرابطين ، مؤيدين لابن قسى وذلك في عام ٥٣٩هـ ( ١١٤٤م ) والثانى أن تكون تلك الفتن قد وقعت في عهد ابن الحجام ضد الحكم المرابطى أيضاً وفي تلك الحالة تكون الثورة البطليوسية قد قامت في أواخر عام ٥٤١هـ ( ١١٤٦ - ١١٤٧م ) وأوائل عام ٥٤٢هـ ( ١١٤٧م ) .

---

(١) الأدريسى ، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس ، ص ١٨١ .

وإلى النقش الذى أشار إليه ليفى برونفنسالى ، والذى منبى  
ان تحدثنا عنه ، نجد ان الشهيدين ، البطليوسيين ، قد قتلوا على يدى  
المرابطين فى عام ٥٣٩ هـ ( ١١٤٤ م ) كما ورد فى النقش . ولهذا فأننا  
نرجح ان الفتن التى قامت فى الرىض ، والتى تحدث عنها الادريسي ،  
قد وقعت فى عام ٥٣٩ هـ ( ١١٤٤ م ) أى اثناء ثورة ابن قسى على الحكم  
المرابطى ، بعد استيلائه على ميرتلة وبطليوس .

ويؤكد لنا هذا النتائج التى توصل اليها العالم الاثرى فرتادو  
فالدث Fernando Valdez ، اخيرا من - ان هذا الجول من معدنية  
بطليوس - ، واغنى به الرىض لم يكن جبانة كما اعتقد البعض ، عقب  
اكتشاف النقش المكتوبه على شاهدى مقبرة الشهيدين البطليوسيين ، وانما  
كان يقوم به رباط خصصه اهل لقتال المثلثين الذين كانوا فى اعتقاد اهل  
الانلس كفرة وجب قتالهم والجهاد ضدهم .

(٣)

## بطليوس في عهد عبد المؤمن بن علي وابنه يوسف

### ١- نشاط حركة الاسترداد البرتغالي في الغرب :-

اشترنا فيما سبق الى ان سقوط بطليوس في ايدي الموحدين حدث في جده عام ٥٥٥ هـ (١١٥٠ م) ، اي في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي (١) ، الذي غنم على الصروج في ٢٠ ربيع الاول عام ٥٥٨ هـ (١١٦٩ م) .

(١) - اختلفت الآراء حول خلافة عبد المؤمن بن علي على الموحدين ، فمن الأراغمة من يثبت ان المهدي بن تومرت ترشح عبد المؤمن بن علي للخلافة الموحدية قبيل وفاة ابن تومرت بقليل ، مثل راي ابن القطان ، ومنهم من يؤكد ان عبد المؤمن بن علي بويع بخلافة الموحدين في سنة ٥٢٤ هـ (١١٣٩ م) ، بيعة خلصة . وذلك عقب وفاة المهدي مباشرة ، وان البيعة العامة لم يتم الا في عام ٥٢٧ هـ (١١٣٢ م) . على اننا نأخذ برواية البيهقي التي تؤكد ان ابن تومرت توفي في الاربعة او الخميس الخامس والعشرين من رمضان عام ٥٢٤ هـ (١١٢٩ م) فبويع عبد المؤمن بن علي في « السبت الاقرب من هذا التاريخ » ، وان هذه البيعة استمرت ثلاثة ايام متوالية ، وتقترب رواية ابن ابي زرع من رواية البيهقي ، فهو يذكر ان بيعة عبد المؤمن بن علي تمت يوم الخميس الرابع عشر من رمضان عام ٥٢٤ هـ (١١٢٩ م) وهي البيعة الصغرى او الخاصة اما البيعة العامة فيذكر انها تمت في عشرين ربيع الاول من سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١ م) .

وهناك من المؤرخين من يأخذ بالرأي القائل بان ابن تومرت اوصى بخلافة عبد المؤمن بن علي قبيل وفاته ، ومنهم عبد الواحد المراكشي . ويرى الاستاذ محمد عبد الله عنان ان عبد المؤمن قد تلقى بيعة قبيل وفاة ابن تومرت ، وأنه قد كتب نبأ وفاة المهدي حتى يخطط من خلفات القبائل ويتأقلمهم على الخلافة . وان الموحدين حين راوا بداية الخطر من قبلة القبائل خوفا على الخلافة وحرصا عليها بادروا بمبايعة عبد المؤمن بن علي الذي كان اكثر الناس التصاقا بابن تومرت . ويرجع اصل عبد المؤمن بن علي الى قبيلة كومية وهي بطل من بطون زناتة ، سوا من جهة الامم او الابد ، فهو بيري اصيل ،



فبراير ١١٦٣ م ) بنية الجواز الى الاندلس للقيام بغزوة اندلسية كبيرة للغاية (١) ، فنزل برباط الفتح ، ثم استدعى الحاضرين ليستطلع آراءهم في الخطوات التالية ، وكان من بين الحاضرين ابو محمد سيدرأى بن وزير الذى كان قد اوضح للخليفة الظروف السيئة التى تمر بها الاندلس ، فدولة البرتغال الناشئة فى ظل الفونسو انريكث لاتتوقف عن ضرب الجزء الغربى من الاندلس بلا هوادة ، لذلك فقد اقترح ابن وزير على عبيد المؤمن بن على ان يوجه جيوشه وبجهاث اربعة « تكون بجهة ابن الرنك بقلمرية (٢) اولاً ، وبجهة البيوج (٣) ، بالسبطاط (٤) ثانياً ،

ولما كان خليفة المهدي على الموحدين فلابد ان يكون له نسب عربى ، ولذلك فان المصادر العربية مثل المعجب لعبد الواحد المراكشى تذكر انه من ولد سليم بن منصور بن قيس بن عيلان بن مضر ، فيجده من العرب ، وقد نزل الى تلمسان ، هارباً من بعض الفتن بالاندلس فانتسب الى البربر بحكم الجوار والحلف ، هذا الى جانب ان هناك من ارجع نسبه الى آل البيت عن طريق امه (انظر عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ١٩٦ - ص ١٩٧ ، ابو بكر على الصنهاجى المكنى بالبيذق ، اخبار المهدي بن تومرت ، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات ، الجزائر ١٩٧٥ ، ص ٧٦ ، ابن ابى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٢١ ، ابن القطان ، نظم الجنان ، ص ١٦٨ . محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٢٢٢ ) .

(١) ابن صاحب الضلالة ، المن بالامامة ، ص ٢٢٠ - ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، تحقيق اويشى ميراندا ، ص ٥٥ .

(٢) يسميه عبد الواحد المراكشى ابن الريق ، ويقصد بصاحب قلمرية ملك البرتغال لان قلمرية كانت حاضرة هذه الدولة الناشئة ( عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٢٥٧ ) .

(٣) البيوج ، هو فرنانده ملك ليون Fernando II ، والبيوج لقبه ، وهو لفظ محرف من الاسبانية el Baboso ، الذى يفرز كثيراً من اللعاب ، وكان يطلق على الحمقى من الناس ، وربما أطلق عليه لما عرف عنه من سرعة الغضب (راجع ابن صاحب الضلالة ، تاريخ ابن بالامامة ، ص ٢١٩ ، هامش ٣ ) .

(٤) السبطاط تعنى Ciudad أى مدينة ، ويقصد بها مدينة Ciudad Rodrigo وتقع شرقى قلمرية وغربى أبله .

وجهة أذفونش (١) بطليطلة ثالثة وجهة برشلونة رابعة ... » (٢) .

فوافقهم الحاضرون ، ومن هذا النص يتضح لنا أن عبد المؤمن بن علي كان ينوي في تلك الآونة أن يسير أولا الى مملكة البرتغال الناشئة لمقاتلة ملكها الفونسو انريكث ، ثم الى ليون لمحاربة صاحبها فرناندو الثانى المعروف بالببوج ، ابن الفونسو السابع ريمونديس ، وبعد ذلك يتوجه الى قشتالة ، وكان ملكها في ذلك الوقت الفونسو الثامن ، الذى كان طفلا تحت الوصاية ، ثم يغزو بعد ذلك مملكة ارغون وبرشلونة وملكها الفونسو الثانى (٣) ، وهذا يعنى أن مملكة البرتغال كانت أكثر هذه الممالك خطرا على الاسلام في تلك الآونة ، فقد كان الفونسو انريكث غاية في الذكاء ، وقمة في حرصه على انتهاز كل الفرص ، ففي الوقت الذى كانت فيه الاندلس تضطرب وتموج بالفتن وخاصة اقليم الغرب الذى افتتح الطريق الى الثورة على الحكم المرابطى ، نجد الفونسو انريكث يتاهب لاغتنام أى فرصة تسنح له للسيطرة على الاشبونة ، وكانت آنذاك إحدى القواعد الإسلامية الكبرى في الغرب واعظم مراكز الموحدين لشن الغارات على اراضى البرتغال . فموقعها في قلب البرتغال ، كان يشكل خطورة على هذه المملكة الناشئة ، لذا ، فقد حاول الفونسو انريكث ، أن يقضى على تلك القاعدة الهامة ، ولما لم يكن لديه من الجيوش والقوات ما يكفي ، لاداء هذه المهمة الجبارة ، فانه استعان ، بحملة صليبية تتألف من عدد كبير من الانجليز والالمان والفلمنك ، كانت في طريقها الى الشرق لاحكام الحصار حول مدينة الاشبونة ، وكان ذلك في اواخر عام ٥٤١ هـ (١١٤٧م) واستمر حصار الاشبونة مدة طويلة للغاية امتدت الى عدة شهور ، ولكن حصانة الاشبونة ، حال دون سقوطها سريعا في ايدي البرتغاليين وحلفائهم

---

(١) هو الفونسو الثامن ملك قشتالة ويلقب بالملك الصغير el rey chico

(٢) عبد الملك بن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، الرباط ، ١٩٦٣ ، ص ٢٢٠ .

(٣) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطيين ، ص ٣٩٤ .

الصليبيين إذا كان يحوطها سور ، وتقوم فيها قصبة منيعة ، وكان بابها الغربى فى غاية الاحكام ، فقد عقدت عليه حنايا فوق حنايا على عمد من رخام مثبتة على حجارة من رخام ، وكل لها باب من حديد ، يعرف بباب الخوخة ، يشرف على مرج قسيس ، يشق جدول ماء نصير فى البحر ، ولها باب قبلى يسمون باب البحر تدخل امواج البحر فيه عشت مدة ، وترتفع فى سورة ثلاث قيم ، وباب شرقى يعرف بباب الحمة . . . وباب شرقى ايضا ، يعرف بباب المقبرة . . . وقد دلفح سكان الاشبونة عن مدينتهم خير دفاع ، وزعم شدة الحصار وامتداد امدته ، ورغم وتجاوز الكثير من الثغرات التى أحدثها العدو فى اسوار المدينة ، واضل اهلها ضمودهم ، واستماتوا فى الدفاع ، ولكن دون جدوى ، فقتل ضاعف البرتغاليون من ضرباتهم لاسيما بعد ان اخبرهم ملكهم الفونسو انريكت بان المدينة غنية بالاموال والحنى والكنوز ، وانتهى الامر بان اقتنصم البرتغاليون المدينة من باب الحمة او بابها الشرقى ، واذرع النصارى فى المدينة نهبا وقتلا ، فقد كان بالمدينة من النعم والثروات ما فلق خيالهم وتصورهم ، وبطبيعة الحال فان اول خطوة بادر الملك البرتغالى فى اتخاذها تحويل المسجد الجامع بالاشبونة الى كنيسة وتنصيب اسقف لالاشبونة ، وهو الاسقف خابرتو ، وتم ذلك فى جمادى الاولى من سنة ٥٤٢ هـ ( ٢١ اكتوبر سنة ١٢٤٧ م ) (١) .

ولم يكف الفونسو انريكت بهذا ، الفتح العظيم ، فقد تمكن من الاستيلاء كذلك على مدينة شنترين والمناطق المحيطة بها . . . ولهذا أصبحت مملكة البرتغال ، تشكل خطرا دائما على وجود الموحدين فى الاندلس (٢) .

(١) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٢٥ .  
(٢) ويذكر الفونسو العاشر فى المدونة الاولى للجامعة لاسبانيا . « ان هذا الملك دون الفونسو انزع من المسلمين مدينتي شنترين وشنتره . . . والاشبونة ، ويابرة والتخش ، ومواضع اخرى كانت قريبة من اراضي المسيحية . ولقد استولى الفونسو على كل ذلك من ايدي المسلمين . . . »



خليفة وقدر استولى الفونسو انريكت على قصر ابي دانس سنة ٥٥٥ هـ ( ١١٦٠ م ) بعد مضي شهرين فقط من محاصرته لها برا وبحرا ، ولم تات اواخر سنة ٥٥٧ هـ ( ١١٦٢ م ) حتى كان نصارى شنترين قد تمكنوا من غزو مدينة بابجة والاستيلاء عليها ، وسكنوا بها مدة اربعة اشهر ، عاثوا خلالها فسادا في ساحتها ، وهدموا اسوارها ، ثم رحلوا عنها (١) .

كانت بطليوس اثناء هذه السنوات المنصرمة على دخول الموحدين الاندلس مدينة مهددة بغزو وشيك من قبل مملكة البرتغال التي كانت تركز ضرباتها على اقليم الغرب . وكانت بطليوس خاضرة الغرب وقاعدة الثغور الجوفي منتهى أمل ملك البرتغال ، لذلك يمكننا ان نتخيل مدى العذاب الذي كان يشعر به أهلها في كل مرة تصلهم فيها انباء اقتحام الجيوش البرتغالية لأراضي الغرب وسقوط بعض مدنه ، خاصة اذا علمنا ان بطليوس في تلك المرحلة كانت تعاني من اضطراب سياسي كبير عقب استشهاد صاحبها محمد بن علي الحجام اثناء قتاله مع قوات الثائر ابن مرديش وصهره ابن همشك وحليفهما مدار الاقرع ، المعروف في المصادر العربية بالعلاج الذمي (٢) . وعلى اثر ذلك تعرضت لهجوم غادر

بفضل جهوده ، وبفضل اسلحته ، وكانت هذه المدن قد اخلت من سكانها منذ عهود مضت فاعاد تعميرها من جديد وتحصينها بأسوار منيعة ، تحميها من هجمات المسلمين . . . »

«Este rey don Alffonso, ganó de moros a saca Aren, Sintria, Vilxbona, Euora, Alanquer, et muchos otros logares que fueron et son a por de la tierra et de Cristianismo. Et esto ganó este rey don Alffonso de moros, por su esfuerço et Fuerça de armas, et maguer que las çibdades et las puelas dichas ruian yazido yermas et desertidas de luengo tiempo ya, poblolas el de nuevo et affortal-esiolas de muros por que se pudiesen tener bien contra moros...» (Primera Cronica General de España, P. 652).

(١) ابن صائغ الصغائر ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٣ .

(٢) هو حفيد البرهانس Alvar Fañez واسمه Alvar Rodriguez ( انظر ابن صائغ الصغائر ، تاريخ المن بالامامة ، ص ١٩١ ، وهامش

شده عليها القونسو انريكت ملك البرتغال في اول ربيع الثاني عام ٥٦٠هـ (٣٠٠ مايو ١١٦١م) ، ونمتد في هذا على نقش كتابي مسجل على شاهد قبر الفقيه ابي القاسم خلف الذي استشهد بشرقي جامع بطليوس على ايدي النصاري عندما فاجأ العدو بطليوس بهجومه القاذر . والشاهد لا يعدو لوحة من الرخام ( ٥١ X ٣٢ سم ) عثر عليها في مدينة بطليوس في عام ١٨٧٧م ونطالع فيها النص التالي : ( بسم الله . كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، هذا قبر الشيخ الفقيه ابي القاسم خلف بن حسن بن فرجون البكري نور الله ظريحه وقدس روحه . استشهد بشرقي جامع بطليوس حين غدر العدو لها في صبيحة يوم الخميس اول يوم من ربيع الآخر عام ستة وخمسين وخمسائة ) (١) . ويؤكد ابن ابي زرع تلك الحقيقة عندما يذكر ان عددا من الموحدين بقيادة ابي محمد عبد الله بن ابي حفص قدموا من قرطبة وفتحوا حصن اطرنكش من احوار بطليوس ، وقتلوا من به من النصاري . ويبدو ان هذا الحصن كان قد سقط مع بطليوس في عام ٥٥٦هـ ( ١١٦٠ - ١١٦١م ) عندما تعرضت للهجوم البرتغالي ، ثم تمكن الموحدون من استرداد بطليوس في نفس السنة ، يقول ابن ابي زرع : « وفي هذه السنة ملك الموحدون بطليوس وباجة وبابرة وحصن القصر ، فولى عليها عبد المؤمن محمد بن علي الحاج » (٢) .

ثم تجمعت قوات ابن مردنيش ومن تابعه من خلفائه الثوار وابرزهم صهره ابن همشك وخليفهما مزار الاقرع في اشبيلية ، فخرج اليهم السيد ابو يعقوب يوسف في انصارة من امراء غزب الاندلس وقيهم ابن وزير واين الحجام ، ودار القتال عتيفا وشديدا بين الطرفين ، وانتهى

= رقم (١) وقد سماه ابن ابي زرع في روض القرطاس بالاقرع ، أما ابن عذارى فيكتفى بتسميته قائد الروم . (انظر البيهقي ، اخبار المهدي ، بن تومرت ، حاشية ٣ ، ص ١٤٨) .

(١) : Lévi-Provençal, Inscriptions Arabes d'Espagne, t.I, PP. 59-60 .

(٢) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٣١ .

بهزيمة الأمير أبي يعقوب يوسف ومقتل أتباعه ، وفي ذلك يقول البيهقي :  
 « ومات في تلك الهزيمة محمد بن عمر الصنهاجي ، ويحيى بن أبي  
 بكر بن الجد ، وعمر بن ميمون الهرغي ، وولد وسار ، وابن علي  
 صاحب بطلوس ، وابن الغمر ، وعين الزجاج وابن وزير » (١) ويذكر  
 الأستاذ عنان أن البيهقي وحده هو الذي انفرد بالإشارة إلى هذه الواقعة ،  
 ولكنه لم يحدد لها تاريخاً ثابتاً أو يوماً بعينه ، أما الأستاذ عبد الحميد  
 حاجيات ، محقق كتاب البيهقي ، فيحدد تاريخها بعام ٥٥٧ هـ (١١٦١ م) ،  
 وذلك بعد استرجاع أبي سعيد بلدينة قريونته ، وقبل استيلاء ابن همشك  
 وابن مردنيش على غرناطة (٢) . غير أن كوديره يؤكد أن ابن الحجام  
 استشهد بنظر اشبيلية في سنة ٥٥٣ هـ (١١٥٨ م) ( وليس في عام ٥٥٧ هـ  
 كما يذكر د . حاجيات ) في نفس الوقت الذي استشهد فيه أبو الغمر بن  
 عزون (٣) .

ويرجعنا إلى البيان المغرب لابن عذاري نجد أنه يورد خبراً عن واقعة  
 تسمى زغبولة دارت في عام ٥٥٢ هـ ( ١١٥٧ م ) وأسفرت عن استشهاد  
 ابن الحجام ، وفيما يلي نص ابن عذاري : « وفي سنة اثنين وخمسين  
 وخمسمائة كانت واقعة زغبولة على مقربة من اشبيلية على السيد أبي  
 يعقوب يوسف ابن الخليفة ، وذلك أن النصارى اهلكهم الله غنموا بظن  
 اشبيلية ، فأمر السيد أبو يعقوب بوصول ميمون بن حمدون الوالي على  
 شلب والبلاد التي كانت بيد ابن وزير ، ويستعجل بعسكر الغرب ، فوصل  
 إليه ، فاستعجل السيد التي خربهم ومقارعتهم ، وبرز اليهم بعسكر  
 اشبيلية ، فلقى النصارى بتخضع زغبولة ، فدارت الحرب بين الكفرة  
 والمسلمين ، فمات الناس واجفلوا من مواقفهم ، وانهزموا عن السيد  
 بجمعهم ، واستشهد في المعركة ابن عزون ، ومحمد بن علي الحجام ،

(١) البيهقي ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص ١٤٨ .

(٢) نفس المصدر السابق ، ص ١٤٨ ، حاشية ٦ .

(٣) Codera, Decadencia y desaparición, p. 162 .



وجملة من التوختين : « وفقر ابن وزير بجواد معار من أحد قرابته » (١) .

وبمقارنة نص البيذق بنص ابن عذارى نجد أن كليهما يتفق على أن ابن الحجاج لقي مصرعه في هذه المعركة التي خاضها ضد النصارى في إشبيلية وأن الذي كان يتولى قيادتهم فيها السيد أبو يعقوب يوسف ، أما وجه الخلاف بينهما فيتلخص في النقاط التالية :

١ - لم يذكر البيذق تاريخ هذه المعركة ولم يحدد لها زمناً وأن كان الأستاذ حاجيات محقق النص قد حدد التاريخ بسنة ١١٦٧ هـ ( ١١٦١ م ) .

٢ - ذكر البيذق أن هذه المعركة دارت بين الموحدين وبين الأغنياء من ثوار شرق الأندلس وهم ابن مردنيش وابن همشك وأنصارهما من النصارى بقيادة مزار الأقرع ، بينما يؤكد ابن عذارى أن المعركة دارت بين الموحدين وبين النصارى المهاجمين لإشبيلية .

٣ - ذكر البيذق أن ابن وزير لقي مصرعه مع جملة من استشهدوا في هذه المعركة .

ولذلك كله نميل إلى الأخذ برواية ابن عذارى حيث إنه أكثر ثقة كما أن روايته أكثر تمسكاً مع مجرى الأحداث المقبلة ، فإن وزير لم يقتل في تلك المعركة بدليل أن اسمه سيكرر في السنوات المقبلة ، حيث سيكون له شأن كبير في أحداث كثيرة قادمة ، وهذا يتفق مع ما ذكره ابن عذارى ، وبهذا يكون نص ابن عذارى أكثر دقة وأولى بالثقة .

ومع ذلك فإننا نعتقد أن النص الوارد في البيذق عن اشتراك ثوار

شرق الأندلس في مهاجمة الموحدين يتفق مع رواية ابن صاحب الصلاة  
الذي يؤرخ ذلك الحادث سنة ٥٥٥ هـ ، ( ١١٦١ - ١١٦٢ م ) . ولكن  
ابن صاحب الصلاة وهو من مصدر ثقة يؤكد أن المعركة عاربت في الموضع  
المعروف بمزج الرخاء : Majorrenal ويقع على بعد نحو أربعة أميال  
من غرناطة ، وأن قائد الجيش الموحد الذي قتل هو الشهيد أبو محمد  
عبد الله بن أبي حفص ( ١ ) . وعلى هذا الأساس يصبح المقصود بابن  
علي صاحب بطليوس الوارد اسمه بين القتلى عند البيهقي هو محمد بن  
علي الحاج الذي كان عبد المؤمن قد ولّاه على بطليوس بعد أن استردها  
الموحدون . وبمقتل ابن الحجام في عام ٥٥٢ هـ ( ١١٥٧ - ١١٥٨ م )  
وتعرض باجة لهجوم يتصارع فيه شترينزيمة وتغير على بطليوس نفسها لاحتلال  
البرتغاليين في سنة ٥٥٦ هـ ( ١١٦٠ - ١١٦١ م ) لفترة قصيرة ، ثم  
استلهاه واليه محمد بن علي الحاج في سنة ٥٥٧ هـ تكون قد أوضحنا بعض  
التي في الصورة القائمة التي كانت عليها بطليوس في تلك الآونة . فلم تكن  
خاصرة العرب وأهم قواعد حشبه ، وإنما كانت من أهم مراكز المناطق  
الغربية في الأندلس بأسرها ، وأكثر مدن الغرب تعرضاً للسقوط .

ولما يسهل الموت عبد المؤمن بن علي الثامن بلاد العرب ، وتحرير  
الجزيرة ، فقد تعرض مرض الموت بعد أيام قليلة من بطوله برياطة الفتح ،  
ولما تصاعد المرض ، لهو أمير المؤمنين رغب في الظهيرة بإسقاط منطمد  
الذي كان يولى العهد من الخطبة يوم الجمعة الثاني من جمادى الآخرة  
من العلم المؤرخ : ( ٢ ) ، ولأنه علم يشرائنه أمهنا . يقبل على شربة الخمر  
بما يجعله يخرج مغموراً : أمام الناس ، غير تكب من الضمائل ولا يشينه  
ويشبه الباطل ، وفي ذلك يقول صاحب العجيب : لا فلبني تمام هناك الأمر  
لمحمد هذا ما كان عليه من أمور لاتصلح معها الخلافة من أحيان حرب  
الخمر ، واختلال الرأي ، وكثرة الطيش ، وتجب التيقن . ويقال أنه

.....

- ( ١ ) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالأمانة ، ص ١٩٢ .
- ( ٢ ) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالأمانة ، ص ٢٢١ .

مع هذا كان به ضرب من الجذام ، قاله أعلم (١) . وقد طلب عيد المؤمن من ولده أبى حفص أن يبذل قصارى جهده لا يخفى البيعة لأخيه الأصغر أبى يعقوب ، ثم ما لبث أن تمكن المرض من عيد المؤمن بن على ، فتوفي ليلة الجمعة العاشر من جمادى الآخرة سنة ٥٥٨ هـ (١٥٠ مايو سنة ١١٦٣ م) . (٢) .

وبويع للامير أبى يعقوب يوسف في مدينة سلا ، ثم رحل إلى مراكش حيث نزل بدار الخلافة ، وولى أخاه أبى حفص الشئون السلطانية والحجاية (٣) .

#### ب - الصراع بين البرتغاليين والليونيين حول بطليوس :-

في خلافة أبى يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بدأت مملكة البرتغال سلسلة جديدة من الغزوات المنظمة على بلاد غرب الاندلس ، وكان الملك الفونسو إنريكت قد استعان بفارس مغامر شجاع لايبالي بأبى مبادىء أو قيم في سبيل تحقيق مآربه ، هذا الفارس هو خيرالدو سيميا فسور Gerald Sem Pavor اى خيرالدو الشجاع ، وتطلق عليه المصادر العربية كالبيان المغرب وللمن بالامامة ، وكتاب العبر لهم « العليج جرائده الجليقي » . وحياة خيرالدو تذكرنا الى حد كبير بحياة السيد الكنبيطور ، ذلك الفارس المرتزق للغامر الذى كان يعمل في خدمة المسيحيين والمسلمين على السواء ، تفقد كان خيرالدو على حد تعبير الاشتاذ عنان (٤) ، قاطع طريق او رئيس عصاة للسلب والنهب ، ونجد مجالا يخصصا لنشاطه في الظروف التى كانت مائدة ائذاك في شتلاء الغرب الاندلسية « ولذلك فان البرتغاليين يطلقون عليه اسم « السيد البرتغالى »

.....

- (١) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٢٣٦ .
- (٢) محمد عبد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٣٩٤ .
- (٣) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٥٩ - ابن صاحب الصلاة ، كتاب المن بالامامة ، ص ٢٣٢ .
- (٤) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٢٦ .



بالتشابه أعماله مع أعمال السيد الكنبيطور : فجرانده اكتسح أراضي الإسلام في الغرب ، وعاث فسادا ونهباً وقتلاً ، والسيد الكنبيطور اجتاح بلنسية وطنجي وبغي وأحرق قاضيها ، وكلاًهما كان يشجعه ملك مسيحي ، فالفونسو السادس كان وراء أعمال السيد التخريبية ، والفونسو انريكت كان وراء جراندته يساعده ويمده بالاموال والمؤن والرجال لقتال المسلمين . وفي ذلك يقول ابن عذاري : « كان هذا الكلب جراندته صاحب المنجراة » ، فلما نحان ابن الرنك نعدته وثيقظه لغدر البلاد والحصون اعانه على ذلك برجاله ، وسلطه على المسلمين « (١) » . كذلك كان رأي ابن صاحب الصلاة فيه اذ يقول : « وكان اذفوتش بن الرنك (Alfonso Enriquez) الفادر الجليقي : صاحب قلورية . لعنه الله » ، قد عاين من نخدة هذا الكلب جراندته وثيقظه لغدر البلاد والحصون ما اعانه على ذلك برجاله ، وسلطه على المسلمين في الثغور بأوجاله « (٢) » . وقد وصف لنا كل من ابن صاحب الصلاة وابن عذاري وابن خلدون الطريقة التي كان يستولى بها لجرانده على مدن غرب الاندلس ، فكان هذا المغامر البرتغالي يفتي بالشدة الايام برودة وظلما لينفذ فيها خططه العسكرية القائمة على التخدر والتسلل في الخفاء ، فكان قد اعد آلات من السلاح المتخذة من الحديدان الطويلة لتساعده على تسلق اسوار المدن ، فاذا ما تمكن رجاله من الارتقاء السور الى ذروته ، نزلوا الى باب المدينة ، وهاجموا حاميتها ، وفتحوا الباب لعسكر البرتغاليين الذين كانوا يصيحون بلغتهم البرتغالية : « نطيطات مخيفة قوية عند اقتحامهم المدن الاسلامية تمهيدا للاستيلاء عليها واستباحتها » ، فغدر جراندته العليج المذكور لغنة الله - اولا من غدراته مدينة ترجاله (Trujillo) سنة ستين (٥٦٠ هـ / ١١٦٤ م) ثم مدينة يابرة (Evora) في ذي القعدة من السنة ، وباعها من النصاري ، ثم غدر مدينة قاصرش (Caceres) في صفر سنة إحدى وستين ، ثم غدر حصن منتانجش (Montanchez) في جمادى الآخرة من السنة ، ثم غدر

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٧٨ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٣ .

حصن جلمانية (Jurimenna) على مقربة من بطليوس ، وسكنه بجملته الذميمة يفاتن بطليوس ، ويؤدي المسلمين فيها حتى مكن سيف الخليفة منه « (١) . ونستنتج من هذا النص أن نفوذ جرادة بلغ حدا كبيرا ، فقد استولى على ترجاله ويابره في عام ٥٦٠ هـ ، الأولى في جمادى الأولى من هذا العام ، والثانية في ذي القعدة منه (٢) ، كما تمكن من الاستيلاء على قلنرش في صفر سنة ٥٦١ هـ (١٦٦ م) ، ثم استولى على حصن منتانجش في جمادى الثانية من عام ٥٦٢ هـ (١٦٦ م) ، وكذلك على جلمانية وحصن شيريه Serpa الواقع جنوبي بطليوس (٣) . وكانت كل تلك المدن والحصون في نظر جرانية وابن الزنك ( الفونسو انريكت بمثابة القنطرة التي يعبرون عليها إلى بطليوس ) ، أهم قواعد المغرب في الاندلس ، فكانت بطليوس الهدف الرئيسي الذي يهدفون إليه . وقد عبر ابن عذاري عن هذه الرغبة بوضوح في نصه السابق ، كما عبر عنه ابن صاحب الصلاة بقوله : « ثم غدر بخصم جلمانية على مقربة من بطليوس واسكنه بجملته الذميمة يفاتن منه بطليوس » ، يؤدي المسلمين فيها ، حتى مكن الله سيف أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين منه على ما ذكره بعد هذا في موضع ذكره ، ثم غدر مدينة بطليوس « (٤) » . ولعل السبب تم إرسال حملة موحدية كبيرة ، قوامها خمسين مائة فارس ، إلى بطليوس في سنة ٥٦٠ هـ ( ١١٦٤ - ١١٦٥ م ) لحمايتها ، صيغتها : « ويمنر . لقي لهم غزو شرخمة ذميمة كبيرة من النصارى الذين شتتروا ، فملكوا الله ، وهزمواهم ، وغنموهم ، وامتصوهم قتل وتبيل » . فكان ذلك عتوان الفتح لما يذكر بعد في هذه الغزوة « (٥) » .

تدب أبو يعقوب يوسف في أواخر سنة ٥٦٣ هـ ( ١٢٦٨ م ) أخاه

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٧٨ ، ٧٩ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٣ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، نفس المصدر السابق ، ص ٣٧٤ .

(٤) نفس المصدر ، ص ٣٧٤ .

(٥) نفسه ، ص ٢٧٠ .

ابن اسحاق ابراهيم فيكون واليه على قرطبة التي كانت يدون وال منذ  
ان تركها واليتها للسابق المتيد، ابو سعيد، عائدا الى مراكش، وكان عبور  
ابى اسحاق فاتحة خير للجهاد ضد مملكة البرتغال الناشئة على حساب  
الاراضي غربيه المتدلسين.

ثم وقع في اوانخز عام ١١٦٣ هـ (١١٧٠ م) : حادثه كان له بالغ الاثر  
في كفاه سيطرته فيلما بعد في سياسة مملكة البرتغال تجاه بطليموس ،  
فقد وفد فرنانده الى وهو فرناندو رودريجس Fernando Rodriguez  
صاحب ترغالة : صهر فرنانده البيوج ملك ليون (١) وهو فرناندو الثاني  
الملك بالسلطن (٢) وزوج اخته ، بنت الفونسو السابع ريموندس ، وقد مع  
استقبلته التي التبيلية : « راجبا : ان يكون ، غدينا لاهير المؤمنين : بن امير  
المؤمنين : ايدهم الله له متابعون لشيعته الكافرين : فاستاذن له ، الموحدون  
الذين بالتبيلية : حضرة امير المؤمنين بمراكش : » (٣) وقد احسن  
الخليفة ابو يعقوب استقباله بعد ان اذن له بالتقدم اليه باصطابة واخوته ،  
واقام فرنانده برودريجس : هناك مدة خمسة شهور : ثم خالفها بجرييل  
الخطاء : وبالح : النحافة : ، مما اثر على نفسه كل التأثير التي اخذها : « كاد  
ان يسلم ، وعاهد الله في نصح الامر بالخدمة المجدة واستسلم : » وضمن  
عن نفسه عن ثغور بلاد الموحدين ، وان يكون ردها لهم ، حليفا  
للمسلمين (٤) ، ثم عاد « فرنانده رايي النصراني » ، كما يسميه  
ابن صاحب الصلاة الى بلاده بعد ان امر الخليفة ابو يعقوب بان يشمل  
الموحدون بكل الرغاية .

وقد ثبت على هذه الزيادة التي قام بها فرنانده رايي (زودريجس)  
ان تم عقد هذه بين فرنانده الثاني البيوج ملك ليون وصهر فرنانده

(١) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ الملوك بالامامة ، ص ٣٦٤ .  
(٢) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٣٧١ .



رودريجت: وبين أبي يعقوب يوسف خليفة الموحدين ، وتجهد فرنانده  
الثانى بان يكون مع الموحدين عوناً لهم يعسكروا على أعدائهم .

واذا اردنا ان نلم بكافة الخلفيات لهذا الوضع السياسى ، فيجب  
ان نوضح ان العلاقة التى كانت تربط بين ملك ليون فرنانده الثانى  
وبين ملك البرتغال الفونسو انريكت ، كانت متوترة للغاية ، رغم اواصر  
القرابة والمصاهرة التى كانت تربط بينهما ، ففرنانده الثانى ملك ليون  
كان متزوجاً من اراكه Urraca بنت ملك البرتغال ، ولكن فرنانده  
الثانى كان دائم الطمع فى اراضى مملكة البرتغال الناشئة ، الى جانب  
حسده لملكها الفونسو انريكت لما احرزه من انتصارات عديدة على  
الموحدين فى بلاد غرب الاندلس . ثم ان فرنانده الثانى كان يجرؤ الى اهداف  
البعيدة من وراء هجمات الفونسو انريكت على غرير الاندلس ، وهى  
الاستيلاء على مدينة بطليوس التى كان ينظر اليها ملك ليون على انها  
ستصبح من خاصية ممتلكاته فى حالة اذا ما استردها من ايدي المسلمين ،  
ولذلك فقد عمد الى تحصين مدينة السبطاط الميمية بثيوداد نروهرينجو (١)  
Ciudad Rodrigo لتكون قاعدية له يغرس منها على مملكة  
البرتغال .

وكان اول مظاهر التحالف الذى تم بين دولة الموحدين ومملكة  
ليون قيام الموحدين بتزويد فرنانده الثانى بقوة كبيرة من عسكر المسلمين  
لقتال القمط نوثة ( نونيو بيريث دى لارا ) حاكم طليطلة (٢) . وقد

(١) عرفت مدينة Ciudad Rodrigo بالقشتالية القديمة بـ  
Cibdad ومنها حرفت التسمية العربية السبطاط ، فقد كانت  
اغلب المصادر العربية تلقب ملك ليون بصاحب السبطاط ، واحياناً  
بصاحب السبطاط وآبلة وليون وسمورة .

(٢) انجب الفونسو السابع ريموندس من البنين كلا من شاتجه الثالث  
اكبر اولاده وكان ملكاً على طليطلة ، وفرنانده الثانى الذى تولى  
مملكة ليون وعرفته المصادر العربية بالبيوج ، إما شاتجه الثالث

اشترك مجموعة كبيرة من كبار قادة الموحدين في القتال الى جانب ملك ليون ضد خصومه ، ومن هؤلاء القادة : أبو الغلاء بن عزون ، والحافظ أبو علي عمر بن تمصيلت ، وقد حاربوا معه حتى فصلوا حدود اشتوريش ، ثم عادوا وقد كسبوا صداقة هذا الملك الذي تعهد بمساعدة الموحدين ضد أعدائهم ، وكان ذلك للوعدة هي : الذي جنى مدينة بطليوس من بطش البرتغاليين في حملتهم سنة ٥٦٤ هـ ( ١١٦٨ م ) . . .

بطلان

ملك طليطلة فقد كان رشح للحكم أثناء حياته ولده الطفل الصغير ، وبدلاً من أن يصنف تليبة الحكم لفرنانده الثاني ملك ليون وعم الطفل ، أسندها لأحد أفراد أسرة كاسترو ، مما أثار حفيظة أسرة دي لارا التي التجأت الى فرنانده الثاني ليقوم بحماية ابن أخيه ( الطفل ) من آل كاسترو . ولم يتزدد فرنانده الثاني في اجتلال معظم قشتالة ، وأعلن الوصاية على ابن أخيه في سنة ٥٥٤ هـ ( ١١٥٩ م ) . ولكن الأمور لم تستقر بينه وبين أسرة لارا ولم يعد سلسلة من المفاوضات التي تلتها حروب ، نشبت حرب جديدة قتل فيها المانريش دي لارا سنة ٥٦٠ هـ ( ١١٦٤ م ) مما دفع اخاه القمط نونة التي أعلن نفسه وصياً على عرش قشتالة ، واستولى بقواته عبوة على طليطلة الحاضرة منادياً بالملك الطفل ، فاضطر فرنانده الثاني الى اللجوء الى الموحدين لمخارية نونة ( أنظر ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٠ ، هامش ٥ - يوسف إشباج ، تاريخ الإندلس ، ترجمة الأستاذ محمد عبد الله عنان ص ٣٧١ ) . ويعبر ابن صاحب الصلاة عن ذلك بقوله : « وذكر انه كان بينه ( أي بين فرنانده الثاني ملك ليون ) وبين القمط نونة ظئر ابن أخيه أذفونش الصغير صاحب طليطلة - خربها الله - فتنة ملتجئة على منازعة ملكهم ، وأكد الرغبة مع صلحه في عسكر من عساكر الموحدين ، أعزهم الله ، يبعث به اليه الى مدينته بالمسيطاط ليقابل بهم نونة القمط المنازع به عن ابن أخيه في بلاده ، فأمر له أمير المؤمنين - رضي الله عنه - بعسكر اشبيلية ، فمشى عثية مقدما الشيخ الناصح الموحد أبو العلاء بن عزون ، والحافظ أبو علي بن تمصيلت ، والحافظ أبو عمران موسى بن يحيى ، ووصلوا اليه بالعسكر المؤيد الي بلاده ، وقاتلوا أعداءه ببلاد قشتالة ، ووصلوا الى أقصى نظرة ببلده اشتوريش ، وغزوا من خارجه وشالوا من ساليه ، وأقاموا عنده في هذه الغزوة خمسة أشهر ، ثم انصرفوا عنه ساليين ماجورين ، وقد اغتبط بنصرهم ، وارتبط للمصلح الذي ربطه بأمرهم . » ( أنظر ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٠ ، ٣٧١ هـ )

جـ - سقوط بطليوس في أيدي البيزنطيين سنة ٥٦٤هـ واستنقاذها على أيدي اليونانيين في نفس السنة :

سبق أن ذكرنا أن الفونسو انريكت أصبح قريباً من بطليوس إذ استطاع عن طريق حليفه الفارس الغامر جراندو الجليقي ( خير الدو سبافور ) أن يستولى على معظم قواعد الغرب الإسلامية المحيطة ببطلوس ، بل أن استيلاءه على حصن جلمانية أصبح يعرض بطليوس للخطر . وكان الفونسو انريكت قد وضع خطته للاستيلاء على بطليوس وقد رايناه يحاول الاستيلاء عليها في سنة ٥٥٦هـ ( ١١٦٠ - ١١٦١ م ) ، ويشير الأستاذ عنان إلى الأوصاف الداخلية في بطليوس بأنه لا يعرف الظروف التي كانت عليها بطليوس في تلك السنة ، وأنه ليس متأكداً إذا ما كان ابن الحجام مايزال يتولاها أم أن واليه أخيراً قد أسندت إليه ولايتها ( ١ ) .

والحقيقة ، كما سبق أن أوضحنا ، أنه بطليوس كان يتولاها منذ أن استردها الموحدون وال يقتل له محمد بن علي الحاج ، الذي استشهد في سنة ٥٧٧هـ ( ١١٦١ م ) . وظلت بطليوس غاية الفونسو انريكت ، ومنتهى أمله ، بعد أن فشل في الاحتفاظ بها لفترة طويلة ، وأثر أن ينتظر إلى فرصة مواتية تمكنه من التفرغ بها .

وجاءت اللحظة التي كان ينتظرها الفونسو انريكت بعد أن نجح في الاستيلاء على ترجاة ونابرة سنة ٥٦٠هـ ، وهاضمت في صفر سنة ٥٦١هـ وحصن منتايش في جمادى الأولى سنة ٥٦١هـ ، وحصن شيريه في نفس الشهر ، وحصن جلمانية الواقع على مقربة من بطليوس في تاريخ لاحق ، وكان قد مضى على استيلائه على الأشيونة وشينترين نحو

---

(١) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ .



عشرين عاماً ، فبدأ له : إن مهمته قد أصبحت سهلة . ميسورة ، وإن الأمور قد تهيأت تماماً . لتنفيذ خطته . . . وكان يتولى بطليوس في تلك الاثناء واليهما الجديد أبو علي عمر بن تمصيلت ( ١ ) . « الذي ولى أمرها بعد مقتل ابن علي الحاج . . . وما يكاد ابن تمصيلت يعاين عظم جيوش جيرانه الجليقي . وهي مقبلة على بطليوس في سنة ٥٦٤ هـ ( ١١٦٨ م ) يهدف الاستيلاء عليها . حتى ياذن بالامتناع بقصبتها الحصينة ، وأرسل يستنجد بالموحدين ، وأوضح لهم الوضع . للخرج الذي تحتازه المدينة ، خاصة بعد وصول الملك القونسيو أنريكت بنفسه على رأس قواته ، واشترائه مع جيرانه في التضييق على الموحدين في القصة ، واقتحام بعض قواته للمدينة نفسها . . .

وكان الخليفة الموحدى أبو يعقوب يوسف على علم كامل بخطورة الموقف في غرب الأندلس . منذ أن بلغه سقوط ترجاله وقاصرش وجلمانية في يد الملك البرتغالى ، ولذلك فقد قرر إرسال جيوشه إلى غرب الأندلس لوضع حد لهذا العيث في تلك المنطقة الثغرية الجساسة من بلاد غرب الأندلس . « وقصد العمل في ذلك بنية الجهاد لله عز وجل ، واشفاقاً على المسلمين ، ودفاعاً عن الدين ، حين رأى العدو قد فغر عليها قماً ،

( ١ ) : ابن بطون : « الملوك المغاربة » : القسم الثالث : ص ٨٠ . وكان أبو علي بن تمصيلت من بين الحفاظ الذين اصطحبهم أبو عبد الله بن أبي إبراهيم بن الشيخ أبي إبراهيم صاحب المهدي بن تومرت إلى أشبيلية حين نعين والياً عليها ، وكان يصحب ابن تمصيلت من الحفاظ : عبد الله بن يعقوب ، ويعيش الجدميوى ، وأبو العيش من أهل كومية ، ومحمد بن عمران وابن تيشليت ، وكان ابن تمصيلت هذا من كبار قادة الموحدين ، وقد ظل يتنقل بين الأندلس والحضرة العلية في خدمة الدولة ، ثم نصب والياً على بطليوس بعد عام ٥٦١ هـ ( ١١٦٦ م ) وظل والياً عليها حتى أقدم القونسيو أنريكت على محاصرته ومن معه من الموحدين داخل القصة . ثم تقلد ولاية باجة في سنة ٥٧٠ هـ بعد أن عتلى الموحدون ترسيمها ، وكان ابن تمصيلت أحد القادة الذين شاركوا في مقللة القسط نونة ( دى لارا ) تاييدا لفرسانه الثانى كما سبق أن أوضحنا ( انظر : ابن عذارى ، البيان المغربة : القسم الثالث ، ص ٩٩ ) .

واسأل ذموع أهلها دما ، فنظر عسكر صخيم من مبارك شهم ، اختاره من  
الموحدين ، ووجهه صخرة الشيخ المرحوم أبي حفص عمر بن يحيى إلى  
قرطبة تقدم منه لما أمطه في نفسه من جنود الموحدين معه . . . وتبين  
أهل الأندلس بنو صولة وخلافة . . . (١) وقد كان العامل الرئيس الذي  
دفع خليفة الموحدين إلى الاحتكام بغرب الأندلس وصول خبر هجوم  
البرتغاليين على بطليوس وحصارهم لآل تمصليت ومن معه من الموحدين  
في القصة (٢) ويسوق ابن صاحب الصلاة عرواية على لسان أبي محمد  
سيدراي بن وزير في تبرير تدخل قوات الموحدين ، جاء فيها : « كان  
السبب في فتح جبل خركة الشيخ المرحوم أبي حفص إلى الأندلس بالعسكر  
المبارك من حضرة مراكش وصول الخبر بغدر اللعين جرافده الفجائيين  
بطليوس ، وتملك ابن البرك الغادر صاحب قلورية لها ، وحصر الموحدين  
الذين فيها قصبتها مع جافظهم أبي علي عمر بن تمصليت ، وذلك في  
شهر رجب الفرد من عام أربعة وستين وخمس مائة المؤرخ به ( أبريل  
١١٩٩ ) وأنهم في ضيقة من الحصار ، وتحت أجل من الكفار » (٣)  
ويذكر ابن عذاري أن الخليفة أبا يعقوب يوسف أمر بضرب الطبول  
والخروج من مراكش إلى الأندلس بمنزلة أن علم بحصار البرتغاليين  
لبطليوس وأهلها ورجالها من الموحدين ، وتغير عن ذلك بقوله : « وركب  
من فوره ، فخرج من مراكش ونزل وادي تنسيفت عازما على الغزو إلى  
الأندلس » . فاقام به ثلاثة أيام على هذه النية ، فاجتمع رأي الموحدين  
أن يقدم أبو حفص المذكور بالعسكر (٤) ويستطرد ابن عذاري قائلا  
أن الخليفة « مخاطب أهل الأندلس برسالة كريمة من أئمة ابن الحسن  
ابن عيسى فخرج فيها الإحوال المعزية عن الأمل ، فكان أبو حفص على

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٧٩ ، وقارن :  
ابن صاحب الصلاة ، تاريخ ابن بالإمامة ، ص ٣٧٤ .

(٢) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص ٧٩ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٣٧٥ .

(٤) ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٨٠ .

ما ذكرناه ، وكانت تحركته في شهر ربيع الآخر من سنة أربع وستين ، وهو تاريخ الكتب المذكور (١) . ومن هذا النص يتضح أن أبا حفص قد عبر إلى الأندلس بعد تلقيه هذه الرسالة أي في ربيع الآخر سنة ٥٣٤ هـ ( ١١٦٨ م - ١١٦٩ م ) وهذا يعني أن هذا الجيش الموحدى قد أعد للعبور إلى الأندلس ، وأنه قد جاز بالفعل قبل الهجوم البرتغالى على بطليوس بنحو ثلاثة شهور . . . ويعمل الأستاذ محمد عبد الله عنان ذلك بقوله (٢) : « ليكون طليعة لحركة الجهاد الكبرى ، ويطمئن أهل الأندلس بوضوئه » ، وأنه « فوجئ بخرافات بطليوس الثناء وجوده باشبيلية » (٣) . ويؤكد ابن صاحب الصلاة (٤) لصن رسالة الخليفة الموحدى ، إلى أهل الأندلس ، كاملة ، « يؤكد أن انصراف الجيوش الموحدين من المغرب وعبورهم إلى الأندلس قد تم في شهر ربيع الآخر من عام ٥٦٤ هـ ( ١١٦٩ م ) ، وبهذا يتأكد لدينا أن الموحدين قد عبروا إلى الأندلس في هذا التاريخ بناء على الأمر الصادر من الخليفة يوسف الذى أراد أن يتفرغ للاهتمام بالأندلس بعد أن قضى على الفتن التى كانت تؤرقه في المغرب ، وقد استقرت بهذه القوات الموحدية بقيادة الشيخ أبى حفص في اشبيلية ، ولم يتحرك من اشبيلية إلى بطليوس إلا بعد ما يقرب من ثلاثة شهور .

غير أن تسلسل الأحداث لا يستقيم بهذه الصورة ، فكيف يستولى ملك البرتغال على مدينة بطليوس ويحاصر قصبتها في شهر رجب سنة ٥٦٤ هـ ( ١١٦٩ م ) ، ثم يبلغ الخليفة خبر غدر البرتغاليين ببطليوس في وقت كان مشغولا فيه ببعض الفتن ، فيتباطأ في توجيه النجدة إلى أن يقضى على الفتن ثم يرسل جيشا من المصامدة يجوز إلى الأندلس في ربيع الآخر سنة ٥٦٤ هـ أي قبل شهر رجب الذى حوصرت فيه قصبة بطليوس بنحو ثلاثة أشهر ؟ فكيف يصل إلى علمه واقعة حدثت بعد

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٤ .

(٣) راجع نص الرسالة في كتاب تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٧ .



وصول قواته إلى الاندلس بثلاثة أشهر؟ ونعتقد أن هنالك ثمة خطأ في تاريخ الحصار البرتغالي لقصبة بطليوس، ونرجح أن يكون التاريخ الصحيح هو شهر رجب من سنة ٥٦٣ هـ (١١٦٨ م - ١١٦٩ م) بدلاً من سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٩ م). ويضاف يمكن تفسير وصول الحملة التي أرسلها خليفة الموحدين إلى الاندلس متأخرة، بسبب الفتن التي شغلتهم عن الجهاد في الاندلس. ويؤكد رأينا هذا قول ابن صاحب الصلاة: «وكان من بين هذا العسكر المبارك (الذي أرسله الخليفة) أنه لما وصل أشبيلية سألما صبيحة الشيخ المرحوم أبي حفص بينما هو عازم على الحركة لغوث المسلمين ودفاع الثغر الغادر ابن الرنك - لعنه الله - عن غلبته على مدينة بطليوس وحمايته للموحدين المصورين بقصبتها، وهو قد أعد واعتد لذلك...» (١). ونستدل من هذا النص أنه حتى أن بطليوس كانت قد اختلت بالفعل وأن قوات البرتغاليين كانت تتحاصر بطليوس منذ فترة طويلة.

وخلال الرغم من استحكام الحصار البرتغالي لحول قصبة بطليوس فقد كان في وسع ابن تمصيلت الممتنع بالقصبة الصمود أمام حصار طويل الأمد، بسبب حصانة القصبة وصعوبة اقتحامها، وكان يحدوه الأمل في أن تصله نجدة من أشبيلية في وقت قريب. ومن الغريب أن النجدة التي كان يتربها ابن تمصيلت وصلت بالفعل، ولكن ليس من أبناء ملته وجنسته وإنما من ملك ليون، وفي ذلك يقول ابن عذارى: «أذا البشير قد وصل معلما بأن النبوج بن أذفونش المعروف بالسليطن صاحب مدينة السيطاط وأبلة وليون وسمورة قد وصل بخيلة ورجالها حاميا للمسلمين، ودافعا لضيقة الكافرين عن مدينة بطليوس طاعة منه إلى الخليفة» (٢).

(١) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المرزبانية، ص ١٠٠.

(٢) ابن عذارى، البيان المنزب، القسم الثالث، ص ١٠٠.

وقبل أن نستمر في وصف بقية الأحداث ، علينا أن نغير موقف  
فرنانده الثاني ملك ليون من الليوتغاليين الذين كانوا يحاصرون بطليوس ،  
ولقد سبق أن أوضحنا أن تنافسا شديدا بين الملكين فرنانده الثاني الليوني  
والفونسو انريكت البرتغالي كان قائما بينهما بسبب تمسك فرنانده الثاني  
بدعوى سيادته على المملكة البرتغالية الناشئة بنجة وراثته لها عن والده  
القيصر الفونسو السابع ريموندس ، وبطبيعة الحال رفض الفونسو انريكت  
هذه الدعوى من قبل ملك ليون ، وعزم على التصدي لاطماع فرنانده  
في بلاده ، لذلك فقد بادر بالهجوم على مدينة رودريجو ( السبطاط )  
التي كان فرنانده الثاني قد أنشأها لتكون منطلقا لشن غاراته على  
البرتغال ، ودارت بالفعل معركة عنيفة بين الجانبين ، أسفرت عن هزيمة  
البرتغاليين ووقوع عدد كبير منهم في أسر الليونيين . وجاء رد الفعل  
البرتغالي سريعا ، فقد شن الفونسو انريكت هجوما ساحقا على اراضي  
مملكة ليون ، واستولى في ٥٦٢ هـ ( ١١٦٧ م ) على مدينة توي Tuy  
ثم على مدينتي ليا وترونيو ، ووضع فيها خاميات برتغالية ، وبرر  
سلوكه ازاء مملكة ليون بأن تلك المدن التي استولى عليها كانت فيما  
مضى ملكا لأمة الملكة تيريسا ، تلقتها عن والدها الفونسو السادس كهذية  
لزوجها . ولما كان شاتجة الثالث ملك قشتالة وشقيق فرنانده الثاني ملك  
ليون قد عقد اتفاقا مع أخيه عقب وفاة والدهما الفونسو ريموندس ،  
يقضى بتقسيم اراضي الاندلس ( إسبانيا الإسلامية ) الى منطقتي نفوذ ،  
يختص كل منهما بمنطقة ، فكان من نصيب فرنانده الثاني ملك ليون  
منطقة الغرب ، وعلى وجه التحديد المنطقة الممتدة من ليبة حتى اشبونة  
بما فيها منتانجش وماردة وبتليوس وبابرة وشلب بحصونها وقلاعها ،  
وكذلك نصف مدينة اشبيلية . أما ملك قشتالة ففي حالة استرداد الاندلس  
من المسلمين تؤول اليه بقية اراضي المسلمين في الاندلس . لهذا فان اعتداء  
الفونسو انريكت على بطليوس في عام ٥٦٤ هـ ( ١١٦٨ / ١١٦٩ م ) كان  
يشكل في نظر فرنانده الثاني اعتداء على ممتلكاته الشخصية ، هذا من  
جهة ، وينبغي ألا نغفل من جهة أخرى الاتفاقية التي عقدت بين أبي  
يعقوب يوسف وبين فرنانده الثاني ، وهي مقتضاها لتترك القوات الموحدين

مع القوات الليونية (١) في مخاربة القمط-نونة ( نونيو بيريت دي لارا )  
حاكم طليطلة وعدو فرنانده ، وقطع فرنانده عهدا على نفسه بعد تلك  
الواقعة ان يساعد الموحدين ضد اعدائهم .

ويضاف إلى ما سبق ان وإلى بطليوس ابا على عمير بن تمصيلت  
كان احد قادة الموحدين الذين اشتركوا مع فرنانده الثاني في قتال عدوه  
دي لارا ، ولذلك فان خروج فرنانده الثاني إلى بطليوس لتخليصها من  
الاحتلال البرتغالي ورفع الحصار عن واليها ابن تمصيلت كان نوعا من  
رد الجميل له باعتبار انه كان ممن اسدوا له معونة عسكرية من قبل .  
وكانت عيون فرنانده تطالع تحركات قوات الفونسو انريكث عن كثب ،  
فما كادت قوات الاخير تقتحم مدينة بطليوس وتحكم الحصار على قصبتها  
حتى بادرت قوات فرنانده الثاني بالخروج إلى بطليوس لاستنقاذها .  
بل ان فرنانده بادر بارسال احد جواسيسه إلى ابن تمصيلت في القصة  
والى سكان بطليوس يطمئنهم بأنه قادم لنجدهم ، كما يطلب من ابن  
تمصيلت ان يدلّه على ايسر الوسائل التي تمكنه من دخول المدينة .  
فارسل ابن تمصيلت مجموعة من رجاله إلى موضع في سور القصة لم  
يفطن اليه البرتغاليون ، وانتظر هؤلاء الرجال هنالك إلى ان تحققوا  
من قدوم الليونيين ، وعندئذ « نقب الحائط بابا في قصة بطليوس من  
جهة خفية » ، وخرجت قوة من الموحدين إلى اقرب ابواب المدينة  
فتجوه ، فاندفع الليونيون داخل المدينة ، ودارت في شوارعها موقعة  
عنيفة اشتركت فيها قوات الموحدين . ولما بدت معالم الهزيمة على  
البرتغاليين اثر الفونسو انريكث ان يولي الادبار وينسحب برجاله من  
المدينة ، « وخرجوا بجمعهم إلى باب قريب من ابواب المدينة فتجوه ،  
وادخلوا منه العسكر المذكور ، فتقاتلوا بداخل المدينة مع اصحاب ابن  
الرنك والموحدون المحصورون يعينون اصحاب البيبوج ( فرنانده ) وهم  
قد سبوا الصفوف ، ولبسوا الدروع ، فرأى ابن الرنك من تصميم الموحدين

(١) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٠ .



وأصحابهم في قسبتهم. والاقدام عليهم ، وأصحاب البيبوج يجدون مع المسلمين على عيكة ابن الرنك حتى انهزم ، وفر مهزوماً<sup>(١)</sup> في شعبان سنة ٥٦٤ هـ . ولكن الامور لم تمر بسلام بالنسبة لالفونسو انريكث ، فقد اصيب بكارثة انعام انسحابه ، ففي اثناء تراجعه من المدينة مذعورا « كان عمود باب المدينة ممدودا ، وقد اعده الله من جنده مغدودا ، فانضغط اللعين ابن الرنك في الخروج ، فكسر عمود الباب فخذة اليمنى ، فنقط مغشيا عليه<sup>(٢)</sup> . » عندئذ حمله أصحابه ، وهو فاقد الوعي الى بلدية قاية<sup>(٣)</sup> : Caia الواقعة شمال بطليوس<sup>(٤)</sup> ، ولكن قوات فرنائه الثاني البيبوج لم تتركه يفر بسلام ، فقد طاردته واسرته مع عدد كبير من اخصاره ، وساقوه اسيرة اليه ، مقيدا بأغلال من الحديد ، ثم عامله فيما بعد بمنتهى الكرم والشهامة ، وعالج جراحه حتى برا ، ثم اطلقه ومنزحه الى بلده قلمزية مهزوما بعد ان وعده الفونسو انريكث بان يعيد اليه سائر المدن والمناطق التي كان قد انتزعها منه<sup>(٥)</sup> . ويذكر كل من ابن رضاحب الصلاة وابن عذارى ان ذلك الكسر قد اثر على الفونسو انريكث ما تبقى اليه من عمر ، فقد ثلث ساقه ، ولم يعد يستطيع بعد ذلك اليوم ان يركب الخيل<sup>(٦)</sup> . وبينما يؤرخ ابن صاحب الصلاة هذه الهزيمة التي تعرض لها الفونسو انريكث سنة ٥٦٤ هـ (١١٦٨ م)

.....

(١) ابن عذارى : البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٨٠ . وقد ورد النص في تاريخ المن بالإمامة مفصلا ، فقد أشار الى اشتراك الموحدين بالقصة في القتال ، فقال : « وهم قد سوا صفوفهم ، ولبسوا الدروع المحكمات ، واثقلت على رؤوسهم البيضات ، وحصنت اعضاءهم بالسواعد والساقات » ( ابن صاحب الصلاة ، ص ٣٨١ )

(٢) ابن عذارى : المصدر السابق ، ص ٨٠ .

(٣) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة ، ص ٣٨٠ . وقاية بلدية تقع غربي بطليوس على مقربة منها .

(٤) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٨ .

(٥) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٣٨٠ - ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٨١ .

ألا ان فلورينث Florez عيحد تاريخ الهزيمة بشهر يونيو ١٦٩١ م. (أى  
أوائل عام ١٥٦٥ هـ) : « (ب) . . وتسوق الدوحة الأولى لتاريخ إسبانيا العام  
رواية شبيهة بما ورد في المصاحف العربية . جاء فيها : « مضى بعد ذلك  
( يقصد الفونسو : ألفريك ملك البرتغال ) نحو بطليوس التي تدخل في  
نصيب الملك دون فرنانده وذلك في التقسيم المتفق عليه لارضى المسلمين  
عند استردادها » . . .

«Badajoz aue caydo al rey don Fernando en partida de los terminos  
que eran aun de conquista de Moros» . . .

ثم يقول : « وبلغ ظهر دخول البرتغاليين بطليوس التي فرنانده  
ملك ليون ، فبادر بالخروج بجلى براس حواطة ، واثبتك داخل بطليوس  
مع الفونسو : ألفريك ملك البرتغال وتغلب عليه ، فانسجنت قوات  
البرتغاليين بينما كانت قوات المسلمين محصورة في برج . . . وعند مغادرة  
الفونسو ألفريك باب بطليوس اصطدم بعمود حديدى كان يعلق به  
الباب ، فاصيب فخذ ، ولم يستطع ان يمتطى جواده ، فسقط على  
الارض . . . ثم وقع اسيرا بعد ذلك ، ومثل بين يدى الملك دون فرنانده ،  
فاحسن استقباله ، وتطاول معه . . .

(et el rey don Fernando recibió bien et con piedad)

وباجل هذه معه في منصفه الملكية سنة ومنذ ذلك الحين لم يعد الملك الفونسو  
ملك البرتغال قادرا على استخدام الخيل بسبب مناقه التي اصبحت عند  
انسحابه من بطليوس . . .

(El dalli adelant este rey don Alfonso de Portugal non pudo usar  
de fecho de caualleria por razon de la pierna quel crebara en la  
salida de la puerta de Badajoz como dixiemos).

ثم خرج اليه المسلمون المحصورون في البرج المشير اليه ، وباتمة قصرهم

وقضبة المدينة ، وقد أكرمهم الملك واستوثق منهم ، وأقام عليهم رجلا  
يخطى ابن هابل أو ابن حابل ، Abenhabel ( له الحافظ ) وعهد  
اليه بمهمة الخفاف عن المسلمين في المدينة « (١) » .

أما جراند فقد فر « الى موضعه حتى مكن بالله منه سيف أمير  
المؤمنين بن أمير المؤمنين » (٢) ، وفي رواية أخرى أنه أمر مع القونسو  
انريكث ، ثم أطلق سراحه مع القونسو انريكث (٣) ، ونحن نميل الى  
الأخذ بنصي ابن صاحب الصلاة ، ويذكر أشباخ نقلا عن الاسقف رودريجو  
خيمينث دي رادا أن فرنانده الثاني أقر بعد انتصاره على البرتغاليين  
ابن حابل Abenhabel واليا على مدينة بطليوس (٤) ، كما اشارت  
المدونة العامة لتاريخ اسبانيا الى نفس الاسم (٥) ، ولكن هذا القول مشكوك  
في صحته للمسيحيين من الأول أن فرنانده الثاني لم تكن له أى سلطة أو  
سيادة على بطليوس حتى يقد عليها واليا دون آخر ، فبطليوس كان  
يتولاه عامل من قبلى الموحدين ، وبين المتطابقين إلا يتدخل فرنانده في

(١) Primera crónica general de España, pp. 675, 676.

(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالأمامة ، ص ٣٨٢ . وقد انطاعت  
ابن صاحب الصلاة في ذلكو تفضل سقوط جراند بالبطيقي في يد  
الخليفة الموحدي الى سفره الثالث المفقود ، ولكننا تمكننا من  
الاطلاع على تفاصيل ذلك فيما كتبه البيدق وابن عذاري ، وتبين  
أن جراند قد قدم في سنة ١١٨٩ هـ (١١٨٣ م) الى اشبيلية مع اضطراره  
الادلاء ليعمل في خدمة الموحدين ، فرجبوا بمقدمه وأحسنوا اليه .  
ولما عظم القونسو انريكث بذلك استاء للغاية ، فأرسله سرا ، وأمره  
بأن يغدر بالموحدين في الوقت المناسب ، فلما علم الموحدون بذلك  
أرسلوه مكبل بالاعلال الى سجنهم ، وحاول جراند الفرار من  
أخذ المراسي ، فقتل واحتز رأسه ( البيدق ، أخبار المهدي بن  
توموتس ، ص ١٨٨ ، ١٨٩ ، ابن عذاري ، الطيغال المغرب ، القسم  
الثالث ص ١١٣ ، ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالأمامة ،  
ص ٣٨٢ هامش ١ ) .

(٣) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٨ .

(٤) أشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٢٨٠ ، ٢٨١ .

(٥) Primera Crónica General de España, p. 676.



ادارتها وولاية أمرها ، لذلك نرجح أن فرنانده سلم المدينة إلى واليها ابن تمصيلت ورحل (١) . والثاني أن اسم ابن جابل الذي ذكره الإسقف رودريجو أو ورد في المدونة الأولى العامة لتاريخ اسبانيا تحريف واضح للقب واليها المسلم ابن تمصيلت ، فهناك تشابه واضح في النطق بين جابل وحافظ وهو لقب ابن تمصيلت .

وأيا ما كان الأمر فقد وضلت تلك الأخبار السارة إلى الشيخ ابن حفص عمر ، وكان في تلك الاثناء في طريقه إلى بطليوس لاجادتها ، فسر للغاية ، وبادر بإبلاغ ذلك للخليفة أبي يعقوب يوسف ، بينما قفل فرنانده الثاني عائدا إلى بلاده ظافرا .

د - محاولات جراند الجليقي السيطرة من جديد على بطليوس :

على الرغم من تغلب الليونيين على البرتغاليين في بطليوس سنة ٥٦٤ فان اطماع هؤلاء في هذه المدينة لم تنته عند ذلك الحد ، وظل المغامر البرتغالي جراند الجليقي يامل في انتهاز أي فرصة للاغارة على بطليوس والاستيلاء عليها ، ولذلك أقام في حصن جلمانية بالقرب من بطليوس يراقب عن كثب ، ويستطلع احوال الغرب كله . وقد اتاحت له الظروف فرصة الاغارة من جديد على بطليوس ، وذلك عندما امر الخليفة أبو يعقوب يوسف في نفس عام ٥٦٤ هـ ( ١١٦٨ - ١١٦٩ م ) الذي وقعت فيه الغزوة البرتغالية النابقة على تلك المدينة بخلع ابن تمصيلت عن ولايتها وتولية الحافظ أبي يحيى بن الشيخ أبي حفص عليها بدلا عنه . وفي ذلك يقول ابن صاحب الصلاة : « وفي هذه السنة ، مدة إقامة الشيخ المرحوم أبي حفص بقرطبة توجه ابنه الحافظ الأسنى أبو يحيى وألينا إلى مدينة بطليوس عن الأمر العالي إدامه الله من

(١) محمد عبد الله عنان ، المرجع السابق ، ص ٣٨ .

حافظ: عبالى ، ، تناظم لاشقات المعالى ، ، غيث فى الندى ، لىث عبالى  
العدى ، ، حاتم قبيلة ، ، وأسد الفوارس فى غيله ، مع انبساط وجه ونفس ،  
وروضة نائبة فى المنجالبية ، ، وآنس وعفاف ووقار ، ، وحفظ للحديث  
والعقائد بلستظهاز ، ، « (١) » .

١ . « ومثذر أن ولى . المحافظ . أبو يحيى بن أبى تحفص . أمر بطليوس وهو  
يسعى إلى زيادة تحصينها ، فشرع فى تحصين أسوارها إلى جانب تأمين  
وصول مياه نهر واديانه إليها ، ولذلك فقد قام بتنفيذ أوامر الخليفة  
ابن يعقوب المتن . تقضى بحفر بئر فى داخل قصبة مدينة بطليوس  
ليتسرب إليها ماء نهر واديانه ، ضمانا لتوفير المياه داخل القسبة فى  
حالة تعرضها للحصار أو الهجوم . ويذكر ابن صاحب الصلاة ، أنه « جد  
فى تحفر البئر المذكور بالمعدتين والفطة فى ذلك وهى المعروفة عند العامة  
بالقوراجة » . وجليه الماء إليها ، ففتحنت القسبة ، وقويت بها  
النفوس الآمنة » (٢) . « ومما لاشك فيه أن هذه البئر كانت من أهم  
العوامل التى زادت من حصانة القسبة ومتانتها . ولما كان جرائده  
مقيما بخليمانية التى كانت مأتزال فى قبضة البرتغاليين فقد كان محيطا

(١) ابنه صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٩٢ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٩٢ .  
والقوراجة ( بالاسبانية Coracha ) سور فرعى قصير أو ستارة  
تصل بين السور الأسمى وتنتهى عادة ببرج برانى يدعم الدفاع عن  
المنطقة التى يقوم فيها ( انظر

Elşayed Abdel Aziz Salem, obras almohades en la muralla  
almorávide de Sevilla, Revista del Instituto Egipcio de Madrid,  
vol. XX, 1979 - 1980; p. 179, Robert Ricard, «Couraça et coracha»,  
al - Andalus 1954, pp 149 - 172.

وكان البئر يقام عادة فى تلك المنطقة التى تحميها القوراجة ،  
وكان سبب استيلاء البرتغاليين على شلب ، فيما بعد ، استخواتهم  
على القوراجة وتحكمهم فى البئر ( انظر ابن صاحب الصلاة ،  
تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٩٢ هامش ١ ) .

بكل ما جرى في بطليوس من تحصينات دفاعية ، ولهذا لم يتقدم في  
الاستيلاء . تلك القرصة ، ويأمر بالهجوم على -أحوار بطليوس- ، وظل  
يغير على تلك المناطق المحيطة بالمدينة مدة شهر متتالية ، والتزم والى  
المدينة أسلوب الدفاع . ويعبر ابن عذاري عن هذه الحوادث بقوله :  
« وفي مدة اقامته دارت بينه وبين جراند النصراني حروب صبر فيها أبو  
يحيى . » واستبعد -بمفاع- المصنف : « ودام على جهاده شهورا (١) » . ولما  
لم ينجح جراند نتيجة فعالة من هذه الاغارات المتواصلة : « أعد حملة  
عسكرية شارك فيها كثير من أهالي شنتزين » ، وعمل على خداع أهل  
بطليوس ووالديها . « فكمن لهم في مواقع خفية عن عيونهم » ، ثم أغلوا  
على أحوار مدينة بطليوس فتخرج اليه واليهبوا المحافظ أبو يحيى في قوة  
من الموحدين ، فتظاهر جراند بالهزيمة ، « وتراجعت قواته » ، فظن  
الموحدون أنه انهزم ، « وانخذ يولي الأهبان » ، فشجعهم ذلك على مطاردته ،  
فتصادى جراند في خداعه لهم ، فلما ابتعدوا عن المدينة خرجت كفاة  
المنصوية ، وأطبقت عليهم (٢) . « فسحق المرتضائيون في ذلك اليوم قوات  
الموحدين » ، وأسروا عددا كبيرا من كبار رجالهم ، أفقدهم بأموالهم  
قيما . بعد . وبعد أن اطمأن جراند على انتصاره ، « انصرف عن  
بطليوس (٣) » . وكان من بين الأسرى من الموحدين رجل يدعى على  
ابن صاحب الصلاة ، بلغ فداؤه ما يقرب من ثلاث مائة دينار . (٤) .  
ولم نتوصل الى معرفة أي تفاصيل عن هذا الشخص ، لأننا لم نلق على  
ترجمة له في كتب التراجم . ويعلق الأستاذ الدكتور عبد الهادي التازي  
على سيرة هذا الرجل فيذكر أنه لم يكن بالتأكيه غليا بن محمد بن عبد

(١) ابن عذاري ، البيان ، القسم الثالث ، ص ٨٣ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٣٩٣ . ابن عذاري ،  
البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٨٣ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٣٩٤ . ابن عذاري ،  
البيان المغرب ، ص ٨٣ .

(٤) ابن صاحب الصلاة ، نفس المصدر ، ص ٣٩٣ .



الوحداء الذي ترجم له ابن الأثير في ترجمته ، لأن علي بن محمد هذا كان صاحب الصلاة والخطبة في مريبط Murviedro . وقد توفي في سنة ٦٣٣ هـ ( ١٢٣٥ م ) أي بعد سبعين عاماً مضت على هذه الواقعة . وهناك اعتلمان في أن يكون الخط لعبد الملك بن صاحب الصلاة صاحب كتاب تلويح المتن بالهملكة (١) .

ولم تكن هزيمة الموحدون في أجواز بطليوس آخر الهزائم التي أوقعها بهم جراند ، فإن هذا المغامر البرتغالي لم يكف عن شن غاراته وهجماته على هذه القاعدة الثغرية الهامة ، وساعده على ذلك أن مدينة بطليوس تعرضت في أوائل عام ٥٦٥ هـ ( ١١٦٩ م ) ، أي في أعقاب سقوطها في يد الفونسو انريكث عام ٥٦٤ هـ لحالة من الجذب ، فقد ذكر ابن عذاري أن في هذه السنة ، « في رجب زاد ضعف مدينة بطليوس من القوت » (٢) . ولم يكن الجذب الذي أصاب بطليوس قاصراً عليها وحدها ، فقد شمل بلاد الأندلس كلها نتيجة الجفاف وتوقف سقوط المطر في هذا العام ، هذا إلى جانب الزلازل الرهيبة التي تواصلت عند شروق الشمس وعند مغيبها طوال شهر جمادى الأولى من عام ٥٦٤ هـ ( ١١٦٨ م ) إلى حد أن بعض مدن الأندلس مثل اندوجر Andujar كادت تهبط في جوف الأرض ، وقد بالغ ابن صاحب الصلاة في وصف هذه الأحوال المؤسفة التي تعرضت لها الأندلس في ذلك العام في قوله : « واتصل بعد ذلك بمدينة قرطبة وأغوناطة وإشبيلية وجميع الأندلس ، فكان الراي بعينه ، يرى حيطان الديار تضطرب وتميل حتى إلى الأرض ثم ترتفع وترجع على حالها بلطف الله تعالى ، وتهدمت من ذلك مواضع ديار كثيرة في البلاد المذكورة ، وصوامع مساجد » (٣) . ومما زاد من محنة بطليوس ترقب جراند لها من

(١) نفس المصدر ، ص ٣١٧ ، حاشية ٢ .

(٢) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص ٨٤ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، كتاب تلويح المتن بالهملكة ، ص ٣٩٧ .

مقر اقامته في جلمانية وانتهاز الفرصة للإغارة عليها كلما سبغت له ،  
 اذ كان يغيز عليها وعلى احوالها اولا بآول كلفاء واصلت اليها ابن  
 امدادات او مؤن كي تضعف قوتها وتنهار عزائم اهلها ، فيتيسر عليه  
 الاستيلاء عليها ، وظل الامر كذلك حتى ضاق اهل المدينة بهذا الحال (١) ،  
 وطالبوا اشيخ الموحدين باشبيلية بتزويدهم بالاقوات والميرة ، فياستجاب  
 الموحدون لطلبهم وارسلوا من اشبيلية « ميرة موفورة من الطعام  
 والآلات والمحلات لتحمل اليها » ، فاجتمع في ذلك نحو خمسة آلاف دابة  
 موفورة بما ذكر ، وتقدم عليها الحافظ ابو يحيى زكريا بن علي بعسكر  
 اشبيلية ، فوصل بالميرة المذكورة والعسكر الى مقربة من بطليوس (٢) ،  
 غير ان خرائده ، وكان يترصده هذه القافلة ، لم يتركها تصل الي  
 مقصدها ، فبادر بمهاجمتها كعادته في كل مرة تصل فيها الامدادات الي  
 بطليوس . ولم يكن جرائده في هجومه يعتمد على قواته وحدها ،  
 واتخا سنده في هذا الهجوم الغادر على قافلة الامدادات نصارى شتارين ،  
 وكانوا اكثر حلفائه نشاطا وهمة ، فاضطر الموحدون القادمون من  
 اشبيلية وفي مقدمتهم الحافظ ابو يحيى الى القتال يوم ٢٦ شعبان سنة  
 ٥٦٥ هـ ( ١٤١ مايو ١١٧٠ م ) دفاعا عن انفسهم وعن الامدادات والمؤن  
 التي كانت موجهة لانقاذ اهالي بطليوس ، واستمر القتال طوال ساعات  
 النهار ، وانتهى بهزيمة المسلمين ، وقتل واصر عدد كبير منهم ،  
 واستشهد الحافظ زكريا ، واستولى البرتغاليون على المؤن كلها ، ووصل  
 نبا هذه الكارثة الى الشيخ المرحوم ابى حفص بقرطبة والى الموحدين  
 باشبيلية ، فساءهم ذلك ، وعرفوا بذلك الحضرة العلية (٣) .

وكان الخليفة ابو يعقوب يوسف يعانى من ضعف ومرض الم به في

(١) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٣٩٩ .

(٢) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ٨٤ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٩٨ .

تلك الأونة ، وكانت آثاره قد بدأت في الظهور عليه منذ أوائل ختام  
 ٥٦٥ هـ ، مما حال بين القيام بالغزوة التي يخططان لها . وقد وعد بهما  
 الموحدون في الأندلس في كتابه الذي أرسله اليهم عندما تعرضت بطليوس  
 للهجوم البرتغالي الأول في عام ٥٦٤ هـ ، ولكن الخليفة أبا يعقوب يوسف  
 رغم مرضه وضعفه لم يتردد في استنفار الموحدين من كل مكان واستقدام  
 العرب من إفريقية وتزويدهم بالعطاء والكساء : فقد كانت الظروف  
 السيئة التي تجتازها الأندلس تدفعه على ضرورة التحرك العسكري في  
 الأندلس ومواجهة مصدر الخطورة من ناحيتين : شرق الأندلس وكان  
 يمثل المصدر الأول إذ كان ابن مردنيش لا يكف عن الأغاظة على أراضي  
 إبراهيم بن همشك منذ أن دخل الأخير في طاعة الموحدين ، مما دعاه  
 إلى الاستنجاد بالخليفة وبالشيوخ أبي حفص في قرطبة المرة إثر المرة .  
 أما المصدر الثاني للخطورة على الأندلس والذي كان يقض مضاجع  
 الموحدين فهو الغرب ، وبالأخص بطليوس أهم قواعد الأندلس الغربية  
 في الغرب والتي تعرضت للعدوان البرتغالي مرات متعددة .

ولما رأى الخليفة أبو يعقوب يوسف أن الأمر قد أصبح لا يحتمل  
 التأجيل ، قرر رغم ظروفه الصحية غير المواتية أن يبعث السيد أبا  
 حفص بعساكر الموحدين لغزو ابن مردنيش وحلفائه النصاري الذين  
 كانوا معه (١) . فخرج السيد أبو حفص بالفعل من مراكش في أول ذي  
 القعدة من عام ٥٦٥ هـ ( ١١٦٩ م ) وصحبه في هذه الغزوة أخوه أبو  
 سعيد في جماعة من كبار شيوخ الموحدين ، وشارك بعض كبار زعماء  
 الأندلس في هذه الغزوة أمثال أبو محمد سديراي بن وزير وأخوه أبو  
 الحسن ، ثم قسم الموحدون أنفسهم ، فكان من نصيب السيد أبي سعيد  
 قيادة الحملة المتجهة إلى بطليوس بهدف وضع حد لهجمات الغامر  
 البرتغالي جراند ، وقد اختار الشيخ أبو سعيد أن يصحبه في هذه

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب : القسم الثالث ، ص ١٤



المغزاة كل من: ابن محمد، سيدراى، بن وزير، وأبى، العبداء بن عزون  
لمعرفتهما بشعر بطليوس، بالإضافة إلى ثقبه الكبيرة في رجاحة  
أرائهما (١).

#### هـ - تطهير أحواز بطليوس من الاحتلال البرتغالى :

في هذه الأثناء تعرضت بطليوس لخطر جديد اضيق إلى الخطر  
البرتغالى، فقد كان فرنانده الثانى البيوج ملك ليون الذى سبق أن خلى  
بطليوس من قبضة الفونسو انريكث قد قرر الاستيلاء على هذه المدينة  
الهامة خوفاً عليها من أطماع ملك البرتغال، لاسيما بعد أن عاين أضرار  
جرائده وسيد الفونسو انريكث على الاستيلاء عليها، فأثار ذلك مخاوف  
فرانده وقلقه وخشى أن ينتهى الأمر بسقوط هذا الموقع الاستراتيجى  
الخطير فى أيدي البرتغاليين، وهو الذى كان يعنى نفسه بضمه مستقبلاً  
إلى ممتلكاته وذلك عندما يتم استرداد النصارى لهذه المدينة. ولما كان  
فرنانده حريصاً على ضمها إلى ملكه فقد أسر فى نفسه أنه « أولى بها  
دفاعاً لعدوه » (٢). ثم أنه خرج فى أول سنة ٥٦٦ هـ ( ١١٧٠ م ) على  
مقدمة قواته قاصداً بطليوس لينتزعها من أيدي المسلمين، فوصل بعسكره  
وآلات سكتها بالفحص المعروف بالزلاقة فى نفس الوقت الذى كانت  
تقترب فيه جيوش الموحدين من المدينة، فلما علم السيد أبو سعيد  
بتحركات البيوج التريبة حاول أن يضع حداً لذلك الخطر الليونى بطريقة  
سلمية، فبادر بارسال كل من أبى محمد سيدراى بن وزير وأبى العلاء  
ابن عزون فى وفد من أشيخ الموحدين إلى معسكر البيوج للكشف عن  
حقيقة تواياه ومعرفة ما إذا كان مايزال باقياً على الصلح المعقود بين  
دولتيهما أم أنه نكث باتفاقه مع الموحدين، فلما دخلوا عليه « رحب  
بهم وتكلموا معه فيما وقصوا فيه، فقال : إنما خرجت لحمايتها وأمسكها

(١) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة، ص ٤٠٠.

(٢) ابن صاحب الصلاة، تاريخ المن بالامامة، ص ٤٠١.

لأمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أيدهم الله ، فشكروه ، وعرضوا عليه الاجتماع مع السيد الأسنى ( أبى سعيد ) . وتجديد الصلح بينهما ، فتجاب الى ذلك (١) « - قلنا عاين منه أبو محمد سيدرأى بن وزير وابن عزوت حسن ثوابه عرقا الأمر على السيد أبى سعيد ابن الخليفة أبى يعقوب والقائد الأعلى للجيش ، فتجاب الى ذلك ، فتقدم قزنانده الببوج الى بطليوس في طائفة من أقطابه ورجال دولته حتى أصبح على مقربة منها ، والتقى بالسيد أبى سعيد « هذا راكب على فرسه ، وهذا راكب على فرسه ، وتكلم ابن وزير وابن عزوت مع ترجمانه بما يصلح من الصلح بينهما ، حتى كمل الغرض المراد ، واتصل العهد والسداد ، وانصرف قزنانده الببوج بعسكره الى بلاده » (٢) .

أما السيد أبو سعيد ، فقد انتهز هذه الفرصة ، فخرج على رأس جيشه الى حصن جلمانية ، مقر قيادة جرائده الجليقي ، وقاعدة غاراته على بلاد الغرب وعلى بطليوس ، وقد عزم على الاستيلاء عليه وهدمه . فبلغته عنة ، وإنفسه ، وكان ذلك في شهر ربيع الأول من عام ٥٦٦ هـ ( نوفمبر ١١٧٢ م ) ثم عاد بعد ذلك الى اشبيلية (٣) . « وقد إجيا بطليوس ، وأجلى عنها كل باس » (٤) .

وفي عام ٥٦٧ هـ ( ١١٧٢ م ) خرج الخليفة أبو يعقوب يوسف من اشبيلية الى غرب الاندلس ليثبت نفوذ الموحدين في هذه المنطقة ويمكنه ، ومر في طريقه اليها بشنترين فحاصرها بقوة حتى البوقت ، وأرهب أهلها ،

(١) المصدر السابق ، ص ٤٠١ ، ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ،

ص ٨٦ .

(٢) نفسه ، ص ٤٠١ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ٨٦ .

(٤) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المنجلى ، ص ٤٠٢ .

ثم تابع سيرهم في هذه الغزوة حتى مدينة السيطاط Ciudad Rodrigo .  
 ثم عاد اليه اشبيلية وقد جرد وراءه عددا كبيرا من الاسرى البرتغاليين (١)  
 ثم عقد العزم في نفس هذه السنة على تأمين الاقوات والميرة والعدد  
 لبطليوس ، فارسلي : «ميرة كبيرة الى بطليوس من القمح والشعير  
 والآلات البعثنات والاقوات المقتنيات على أربعة آلاف بغل اليها في صحبة  
 عسكري مبارك من الموحدين ، انجدهم الله ، والعرب يسرون بالميرة  
 والمرافق والبصالح الى بطليوس المذكورة ، حماها الله ، فحضر العسكر  
 المليك عند الامر العزيز اليهم ، وجازوا على القنطرة الموضوعة على  
 الوادي الى اطربانة . وذلك في اليوم الثالث من اكمال عملها ، الثامن  
 من صفر سنة سبع وستين وخميس مائة المؤرخة ، وهذا العسكر اول عسكر  
 جاز عليها ، فاوصل الميرة اليها على اوفى الامن ، واحياها ، وخصها  
 بالنظر المتدارك عن الامر العزيز وجياها ، وانصرف بعد توصيل الميرة  
 سالما وغانما ظافرا » (٢)

ولما تهيأ للموحدين تعزيز الدفاعة عن بطليوس وتزويدها بما يلزمها  
 من عدد وآلات ، ومؤون واقوات ، استجابوا لمشورة ابي الغلاء بن عروان  
 بتطهير النواحي المحيطة ببطليوس من الاحتلال البرتغالي ، لاسيما  
 حصن لبيون Lobon الواقع على مقربة منها الى الشرق ، وكان مأثزال  
 يحتله « جملة من اصحاب جراندة ، فنازلوا الحصن ، واستولوا عليه  
 في الخين ، وتغلبوا على من كان قد بقى فيه من البرتغاليين » (٣) .  
 واستيلاء البرتغاليين على بلجة ونتيجة :

عندما تبين لالفونسو انريكت فشل جرانده في الاستيلاء على

شمالها .

(١) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٣٢٠ .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٢٦٢ .

(٣) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٢٦٢ .



بطليوس<sup>١</sup>، والاختفاظ بقاعدتيه جلمانية ولبيون ، حول أنظاره الى  
 مدينة باجة المتصلة بأعمال ماردة . ولعل اهتمامنا بذكر بعض تفاصيل  
 هذه الغزوة البرتغالية لباجة مرجعه رغبتنا في توضيح حالة الغرب في  
 تلك الفترة الحرجة من الحكم الموحد ، وبالتالي لمعرفة الآثار المترتبة  
 عليه بالنسبة لبطليوس . فمدينة بطليوس بلا شك كانت تتأثر حتما  
 بالظروف المحيطة بها في بلاد الاندلس بوجه عام ، فما بالنسبة بالظروف  
 المحيطة ببلاد الغرب الذي تمثل هي ذاتها قاعدته ، فغزوة مثل تلك  
 الغزوة البرتغالية على باجة على سبيل المثال كانت - بدون أدنى شك -  
 عاملاً من العوامل التي أخلت بالأوضاع السياسية والعسكرية ناهيك عن  
 الاقتصادية والاجتماعية في الغرب الاندلسي كله ، وتسببت في اضطراب  
 أملاك مدنه ، وبطبيعة الحال فإن خروج سكان هذه المدينة منها بعد  
 سقوطها في أيدي البرتغاليين كان له أثر على الأوضاع الاجتماعية  
 والاقتصادية لسائر مدن غرب الاندلس ، فبعد استيلاء البرتغاليين على  
 باجة ، وتخريبهم لعمرانها ، كما سنوضح في الصفحات التالية ، اضطرب  
 المعنويات الأعظم من سكانها التي تركها والهجرة الى المدن المجاورة . ومن  
 المنطقي ان تكون بطليوس - أهم قواعد الغرب - على رأس تلك المدن  
 التي استقبلت تلك المجموعة المهاجرة من بطش البرتغاليين ، ولعل مثل  
 هذا الوضع كان كفيلاً بأن يهز اقتصاديات بطليوس ، خاصة وأننا لنم  
 نتكهن قد افادت بعد من الضربات المتواصلة التي كانت تتلقاها من قوات  
 جيرانها ، واختراجه طريق المؤن والامدادات الواصلة اليها . وقد اشرنا  
 فيما سبق الى تعرضها لازمة اقتصادية طاحنة بسبب انحباس مياه  
 الأمطار<sup>٢</sup> بالإضافة الى الزلازل المدمرة ، وان كان ضيقها قد فاق أكثر  
 متاع الاندلس بسبب ابتلائها بهجمات ذلك المغامر البرتغالي المرتزق  
 جرانده . هذا الذي بجانب افتقادها لضمان الامان والاستقرار ، وانحباسها  
 الدائم بانها معرضة للغارات البرتغالية المتواصلة .

لقد كان عمر بن تمصيلت<sup>٣</sup> والى بطليوس السابق قد تولى  
 حكم مدينة باجة لفترة قصيرة عقب عزله عن ولاية بطليوس ، ولكنه

لم يفلج في ادارته هذه المدينة التي كانت تحتمل بتار الفتنة والاضطرابات منذ ان اقصى عن ولايتها سيدروني بن وزير . ولذلك لم يطل بالولاية ابن تيمصيلت ، فوليها بعده طالب برمري مخيف العقل يدعى عمر بن سحنون ، وكان رجلا قظا بيضا طائشا ، استعان بوزير يدعى من سقبة القوم بمدينة بلجة طغى وبغى ، واسباه السيرة في الناس ، واصلطع العنف في الاستيلاء على اموال الناس بغير حق والاعتداء عليهم ، وقد اغناه في ارتكابه لهذه الظالم عمر بن زرقاج قاضي المدينة ، مما دعا اهل بلجة يرضجون من عسفه ، ويضيقون ببغيه وظلمه ، فاشتدت الفتنة لذلك ، وساعت الحوائيل بالبلجة (١) في اواخر عام ٥٦٧ هـ ( ١١٧٢ م ) في الوقت الذي شغل فيه الخليفة ابو يعقوب يوسف بغزوة بويضة والبيحان للبرتغاليون على علم تام بما يجري في بلاد الغرب بحكم مجاورتهم للمسلمين في هذا الصقع من بلاد الاندلس وسيطرتهم على شنترين وبليرة وقصر ابي هانس ، فقد ادركوا ان فرصتهم للسيطرة على بلجة قد تهيأت تماما ، وكان الدفاع عن بلجة قاصرا ، فلبس سحنون واليها كان يحرم الجراس والجنود من برواقهم واعطياتهم مما دفعهم الى اغتيال الحراسة والتقصير في المراقبة والسهر على الاسوار والابواب ، واتفق ان احد اجراج قسبة المدينة ، وهو برج الفضل كان خائنا من الحراسة لثام الليل ، وكان البرج المذكور فيه سبامر يأخذ في الليلة على سميره فيربطها من قطع ، فلخذه له وتترك البرج مضاعا دون سائر ، فوصل المتصاري الى السور في ليلة مظلمة ، وهم يتبلسون على ايديهم وارجلهم . . . . . (٢) ، وهي الليلة التي يقرر فيها جرائد مهاجمة المدينة (٣) ليلة مستهل المحرم سنة ٥٦٨ هـ / ٢٣١٠ / أغسطس ١٧٢٠ م ، والمعروف ان جزاندة كان يؤثر التحول في الليالي المظلمة حتى لا يظن الى تحركاته احد من النعاميات الاسلامية ، فها كادت قواته تصل الى

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٦٩٢ .

(٢) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ .

النور تحتى بنادروا بوضع السلالم لصق برج الحمام خفية دون ان يشعر به احد من حراس المسلمين بالقصبة ، ثم صاحوا بلغاتهم صيحات عالية ايقظت واليها ابن سحنون من نومه ، فبادر بالتوجه الى باب القصبة ، فوجد البرتغاليين ونصارى شنترين قد استولوا على البرج وفتحوا بابه واندفعوا داخل القصبة واخشوها على الفور ، فترامى ابن سحنون من اعلى البرج ونزل بداخل المدينة ، ثم تدلى من سور المدينة الى فحص بناجه ، وقر بنفسه على قدميه الى مدينة مرتلة دون ان يعبا بمصير باجة واهلها . ويصف ابن عذارى موقف البرتغاليين من سكان المدينة وقصبتها بقوله : « واتصل الضياخ وضجينج الروم بالقصبة والمذيئة ، ففر الناس على وجوههم من ابوابها ، فقتلوا في الابواب ، وامسروا في كل جناب » (١) ، ووقع في اسرهم ابناء ابن سحنون وبناته واهله ، واستولوا على امواله ، وكذلك اسروا ابناء القاضي ابن زرقاج ، وسبوا كثيرا من نساء باجة الا من وفق في الخروج منها ، واستشهد على باب برج الحمام ابو جعفر بن اسماعيل بن صاحب الصلاة وغيره من سكان المدينة . ولم يفتكت النصارى طويلا بالمدينة ، فقد زاي القونسو انريكث اذ لن يستطيع الدفاع عنها لضخامتها واتساع عمرانها ، واكتفى بهدم اسوارها واحراق مزارعها ، وفي ذلك يقول ابن عذارى : « ولما اخذ ابن الرنك اللعين باجة ودخلها ، عاين كبرها ، وانها لا يمكن امتناعها لاتساعها ، فاخلها ، وحرقتها ، وهدم سورها ، واسر اهلها الى ان انقذها الله من الاسر بالقداء ، ومضى كثير منهم الى مراکش وغيرها يطلبون من الناس ، فوجدوا عندهم الحنان بالعطاء والايناس » (٢) .

ومن العجيب ان يسكت الموحدون على هذا الاعتداء البرتغالى القاسم على باجة ، وربما يرجع السبب في سكوتهم الى اشتغال الخليفة

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٠٢

(٢) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ١٠٣ .



منذ وصوله الى اشبيلية ببناء المسجد الجامع بقصبتها ؛ وتخطيط قصور  
البحيرة ويساتينها ، هذا بالاضافة الى انشغال الموحدين في عام ٥٦٨هـ  
( ١١٧٢م ) بمواجهة القشتاليين والاشتباك معهم في معارك طاحنة ،  
وكان يقود جيوش قشتالة في تلك المعارك القومس المعروف بالاحدب (١) ،  
وقد انتهت هذه المعارك بانتصار قوات الموحدين على قوات القومس  
الاحدب ، واستيلائهم على خيولهم وكراعهم ، بل ان الموحدين تمكنوا  
من استنقاذ اسرى المسلمين ، وقتلوا الاحدب واحتزوا رأسه من جيبه  
وهو على سرير في خبائه . وكان لهذا الانتصار الذي أحرزه الموحدون  
أكبر الاثر في رفع الروح المعنوية عند المسلمين ، فبادروا الموحدون بتجهيز  
حملة قوامها أربعة آلاف فارس الى بطليوس لتحمل المؤن والميرة والعتاد ،  
تولى قيادتها ابو يعقوب يوسف بن ابي عبد الله تيجيت ، وكذلك  
عبد الله بن اسحق بن جامع ، « تحركا من اشبيلية في أربعة آلاف فارس  
من الموحدين - اعزهم الله - ومن الاجناد الاندلسيين ومن العرب ،  
ومعهم الميرة المذكورة على ثلاثة آلاف دابة من القمح والشعير والبقية  
والزيت والملح والآلات والمرافق واستعداد الارزاق لاهلها رفقا لهم في  
المضائق (٢) » . وعندما وصلت هذه المؤن الى بطليوس ، تم تنظيمها  
الى واليها انذاك ابي غالب بن ابي الحسين بن الموصلي ، وينتسب

(١) هو القومس خيمينو وكان واليا على مدينة آبلية ، وعرف في البيان المغرب بالقومس المسن الضال المعروف بالاحدب ، بينما يسميه ابن صاحب الصلاة « القومس المسن الضال شان منوس عظيم النضاري بآبلية ( ابن صاحب الصلاة ، ص ٥١٨ ) كذلك أطلق عليه ابن صاحب الصلاة ، ص ٥١٨ ) اسم « ابو بردغ » ( انظر ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٥٢١ ) لانه كان يفضل ركوب جواده فوق بردة حريرية وثيرة مرصعة بمختلف انواع الجواهر الثمينة . وكان القومس الاحدب قبل هذه الغزوة التي انتهت بمصرعه وهزيمة قواته امام الموحدين قد قام بغارات كثيرة مخربة على طريف والجزيرة الخضراء ( انظر ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٥١٨ ) .

(٢) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٥٢٦ .

الى اسرة الموصلى وكانت من بين الاسرات البارزة فى بطليوس لصادرتهم فيها وزعامتهم... ويرجع بنو الموضلى فى الاصل الى قرية موصل بأشبونة، ومنهم غبيد الله بن خليفة الذى كان قد تولى قضاء اشبيلية فى عهد المرابطين، ومنهم ايضا شيخ « من اهل بطليوس راسه كالنعامة بياضا كان قد وقع فى أسر البرتغاليين عند دخولهم بطليوس فى سنة ٥٦٤هـ (١) ».

وعلى اثر تلك الموجة العاتية من غزوات الموحدين اخذ ملوك المسيحية فى اسبانيا يسعون الى مهادنة الموحدين وموادةتهم، واول من يادر بطلب الصلح منهم « القومس نونة صاحب طليطلة ظئر اذفونش الصغير ( وهو نفس الفونسو الثامن ) لعنه الله ، ثم تابعه اذفونش بن البريك صاحب قلمرية » (٢) . وكان الفونسو الثامن ملك قشتالة قد سبق الفونسو انريكث فى طلب الصلح (٣) ، ولم يستجب ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن لعقده بسهولة ، فقد استمرت المفاوضات ما يقرب من شهرين وانتهى الامر باكتمال السلم والتوصل الى المهادنة مع هذين الملكين المذكورين . وتم ذلك فى شهر ذى الحجة سنة ٥٦٨هـ ( يوليو ١١٧٣م ) . وكان هدف ابي يعقوب من قبول عقده رغبته الصادقة فى التفرغ لتحسين مدن الغرب المتضررة ، واعادة بنيان باجة .

ثم كان وصول جراندده الجليقى ، كما سبق ان اشرنا اليه ، الى اشبيلية فى بداية عام ٥٧٩هـ ، طالبا من الخليفة ابنى يعقوب يوسف الصفح والعفو . وان يقبله عبدا خديما لديه ، ليعيش سامعا طائعا له (٤) . ولعل ذكاء جراندده هو الذى هداه الى التماس العفو من الخليفة بهدف كسب ثقته فيه ، فهو مغامر مرتزق غادر ، شأنه فى ذلك

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، المصدر السابق ، ص ٤٥١ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٥٢٦ .

(٣) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٩٠ .

(٤) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٠٣ .

شأن السيد الكنبيطور (١) ، يجتذبه المال والذهب ، فقد أدرك بذكائه الحاد أنه بعقد الصلح بين الفونسو انريكث ملك البرتغال وبين ابن يعقوب يوسف ، خليفة الموحدين ، سيفقد فرصه السابقة التي كان يثب من خلالها وجودة العسكرى ، لذلك فقد آثر الإلتحاق بخدمة المسلمين ، على أن يجد في صفوفهم مكانا يستعيد به نفوذه ومكانته الحربية ، فقد توجه الى اشبيلية لعرض خدماته على الخليفة الموحدي في قوة من ثلثمائة وخمسين فارسا من أتباعه ، وصح ما توقعه ، إذ لم يجد من الخليفة الموحدي الا كل تقدير وإكرام « فقبل منه القول » ، وأنزله ، وأمرته بالاحسان والكرامات (٢) . ولكن الفونسو انريكث كاد أن يفقد صوابه لاستغناء جراندته عن خدمته ، فبدأ يرأسه مزا ، ويفرجه على الخوذة الى خدمته ، الى أن وقعت بعض هذه المراسلات في أيدي الموحدين ، وانكشف أمر جراندته ، وخشى الخليفة من وجود مؤامرة تخاك في الخفاء طرفاها الفونسو انريكث وخليفة السابق ، ولذلك أصدر أمره بالقبض على جراندته وعلى أصحابه ، « وبعثوا بجمالهم الى منجلماسة ، فاقاموا بها تحت سجن وترقيب ونكال » ، ثم همت نفسه فيها بالفرار ليجوز من أخذ الرأس ، فظهر منه ذلك ، فقتل ، وحز رأسه ، وانكفأ عن الاسكتم بأسه (٣) .

هذه قصة جراندو الجليقي ، كما رواها ابن عذارى ، أما البيدق فقد ذكر أن جراندته استمر في خدمة الخليفة ابن يعقوب يوسف الى أن رحل الخليفة الى المغرب في شعبان ٥٧١ هـ (١٠٧٦ م) بقصار معه في ركابه الى أن عينه الخليفة الموحدي في السوم ، وعندئذ بدأ جراندته

(١) راجع في ذلك :

David Lopes, O. Cid. português : Geraldo Sempavor, Revista

de História, Coimbra, 1940, pp. 92, 93.

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٠٣ .

(٣) المصدر السابق ، ص ١٠٣ .



بخيانة الخليفة ، فقد اتصل سرا بالفونسو انريكت « فأرسل الكتب ، وقال له : عليك تعمير القطائع لتأخذنى وأجد معكم » (١) . فلما وقعت بعض هذه الرسائل فى ايدى الموحدين ، وعلموا بتعرض جرانده الذى تقدم به الى ملكه وسيده السابق الفونسو انريكت بان يجهز له اسطولا يفتح به تلك البلاد من المغرب لى تصبح للبرتغال مراكز عسكرية فى السواحل المغربية ، أمر الخليفة بالقبض عليه هو وأصحابه سرا ، ثم أمر بقتل جرانده وتوزيع أتباعه على القبائل ، فسيق جرانده الى درعة حيث تم تنفيذ حكم الخليفة فيه (٢) . وفى سنة ٥٧٠ هـ (١١٧٤ م) شرع الخليفة ابو يعقوب يوسف فى إعادة تعمير باجة ليعود اليها من هجرها من أهلها وولى عليها ابا بكر بن وزير ، وقدم اليها ابن تمصيلت والى شلب آنذاك ، ووالى بطليوس قيسا سبق ، فى نحو خمسمائة من الفعلة والعمال لمساعدة سكانها العائدين اليها فى تعمير مدينتهم من جديد . ويبلغ عدد من عاد الى باجة من أهلها مائتى شخص بذلوا قصارى جهدهم فى إعادة تعمير مدينتهم ، ولكن ابن وزير استبد بهم وأساء اليهم ، فأمر الخليفة بعزله ، وأقام مكانه ابن تمصيلت ، وكان واليا رفيقا بأهلها ، رحيما فى معاملته لهم ، فشجع الناس على انتجاعها ، وأقر الأمور فيها ، وعن هذه الأحداث يقول ابن عذارى : « ثم حدثت بين أهل باجة وبين أبى بكر بن وزير مطالبات وشهوات ، فعقد عقودا على أعيانها بشهادة أهل الزور والأراذل وأهل الفجور ، فرمى بها القاضى فى وجوههم ... ثم أن أعيان باجة رفعوا الى حضرة أمير المؤمنين بأحوالهم وما هم عليه مع ابن وزير من سوء السياسة والتدبير ، فأمر بعزله عنهم ، وولى عليهم ابا على عمر بن تيمصليت ، فاتصلت الغبطة بباجة ، وتمكن الناس بقصبتها ، وفى ديارهم الحديثة

(١) البيذق ، أخبار المهدي بن تومرت ، ص ١٦٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٦٨ .

(٣) نفس المصدر ، ص ١٦٨ .

البيان « (١) » .

ز - عودة البرتغاليين الى العيث في الغرب ومصرع الخليفة ابي يعقوب يوسف :

ما كاد الخليفة أبو يعقوب يوسف يغادر الأندلس الى المغرب في شعبان سنة ٥٧١ هـ ( ١١٧٥ م ) حتى عاد النضاري الى سابق عهدهم من التعدي على أراضي المسلمين ، فنقضوا عهودهم وخرقوا الهدنة : ففي العام التالي لعبور الخليفة الموحدى الى المغرب انتهز الفونسو الثامن ملك قشتالة فرصة انشغال الخليفة ابي يعقوب يوسف بالولاء الذي اجتاحت مراكش ، وخرج بقواته لغزو الأندلس ، واتجه بها الى مدينة قونكة (٢) في عام ٥٧٢ هـ ( ١١٧٦ م ) (٣) . ولم يكن الخطر المسيحي يهدد المدن الواقعة الى الشمال الشرقي من الأندلس فحسب بل ان غرب الأندلس ايضا تعرض في تلك الآونة لخطر أقوى واشد ، فقد غدر الفونسو انريكو هو الآخر بالموحدين ، وشن هجوما غائيا على باجة للمرة الثانية في سنة ٥٧٣ هـ ( ١١٧٧ م ) بعد ان كانت قد استعادت ازدهارها ، واكتملت الفجيعة بمصرع ابن تمصيلت في إحدى المعارك التي خاضها مع نصاري شنترين (٤) ، ولم يقتصر الهجوم البرتغالي على البر وإنما حدثت اشتباكات بحرية (٥) بين الموحدين والبرتغاليين انتهت باستيلاء البرتغاليين على جزيرة شلطيش Saltés واتجهت الوحدات البحرية البرتغالية من هناك الى سبتة ، القاعدة

---

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٠٧ .  
(٢) راجع وصف قونكة وقصبتها الشاهقة المنيرة المرتفعة في الجو وقد احاط بها وادي شوقر من الغرب بأجرافه الصعبة في كتاب تاريخ المن بالامامة ، ص ٥٠٤ ، ٥٠٥ .

(٣) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ١١١ .

(٤) سنعود الى ذكر تفاصيل هذه الاحداث فيما بعد في الصفحات التالية

(٥) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ١١٣ .

البحرية للموحدين ، بهدف تدمير البحرية الاسلامية ، كما هاجم البرتغاليون مع حلفائهم نصارى شنترين فحس الشرف Aljarafe من اخواز اشبيلية ، واتخذت غاراتهم شكل موجات متتابة استمرت خمس سنوات في الفترة من سنة ٥٧٣ هـ وحتى ٥٧٨ هـ . وامام هذه الاعتداءات البرتغالية المتكررة على الغرب كان لزاما على ابي يعقوب يوسف ان يتحرك بقواته الى الاندلس لوضع حد لهذا العيث ، وان يعد نفسه للجهاد بعد ان تجاوز الغزو البرتغالي حدوده ، فاستنفر القبائل ، وحشد الحشود ، وتاهب للجواز الى الاندلس في اوائل شهر جمادى الآخرة ، وفي ذلك يقول ابن عذارى : « ابتدا بتمييز القبائل والاجناد في الخامس من شهر جمادى الآخرة كما ذكرته ، فميزهم قبيلة بعد قبيلة ، وامر بعمل عشرة مجانيق فضنعت ، ورمى الرجال بالحجارة قدامه . . . دام هذا الحال شهر جمادى كله ، وفي شهر رجب ارتحل الخليفة عن البحيرة المذكورة الى قصره بمراكش » (١) ثم اصدر الخليفة يوم الجمعة الحادى والعشرين من شعبان ٥٧٩ هـ ( آخر ١١٨٣ م ) مرسوما بتولية اربعة من ابنائه قواعد الاندلس الرئيسية ، فاقر ولده ابا اسحق على اشبيلية ، وولى ابا يحيى على قرطبة ، وابا زيد على غرناطة ، وابا عبيد الله على مرسية . وتم توزيع العدد والاسلحة والخيول على عساكر الموحدين في منتصف شهر رمضان ، ثم صدرت الاوامر بالحركة في الخامس والعشرين من شوال سنة ٥٧٩ هـ ( فبراير سنة ١١٨٤ م ) . ولم تشرع قوايت الموحدين وقبائلهم في الجواز الى الاندلس الا في آخر سنة ٥٧٩ هـ ، بينما تحرك الخليفة الى قصر المجاز في بداية عام ٥٨٠ هـ فجاز الى جبل الفتح ، ثم انتقل الى الجزيرة الخضراء ومنها الى اشبيلية حيث استقبله اهلها استقبالا حافلا .

اقام ابو يعقوب يوسف باشبيلية نحو اسبوعين رتب خلالها قواته ، وحدد وجهته ، واستعد للقتال ، واختار مدينة شنترين لتكون هدفه

(١) المصدر السابق ، ص ١٢٨ .



نظرا للخطورة الجسيمة التي أصبحت تمثلها على غرب الاندلس ،  
فمعظم هجمات المرتزق البرتغالي جرانده كانت تصدر من هذه المدينة ،  
ومنها كان يغير على ترجاله وقاصرش ومنتانجش وشيرة وجلمانية ،  
كما هاجم بطليوس منها كذلك . وقد سبق أن ذكرنا انه تمكن في احدى  
غاراته من الاستيلاء عليها ، ولولا مساعدة ملك ليون لبواليهما ابن تمصيلت  
لظلت بطليوس في قبضة البرتغاليين . وكان نصارى شنترين قد ساعدوا  
جرانده في الاستيلاء على بطليوس ، كما كانت بلدهم شنترين المركز  
الذي اغار منه البرتغاليون على احوال اشبيلية بحيث وصلوا في احدى  
غاراتهم الى طريانة Triana الرض القبلية لاشبيلية ، ومرة اخرى  
الى شلوقه واقليم الشرف ، لذلك رأى ابو يعقوب ان استيلاءه على  
شنترين وغزوه لها يمثل ضربة قاصمة لمملكة البرتغال من جهة ، وانقاذ  
لبطليوس حاضرة الغرب والمناطق المحيطة بها من جهة ثانية .

تحرك ابو يعقوب يوسف من اشبيلية في اتجاه شنترين في السادس  
والعشرين من صفر عام ٥٨٠ هـ ( ٧ يونيو ١١٨٤ م ) ، فمر على حصن  
العرجة ( وهو نفس حصن الحنش Alanje ) يوم الرابع من ربيع  
الاول ، وهناك تجمعت نخشود الموحدين من الافاق ، ومنها اتجهت  
الى بطليوس وعسكرت في ظاهرها لتمييز الجند ، وامرهم ابو يعقوب  
بان يتزودوا بالسلاح ، واخذ يستكمل ما كان ينقص الجيش من زاد  
وميرة ، وبعد ان اطمأن على سير الامور ، رحل من بطليوس يوم  
الخميس العاشر من ربيع الاول في طريقة الى شنترين حتى وصلوا الى  
وادي تاجه ، وهناك امر الخليفة قواته بالتوقف على ابواب شنترين (١)  
وفي تلك الاثناء كان فرنانده ملك ليون يحاضر قاصرش ، فلما بلغه  
وصول جيوش الموحدين الى بطليوس في طريقها الى شنترين ، رفع  
حصاره عن قاصرش ، وقفل عائدا الى حاضرتيه مدينة السبظاط

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٣٣ .

(Ciudad Rodrigo) ليتابع منها تطورات الموقف .

وعلى الرغم من ضخامة أعداد الجيشين الموحيدين وقد بلغت عدته أربعين ألفاً ، « من : أنجاد : العرب : الفرنس : رومن : الموحيدين : والمجنود والمطوعة وفرسان الأندلس : ولجنتلرها : ما ينبغي على : مائنة : السف : فارس : » (١) ، إلا أن هذه الحملة انتهت بكارثة كبيرة للموحيدين بسبب : استشهاد : الخليفة : للموحيدي : أبي : يعقوب : يوسف : نفسه : ، ونزاع : الأستاذ : محمد عبد الله : عنان : أن : الهدف : الرئيسي : من : حملة : أبي : يعقوب : هذه : على : شترين : رغبتة : في : الاستيلاء : على : ثغر : الإشبونة : ، وأن : اتجاهه : إلى : شترين : قبل : الإشبونة : كان : جزءاً : طبيعياً : للغاية : في : إستراتيجته : ، أحسن : شترين : الشمالي : ، وأما : استيلائه : على : شترين : قبل : الإشبونة : فيؤمن : مؤخره : جيشه : ضد : أي : هجوم : يمكن : أن : يقوم : به : نصارى : شترين (٢) . ولعل : رغبة : الخليفة : أبي : يعقوب : في : الاستيلاء : على : الإشبونة : هو : الذي : أدى : إلى : الكارثة : التي : نزلت : به : ، فقد : أمر : الخليفة : ولده : السيد : أبي : إسحاق : بالرحيل : ليلة : ذات : ليلة : دبان : يرحل : إلى : غزو : مدينة : الإشبونة : ، فقام : أبو : إسحاق : فهمه : ، وظن : أن : أباه : يأمره : بالرحيل : إلى : شيبيلية : ، فوجه : إلى : القنجر : فجاءه : ، فما سبب : ذعره : وخوفه : بين : الجند : ، فدخل : الجميع : متسرعين : إلى : ركبن : الخليفة : وحده (٣) . وصحب : أنصحاب : معظم : الجيش : نخل : واضح : في : صفوف : المقاتلة : ، ولم : يتبق : مع : الخليفة : إلا : بعض : الضلعة : إلى : بجانب : ولده : أبي : يوسف : يعقوب : ، الذي : ظل : مرافقاً : لأبيه : الخليفة : ، وعلى : أن : لم : يستعداد : لحماية : ودرء : أي : خطر : عنه : ، ويصف : ابن : أبي : زرع : تهية : الموقف : بأسباب : فيقول : « قلنا : جن : الليل : وصلنا : العشاء : الأخير : يلعب : إلى : ولده : السيد : أبي : إسحاق : وإلى : شيبيلية : فأمره : بالرحيل : من : تلك : الليلة

(١) الحميري ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١١٤ .

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحيدين ، ص ١٢٠ .

(٣) عبد الواحد المرابطي ، العجيرة ، ص ٢٥٩ .

الى غزو مدينة اشبونة وشن الغارات على انحاءها ، وان يسير إليها بجيوش الاندلس خاصة ، وان يكون رحيله نهارا ، فاساء الفهم ، وظن انه أمره بالرحيل في جوف الليل الى اشبيلية . وصرخ الشيطان في محلة المسلمين ان امير المؤمنين قد عزم على الرحيل . وفي هذه الليلة تحدث الناس لذلك ، وتاهبوا له ، فرحل من الناس طائفة بالليل . فلما كان قريب الفجر ، اقلع السيد ابو اسحاق ، واقلع من كان يليه ، وتابعه الناس بالرحيل ، فارتحلوا وامير المؤمنين مقيم في مكانه لا علم له بذلك . فلما أصبح وصلى الصبح ، واضاء النهار ، لم يجد حوله احدا من المخلات الا اليسير من خاصته وحشمه الذين يرحلون لرحيليه . وينزلون لنزوله وقواد الاندلس ، لانهم هم الذين كانوا يمشون امام ساقته ، وخلف محلته من اجل من يتخلف منها من الضعفاء » (١) .

وكان نصارى شنترين قد علموا عن طريق عيونهم بما جرى في معسكر الموحدين ، فشنوا هجوما خاطفا على القوات المنسحبة ، وعلى ساقه الخليفة ، بل ان هؤلاء النصارى قد تمكنوا من الوصول الى خيمة الخليفة نفسه ، وتمكن بعضهم من اصابته بجراح خطيرة الزمته فراشه ، وقبل ان يامر الخليفة من تبقى من جنده بالرحيل رقد على محفة ، وحوله جنده واطباؤه ، ورحل الجميع . ولم يكد الراكب يغبر وادي تاجه ويسير عدة اميال حتى اسلم الخليفة الروح في الثامن عشر من ربيع الاخر سنة ٥٨٠ هـ ( ٢٩ يوليو ١١٨٤ م ) . وهكذا ضحى الخليفة بحياته في تلك الغزوة التي استهدف منها الاستيلاء على شنترين وتخليص بطليوس من الخطر المتواصل الذي كانت تمثله .

وينفرد الحميرى برواية ذكر فيها ان ابا يعقوب يوسف اعتل علة التي توفي بها « فاقام الرجل به على مطية مضطجعا على فراشه ،

(١) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٤٠ - ١٤١ .



وضعه يتزايد الى ان ان تفقد في بعض اميال فوجد ميتا « (١) .

وبقي ان تشير الى ان ابا يعقوب يوسف الشهيد لم يتوان قط عن توفير الاستقرار لبطلانوس ، فقد حصنها وثمّم بقصبتها ، « وهو الذي حمى بطلانوس من الكفر ، وابتنى لها قصبتها الشاهقة المانعة ، وسرب الماء إليها من الوادي ، فقطع العدو أمله عنها بما اشحنها من الآلات والعدد من الأسلحة والرجال المنتخبة » (٢) .

---

(١) الحميري ، ص ١١٤ .  
(٢) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٢٣٦ .

( ٤ )

بطليوس في عهد الخليفة ابي يوسف يعقوب المنصور

١ - تجرّكات مملكتي ليون والبرتغال في الغرب وسقوط شلب :

حين توفي الخليفة ابو يعقوب يوسف امر ولده يعقوب بكتمان خبر وفاة والده الى حين الوصول الى مرحلة معينة من الطريق ، ولذلك فقد ظل الخليفة الشهيد محمولا على محفته ، يحدق بها خدمه وفتيانه على عادتهم ، الى ان وصل الجميع الى حصن طرش ، فضربت اخبية الخليفة ، وقام السيد ابو زيد ابن الخليفة ابي يعقوب يوسف بابلاغ اشياخ الموحدين بنبا وفاة الخليفة ، وطلب منهم الاسراع بمبايعة ولده الامير يعقوب (١) . وتمت البيعة الخاصة يوم الاحد التاسع عشر من ربيع الاخر عام ٥٨٠ هـ (٢) ( ١١٨٤ م ) ، اما البيعة العامة فقد عقدت يوم السبت الثاني من جمادى الاولى من نفس العام (٣) . وهكذا جرت بيعة يعقوب المنصور في هدوء تام ودون أية معارضة نظرا لانه « بويع له في حياة ابيه بأمره بذلك » (٤) . وعلى الرغم من ان المصادر العربية بخلاف عبد الواحد المراكشي لم تذكر ذلك ، الا ان الظروف التي اجريت فيها بيعة المنصور تدل على قناعة تامة من جميع الاطراف بخلافته ، لاسيما وانه كان اكبر ابناء الخليفة المتوفى ابي يعقوب يوسف (٥) .

واذا اردنا ان نقوم عصر المنصور الموحدى ، فاننا سنجد انه كان عصر جهاد ومثاغرة ، فقد استبسل في الجهاد والذب عن الاسلام ضد

---

(١) ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٤١

(٢) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب بروض القرطاس ، ص ١٤٣ .

(٣) ابن ابي زرع ، المصدر السابق ، ص ١٤٣ .

(٤) عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٢٦١ .

(٥) ابن سمالك العاملى ، الحلل الموشية ، ص ١٥٧

اعدائه في الاندلس» . « وكان المنصور رحمه الله لجل ملوك الموحدين ، واكثرهم صيتاً ، واحسنهم في الاحوال كلها ، ولى الملوك واشن ، والمال قد توفر ، وكانت له الهمة العالية ، والعزائم الملوكية ، والدين المتين ، والسير الحسنة في المسلمين » (١) . ويصفه ابن عذارى بانه كان « شجاعاً مقداماً ، عظيم الصريمة على اعدائه ، لا تضيق عنده فضيلة احد من رجاله » ولا يغيب عنه شيء من احوال رعيته . . . » (٢) . ومثلاً عرف عنه انه اهتم اهتماماً خاصاً بالجيش ، فحرص على تنظيمه واعداده للجهاد في المغرب والاندلس في الوقت المناسب . ولم يكن المنصور منذ توليه خلافة الموحدين عن النظر في شئون الثغور لاسيما القسم الغربي من الاندلس في وقت اشتدت فيه حركة الاسترداد . وكانت حادثة استشهاد ابيه في شنترين ماثلة في ذاكرته ، وكان لذلك اعظم الاثر في نفسه . أما بالنسبة للبرتغاليين ، فقد كان لهزيمة الموحدين في شنترين اكبر الاثر في دفع حركة الاسترداد والتوسع البرتغالي في اراضي الغرب الاندلسي ، فقد ازدادت الامال عند الفونسو اريكث في السيطرة الكاملة على بلاد الغرب ولكن الاجل لم يمتد به ليحقق هذه الامال ، اذ توفي في سنة ٥٨١ هـ ( ديسمبر ١١٨٥ م ) بعد وفاة الخليفة ابي يعقوب يوسف بنحو عام ونصف العام ، وخلفه على عرش مملكة البرتغال ابنه سانشو الاول الذي اراد ان يستغل الحركة الصليبية التي بلغت اوجها في ذلك الحين لصالح اطماعه الشخصية في الجزء الغربي من الاندلس (٣) . وساعدت الظروف السيئة التي كانت تجتازها دولة الموحدين في تلك الاونة على مهاجمة اراضي الغرب . فبنو غانية في المغرب كانوا يناوئون الخلافة الموحدية ، وزاد خطرهم عندما تحالفوا مع العرب الهلالية ومع الغز المماليك ، وادت الحروب التي يخاضها المنصور معهم الى استنفاد جزء كبير من طاقته . وقد اخبر سانشو

(١) ابن ابي زرع ، المنصور السابق ، ص ١٥٣ .

(٢) ابن عذارى ، القسم الثالث من البيان ، ص ١٤١ .

(٣) يوسف اشباح ، تاريخ الاندلس ، ص ٣٢٩ .



الأول ملك البرتغال لاستغلال هذه الظروف القياسية التي كانت تجتازها دولة الموحدين في المغرب. كما أحسن استغلال الظروف الدولية آنذاك ، إذ كانت الحركة الصليبية في الشرق الإسلامي في عنفوانها ، لا سيما بعد أن استقر صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس من الصليبيين في سنة ٥٨٣هـ (١١٨٧ م) ، واستثنى بذلك المشاعر المناهضة للمسلمين في الغرب الأوروبي ، وكان قد وصل إلى مياه البرتغال أسطول صليبي ضخم يتألف من خمسين سفينة وقيل مئتين تحمل قوات قوامها عشرة آلاف مقاتل ، تجمعوا من ولايات الراين واللورين وفريزلاند (١) .

وقد توقفت سفن الصليبيين عند ساحل جليقية ، ونزل عسكر الأفرنج برا للتبرك عند مزار شنت ياقب *Santiago de Compostela* ولكن أهل المدينة تشككوا في نوايا هؤلاء الأفرنج ، وخشوا على مزارهم المقدس ، فدفعوهم بعيداً عنهم ، فعادوا إلى سفنهم وقرروا ينوون الانضمام إلى الأسطول الصليبي الإنجليزي الراسي في مياه أشبونة ، ولم يجد سانشو الأول ملك البرتغال فرصة أفضل من هذه لتنفيذ أطباعهم فرحب بالصليبيين واحتفل بهم احتفالاً عظيماً ، ثم طلب منهم أن يعينوه على فتح المزيد من بلاد الإسلام ، وصور لهم أنهم يخدمون بذلك الحركة الصليبية ، وركز هدفه على مدينة شلب (٢) .

(١) نفس المرجع ، ص ٣٢٩ - محمد عيد الله عثان ، عصر المرابطين والموحدين ، القسم الثاني ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) شلب *Silves* مدينة من مدن غرب الأندلس تقع في أقصى الطرف الجنوبي الغربي من شبه جزيرة الأندلس ، على مقربة من البحر المحيط ، وفرضتها مدينة بورتيمو ، وتبعد عنها بنحو ثلاثة أميال ، وذكر الجغرافيون مجهول الاسم صاحب كتاب « فكر بلاد الأندلس » ، أنها مدينة قديمة لغزية واسعة الشوارع حسنة البناء حصينة ، وأسواقها وطرقها وشوارعها كل ذلك مفروش بالرخام ، وهي مبنية على ضفة نهر أنه ( لوحة ٤٤ ) ، كذلك يصفها الإدريسي قبل هذه الأحداث بنحو خمسين عاماً ، وقد اهتم في وصفه لها بإبراز أهمية موقعها في بسط من الأرض وسيورها الحصين ، كما ذكر المزايا الاقتصادية العديدة التي كانت تلعب بها ، فهي من حيث

وقد وثق سانشو في اقناع الصليبين بنصرته ، فابدوا استعدادهم الكامل لمساعدته لمجرد أن ذلك يدخل في نطاق اهدافهم . وانتهت خيوط هذه المؤامرة البرتغالية الصليبية بحصار شلب برا وبحرا ، فطوقت المدينة من كل الجهات ، وبالح البرتغاليون وحلفاؤهم الصليبيون في احكام الحصار عليها الى ان استولوا عليها بعد ثلاثة شهور من بدء الحصار ، واخرجوا اهلها عنها ، فخرجوا عنها . وفي سقوطها يقول ابن عذارى : « وسلموا في انفسهم ، وخرجوا مسلوبين ، واستاصل العدو حصنا من ثلجه يعرف بالبورز ، واتى القتل على كل من كان فيه صغير او كبير وأناث وذكر » (١) . وورد في المدونة الاولى العامة لاسبانيا ان هذا الملك ( سانشو الاول ) « ذهب لحصار شلب ، وكانت في ذلك الحين مدينة جلييلة الشأن في الغرب الواقع غربي اسبانيا واقبل عليه هناك من بلاد افرنجة بحرا عدد كبير من المحاربين ومقاتلون اشداء ، وفي نهاية الامر استولى على المدينة ، واتخذها اسقية » (٢) .

ولم يكن سقوط شلب نتيجة تهاون في الدفاع او ضعف في المقاومة او تبراخ في الصمود ، او بسبب خيانة بعضهم للموحيدين ، ولكن سقوطها نتج عن عوامل أخرى : فرغم قلة خبرة والي شلب الحافظ عيسى بن ابي حفص بن علي في مجال القتال ، الا انه تحصن داخل المدينة ، وتصدى بشجاعة للحصار البرتغالي الصليبي ، كما ان اهالي شلب

الزراعة كانت تنتج كثيرا من الغلات وكانت تزخر بالجنسات والبساتين التي يرويه واديها الذي يجري جنوبها ( نهر دراو ) وكانت فرضتها ومرماها على ثلاثة اميال منها ، وفيه تصنع السفن اذ تتوفر بنجبالها الاشجار التي تصنع منها السفن ( انظر الادريسي ، صفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس مأخوذة من كتاب نزهة المشتاق ، ص ١٧٩ ، ١٨٠ ) .

( ٢ ) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٧٥ .

( ٣ ) Primera Cronica General de España, ed. Merendéz - Pidal, p. 652.

فوتوا<sup>(١)</sup> بفضل نسالتهم في القتال واستماتتهم في الذب عن بلدهم ، على العدو كل ما سخره من قوة للاستيلاء عليها ، فعندما جاور عسكر الصليبيين مخفر سراديب تخت الاموار لاقتحام المدينة من داخل السور ، وفتح ثلمات بالسور ينفذون منها إلى الداخل ، يخاب سعيهم ، وفشلت محاولاتهم أمام يقظة الاهالي ، ولم يتم سقوط المدينة الا بتأثير الجوع والعطش ، فقد « يالغوا في بحصارها إلى أن تملكوها » ، وأخرجوا أهلها عن ... بعد اشرافهم على الهلاك من الظم والجوع ، وعدم الهجوم ، وكان حافظها جينثي عيسى بن ابي جفص بن علي ، لم تحنك التجارب ، ولا ابتلى بسد الثغور ، فاستولى عليه الجزع ولفه الهلع<sup>(٢)</sup> .

والحقيقة أن السبب الرئيسي في تسليم الاهالي مدينتهم ، أن الصليبيين قطعوا المياه عن أهلها ، وكانت تصلهم عن طريق بئر أقاموه بالقرب من السور يُعرف بالقوراجة<sup>(٣)</sup> (بالاسبانية Coracha ) قلعة انقطعت المياه عنهم ، وبلغ بهم الظم مداه ، ارغموا على التسليم .

ويؤكد ابن عذاري أن الفونسو الثامن ملك قشتالة هاجم بلدة أم غزالة Magazela واستولى عليها في جمادى الأولى من سنة ٥٨٥ هـ ( ١١٨٩ م ) ، وهي من احوال بطليوس ، ويضيف قائلا : « وفي جمادى الأولى من السنة خرج اذفونش ملك قشتالة إلى أم غزالة فنزلها ، وخلت قبيل وصوله إليها ، وفي أوائل جمادى الآخرة ألقع عنها »<sup>(٤)</sup> . ويتحدث ابن أبي زرع عن سقوط شلب فيقول : « وفي سنة ستة وثمانين دخل النصارى مدينة شلب ومدينة باجة وبابرة من بلاد غرب الأندلس وذلك لما علموا أن للصور قد بعد عنهم واشتغل بأفريقية » فاحتنموا

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٧٥ .

(٢) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص ١٧٦ .



الفرصة ، فاتصل بالخبر بالمنصور فاستعظم ذلك » (١) .

وإذا أمعنا النظر في نص ابن أبي زرع نجد أن ذلك الخبر مختلف من أساسه ويفتقد الصدق ، فمدينة باجة كان قد استولى عليها البرتغاليون للمرة الثانية في عام ٥٧٥ هـ ( ١١٧٩ م ) كما سبق أن أوضحنا ، ولهذا فإن استيلائهم عليها في عام ٥٨٥ هـ ( ١١٩٠ م ) مع شلب يعتبر مستحيلا مادامت قد أصبحت منذ عشر سنوات في حوزة البرتغاليين . أما باجرة فكانت هي الأخرى في أيدي البرتغاليين ، بل إن سيطرة البرتغاليين عليها وعلى قصر أبي دانس كان له أكبر الأثر في تمكنهم من باجة واستيلائهم عليها ، لأن باجة كانت تقع على مقربة من هاتين المدينتين ، بحيث كان يسهل على البرتغاليين المقيمين في أحدهما الإطلاع على أخبار باجة وعلى خبايا أمورها السياسية والاقتصادية (٢) . وبهذا يكون الخبر الذي أورده ابن أبي زرع لا يخلو من التشويش والإضطراب ، باستثناء التاريخ الذي حددته لاستيلاء البرتغاليين على شلب ، وإعني به سنة ٥٨٦ هـ بدلا من سنة ٥٨٥ التي ذكرها ابن عذاري . لأن خروج المنصور الموحدي إلى مراكش برسم الجهاد ومواجهة اعتداءات النصارى وغيثهم في أراضي الأندلس حدث في شهر ذي الحجة من سنة ٥٨٥ هـ أي في نهاية هذه السنة ، وبالتالي يكون سقوط شلب في أيدي البرتغاليين قد تم في أوائل عام ٥٨٦ هـ وليس في سنة ٥٨٥ هـ على حد قول ابن عذاري (٣) .

وما إن علم الخليفة أبو يعقوب بشك الانبياء المقلقة حتى عزم على وضع حد لهذه الغارات المخربة ، وخرج على رأس قواته إلى مراكش في

(١) ابن أبي زرع ، الانيس المطرب بروض القرطاس ، ص ١٤٤ .

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٨٦ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٧٤ .

١٤ ذى الحجة سنة ٨٥٠هـ (٢٣ يناير ١١٩٠م) ، ثم توجه فرقة موحدية من جيشه الى الاندلس ، حيث اقامت في اشبيلية ، اما هو فقد خرج الى رباط الفتح حيث اقام تحوا من أربعين يوماً الى ان لحقت به بقية قواته من قبائل الموحدين . وفى تلك الاثناء وحتى جواز الخليفة الى طريف فى ٢٣ ربيع الاول سنة ٨٥٦هـ كانت سفن الاسطول الموحدى قد وصلت الى مياة البرتغال بنية احكام التحصار البحرى حول شلب ، وكان من الواضح ان الموحدين يستهدفون استرداد شلب ، وبالفعل باذر الموحدون بمحاصرة تلك المدينة ، وتضربوا المجانيق والآلات القنابل نحو اسوارها ، وبذلك شارك الاسطول القوات البرية فى استرداد شلب . ويذكر ابن عذارى ان السيد يعقوب ابن الغم الاكبر ابى تخلف امر بالخرقة من اشبيلية بعسكرة من اجنادها واغرابها وما انصوى من اهل البوادي من غرناطة والخشود المطوعة الى آخرها ، ومن تاجر من صنهاجة وهنكورة من كل الجهات والمجاهدين من سائر الامم فتخرج هذا السيد وجميع من ذكر من هذه العسكرة بعد انتظام السابق منهم بالآخر غرة جمادى الاولى ، وتمادى مشيهم حتى تزلوا بظاهر شلب . وفى آخر الشهر المذكور وصلت الاساطيل اليهم ، فالتام عزاء الرجال البرية والبحرية ، ونصبت المجانيق والآلات الحربية (١) . اما المنصور ، فعندما جاز الى الاندلس ، واصل سيره الى قرطبة فنزل بها حيث استقبله رسل مملكة قشتالة ، وكانوا قد قدموا لعقد الصلح ، وطلب الهدنة ، فوافق المنصور على طلبهم ، كما وافق على عقد الهدنة مع ملك ليون . ثم خرج من قرطبة الى وادى تاجه ، وكان هدفه ارغام سانشو الاول تملك البرتغال على اختصار قسم من عسكره وعسكر خلفائه الصليبيين شمالا بعيدا عن شلب ، ليضعف من الدفاع البرتغالى عنها فتسهل على الموحدين مهمة استردادها . وتنفيذا لهذا المخطط العسكرى

(١) ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٧٨ ، ١٧٩

البارع سار المنصور الى السهل الممتد شمالى شنترين ، وبدأ يخرب هذه المناطق ليشغل البرتغاليين عن ثلب (١) ثم هاجم المنصور قلعة طرش (٢) ، واخرج من بها من النصارى ، ثم هدمها وسواها بالارض (٣) . وتحرك بعد ذلك الى طمان (٤) Tomar الواقعة شمالى طرش ، وكانت طمان قاعدة لفرسان الداوية ، وحصنا منيعا لايرام ، فحاصرها المنصور ، ولكنها استعصت عليه ، وفى ذلك يقول ابن عذارى : « ورحل المنصور بعد فتح هذا الحصن ( حصن طرش ) الى حصن طمان ، فسلك فيه ذلك المسلك من الحصار ، واخذته الجيوش بالتضييق عليه من كل النواحي والاقطار ، ووافت رسل ابن الرنك زاغبا فى النلم وعقده ، ومتلطفا فيما تعجله من ربطه وشده ... » (٥)

وهكذا اضطر ابو يوسف يعقوب الى الرحيل بعد ان عقد الصلح مع سانشو الاول الذى كان مقيما فى شنترين آنذاك ، وبالتالي فان غزوته هذه لم تسفر عن أية نتائج ، بل ان بعض المؤرخين يعتبرونها غزوة فاشلة (٦) ، اذ لم يمتزج شلب ولم يستول على حصن طمان .

ب - استرداد الموحدين لقصر ابي دانس وشلب :

كان الخليفة المنصور يسعى الى تأمين غرب الاندلس وبالأذات الثغر الجوفى الممثل فى بطليوس ونواحيها عن طريق استرجاع الحصون

(١) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ١٧٧ .

(٢) هى قرية برتغالية تعرف اليوم باسم Torres Novas

(٣) ابن عذارى المراكشى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٧٩ - عبد الواحد المراكشى ، المعجب ، ص ٢٨٠ .

(٤) يسميها ابن عذارى حصن طمان .

(٥) ابن عذارى ، البيان ، القسم الثالث ، ص ١٨٠ .

(٦) اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٣٢٩ - محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ١٧٨ .



والمدن التي كان البرتغاليون قد انتزعوها من أيدي المسلمين ، فهو كرجل  
سيناسى بعيد النظر كان يدرك تمام الإدراك أن الخطوة التالية في مخطط  
التوسع البرتغالي السيطرة على بطليوس وأجوازا ، وفي الوقت نفسه  
وضع في الاعتبار الاطماع القشتالية والليونية في تلك المنطقة البغرية  
الهامة ، لاسيما بعد أن أقدم الفونسو الثامن ملك قشتالة ، على الاغارة  
على أم غزالة في عام ٥٨٥هـ والاستيلاء عليها ، وكذلك كان يدرك أن  
فردلند ( فرناندو الثاني ) ملك ليون يعتبر بطليوس وماردة جزءا من  
ممتلكاته فيما بعد الاسترداد . وعلى هذا النحو كان أبو يوسف يعقوب  
واثقا في أن أي ضعف أو اضطراب في الدفاع عن هذه المنطقة كفيل  
بأسالة لعاب هذه الممالك الإسبانية المسيحية المتحفزة والتي لن تتردد عن  
اغتنام الفرصة للاستيلاء على بطليوس وماردة ، وكلتاها يمهّد الطريق  
للسيطرة على اشبيلية وولبة ولبله ، الأمر الذي يؤدي حتما إلى ضياع  
كل الغرب الأندلسي من أيدي المسلمين ، ولذلك رأينا الخليفة أبا يوسف  
يعقوب ، بعد انسحابه من حصار مدن الغرب في المرة السابقة ، قد  
استقر في اشبيلية طوال ما تبقى من عام ٥٨٦هـ ، واشتغل بالنظر في  
أمور البلاد ونشر العدل بين الناس ، واعداد نفسه لغزوة جديدة هدفها  
استرجاع شلب . والظاهر أن ذلك الهدف الأخير كان شغله الشاغل ،  
بدليل أنه مضى يجهز آلات الحرب وعدد القتال ، ويضبط نظام جيشه ،  
ويرتب أموره . وشرع على حد قول ابن عذاري « في التآهب للحركات ،  
والنظر في الآلات ، وانضمت ما تحتاج إليه منازلة البلاد ، من العدد  
الحربية والاستعداد ، ولما استوفى بالعمل تكملة الآلات وانضمت الحشود  
من كل الجهات ، تحرك من اشبيلية غرة ربيع الآخر » ( ١ ) ( ٢ ) من سنة  
٥٨٧هـ - ١١٩١م ) .

وكانت وجهة المنصور الموحد في هذه الغزوة مدينة قصر أبي  
دانس التي وصفها الإدريسي بقوله : « والقصر مدينة حصنة متوسطة

( ١ ) ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٨٤ .

على ضفة النهر المسمى شطوبر ، وهو نهر كبير تصعد فيه السفن والمراكب  
السفرية كثيرا ، وفيما استدار بها من الارض كلها اشجار الصنوبر ،  
وبها الانشاء الكثير ، وهي في ذاتها رطبة العيش ، خصبة كثيرة الالبان  
والسمن والضلل واللحوم ، وبينها وبين البحر عشرون ميلا » (١) .

وعندما وصلت جيوش الموحدين الى قصر ابي دانس ، قسمها  
الخليفة وفق نظام خاص ، وقام اهل الخدمة من العبيد بردم خندق  
الدينة من مختلف جهاته الاربعة ، وعندئذ زحفت حشود الموحدين الى  
سور المدينة ، اما لارتقاؤه عن طريق السلام الخشبية واقتحام المدينة  
من اعلى سورها او عن طريق فتح ثغرات في السور تسهل عليهم مهمة  
النفاذ منها ، ولكن الحامية البرتغالية امطرت المهاجمين المسلمين وابلا  
من النبال والحجارة (٢) ، وتسببت في هلاك عدد كبير منهم ، الامر  
الذي دعا الخليفة الى اصدار امره بوقف القتال لمدة ثلاثة ايام لاعادة  
تنظيم صفوف المسلمين وتعديل خطته الهجومية . وفي اثناء ذلك « وصلت  
الاجفان البحرية بالعدد الحربية ، وقد تسابقت لدخول الوادي بتيسر  
يعجز العقول عن تكييفه ، ويشكر القدير سبحانه على احكامه وتصريفه ،  
فبهت الذي كفر ، فخلصت في يوم وليلة اربعة عشر متجنقا ، اذ  
كانت معدة بعد القزاغ من غملها ، فأجذق منها بالبلد مئاة زاحفة ،  
وصواعق قاصفة . . . » (٣) . وفي اليوم الخامس عشر من جمادى  
الاولى ، امر الخليفة جيشه بالهجوم من جديد على المدينة بكل عنف  
وضراوة ، واخذ الموحدون يمطرون المدينة ورجال الحامية باعلى  
الاسوار بقذائف المناجيق ، فاسرع سكان المدينة بطلب الامان ، ونزلوا  
لمواجهة الموحدين صاغرين مستسلمين ، فدخلها عسكر الموحدين ،

(١) الإدريسي ، ضفة المغرب وارض السودان ومصر والاندلس ، ص ١٨١

(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٨٤ .

(٣) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص ١٨٤ .

واستولوا عليها ، وأمر المسلمون من سكانها عددا رمزيا بنقلوه بالمراكب الى اشبيلية اعلاما بانتصارهم العظيم على البرتغاليين . ثم شرع الخليفة في النظر في أمر المدينة والحصن ، فولى عليه أبا بكر محمد بن أبى محمد سيدراى بن وزير . وما ان تم له ضبط المدينة وتنظيم أحوالها حتى تركها الى حصن قلالة (١) الذى وصفه ابن عذارى بأنه « من القلاع السامية الارتفاع ، الغربية الارتفاق والانتفاع ، لايمكن من منازلته جيش ، ولا يحسن بغيره بمجاورته عيش ، وقد ملأه الكافر ابن الرنك بأنجاد رجاله ، وكماة أبطاله ... » (٢) ورغم ذلك فقد رأى المدافعون البرتغاليون استحالة التصدى لجحافل الموحدين ، فسلموا حصنهم في الحال ، في مقابل جلائهم عنه ، فوافق المنصور ، وانتهب عسكره كل ما كان في الحصن من اثاث وأقوات وسلاح وعدة وآلات ، ثم أمر المنصور بهدمه ، فهدم وسوى بالارض ، ثم انتقل الموحدون الى حصن المعدن Almada (٣) فافتتحه وهدمه هو الآخر . ويأدر سكان الحصون المجاورة باخلاؤها بعد ما عاينوه من قوة جيش الموحدين وصلابتهم في الهجوم على قصر أبى دانس .

أما شلب فقد نهض اليها الموحدون بعد افتتاحهم لحصن المعدن ، فوصلوا اليها في اليوم الثانى من جمادى الآخرة سنة ٥٨٧ هـ ، فنصبوا المجانيق حول أسوارها ، وطبقوها تطويق السوار بالمعصم ، وسوا خنادقها بالردم ، ثم أمطروا أسوارها بالرجوم «والبلاء يطرقهم (أى سكانها)

(١) وردت قلالة في ( ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٨٥ ) وصحتها بلالة *Palma* كما ذكرها الحميرى في صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٠٧ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٨٥

(٣) يقع حصن المعدن جنوبى نهر تاجة قرب مصبه قبالة مدينة لشبونة ، وسمى بذلك لانه عند هياج البحر كان يقذف بالذهب والتبر ، الذى يستخرجه الاهالى من المناحل في فصل الشتاء . ( انظر الادريسى ، ص ١٨٤ ) .



بالصواعق سبحانه ، ويرأوهم وينقادهم بضروب المنايا عذابه » (١) .  
 وذكر الحميري أن جيوش الموحدين « أحدثت بها وأخذت بمخنقها ..  
 وجدوا في قتالها ، وبالعوا في نكايه أهلها » (٢) . وفي الخامس عشر من  
 جمادى الآخرة ، استغل الموحدون غفلة الحامية عن الجراسية ، ظنا منهم  
 أن المسلمين لا يقاتلون في الصباح الباكر ، فأحس أحد أدلاء المسلمين  
 بغفلتهم عن البخراسة . « فتسلل وارتقى السور من ثلثة فيم ، وشيد أزره  
 جماعة من رفاقه ، فرفعوا به الرايات ، وقرعوا للطبول ، وانفذوا  
 يطيحون بالتكبير » . فلم يبق الحراس من نومهم إلا وهم بين مطعون  
 ومضروب ، فطلبوا الأمان في أنفسهم على أن يسلموا المدينة ويخرجوا  
 إلى بلادهم . « فأجيبوا إلى طلبهم » . فجلوا عن قصبة شلب في ٢٥ من  
 جمادى الآخرة (٣) .

١ : وأقام المنصور في شلب ثلاثة أيام أخرى ثم تركها بعد أن قلد على  
 ولايتها ابن وزير (٤) إلى إشبيلية . وهكذا كان النشاط المتزايد الذي  
 سجله الخليفة الموحدي المنصور في المجال العميقي ضد البرتغاليين على  
 وجه الخصوص ، وما أحرزه عليهم من انتصارات ، وإثارة لجهنم  
 في سبيل الإسلام ، أعظم الأثر في حماية بولاية الغرب من غزو وشيك ،  
 والحفاظ على قاعدتيها الرئيسيتين : بطليوس وماردة ، في أيدي الموحدين ،  
 واسترجاع قصر أبي دانس وشلب من البرتغاليين . ثم كان انتصار  
 الموحدين بقيادة الخليفة العظيم المنصور في واقعة الأبرك سنة ٥٩١ هـ  
 ( ١١٩٢ م ) . فتتويجا لهذا النشاط الكبير ، ومقدمة لمزيد من الغزوات

(١) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص ٢٨٩ .

(٢) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٨٦ .

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢٨٦ . ومن  
 الجدير بالذكر أن النص الوارد في الروض المغطى للحميري مبني  
 ولا يؤدي نفس المعنى في النص الوارد في البيان .

(٤) ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٦ ص ٢٤٥ .

والانتصارات ، التي ان يدرك التصديج والانهيال بهزيمة العقاب في سنة ٦٠٩ هـ ( ١٢١٩ م ) التي فتت في عضد المسلمين ، وكان ذلك ايدانها بالنهاية المحتومة .

## ج - متابعة الجهاد في بلاد الجوف :

نقضى المنصور فصل الشتائم الذي تلى - وقعة الاوكر في مدينة اشبيلية ( ١ ) ، فلما انقضى فصل الشتاء واقبل الربيع ، استنفر الخليفة جميع القبائل من منازلها تأهباً لتمييزها ، وأمر باعداد الغدة لاستئناف الجهاد من جديد على نحو أشد حماسة ، وأكثر شراسة عن ذي قبل ( ٢ ) . وقبل أن يقرر وجهته ويعلن عن هدفه ابتطلع المنصور آراء أعوانه ومن القادة واشياخ قبائل الموحدين حول الغزوة المقبلة ، فأشاروا عليه بضرورة تأمين بلاد الجوف نظراً لأهمية هذه المنطقة ، وتعرضها الدائم لاغتهادات البرتغاليين ، فيظلمون تعرضت في السنوات السابقة ، وخاصة في عهد أبيه الشهيد أبي يعقوب يوسف ، كما سبق أن أوضحنا ، لغارات ملك ليون وملك البرتغالي ، بل أن ملك قشتالة لم يتردد في مهاجمة اخواتها هو الآخر في عام ٥٥٨ هـ ، ولذلك اتخذ الخليفة المنصور بمشورتهم ، وعزم على الخروج في هذه المرة تجاه الغرب أو ما يسمى

( ١ ) أقام الخليفة يعقوب المنصور في حصن الفرج *Aznalfarache* الواقع إلى الجنوب الغربي من مدينة اشبيلية على الضفة اليسرى من نهر الولدي الكبير ، إذ كان يؤثر هذا الحصن على أي موضع آخر في نواحي اشبيلية ( ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٩٨ ) . وعن حصن الفرج راجع :

L. Torres Balbas, Aznalfarache, en al - Andalus, Vol. XXV, p. 223, Guerrero Lovillo, al. - Qasr al- Mubarak, en Boletin de Bellas Artes, Sevilla, 1974, p. 94.

وانظر : السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ج ٢ ص ٨١٢ ، تحقيق : أسلمة قصور بني عباس باشبيلية الواردة في شعر ابن زيدون . مجلة أوراق : العهد الثاني ، ١٩٧٩ ، ص ٤١ ، ٤٢ .

( ٢ ) ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٩٨ .

أيضا ببلاد الخوف ، وشرع في السير في جيوشه الموحدية في منتصف  
 رجب سنة ٥٩٢ هـ (١٩٥٠ م) متجها من اشبيلية الى حصن منتانجش  
 Montanchez ، وكان « من المعازل الشاذقة الارتفاع ، المشهورة  
 بالقوة والارتفاع » (١) . باعتبارها أهم حصون بطليوس ، وأكثرها منعة ،  
 وإن الاستيلاء عليه يؤمن سلامة بطليوس ، ويضعف من حمايتها .  
 وبدأت قوات الاندلس في محاصرته ، وفي اليوم التالي وصلت جيوش  
 الموحدين وشددت الخناق عليه ، فلما أيقن حماة البرتغاليون بعث  
 للمفاوضة : « التمسوا الأمان لأنفسهم » ، واستسلموا للموحدين ، فاحترم  
 الموحدون عهودهم لهم واستأمنوهم على أرواحهم ، إلا أن جملة من  
 « أوباش المغرب » هاجمتهم في الطريق ، وأبادتهم عن آخرهم ، وفي  
 ذلك يقول ابن عذاري : « التقوا بيد الاستسلام ، واعتقلوا بحبل الأمان ،  
 فأسعفوا فيما سألوه من الأمان : وأمر القائد أبا عبد الله بن صناديد  
 بتوصيلهم إلى حيث يأمرون من أحوالهم » . وعندما سار بهم مسافة فرسخ  
 من الملحة غشيهم أوباش من العرب فوضعوا فيهم السيوف واستاصلوهم  
 قتلوا عن آخرهم « وسبوا ما كان معهم من النساء والقرية » (٢) .  
 أثارت هذه الجريمة البشعة غضب المنصور ، فأمر بسجن كل من عثر  
 عليه من هؤلاء العرب الأثمين ، ورد النساء والأطفال إلى أهلهم من  
 جديد . وبما لا شك فيه أن هذه الحادثة أثارت الرعب في سائر بلاد  
 الجوف ، بدليل أن أهالي هذه البلاد أخذوا يخلون بلادهم ويرحلون  
 منها ، فكان ترجالة (٣) Trujillo مثلا وهي من أقرب مدن الغرب  
 إلى بطليوس يادروا بالرجيل عنها ، كذلك أخذ سكان القرى المجاورة  
 إلى مغادرتها عندما بلغت أخبار جملة المنصور الموحدي على بلاد  
 الجوف .

(١) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩٩ .

(٣) ابن أبي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٥٦ .



وهكذا بذل يعقوب المنصور قسارى جهده لتأمين بطليوس بعد أن كانت على حافة الوقوع في أيدي البرتغاليين الذين كانوا قد جردوها من حصونها وما كان يحيط بها من مدن ، مثل منتانجش وترجيالة والمعدن وقصر أبي دانس وطرش وشلب وباجة ويابرة . ولكن المنصور تمكن من استرجاع معظم هذه الحصون والمدن ، وحقق للتغزى البطليوسي الأمن ولو إلى حين .

وفي غرة جمادى الثانية من سنة ٥٩٤هـ ( ١١٩٧م ) رحل المنصور إلى بلاد المغرب بعد غزاته الثالثة في الأندلس ، وكان ملوك إسبانيا وإسبانية قد التمسوا مصالحته وموادعته ، وفي ذلك يقول ابن عذارى : « ولما رأت ملوك الروم أن بلادهم ورجالهم قد أتى عليها الإستيصال والاضطلام ، وإن لا نجاة لها إلا الرغبة في الاستسلام ، وجهوا إرسالهم في طلب الصلح على ما عهد من شروط الأحكام ، فأسعفوا فيه على حكم شريفة الإسلام » (١) ؛ وقبل سفره إلى المغرب عهد إلى تثقيف البلاد وضبطها بتقارب ولاته وعماله ، فولى على أشبيلية السيد أبو زيد ابن الخليفة ، وعلى بطليوس وجهاتها السيد أبو الربيع بن أبي حفص بن عبد المؤمن . ولم يكتف الخليفة المنصور بتولية عماله على تلك المنطقة الهامة من الأندلس فحسب ، وإنما أراد أن يطمئن ، كعادته دائما ، إلى تطبيق العدالة وعدم أخذ الأهالي بالنعسف ، ولهذا السبب أمر بجباية الضرائب بالتزام العدل في جباية الأموال من الرعية (٢) .

وتوفي الخليفة العظيم أبو يوسف يعقوب المنصور ليلة الجمعة الثاني عشر من ربيع الأول سنة ٥٩٥هـ ( ٢٢ يناير ١١٩٩م ) ، وبويع ولده أبو عبد الله محمد الناصر خليفة من بعده للموحدين بيعة خاصة

---

(١) ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٠٤ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القيم الثالث ، ص ٢٠٤ .

في صباح اليوم التالي لوفاته (١) ، أما البيعة العامة فقد تمت بعد  
اسبوع ، وكان محمد الناصر قد بوج بولاية العهد في حياة ابيه سنة  
٥٨٦ هـ ، إذ اختاره دون اولاده الآخرين (٢) .

---

(١) ابن ابي زرع ٤٢ روض القرطاس ، ص ٢٥٣ ، ثلثن جداري ، المصدر  
السابق ، ص ٢١١ .

( ٥ )

بطليوس في عهد خلفاء المنصور

١ - ضعف دولة الموحدين في عهد محمد الناصر ويوسف المستنصر :

بإمر الخليفة محمد الناصر في عام ٦٠٠ هـ ( ١٢٠٣ م ) بتفقد أنحاء دولته ، والاطمئنان على أحوالها الدفاعية ، فأصدر « أوامره السلطانية الى سائر الاقطار الاندلسية بالتحفز الاكيد على عمالها بالنظر في الآلات الحربية » (١) . ومن الطبيعي أن نتصور أن بطليوس كانت من أهم الاقطار الاندلسية التي أمر الخليفة بإمدادها بالميرة والسلاح ، إذ كانت الخط الدفاعي الرئيسي عن وسط الاندلس ، وقاعدة الثغر الجوفي ، فكان تحصينها والاهتمام بتأمينها عسكريا ضرورة استراتيجية ملحة في هذه المرحلة الدقيقة من تاريخ الاسلام في الاندلس .

وفي شهر ربيع الاول من نفس عام ٦٠٠ هـ أصدر محمد الناصر أمره بإبدال ولاية بعض مدن الاندلس بآخرين ، فقد ولي أبا يحيى بن أبي سنان على بطليوس وجهاتها وأمره بالجهد والحماس في تحصين بطليوس . ثم ولي أبا محمد عبد الواحد بن يعقوب على مدينة شلب وبلاد غرب الاندلس (٢) .

وشهد محمد الناصر هزيمة المسلمين الشنعاء في العقاب في سنة ٦٠٩ هـ ، وكان حادثة مفاجئة في تاريخ الاندلس ترتبت عليها نتائج خطيرة إذ لم تقم للمسلمين في الاندلس بعدها قائمة محمد ، وأدت الى انهيار حكم الموحدين في الاندلس . وعرفت هذه الواقعة أيضا في المصادر المسيحية باسم لاس نافاس دي تولوسا Las Navas de Tolosa

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢١٨ .

(٢) ابن عذارى ، نفس المصدر ، ص ٢١٨ .



كما عرفت أيضا بموقعة أبدة Ubeda لوقوعها على مقربة من هذه المدينة . وكانت خسائر الموحدين في تلك الموقعة فادحة للغاية . ويرجع بعض المؤرخين هزيمة العقاب إلى أسباب مادية ومعنوية إلى جانب أسباب تقليدية معروفة تعتبر عادة السبب المباشر في هزيمة أي جيش ، فانقسام الجيش الموحدى على نفسه ؛ وعدم التجانس بين العناصر المكونة له ، وافتقاده للقادة لتوفر لديهم البراعة والحكمة العسكرية من أهم الأسباب التقليدية لهزيمة العقاب . ومن الأسباب المعنوية والنفسية سخط الجند على كبار قادتهم وامرائهم بسبب تأخر تسليمهم لاعطياتهم الأمر الذى أدى إلى خروج الجند للقتال وهم كارهون له . ، يضاف إلى ذلك أن الخليفة متحمم الناصر لم يكن يهتم بمشاعر العناصر الاندلسية في جيشه ، فقد أمر بقتل أبى الحجاج يوسف بن قاسم قائد قوات الاندلس بسبب تسليمه قلعة رباح للنصارى دون أن يستمع إلى مبرراته في ذلك كما هدد مبادئ أجناده الإندلسيين بإخراجهم من الجيش مما أثار فيهم مشاعر السخط ، ونمى فيهم روح الهزيمة (١) ، وكانوا من أهم عناصر الجيش الموحدى لمعرفتهم بإساليب النصارى في القتال . وكان زهو محمد الناصر بضخامة جيوشه ، واعتباره بعظم قواته ، وإغفاله للحذر والاحتراز من الأساليب التى ساعدت على انهزام المسلمين في العقاب .

ثم توفي محمد الناصر في العاشر من شعبان عام ٥٦١ هـ بعد أن ترك دولة الموحدين على حافة الهاوية ، فلم تلبث أن طجنتها الفتن والنوائب ، وشملها الضعف والاضطراب في المغرب والاندلس الأمر الذى ساعد الممالك المسيحية على انتزاع أهم قواعد الاندلس شرقا وغربا ، وانتهى الأمر بالاستيلاء النصارى على معظم قواعد الإندلس .

وقد عجلت حالة التفكك والتطاحن والانقسام بين أفراد بيت عبد المؤمن بن علي بالانهيار السياسى الذى أصاب دولة الموحدين في المغرب

والاندلس عقب هزيمة العقاب ، وأبدت الخلافات بين أفراد أسرة عبد المؤمن طمعاً في الخلافة فتحول إلى حرب أهلية طاحنة مما كان له أعظم الأثر في التعجيل بنهايتها المجتومة ، فقد خلف محمد الناصر على الخلافة الموحية والده يوسف المستنصر في اليوم التالي لوفاة (١) ، واختلفت المصادر العربية في تقدير سنة يوم بيعته عقب وفاة أبيه ، فبعضهم يذكر أنه كان في العاشرة من جمادى الأولى ، ومنهم من يجعله في السادسة عشرة ، وأياماً كان الأمر بهم يكن المستنصر عند توليه الخلافة سوطاً غلاماً جذاً مجرداً من الأهلية التي تضمن لصاحبها أن يسوس امبراطورية الموحدين في المغرب والاندلس ، وقد وصفت المصادر العربية هذا الخليفة بأنه كان شاباً لاهياً عابثاً ، يميل إلى حياة البدة والترف (٢) .

ويستجل عهده بداية ظهور دولة بنى مرين في المغرب ، وبداية الصراع بينهم وبين الموحدين ، ومن أهم المواقع التي خاضها الموحدون معهم "موقعة المشعل" التي انتهت بهزيمة الموحدين أمام بنى مرين في أكتوبر فاس في عام ٦١٣هـ (١٢١٦م) ، وكان ابن زاهيم بن الفخار الأسلمي (٣) وزير ملك قشتالة قد وصل قبل هذه الهزيمة بتخو عام ، رسولا من قبل ذلك الملك بشأن عقد السلم ، ففانعم المستنصر بالله بذلك ، ووجه كتابين اثنين ، أحدهما إلى السيد أبي الربيع صاحب جيان ، والثاني للشيخ أبي العباس بن أبي حفص وإلى قرطبة ، ومقتضاهما عقد السلم والوادعة مع ملك قشتالة أخزاه الله على جميع بلاد الموحدين .

(١) في الحادي عشر من شعبان سنة ٦١٠هـ الموافق ٢٣ من ديسمبر سنة ١٢١٣م (ابن خلدون ، كتاب العبر ، ج ٦ ص ٢٥٠) .

(٢) غيبة الواحد المراكشي ، المعجب ، ص ٣٢٥ .

(٣) هكذا وردت في النسخ المغرب (القسم الثالث ص ٢٤٤) وضحيتها اليهودي بدلا من الأسلمي ، وقد سبق أن أرسل ملك قشتالة أخاه يوسف بن الفخار اليهودي إلى يعقوب المنصور لتجديد الصلح مع الموحدين في سنة ٥٨٧ .

بالاندلس على الشروط التي غدوها ، والعهود التي عقدوها ، فالتزم اليهودي لعنه الله ما لزم ، واتعم بما عقد من الامر وابرم ، فصلحت البلاد الاندلسية في هذه السنة من جهة المهادنة ، ووليها كبراء السادة وأشباخ الموحدين » (١) .

ويرجع السبب في حرص مملكة قشتالة على طلب هذا الصلح ، رغم انتصارها الساحق على المسلمين في موقعة العقاب سنة ٦٠٩ ، ان احوالها الداخلية في تلك السنوات الاخيرة كانت قد تدهورت للغاية ، فقد تفشى في مملكة قشتالة وباء خطير اهلك كثيرا من سكانها (٢) ، كما شملتها موجة عنيفة من المحل والقحط (٣) ، وحدث ان توفي الفونسو الثامن ملك قشتالة في عام ٦١١ هـ ( ١٢١٤ م ) اثناء ذهابه للقاء ملك البرتغال في بلدة بلازنسيا الواقعة على حدود مملكته ، وكان هذا الاجتماع يستهدف توثيق اواصر الصداقة بين الممالك المسيحية المختلفة ، ولكن القمن لم يمهل الفونسو الثامن ، فقد توفي في طريقه اليها ، ودفن في ادير لاسن بويلجاس او الدير الملكي ببرغش : Burgos . ولما كان الفونسو الثامن قد انجب اربعة ابناء لم يتيق منهم على قيد الحياة سوى هنري الاول اصغرهم الذي كان وقت وفاة ابيه في العاشرة من عمره ، فقد تولت امه الملكة الينورا الوصاية عليه (٤) لفترة قصيرة للتخاية ، اذ ما لبثت ان توفيت عقب وفاة زوجها الملك الفونسو الثامن بايام قليلة (٥) ، وعندئذ تولت الوصاية على الملك الطفل « هنري الاول »

عن

(١) ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢٤٤ .

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٣٤

(٣) ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢٤٤ - يونسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٣٨٦ .

(٤) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٣٣ - يونسف اشباخ ، المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .

(٥) اشباخ ، المرجع السابق ، ص ٣٨٧ .



أختها الكبرى برنجوية ، وكانت مطلقة الفونسو إلياسنغ ملك ليون ،  
وأنارت وصايتها على هنري الأول مشاكل عديدة في مملكة قشتالة كادت  
أن تخرج بها في حرب أهلية . ثم جسم الأمر وفاة هنري الأول وهو في  
الرابعة عشرة من عمره في سنة ٦١٤ هـ ( ١٢١٧ م ) (١) ، وعندئذ أعلنت  
برنجوية نفسها ملكة على قشتالة ، وفي عهدها « تجددت المهادنة  
والمصالحة بين ولاية الأندلس من السادة الموحدين بأمر المبتنصر بالله  
وبين النصارى - دمرهم الله - وكتب الوزير أبو يحيى زكريا بن أبي  
زكريا لملكة قشتالة بنت ملك قشتالة وظليطة كتابا من إنشاء ابن عياش  
يخبرها بالمسلم الذي انعقد بينه وبين رسولهم » وأورد ابن عذارى  
نسخة منه (٢) .

ثم استقدمت برنجوية ولدها فرديند من زوجها السابق الفونسو  
التاسع ملك ليون ، وتنازلت له عن الملك ، فأصبح ولدها فرديند ملكا  
على قشتالة تحت اسم فرنانده الثالث (٣) . ويستنبط كل هذه الأحداث  
السابقة كان علي مملكة قشتالة أن تعمل على تحييد المسلمين بطرح  
الفلاح والمهادنة لتفرغ لتنظيم أحوالها الداخلية .

ب - سقوط قصر ابن دانس في أيدي البرتغاليين .

انتهزت مملكة البرتغال فرصة الضعف الذي حل بدولة الموحدين  
عقب هزيمتهم الشنعاء في العقاب وظهور دولة بني مرين في المغرب  
ومناوعتها للدولة الموحدية ، وبدأت في تنفيذ أطماعها التقليدية في  
الاستيلاء على ولاية الغرب وضمها إلى أملاكها ، بما في ذلك بطليوس

(١) المرجع السابق ، ص ٣٨٨ - ٣٩١ .

(٢) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢٤٦ .

(٣) يوسف أشباخ ، تاريخ الأندلس - ص ٣٩١ - محمد عبد الله عنان  
عصر الموحدين ، ص ٣٣٤ .

حاضرة الغرب ، فقد ذكر ابن ابي زرع أنه في سنة ٦١٤ هـ انهزم المسلمون في قصر ابي دانس على ايدي البرتغاليين هزيمة شنعاء تقارب هزيمتهم في العقاب لان العدو كان قد نزل على هذه المدينة وحاصرها ، فخرج جيش اشبيلية وجيش قرطبة وحشود بلاد غرب الاندلس بأمر يوسف المستنصر لاعانتته واستنقاذه (١) ، فكانت الكارثة . ونستدل مما ذكره ابن ابي زرع على أن تهديد البرتغاليين لقصر ابي دانس ، واستيلاءهم عليه كان يشكل بالنسبة للموحدين كارثة لاتقل في حجمها عن كارثة العقاب سنة ٦٠٩ هـ . فباستيلاء البرتغاليين على هذا الثغر أصبح الطريق امامهم مفتوحا للسيطرة على سائر حواضر الغرب الاخرى مثل بطليوس وماردة وقاصرش . الخ . ومن هذا المنطلق حشد الموحدون جيوشهم باشبيلية وجيان وقرطبة وبلاد غرب الاندلس للتصدي لهذا الهجوم الغادر واستنقاذ قصر ابي دانس . ولكن هذه الجهود التي بذلها الموحدون للحفاظ على قصر ابي دانس ضاعت عبثا ، فبمجرد ان عاين عسكر الموحدين حشود اعدائهم حتى دب الرعب في اوصالهم وتذكروا هزيمة العقاب ، فالتمسوا النجاة بأنفسهم وبادروا بالفرار ، وولوا الادبار ، وقوات البرتغاليين من ورائهم تحمدا فلولهم ، وتمزق جموعهم ، وتفتك بهم حتى ابادتهم عن آخرهم . ولكن عبد الله بن ابي بكر بن وزير والى قصر ابي دانس أظهر شجاعة فائقة واستمات في الدفاع عن مدينته ، فقد اعتمد على مناعة تحصيناتها في التصدي للعدو البرتغالي . وعندما تبين له أن الحصان الذي فرض على قصر ابي دانس قد تحول من مجرد حصار وضعه البرتغاليون بقصد الاستيلاء عليها الى حصار صليبي (٢) شامل لهذه المدينة يستهدف القضاء على قوى المسلمين تمهيدا للسيطرة

---

(١) ابن ابي زرع ، الانيس المطرب بروض القرطاس ، ص ١٦١ .  
(٢) استعان البرتغاليون بأسطول صليبي يحمل حشدا من الالمان كانوا في طريقهم الى الاراضي المقدسة لمقاتلة المسلمين بحكم أنهم ( أي البرتغاليين ) كانوا يمارسون حربا صليبية ضد الاسلام في الاندلس .

على الغرب كله ، اخذ يستصرخ الموحدين باشبيلية ملتمسا النجدة ، فبادر الخليفة الموحدى المستنصر بتوجيه الجيوش التى اشرنا اليها ، ولكن قوات الموحدين لم تستطع ان تواجه جحافل البرتغاليين والصليبيين مجتمعة والتى كانت تشكل كثرة عددية فاقت قوات المسلمين عددا ، فانهزم المسلمون بقصر ابنى دانس ، « واستشهد فى هذه الكارثة من المسلمين مايزيد على ستة عشر الفا » (١) . وعلى الرغم من عظم الخسائر التى تعرض لها المسلمون فى الارواح والسلاح فان البرتغاليين لم يتمكنوا من اقتحام المدينة ، وظلت صامدة تقاوم بشراسة وعنف ، فى حين اخفق العدو فى مجرد فتح ثلثة فى سورها ، فاضطر المهاجمون الى صنع أبراج عالية تفوق فى ارتفاعها ارتفاع اسوار المدينة ، ثم شحنوها بالفرسان والرماة ، واخذوا يقذفون المدينة بالرماح والنبال ، وفى ذات الوقت تعرضت اسوار المدينة لقذائف مجانيقهم ، وعندئذ فقط أدرك اهالى قصر ابنى دانس ان نهايتهم اصبحت وشيكة ، فطلبوا الامان لانفسهم فى مقابل التسليم على ان يسمح لهم النصارى بمغادرة البلاد حاملين معهم امتعتهم واموالهم ، فاستجاب النصارى لرجائهم ، ومنحوهم امانا على انفسهم على ان يخرجوا من بلدهم آمنين بدون امتعة او ثياب او اموال ، وتم ذلك فى رجب سنة ٦١٤هـ ( ١٨ أكتوبر ١٢١٧م ) . ويسوق الحميرى رواية موجزة توضح كيف سقطت قصر ابنى دانس ، فيقول : « قصر ابنى دانس ، فيه كانت الواقعة على المسلمين للروم فى سنة ٦١٤هـ ، واعانهم اهل الاشبونة وغيرها من مملكة ابن الرنق ، فأخذوا فى نقب الارض تحت الحصن الى ان قنطوا ، وافضى الناس الى الهلكة ، وبلغ الامر الى الولاة الذين فى غرب الاندلس واشبيلية وقرطبة وجيان ، فتجهزوا لدفاع العدو ، وجاء منهم جيش عظيم ، لكنهم تخاذلوا على عادتهم ، فكانت الهزيمة عليهم وولوا منهزمين ، ووقع القتل والامر ، ولم يبرز للمسلمين من الروم الا نحو سبعين فارسا ،

---

(١) ابن ابنى زرع ، الذخيرة السنية فى تاريخ الدولة المرينية ، الرباط ، ١٩٧٢ ، ص ٥٠ .



ورأى أهل الحصن ذلك ، فأيقنوا بالتغلب عليهم » (١) . أما عبد الله بن وزير وإلى المدينة فقد استسلم للبرتغاليين ، وزعم أنه تنصر حتى يستميل النصارى إلى أن يتمكن من اللجاة ، وبالفعل لم تمض أيام قليلة حتى فر من معسكرهم إلى دار الاسلام (٢) . أما صاحب روض القرطاس فيسوق روايتين ، جاء في الأولى ما يلي : « وفي سنة خمس عشر وستمائة دخل الفنش ملك قشتالة قصر أبى دانس بالسيف » (٣) . وأما الثانية فقد جاء فيها : « ورجع الفنش إلى قصر أبى دانس ، فحاصره حتى دخله بالسيف ، وقتل كل من به من المسلمين » (٤) .

ومن هذين النصين اللذين أوردهما ابن أبى زرع يتبين لنا أن كليهما غير صحيح ، ففي سنة ٦١٥ هـ الموافقة لعام ١٢١٨ م ، لم يكن ملك قشتالة هو الفنش ، والمقصود به هنا الفونسو الثامن النبيل كما ورد في النصين اللذين أوردهما ابن أبى زرع ، لأن الفونسو المذكور كان قد توفى في سنة ٦١١ هـ ( أكتوبر ١٢١٤ م ) وخلفه على ولاية العهد كما سبق أن ذكرنا ولده هنرى الأول الذى كان طفلا ، ثم توفى هنرى الأول في عام ١٢١٧ م ليخلفه على عرش قشتالة فرنانده الثالث ولد الملكة برنجويله Berenguela التى تنازلت له عن العرش (٥) .

(١) الحميرى ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٩١ ، ١٩٢ .

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٣٤٠ . وقد علق ابن الأبار في ترجمته لعبد الله بن أبى بكر بن وزير أن أمره قد انتهى بأشبيلية حين قبض عليه بأمر محمد بن يوسف بن هود المتوكل ، وعلى أهل بيته ، وقد قتل هو وأخوه أبو عمرو عبد الرحمن اثر منصرفه من الوقعة العظمى عليه بماردة من الثغر الجوفى في سنة سبع وعشرين وستمائة ( انظر ابن الأبار ، الحلة السراء ، ج ٢ ص ٢٩٦ ) .

(٣) ابن أبى زرع ، الذخيرة السنية ، ص ٥١ .

(٤) ابن أبى زرع ، روض القرطاس ، ص ١٦١ .

(٥) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٣٩٢ .

كذلك لم يكن المقصود بالفنش في نص ابن أبي زرع الملك الفونسو التاسع ملك ليون الذي لم يكن يتطلع سوى الى السيطرة على بطليوس وبلارزة من بلاد الغزب ، اما قصر أبي دانس فكانت هدف ملك البرتغال . ونميل الى الاعتقاد بأن المقصود بالفنش الوارد ذكره في نص ابن أبي زرع الملك الفونسو الثاني بن سانشو الاول ، وكان قد خلف ابيه على عرش البرتغال في سنة ١٢١٦م (١) ، ودام حكمه حتى سنة ١٢٢٣م وكان الفونسو الثاني ملك البرتغال قد شارك ملوك اسبانيا المسيحية والفرنجة في وقعة العقاب (٢) . ويؤكد لويس شوارث انه هو الذي استغل مرور احدى الحملات البحرية للصليبيين على سواحل بلاده وطلب منهم الاشتراك مع قواته في فتح قصر أبي دانس ، فنحاصرتهم قوات البرتغالية وقوات حلفاء الصليبيين في ٣ أغسطس ١٢١٧ ، واستمر الحصار شهرا ونصف الشهر وانتهى بموقعة عنيفة أسفرت عن هزيمة المسلمين واستسلام أهلها في ١٨ أكتوبر سنة ١٢١٧ ، وتبع سقوطها في ايدي البرتغاليين سقوط عدد من المراكز الانامية ومن بينها مدينة شيريه Serpa ومورة Moura (٣) .

#### ج - محاولات الليونيين لفتح قاصرش :

كان الفونسو التاسع ملك ليون قد خرج في سنة ٦١٠هـ ( ١٢١٣م ) اى بعد الانتصار الساحق الذي احرزته قوى المسيحية في اسبانيا على قوى الموحدين في موقعة العقاب ، لمساعدة الفونسو الثامن بطل تلك الموقعة ، في فتح قرطبة واشبيلية ، ولكن الفونسو التاسع لم يكن مخلصا لالفونسو الثامن ، ولذلك فإنه اتجه الى بلاد الغرب من جهة قورية ، وتمكن من التغلب على قنطرة السيف ، ثم تابع سيره جنوبا ، وفي نيته غزو

(١) Crónica General de España, p. 653.

(٢) Agnado Bleye, Manual de la historia de España, t. I, p. 659.

(٣) Luis Suárez, Historia de España, edad Media, p. 277.

قاصرش ، ولكنه تركها ، وتابع زحفه الى ماردة ، واضطر الى القبول عائدا الى بلاده، بعد ان الفى نفسه قد توغل في بلاد المسلمين ، وخشى ان يتعرض لخطر لم يحسب لها حسابا (١) .

ورأى الفونسو التاسع ملك ليون ان يصفى حساباته اولا مع ملك قشتالة قبل ان يقدم على مثل تلك المغامرة، وبالفعل تمكن في سنة ٦١٤هـ (١٢١٧م) من عقد هدنة لمدة عامين مع فرنانده الثالث القديس ملك قشتالة وهو في نفس الوقت ابنه من دنيا بزنجويلة ، وبذلك انتهى خلافاته معه ، وعقد في أغسطس سنة ١٢١٨م ( ٦١٥ هـ ) معاهدة سلام دائم بين قشتالة وليون (٢) . واعتدئذ تفرغ لتحقيق هدفه بغيد المدى وهو السيطرة على قاصرش ومدن الغرب المجاورة ، وترجع بهمية قاصرش بالنسبة لملكة ليون الى انها تحمي حصن القنطرة الذي كان في ذلك الوقت مركزا لجماعة فرسان القنطرة (٣) . ولهذا السبب بدأ حصاره لقاصرش في منتصف نوفمبر ١٢١٨م ( ٦١٥ هـ ) ، ولكن المدينة الاسلامية قاومته ببسالة مما اضطره الى رفع الحصار عنها في ديسمبر من نفس السنة ، ثم عاود الفونسو التاسع حصاره لقاصرش في سنة ٦٢٠هـ ( ١٢٢٣م ) بمساعدة فرسان سانتياجو ، ولكن الفونسو التاسع عاد من جديد الى رفع الحصار عنها للمرة الثانية لما أبدته المدينة وأهلها من بسالة في الدفاع والمقاومة . وواصل الفونسو التاسع تطلعه الى تحقيق هدفه في الاغوام التالية : ١٢٢٣م ( ٦٢٢ هـ ) ، ١٢٢٥م ( ٦٢٣ هـ ) ، ١٢٢٦م ( ٦٢٤ هـ ) وانتهى الامر بسقوط قاصرش في ايدي الليونيين بمساعدة بعض القشتاليين في عام ٦٢٤هـ ( ١٢٢٧م ) (٤) . وسقوطها انفتح الطريق امامه للاستيلاء على أهم معاقل الغرب : متنانجش وماردة والبش وطلينوس .

Aguado Bléye, Manual de la historia de España, P. 656.

(١)

Ibid. p. 657.

(٢)

وانظر أيضا مجيد عبد الله عثان ، عصر الموحدين ،

(٣)

ص ٣٤٠ .

Aguado Bléye, op. cit. p. 627.

(٤)

Aguado Bléye, Manual de la historia de España, p. 627.



( ٦ )

سقوط بطليوس في أيدي الليونيين سنة ٦٢٧هـ ( ١٢٣٠م )

١ - انهيار سلطان الخلافة الموحدية في الاندلس :

توفي يوسف المستنصر بمراكش في ١٢ ذى الحجة سنة ٦٢٠هـ (١) .  
( ١٢٢٣م ) . ، وكان شابا لاهيا يميل الى الاستمتاع بملذات الحياة ، كما  
فوض أمور دولته لسفلة القوم وسفهاءهم ، فضعفت دولة الموحدين في  
عهده واضمحلت ، وبدأت تفقد أملاكها في الاندلس ، لاسيما وأنه لم يخرج  
قط من حاضرتة مراكش الا الى تينملل للتبرك بالمهدى (٢) . وبوفاته  
اضطربت أحوال دولة الموحدين ، ودب الخلاف بين أفراد الأسرة ،  
واشتد تنافسهم للظفر بعرش الخلافة مما اتاح المجال لقيام الثورات في  
الاندلس ، وعرض مدنها للوقوع لقبة سائغة في برائن ممالك اسبانيا  
المسيحية . فعبد الله بن يعقوب المنصور الملقب بالعدل نازع ابا محمد  
عبد الواحد الذي خلف المستنصر على خلافة الموحدين ، ولم يلبث عبد  
الواحد أن خلع في ٢٠ شعبان من سنة ٦٢١هـ ثم قتل خنقا بعد خلعه  
بثلاثة ايام (٣) . أما العادل فلم ينعم طويلا بالخلافة ، اذ ثار عليه أخوه  
عبد الله البياسي الذي استعان بمملكة قشتالة لمحاربة أخيه ، فاضطر العادل  
الى مغادرة الاندلس الى المغرب بعد أن فوض لأخيه ابي العلاء ادريس  
مهمة النظر في شؤونها .

وكانت ظروف الاندلس قد ساعدت الى درجة كبيرة لاسيما بعد غارات  
الليونيين على اشبيلية والشرف Aljarafe وطلياطة (٤) . Tablada

---

(١) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٦١ .  
(٢) ابن عذاري ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢٤٧ .  
ابن عذاري ، المصدر السابق ، ص ٢٤٧ .  
(٤) الحميري ، صفة جزيرة الاندلس ، ص ١٢٨ ، ١٢٩ .

سنة ٦٢٢ هـ ( ١٢٢٥ م ) ، واخذت الاندلس تموج بالفوضى والاضطراب ، لاسيما بعد أن ثار أبو العلاء ادريس هو الآخر على أخيه العادل ، وخلع طاعته ، وأحان الدعوة لنفسه في شوال سنة ٦٢٤ هـ ( ١٢٢٧ ) . أما العادل فقد كان مصيره سيئا ، إذ قتل على أيدي أشياخ الموحدين <sup>(١)</sup> . ثم بايع الموحدون في المغرب للمأمون أخى العادل ، ولكنهم نكثوا بيعتهم له خشية أن يطلبهم بثأر من قتلوه من قرابته ، وآثروا مبايعة يحيى ابن أخيه لصغر سنه . وقامت الحرب بين المأمون وابن أخيه ، ثم توفى المأمون ، وخلفه ولده الرشيد .

مهدت هذه الحوادث المؤسفة لانتهيار دولة الموحدين في الاندلس ، وتمزق وحدتها ، وقيام الثورات على الموحدين . وشهد أهل الاندلس تلك الصورة المحزنة أمامهم : فمن صراعات شخصية على الخلافة الى فتن وثورات ترتبت على هذه الصراعات وتسببت في نسيان الموحدين لواجبهم الدينى وهو الجهاد . وعندئذ ظهر من بين أهل الاندلس زعيমান كان لهذا الفضل في محاولة جمع صفوف المسلمين في الاندلس ، ولم شعثهم هما : محمد بن يوسف بن هود الجذامى ، ومحمد بن يوسف بن نصر . وكل ما يهمنا في تلك الاحداث ان بطليوس خلعت طاعة الموحدين في سنة ٦٢٦ هـ ( ١٢٢٩ م ) وانضمت الى دعوة ابن هود ، وحذت ماردة حذوها <sup>(٢)</sup> . وكانت بطليوس قد عانت كثيرا في الفترة الاخيرة من حكم الموحدين ، واذا كانت قد تعرضت باستمرار لاعتداءات البرتغاليين في عصر خلفاء الموحدين العظام ، فانها مرت بفترات مظلمة في عصر اضمحلال دولة الموحدين .

---

(١) ابن أبى زرع ، ص ١٦٥ وما يليها - ابن عذارى ، المصدر السابق ، ص ٢٥٢ .  
(٢) محمد أحمد عبده أبو الفضل ، شرق الاندلس في عصر دولة الموحدين رسالة دكتوراه ( ص ١٧١ ) .

## ب - سقوط بطليوس في أيدي الليونيين :

عرضنا فيما سبق لاحداث بطليوس والغرب من وجهة النظر الاسلامية ولكن علينا كذلك ان ننظر الى هذه الاحداث من خلال منظار المصادر المسيحية لنستطيع ان نلم بكل زوايا الحقيقة التاريخية الكاملة .

فعندما تمكن البرتغاليون من ايقاع الهزيمة الشنعاء بمسلمى قصر أبى دانس في عام ٦١٤ هـ طلب أسقف طليطلة المؤرخ رودريجو نخيمنت دى رادا من البابا هونوريوس الثالث في سنة ١٢١٧م ( ٦١٤ هـ ) أن يمنحه الحق في انشاء عدد من الكنائس التي تقرر تأسيسها في مدن تلك المنطقة ، ومن بينها شيون Chillon (١) و ( المعدن ) ، ومكناسة Migneza (٢) ، وام غزالة Magazela (٣) ، ومدلين Medellín ، وترجلة Trujillo وزقرة Zafarez (٤) . وفي عام ١٢١٧م ( ٦١٤ هـ ) نفسها منح الفونسو

(١) تقع شيون بالقرب من مدينة المعدن ، وكانت زمن المسلمين غنية للغاية بمعادنها ، لاسيما معدن الزئبق ، ولا تزال حتى اليوم تحمل اسمها الفينيقي القديم Sisapo الذي يعنى المعدن ، ومنها كان يمر الطريق من ماردة الى طليطلة ، والملاحظ أن اسمها العربى «المعدن» يحمل نفس المعنى الذي تحمله أسماؤها الاخرى ( انظر : (Martinez y Martinez, historia, p. 27).

(٢) تقع Migneza في نفس الموضع الذي يسميه الادريسي «مكناسة» ، ويرى مارتينث اى مارتينث أن موضع مكناسة يعرف باسم مرتفع مكناسة Cerro de Migneza وهو نفس الراى للذى يميل سافدرا الى الاخذ به ، ويقع مرتفع مكناسة المذكور على الضفة اليمنى من وادى تاجة في ملتقى الطرق من ترجلة وسموزة وطلبيرة .

(٣) ام غزالة Magazela كانت تسمى قديما Contosolia ، وتقع على الطريق الرومانى من ماردة الى قرطبة ، وبها حصن قديم كانت له أهمية استراتيجية عظمى في هذه المنطقة الثغرية التي طالما غزاها الفونسو الثامن ، خاصة عند احتلاله لترجلة ومدلين . ( انظر ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ١٧٦ -

(Martinez y Martinez, op. cit p. 272).

(٤) زقرة Zafarez تقع على نهر تيتار Teitar ، وربما كانت هي نفس مدينة Jaraes الحالية ، أما نهر تيتار فهو النهر الذى ورد ذكره في اخبار مجموعة ( ص ٣٠٠ ) بمناسبة اللقاء طازق بن زياد بموسى بن نصير بالقرب من طلبيرة .



التاسع ملك ليون امتيازاً لمرتين فرنانث رئيس جماعة فرسان قلعة رباح حصن القنطرة بكل نواحيه المتاخمة للبرتغال ، وقورية وجالستيو والقنيطرة ، وكان الهدف من هذا الامتياز اجتذاب نظام فرسان قلعة رباح الى مملكة ليون من جهة ، وتدعيم الدفاع عن مدينة القنطرة من جهة اخرى ، ولهذا فقد هاجم الفونسو التاسع مدينة قاصرش في عام ٦١٥هـ وكانت لاتزال في ايدي الموحدين .

وفي هذه المنطقة الواقعة بين القنطرة وبطليوس ، تقع مدينة كركر Albuquerque التي كان نظام فرسان سانتيا جو قد ضمها اليه في سنة ١١٧١م ( ٥٦٦ هـ ) ، ثم استردها المسلمون في حملة سنة ٥٧٩هـ ( ١١٨٤م ) ، وكانت كركر آنذاك مهجورة لان قريبا من القنطرة صعب مهمة الدفاع الاسلامي عنها ، وفي اواخر عام ٦١٤هـ ( ١٢١٧م ) تمكن الفارس البرتغالي Alfonso Tellez de Menses وكان متزوجا من الابنة غير الشرعية للملك سانشو الاول ملك البرتغال ، من الاستيلاء على حصن كركر ، واسكن فيه مواليه واتباعه ، بالاضافة الى بعض البرتغاليين ، وقام بترميم الاسوار والتحصينات بقدر امكانه حتى يمكنه ان يتصدى للغارات التي كان يشنها المسلمون من بطليوس . ويؤكد مارتينث اى مارتينث ، استنادا الى ما اورده لابولا ، ان بطليوس منذ عام ٦١٤هـ ( ١٢١٧م ) كانت تشكل خطرا جسيما على الفونسو تيبث Alfonso Tellez الذي تولى حكم كركر لمدة سبع سنوات ، لاسيما وانه لم يتلق اى معونة من القنطرة ولا من البرتغال .

ومما لاشك فيه ان استيلاء نظام جماعة فرسان قلعة رباح على القنطرة كان يشكل صعوبات جمة لمملكة ليون ، ذلك ان هذا النظام كان يتلقى اجوره من قشتالة ، وفي هذه الحالة لم يكن فرنانده الثالث ملك قشتالة ليرضى ان يستخدم النظام المذكور هذه الاموال في الدفاع عن القنطرة وكان من المفروض ان تستغل هذه الاموال في تحصين المواقع التي كان يحتلها فرسان هذه الجماعة داخل نطاق مملكته ، وعندئذ وازن الفونسو

التاسع الفائدة والخسارة في هذا الموضوع ، فلكى يستطيع فرسان قلعة رباح الدفاع عن الحدود الليونية ضد المسلمين ، وتكريس جهودهم على وجه الخصوص للتمسك بالقنطرة والدفاع عنها ، قدم لهم هبة في ٦١٥ هـ ( يناير ١٢١٨ م ) قوامها قطاع في مدينة البه دى توريس Alba de Torbes وبعض اقطاعات أخرى كان يمتلكها الملك في جاما ، ويبدو أن فرسان قلعة رباح لم يتمكنوا من ارضاء أى من الملكين ، ولهذا فقد اندمجوا في نظام سان خوليان دل بيريرو بعد أن تنازلوا له عن الموقع ( أى عن مدينة القنطرة ) وعن كل املاكهم وامتيازاتهم في مملكة ليون .

وعندئذ رأى الملك الليونى الفونسو التاسع ، أنه أصبح من الضروري التوسع في نظام فرسان سان خوليان الذى سمي منذ ذلك الحين بنظام فرسان القنطرة ، وتحقيقا لهذا الهدف غمر الفونسو التاسع نظام فرسان القنطرة بالهبات التى شجعتهم على تعمير المناطق الثغرية التابعة لها ، كذلك قام الملك الليونى بانتزاع بعض الاقطاعات من جماعة فرسان المعبد في عام ٦١٧ هـ ( ١٢٢٠ م ) ليمنحها لنظام فرسان القنطرة . وتجنبنا لما يمكن أن ينشب من نزاع بين النظامين ، منح الملك لفرسان المعبد (الداوية) مدينة البه دى اوستى Alba de Auste ، كما منح في ١٢ اكتوبر من السنة نفسها لنظام فرسان القنطرة الحق في تلقى رسم عبور بعض مواضع من جليقية حتى يتيح لهم العائد الانفاق على الترميمات الهامة في حصن القنطرة . وفي نفس الوقت منح نفس النظام حصن ميلانا Milana وخول له امتيازاً يقضى بمنحه حق بيع الحصون والمواضع التى يغنمونها مستقبلا من المسلمين في الثغر الجوفى ( استراما دورة - ليون ) .

وهكذا ازدهر نظام جماعة فرسان القنطرة ، وأصبح في ظروف افضل للهجوم على المسلمين المرابطين على الحدود . وفي ربيع تلك السنة (٦١٧ هـ) استولى جماعة فرسان القنطرة على بلدة بلنسية القنطرة ، وعلى الرغم من أن الاخبارى توريس يشير الى أن نظام القنطرة دخلها عنوة الا أن الأرجح أنها كانت مهجورة أو على الاقل كانت خالية من

السكان كالثان في بلدة كركر انتى عمرها الفونسوتيتث Alfonso Tellez .  
وكما كان الحال في غدد من المواضع الصغيرة الواقعة في المناطق الامامية  
من الحدود . ويسوق مارتينث اى مارتينث رواية نقلها عن حوليات طليطلة  
هى مثل صارخ لفئة من المغامرين المسيحيين كانوا يخرجون في قوة من  
اصحابهم لاحتلال بعض هذه الحصون المهجورة من اصحابها ، فيحصنونها  
ويتخذونها قواعد عسكرية امامية لهم ، وجاء في الحوليات المذكورة في  
سياق حادثة وقعت في شهر اغسطس من نفس السنة نصها : « وجاء  
سانشو فراندث Sancho Ferrandez ابن الملك فرنانده الثانى ملك  
ليون ابن الامبراطور الى طليطلة ، وقال انه سيمضى الى ملك مراکش  
وسيسبب له خسائر كثيرة ، فصدقه عدد كبير من المسيحيين واليهود ،  
فطلب منهم أن يصحبوه الى اشبيلية ، ووعدهم بأن يدفع لهم هناك ،  
فاستجابوا له ظنا منهم انه سيمضى بهم الى اشبيلية ، ولكنه ضل السبيل ،  
ووصل الى كانيا ميرو ، وهو حصن عظيم ، وسكنه هو واصحابه ،  
وتسبب في الحاق كثير من الاضرار بالمسلمين . وفي يوم الثلاثاء وبينما كان  
سانشو فراندث بأعلى جبل هاجمه دب وقتله ، وفي اليوم الثالث  
(الخميس) جاء ملك بطليوس Badalloz في قوة كبيرة من المسلمين  
واستولى على كانيا ميرو وذبحهم جميعا وكان ذلك في يوم ٢٥ اغسطس » .

وواضح من النص السابق ان سانشو فراندث الذى كان مكروها من  
اخيه ملك ليون رحل الى طليطلة للبحث عن رجال يشاركونه المغامرة  
على غرار المغامر الفونسوتيتث في كركر ، وبعد أن خدع الكثيرين  
ووعدهم بالسير الى اشبيلية حيث يتلقون من اميرها الموحدى مرتبات  
ضخمة ذهب معهم لتعمير موضع من استرامادوره يقع على الحدود المهجورة  
التي لايقدم على الاقامة فيها ونزولها أحد سواء من المسلمين أو من  
المسيحيين ، وكان الموضع الذى نزله سانشو من العزلة بحيث كانت تاوى  
الى الوحوش ، ولا شك أن الجبل الذى هاجمه فيه الدب هو جبل وادى  
لب Guadalupe وكانت تكسوه غابة تسكنها الوحوش . وفي سنة ٦١٩هـ  
( ١٢٢٢م ) قرر الفونسو التاسع ، وكان قد تصالح مع ملك البرتغال ،



توجيه حملة على الثغر الأدنى، ومحاصرة قاصرش كما أشرنا، من قبل ،  
وشرع في ذلك في أواخر يوليو ، وهناك تجمع لديه كثير من فرسان  
التجمعات الدينية العسكرية وحشد كبير من المقاتلة ، وشرع الملك في نصب  
المجانيق لتخريب الاسوار ، ونجح رجاله في فتح ثغرة كافية لاقتحام  
المدينة ، ولكن الفونسو تلقى في تلك اللحظة رسولا من قبل خليفة  
الموحدين يعرض عليه مبلغا كبيرا من المال مقابل ان يرفع الحصار عن  
قاصرش ، فلم يتردد الملك الليوني في قبوله ، وقفل عائدا الى مملكته ،  
وهكذا انسحب ملك ليون بعد ان قبل العرض السخي مع عدد من  
الاسرى المسلمين.بالاضافة الى ما حمله معه من الغنائم ، وتبين فيما بعد  
ان خليفة الموحدين سخر منه ، ولم يدفع له المال الذي كان قد وعده به .  
وترتب على هذه الخدعة ان حصن المسلمون قاصرش ، وأصبح الاستيلاء  
عليها بعد ذلك أمرا عسيرا (١) .

وكان سانشو الثاني قد خلف أباه الفونسو الثاني على عرش البرتغال  
منذ سنة ١٢٢٣م ، وكانت احوال دولة الموحدين آنذاك في غاية السوء ،  
لاسيما بعد وفاة المستنصر الموحدي واحتدام الخلافات بين أبناء أسرة  
عبد المؤمن . وفي أثناء ذلك انصرف الفونسو التاسع الى الاشتغال بمشاكل  
مملكته . وفي سنة ١٢٢٥م استصرخه الفونسو تيبث صاحب حصن كركر  
والذي ظل خلال سبع سنوات يحارب المسلمين من حصنه ، وتعرض مرات  
عديدة للهلاك عندما كان المسلمون يحاصرون حصنه ، ويرغمونه على  
التحصن بداخله. والدفاع من وراء أسواره ، وقد لجأ الفونسو تيبث الى  
البابا كي يتوسط له عند فرسان سانتياجو الذين كان يستصرخهم ليساعدوه  
في كل مرة يهاجم فيها المسلمون حصنه . ولم يتردد ملك ليون هذه المرة  
في القيام بحملته الى قاصرش التي أشرنا اليها وعاد منها بغنيمة كبيرة .  
وفي العام التالي ( ربيع سنة ١٢٢٦م ) قام بحملة أخرى الى منطقة  
بطلبيوس في الوقت الذي كان ملك البرتغال يتوجه فيه نحو البش Bivas

وربما لم تكن هاتان الحملتان الموجهتان من الملكين المسيحيين قد أعدتا عرضاً، أو أنهما خرجتا بمحض الصدفة ، ومن المرجح أنهما تما نتيجة اعداد واتفاق مسبق بين الملكين . وعلى أى حال فقد اجتاز الفونسو التاسع، وادى تاجه عن طريق القنطرة . ، وتوغل في منطقة بطليوس ، وحاصرت قواته في أحواضها عينا شديدا ، وأضرمت النيران في كل ما قابلته من عمران ، وانتسفت المزارع ، ، أما سانشو الثاني فلم يكتف بمجرد شن الغارات على مزارع البش ، وإنما عزم على الاستيلاء عليها ، فضيق عليها الحصار ، . ويمكن من الوصول عند أسوارها ، وكاد أن يهلك لولا أن أنقذه الفونسو، عندئذ ساراثينس Alfonso Mendez Sarracines

فأخفاه في غار ليحميه من المسلمين ، ولما عاد الفونسو التاسع ملك ليون من حملته، ووصل إلى مدينة النبطاط Ciudad Rodrigo منح رئيس جماعة فرسان القنطرة امتيازات جديدة ، وعندما وصل إلى قورية في نوفمبر سنة ١٢٢٧م. منح جماعة فرسان القنطرة مدينة سلباليون المجاورة لبلدة ساجوبال Sagubal . ومن المعتقد أنه استغل وجوده في قورية في هذا الشهر ليقوم بأحدى غزواته التقليدية على الثغر ، ولعله اشتبك آنذاك مع المسلمين في معركة دارت بالقرب من نهر بويركو Puerto ثم خرج مع الملك في حملته التالية سنة ١٢٢٧م عدد كبير من فرسان القنطرة ، وشارك معهم غرسيه سانشو رئيس هذه الجماعة ، كما شارك معهم أيضا رئيس جماعة فرسان سانتياجو ويدعى بدرو جنثالث منجو ، واستبان دي بلمونتي رئيس جماعة فرسان المعبد وغيرهم (١) . وفي هذه الاثناء اشتد النزاع في صفوف المسلمين خاصة بعد ظهور ابن هود الذي انضمت اليه معظم قواعد الاندلس ، وعزم الفونسو التاسع ، ولكن قد شاخ وهرم ، على اصلاح أخطائه القديمة ، فصمم على افتتاح كل اقليم استراتيجيا دورا الممتد جنوبي واديانه ، وكان في امكانه ان يحقق ذلك لولا ان عاجله الموت وهو على وشك اتمامه . وكان في بلاطه فرسان برتغاليان

يتسمان بالشجاعة والاقدام كانا لايقنعان الا بالغزو العسكرى الشامل هما الامير بدروسانشث ابن ملك البرتغال سانشو الاول وكان يقوم بدور رئيس ديوان ملك ليون ، والثانى مارتين مانشت ، وهو اعظم فرسان جيش مملكة ليون فى جليقية . وكان هذان الفارسان يتمتعان بمكانة عسكرية فى مملكة ليون ، وقد صرفا كل جهودهما فى تعبئة قوات ليون على الحدود الاسلامية تاهبا لاغتنام فرصة تحرك قوات البرتغال وقشتالة فى نفس الوقت . وهكذا كان سانشو الثانى متاهبا لحصار اليش Elvas ، بينما اجتاز فرنانده الثالث سهول الاندلس ، وارسل الى ابيه الفونسو التاسع بعض قواته امدادا له . وفى ربيع سنة ١٢٢٩م تجمع الجيش امام اسوار قاصرش التى رغم حصانتها على حد قول لوكاس دى توى Lucas de Tuy الا ان حاميتها لم تكن كافية لكى تصمد لفترة طويلة ، وقد سهل ذلك سقوطها فى ايدى الليونيين فى ٢٣ ابريل من نفس سنة ١٢٢٩ (٦٢٦هـ) . وقد ترتب على سقوط قاصرش احتجاج جماعة فرسان سانتياجو الذين كانوا يؤمنون باحقيتهم فى امتلاك قاصرش على اساس ان الملك فرنانده الثانى كان قد وعدهم بمنحها لهم ، ولكن لما كان الفونسو التاسع راغبا فى ضم هذه المدينة لمملكة ليون ، فقد اعتبرها حدا ، ومنحها امتيازات للتعمير ، ولكى يرضى جماعة فرمان سانتياجو ، منحهم حق امتلاك مدينتى كاستروتوراف Castrotoraf وفيافا فيله Villafa fila ، كما قدم لهم بالاضافة الى ذلك مبلغا من المال يقدر بالفى مرابطى من الذهب ، هذا بالاضافة الى انه وعد هذه الجماعة بانه اذا قدر له يوما ما افتتاح ترجمة وشنت اقروح ومنتانجش ومدلين فانه سيهب بعضها الى الجماعة المذكورة (١) .

وبينما كان الملك مشغولا اثناء مقامه بقورية بحل مشاكل الامتيازات الممنوحة لفرسان سانتياجو كان الجيش قد زحف بقيادة بدروسانشث من



قاصرش إلى ماردة ، واحتل الطريق المؤدية إلى منتانجش بدون مقاومة ، كما احتل جميع المواضع المجاورة وهي الموهارين Almoharin ، والكويسكار Alcuescar ، وقرمونيتا Carmonita والحصين aljucín (١) . وكان حماس الليونيين وفرحتهم بالاستيلاء على قاصرش ومنتانجش وماردة في شهر واحد قد جعل أحد المؤرخين يشيع ظهور القديس سانتياجو بوضوح مع جمهرة من العسكر البيض وهم يذرعون بسيوفهم في المسلمين ، وهذا الزعم يعبر عن روح الحماس التي كان فرسان سانتياجو يقاتلون بها المسلمين (٢) .

وتم سقوط ماردة في شهر مايو ، ونستدل من السرعة الفائقة التي تمت بها هذه الفتوحات على أن الدفاع الموحدى عن هذه المناطق كان هزئلا ، وقد كان ذلك الضعف في المقاومة أمرا طبيعيا ، خاصة إذا ما أخذنا في الاعتبار الظروف السيئة التي كانت تمر بها دولة الموحدين في تلك الآونة ، من خلافات وتطاحن ومنافسات شخصية بين أفراد الأسرة الحاكمة ، وثورات داخلية جامحة ، وقد أدى ذلك كله إلى انصرافهم عند تنظيم خطط الدفاع عن مدن الأندلس المهددة في ذلك الحين بالغزو المسيحى ، ولذلك فإن مؤرخا مثل مارتينث اى مارتينث يرى أن الحاميات الإسلامية كانت تستسلم بمجرد تلقيها أنذار المسيحيين ، إيمانا منها بعجزها عن

---

(١) في أثناء زيارتى لبطليوس وما حولها من قرى ومدن استرعى نظرى عدد من الحصون المصاوبة للمدينة ومن بينها قرية الحصين Aljucén وواضح من اسمها الأسباني أنه محرف من لقطة عربية أما أن تكون من « الحسين » وهو اسم علم لعله اسم قائد أو حاكم لهذه المدينة أو أنها محرفة من « الحصين » وهو تصغير حصن ، نسبة إلى حصن اختصت به هذه القرية ماتزال آثاره ترتفع في شيوخ على تلة مرتفعة .

(٢) مدونة لوكاس دى توى ، وقد أورد مارتينث اى مارتينث مقتطفات طويلة منها ( انظر Martínez y Martínez, op. cit., p. 286.

التصدى لجيوشهم لاسيما وأن الجيوش الليونية كانت كثيفة العدو الامر الذى دفع الحاميات الاسلامية الى المبادرة بالتسليم (١) .

وهذا الراى الذى ساقه مارتينث قد يكون على جانب من الصواب فيما يتعلق بكثافة جيوش الليونيين ، ولكن مارتينث جانب الصواب فى قوله ان المدن الاسلامية كانت تستسلم بمجرد تلقيها اول تهديد مسيحى لحامياتها . وهذا القول مجاف للحقيقة ومخالف للواقع التاريخى ، فكل المدن الاسلامية التى سقطت فى ايدى الجيوش المسيحية كانت قد ابدت من ضروب المقاومة والبسالة والبطولة صورا مشرفة ، فحصن القصر ( قصر ابنى دانس ) لم يستسلم بمجرد رؤية حاميته لحشود العدو ، بل انه قاوم وناضل حتى ان العدو البرتغالى اضطر الى صنع أبراج عالية تمكنه من فتح ثغرات فى اسوار المدينة . وهناك مثل آخر اكثر تعبيراً وهو مدينة قاصرش التى حاصرها الملك الليونى اكثر من مرة طبقا للروايتين المسيحية والاسلامية ، وفى كل مرة كان الملك يضطر الى رفع الحصار ، ليعود بعد فترة الى محاصرتها ، وفى اعتقادنا انه لولا الصراع الداخلى الذى فكك اوصال الدولة الموحدية لكانت هذه المدن قد صمدت بقوة امام هذه الحملات .

وفى ٣٠ مايو من سنة ١٢٢٩م وصل الملك الليونى الفونسو التاسع الى حصن الطليعة ، وهناك اصدر قرارا منح فيه ماردة لصالح كنيسة شنت ياقب الرئيسية Santiago ، وفى ذلك لم يتجاوز التقاليد المتبعة والتى كان يعمل بها شيوخه الذين كانوا يعتبرون ماردة حقاً لاسقفية شنت ياقب وذلك منذ سنة ١١٢٢م التى صدر فيها القرار الذى يبيح لمقرشنت ياقب حرية التصرف فى اختصاص ماردة ، وعلى هذا الاساس فقد قرر الفونسو التاسع ان يتنازل عن ملكيته لماردة عقب سقوطها فى ايدى قواته . وقدّر لنظام جماعة فرسان سانتياجو أن يظفر بعد ذلك

بنصف مازدة بحكم تبعيته لاسقفية شنت. ياقب ، ولكن ذلك لم يحدث  
الابعد الاحداث التالية (١) .

وفي نفس الوقت الذي كانت قوات مملكة ليون تستولى فيه على  
مازدة ، كان البرتغاليون بدورهم يسيطرون على البشر Elvas ، وجلمانية  
Jurumenha . وشيريه Serpa ، وهي مدن كان الموحدون قد استردوها  
من جيرانده الجليقي (٢) . وبعد سقوط مازدة ، تابع ملك ليون فتوحاته ،  
ولكن بلغه ان ابن هود قد اقبل على رأس جيوشه بعد ان علم المصير  
الذي آلت اليه مازدة ، لكي يقوت على الجيش الليوني فرصة الاستيلاء  
عليها ، وهنا ثقع في حيرة امام الاختلاف بين المصادر العربية والمصادر  
المسيحية ، فبينما يذكر كل من ابن زرع في روض القرطاس (٣) ،  
والقري (٤) في ثقع الطيب ان ابن هود اشتبك مع قوات الفونسو التاسع  
قبل سقوط مازدة ، تشير المصادر المسيحية المعاصرة امثال لوкас دي  
توى ، ان المعركة بين ابن هود وقوات ليون حدثت بعد سقوط مازدة  
بالفعل ، وقد أكد هذه الحقيقة مارتينث اى مارتينث في كتابه عندما اورد  
وثيقة هامة للغاية معاصرة لهذه الفترة ، ووضعها تحت عنوان ملحق رقم  
٢٥ في كتابه ، ونلاحظ انه في هذا الملحق اشارة الى انه في ٣٠  
مارس سنة ١٢٣٠م ( ٦٢٧هـ ) دارت المعركة وان الملك كان موجودا  
انذاك في ثارثا Zarza على مقربة من مازدة (٥) . وبالرجوع الى ابن  
عذارى في البيان نطالع النص التالى : « وفي سنة سبع وعشرين وستمائة

Martinez y Martinez, op. cit. p. 287.

(١) راجع مدونتي قلمرية ورودريجو الطليطلى الواردتين في كتاب  
Historia de Badajoz للمؤرخ الاسبانى البطليوسى مارتينث  
اى مارتينث ، ص ٢٨٧ وكذلك :

Primera Cronica general de España, p. 653.

(٣) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٨٢ .

(٤) القري ، ثقع الطيب ، ج ٢ ، ص ٥٨٢ .

(٥) انظر ملحق رقم ٢٥ في : Martinez y Martinez, op. cit. p. 287.



تحرك المتوكل على الله بن هود بجيوش عظيمة من المسلمين الى غزو اعداء الله الكافرين ، فالتقى مع عساكر الروم على ماردة ، فدفق فيهم بنفسه بنجدته وعزمه ، ثم انهزم الى ساقته ، فوجد الناس قد ولوا منهزمين هنالك من أجل ذلك ، وكان من طبعه ملولا عجولا ، وكانت هذه الغزوة اول غزواته واضخمها ، فلم ينصر فيها (١) ، وفي هذا النص ما يشير الى ان معركة ابن هود مع الليونيين حدثت عقب سقوط ماردة وليس قبلها ، فابن عذارى يقول ان ابن هود تقدم الى « غزو الكافرين على ماردة » ، فكلمة غزو تؤكد ان الليونيين كانوا قد استولوا على ماردة ، وان ابن هود يسعى الى غزوها ، والا لكان قد استخدم تعبيرا آخر وهو « للقاء العدو » مثلا أو « لمحاربة العدو » ، ولذلك فنحن نميل الى الاخذ بالرأى القائل ان لقاء ابن هود بالليونيين تم بعد استيلاء العدو على ماردة . ومن الجدير بالذكر ان بعض الباحثين الاسبان المحدثين ، يؤكدون ان المعركة المذكورة حدثت قبل سقوط ماردة (٢) .

ومن المرجح ان يكون ابن هود قد اقبل الى ماردة عن طريق الجادة الممتدة من قرطبة وتمر ينبع أوبيخونا Fuento obejuna وثلمية Zalamea ، ونزل بالموضع المسمى هورنا تشوس Hornachos ، ويقع على مقربة من ثلمية ، بدليل ان هذا الموضع ورد ذكره في احدي الهبات الممنوحة على انه « منازل ابن هود » Posadas de Abonfud وهو اسم يشير

(١) ابن عذارى ، البيان المغرب ، القسم الثالث ، ص ٢٧٠ .  
(٢) يذكر Aguado Bleye

Aguado Bleye, Manual de la historia de España, p. 657

ويؤيده لويس شوارث (Luis Suárez, op. cit. p. 283) ان الفونسو التاسع تغلب على منتانجش ، ثم حاصر ماردة ، ولم يلبث ان رفع الحصار عنها لمحاربة ابن هود الذي سارع لنبذة أهل ماردة ، فهزمه الفونسو التاسع عند حصن النجش ، واستولى بعد ذلك على ماردة ثم على بطليوس والبش وعلى حصون أخرى مجاورة لبطلليوس كانت خالية . ويضيف لويس شوارث ان الفونسو التاسع قدم البش هدية الى سانشو الثاني ملك البرتغال بمناسبة المصالحة التي تمت بين الملكين . وقد سبق ان ذكرنا ان البش سقطت في أيدي البرتغاليين

الى معسكر ابن هود (١) . وتذكر المصادر المسيحية المعاصرة انه نشبت بين الفريقين معركة حامية عند حصن الحنش Alanje ، انهزم فيها ابن هود هزيمة ساحقة (٢) ، وتقهقر الى جنوبى الاندلس بعد ان فقد معظم جيشه . ولم يحاول ابن هود بعد تراجعه ان يعيد الكرة على العدو ، ليس لخوفه من الدخول فى معركة جديدة مع جيوش ليون ، وانما لان بلنسية فى ذلك الوقت كانت موضع منافسة بين بعض الثوار ، بالإضافة الى تلقيه استغاثة من قرطبة بتقديم قوات قشتالة نحوها (٣) .

وفى يوم ٣٠ مارس ١٢٣٠م ( ٦٢٧هـ ) اصدر الفونسو التاسع اثناء وجوده فى ثارثا Zarza عدة هبات ، من بينها بيوت بماردة كانت ملكا لرجل مسلم يدعى عبد العليم بن طبريطة Abentobrita ، وبعض سواقى قريبة من الجسر وباب المدينة ، وكانت ملكا لبزان البطليوسى Padazani . وحقل كان ملكا لعللى الاعرج ، وقد قدم الفونسو هذه الهبات الى نظام جماعة فرسان القنطرة مكافاة منه على الخدمات الجليلة التى قدموها فى مناسبات عديدة لاسيما اثناء استرداده لماردة وفى المعركة التى دارت مع ابن هود فيما وراء واديانه على مقربة من هذه المدينة عند حصن الحنش .

وكانت بطليوس قد اصبحت فى وضع سيئ للغاية ، فاذا كان سقوط ماردة وقاصرش قد ضيق عليها الخناق من جهة المشرق ، فقد ازداد التضيق عليها اكثر عندما تمكن البرتغاليون من الاستيلاء على البش وجلمانية من الغرب ، وبدا جماعة فرسان المعبد على الفور ، سواء من مملكة ليون او من البرنغال ، يجتاحون سهول شريشه Jerez de los Caballeros

---

(١) Martinez y Martinez, op. cit, p. 288.

(٢) محمد احمد أبو الفضل ، رسالة الدكتوراه التى تقدم بها الى جامعة الاسكندرية عن شرق الاندلس فى ظل دولة الموحدين ، ص ١٧٦ .

(٣) Gaspar Remiro. Historia de Murcia Musulmana, Zaragoza, 1905, P. 277.

من الجنوب ، وجمدت بطليوس كل وسيلة لاقامة خطوط دفاعية امامية . ومن المؤكد ان سكان القرى الصغيرة المتناثرة حول بطليوس امثال الزلاقة Sagrajas ، وبوتوا Botoa ، ومنتميور Montemayor ، وتلينة Talena ، وبرثيال Berceal ، وغيرها كانوا قد تحصنوا داخل مدينة بطليوس ، لعدم شعورهم بالامن خارجها ، وكان كل ما ياملون فيه ان يتلقوا مددا او نجدة من الممكن ان تصل اليهم من جنوبي الاندلس ، ولكن تلاشى املمهم الاخير في هذه النجدة بعد ان تعرض ابن هود لهزيمته الشنعاء عند حصن الحنش ، واقبال جحافل الليونيين الى ضواحي المدينة . ومن المرجح ان بطليوس استسلمت منذ الاشتباكات الاولى ، ونستند في ذلك الى مرور الاخباريين المسلمين على هذه الحادثة مرا سريعا ، فبينما يذكر القرى (١) ان بطليوس استسلمت بعد ان فقدت كل امل في وصول امدادات ، تذكر مدونة قلمرية انها استسلمت فقط دون اضافة اية تفاصيل (٢) ، وتنهج الحوليات الطليطلية نفس النهج ، اما لوكاس دى توى فقد التزم الصمت حيال هذه الحادثة ، ولم يزودنا بآى تفاصيل عنها ، الامر الذى يحمل على الظن بان فتحها جاء يسيرا . وذكرت مدونة قلمرية ان سقوط بطليوس تم في عيد الروح القدس الموافق ٣ يونيو .

وبعد ان سقطت بطليوس في ٦٢٧هـ : ( ١٢٣٠م ) منح الفونسو التاسع فرسان القنطرة بلدة شريفة وفريشتال وبرغش والكونشيل على اثر استيلائه عليها . ولاندرى في آى تاريخ تلقى جماعة فرسان القنطرة كنيسة بطليوس وممتلكات اخرى بها ، ومما لا شك فيه ان الفونسو التاسع سار الى ليون في شهر يوليو بدليل انه كان موجودا في سمورة في شهر اغسطس . ومن واقع الوثائق عرفنا ان الفونسو التاسع عمر بطليوس بسكان

(١) القرى ، نفج الطيب ، ج ٢ ، ص ٥٨٢ .  
(٢) Martinez y Martínez, op. cit. . Apendice 28, 290.



جدد من النصارى ، وان كان بعض سكانها من المسلمين ظلوا يقيمون فيها وعندما كان الفونسو التاسع فى سمورة منح جماعة سانتياجو امتياز مدينة منتانجش وحصنها ، وقد ورد ذكره على أنه ملك ليون وجليقية وبطليوس فى تلك الوثيقة (١) . وتوفى الفونسو التاسع فى ٢١ سبتمبر ١٢٣٠م بعد أن حقق أعز أمانيه .

وفى النهاية ، وبعد أن تم سقوط بطليوس ، يجب أن نذكر حقيقة تاريخية هامة ، وهى أن هذه المدينة لم تسقط فى أيدي الليونيين الا بعد ان انهارت دولة الموحدين تماما ، وافتقدت المدينة المدافعين عنها والحامين لذارها ، واصبحت تعتمد فى تقرير مصيرها على مقوماتها الذاتية وحدها ، وينبغى أن نقر بان الموحدين كانوا فى فترة قوتهم يهتمون بأمر هذه المدينة العريقة التى كانت قاعدة الثغر الجوفى . وعلى الرغم من أن بطليوس فقدت تفوقها الثقافى والعلمى والاقتصادى الذى شهدته زمن ملوك الطوائف ، وحلت محلها اشبيلية ، حاضرة الموحدين فى الاندلس ، الا انها أصبحت موضع اهتمامهم العسكرى ، فيكفى انهم اهتموا بتدعيم قصبتها المشهورة لتكون خطا دفاعيا أمام دولة البرتغال ، تحمى الحاضرة اشبيلية (٢) .

---

Martinez y Martinez, op. cit. Apendice No. 28.

(١)

(٢) عبد الله علام ، الدولة الموحدية بالمغرب ، ص ٢٨٣ .



## الخاتمة





من خلال دراستنا البطويلة للتاريخ السياسي لبطليوس في العصر الاسلامي ، على مدى ما يقرب من ثلاثة قرون ونصف القرن ( من سنة ٢٦١هـ حتى سنة ٦٢٧هـ ) وعرضنا فيه الى الحوادث التي تعرضت لها المدينة منذ تأسيسها في زمن الامير محمد بن عبد الرحمن الاوسط حتى سقوطها في ايدي الليونيين ، استطعنا ان نتوصل الى نتائج جديدة قد تكون لها قيمتها بالنسبة للدراسات التاريخية الاندلسية ، استندنا في بعضها على الحقائق الاثرية كنقوش العملات التي تم العثور عليها في ارض بطليوس ، او النقوش الكتابية لبعض شواهد القبور من عصر دويلات الطوائف ونهاية عصر دولة المرابطين في الاندلس ، بالاضافة الى ما اسفرت عنه الحفائر الاثرية التي اجريت منذ سنوات خمسة مضت في موقع بطليوس ، وفي البعض الآخر على المصادر العربية بالدرجة الاولى ، وعدد من المصادر والمعلومات الاسبانية المسيحية التي امكنا الرجوع اليها للاسترشاد بما ورد فيها من نصوص تتعلق بطبيعة العلاقات السياسية التي كانت قائمة بين مهالك اسبانيا المسيحية وبين بطليوس المدينة والامارة . وفيما يلي عرض لبعض هذه النتائج :

١ - اثبتنا ان بطليوس مدينة قديمة للغاية ، فقد اسفرت الحفائر الاثرية التي اجراها عالم الآثار الاسباني فرنشكو بالدس فرنانديث Francisco Valdés Fernández في موقع قصبة مدينة بطليوس في الموسم الاثري الاول ( يوليو ١٩٧٧ ) عن كشف آثار ترجع الى العصر البرنزي ( ١ ) ، يضاف اليها ما تم كشفه في مواضع مختلفة من مدينة بطليوس من آثار من العصر الحجري ، يحتفظ بها متحف الآثار المحلي ببطليوس .

٢ - ناقشنا النظريات المختلفة المتعلقة بأصل تسمية بطليوس ،

وفندنا الراى القائل بأن اسم بطليوس تحريف من Pax Augustus  
أو Pax Julius ، اذ أن هذين الاسمين أكثر ارتباطا باسم مدينة باجة ،  
وعرضنا أسماء مواضع في شبه جزيرة إيبيريا تحمل المقطع الأخير لبطلينوس ،  
ورجحنا أن يكون لاسم بطليوس علاقته باسم وادى اللوز أو بلد اللوز أو  
بلدة اللوز ، على أساس أن الاسم جاء بهذه الصورة في المدونة الأولى  
لتاريخ إسبانيا العام Badaioz ، كما ورد في رسالة موجهة من فرناندو  
ملك البرتغال في سنة ١٤١٧م باسم بادالوس Badalouce على أنه  
بطليوس ، وهو اسم قريب النطق من بطليوس . ومن الغريب أن أحد  
أبواب مدينة قرطبة بسورها الغربى ، وهو باب بطليوس ، يحمل اسما  
آخر هو باب الجوز ، كما أن الفحص الممتد شرقى بطليوس تكسوه أشجار  
البلوط والجلوز ، ونعتقد أن الاسم العربى « بطليوس » جاء محرفا  
من اسم وادى اللوز ، ربما لأن التسمية كانت صادرة من جماعات المولدين  
والمستعربين الذين استقروا فيها منذ أن مصرها عبد الرحمن بن مروان  
الجليقى ، وتجمع هذه التسمية بين الصوت العربى لوادى اللوز ونطقه  
بالإسبانية ، فكلمة وادى إذا تحولت الى الإسبانية تنطق « وادا » Guada  
كالحال فى الوادى الكبير Guadalquivir ووادى الحجارة Guadalajara  
كما أن كلمة بلد تتحول فى النطق الإسبانى الى « بيا » (Valla) كالشان  
فى بلدة Valladolid أى بلد الوليد . أما « بلدة اللوز » فنطقها  
بالإسبانية يصبح قريبا من بطلوس أو بطليوس كالشان فى حصن اللوز  
Iznalloz

٣ - اثبتنا أن غرب الأندلس كان منزلا لعنصرين رئيسيين من سكان  
الأندلس : البربر والمولدون فمن قبائل البربر التى نزلت بالغرب مصمودة  
وزناتة ومكناسة ونفزة وزواغة ، وقد تركت هذه العناصر البربرية بصماتها  
واضحة على العمران الإشباني والبرتغالى ، وفى الطبوغرافية المدنية  
بالغرب ، مثل ذلك أن أسماء المواضع التالية تحمل أسماء قبائل نزلتها :  
مكناسة (Mequinesa) ، ومغيلة (Maguilla) ونفزة (Nepza) ، وحصن  
زواغة (Azuaga) ، وزناته (Gineta) ومحمود وهو اسم موضع بالبرتغال



ما يزال يسمى Mafimude نسبة الى محمود بن عبد الجبار المصمودي  
الناظر على الحكومة المركزية بقرطبة . كذلك كانت بطليوس ونواحيها  
موطنًا لجماعات المولدين وطائفة من المستعربين ، ومنهم ابن الجليقي ،  
وسعدون السرنباقي ، ومكحول ، وابن مرتين ، ممن ناهضوا الحكم  
الاموي .

٤ - : أوضحنا في دراستنا أهمية الموقع الذي تشغله بطليوس على  
واديانه ، وهو موقع استراتيجي هام للغاية ، فواديانه يعتبر خندقًا  
طبيعيًا لها من جهة الجنوب والجنوب الغربي ، ونهر ريفياس ونهر  
جيزيرو يحميانها من الشمال والشمال الشرقي ، والقصبة المرتفعة تشرف  
عليها بأبراجها وحزامها البراني وتدعم دفاعها ، والقورجات تقطع على  
أي عدو الطريق لحصار القصبة من جهة واديانه ، وفي الشمال يمتد فحص  
الزلاقة الفسيح الذي شهد معارك طاحنة في فترات مختلفة من التاريخ  
الاسلامي ، في نهاية عصر الطوائف ، عندما عبرت جيوش المرابطين  
الزقاق ، واشتبكت مع جيوش المسيحية مجتمعة في هذا الفحص سنة  
٤٧٨ هـ ، كما كان الفحص نفسه مسرحًا للقتال في ولاية تاشفين بن علي ،  
عندما اشتبك مع قوات رودريجو جنثالث في سنة ٥٢٨ هـ ، كما كاد يصبح  
مسرحًا للقتال من جديد في سنة ٥٦٦ هـ ( ١١٧٠ م ) عندما قدمت قوات  
فرننده الثاني الببوج ونزلت بهذا الفحص تمهيدًا لاقتحام المدينة ، ولكن  
فرننده لم يلبث أن عدل عن القتال بعد أن تبين له ضخامة حشود  
الموخردين ، وأثر أن يعقد الصلح مع اشيخ الموخردين .

هذا الموقع الاستراتيجي الرائع الذي نعمت به بطليوس يعبر عن  
اختيار ذكي للمدينة المستحدثة بحيث أصبحت بحكم حصانة الموقع وما  
يحيط به من حصون متناثرة في أحواز المدينة ذات منعة وحصانة ،  
وأصبحت تغرا من لغور الاسلام في الأندلس ، ودارا للرباط في قزب  
الأندلس ، وهذا يفسر الاعتداءات المتواصلة التي تعرضت لها بطليوس  
على أيدي البرتغاليين والليونيين والقشتاليين في العهود الاسلامية المختلفة ،

وقدر لعدد من علماء بطليوس النزوح عنها بحثا عن مناطق أكثر استقرارا كالشأن مع الأديب ابن السيد البطليوسي مثلا أو الطبيب يحيى بن اسحاق، كما اجتذبت إليها بدورها من نذر نفسه للجهاد وابتغى الاستشهاد، ومنهم ابن الأبار نفسه الذي زارها مثاغرا .

فطن ابن مروان الجليقي منذ البداية إلى أهمية الموقع، فاسترعى اهتمامه واختاره موضعا لبطليوس التي اتخذها مقرا لآمارته المستقلة بدلا من البشرئل، وهي الربوة المقابلة لها على الضفة اليسرى من وادياله، وقد استغل ابن مروان الجليقي المرتفع المجاور لبطليوس لإنشاء القسبة الملحقة بالمدينة في نفس الموقع الذي تقوم عليه آثار القسبة الموحدية . وكان هذا المرتفع من الحصانة بخيش سمي بالخرس La Muela . وقد زود ابن الجليقي قسبة بطليوس بمسجد جامع بناه باللبن والطابية، وبنى صومعة بالخجر . ثم تجدد بنيان القسبة في عهد حفيده عبد الله بن الجليقي، عقب الغارة المدمرة التي شنها اردون الثاني على يابرة في سنة ٣٠١ هـ ( ٩١٣ م )، ثم تجدد بنيانها مرة أخرى في عصر بني الألفطس . وهكذا اثبتنا ان قسبة بطليوس لم تكن أساسا من بناء الموحدين، وإنما يعود تاريخ بنائها في الأصل إلى عهد عبد الرحمن بن الجليقي وما زال قطاع صغير من سور القسبة القديمة واضح المعالم . ودور الموحدين في بناء القسبة انهم جددوا بنيانها على أساس أسوار القسبة القديمة التي كانت قد تخربت عقب استيلاء عبد الرحمن الناصر على بطليوس في سنة ٣١٨ هـ ( ٩٣٠ م )، ثم تخربت من جديد في عصر بني الألفطس، وتعرضت بعض أجزائها للتخريب عندما اجتاحتها قوات البرتغاليين سنة ٥٦٤ هـ .

٥ - أبرزنا في دراستنا لبطليوس في عصر بني مروان الجليقي في الباب الأول من الكتاب الجهود التي بذلها عبد الرحمن بن مروان الجليقي لتحويل بطليوس من مجرد قرية لا قيمة لها إلى مركز عمراني هام، ومركز حضاري متالق في غرب الأندلس، وقد اتخذها مركزا أسقفيا بديلا

عن اسقفية مازدة بعد وفاة آريولفو اسقف مازدة في ٢٤٨ هـ ( ٨٦٢ م )  
بحيث ورثت بطليوس الكرشى الاسقفى الذى كانت تشغله مازدة .

٦ - اثبتنا ان سابور العامرى ، اول من استقل ببطليوس فى اعقاب  
الفتنة ، لم يكن فارسى الاصل ، فلم نعثر فى المصادر العربية على نص  
يؤكد هذه النسبة ، وواضح ان السبب فيما اشيع عن اصله الفارسى ، كما  
جاء فى عدد كبير من المراجع الحديثة يرجع الى ان اسم سابور يرتبط  
باسم سابور ذى الاكتاف كبرى فارس ، وقد استبعدنا تماما الاصل الفارسى  
لسابور اذ ان حمل الاسم وان كان فارسيا لايفهض دليلا على ان صاحبه  
فارسى الاصل لاسيما اذا اخذنا فى الاعتبار ان الرقيق الفارسى انقطع منذ  
عهد الفتوحات ، وانه لم يعد هناك عبيد من الفرس فى هذا القرن الخامس  
للهجرة . وقد اوضحنا فى دراستنا انه كان فتى من فتيان القصر زمن  
الحكم المستنصر ، وكان من بين الفتيان الصقالبة المخلصين لفائق الفتى  
كبير صقالبة القصر ، بحكم انه كان احد صبياناه ، فلما آلت الحجابة  
الى المنصور محمد بن ابي عامر استمال عددا من الفتيان الحكيمية اليه ،  
ومنهم سابور الذى عرف منذ ذلك التاريخ بسابور العامرى ، وقد اثبتنا  
ان سابور حظى بثقة المنصور ، فاسند اليه ولاية الغرب الى ان استقل  
به فى بداية عصر الفتنة ، وقد اوضحنا فى دراستنا انه كان الفتى العامرى  
الوحيد الذى استقل باحدى دويلات الطوائف فى الغرب ، فى حين استقل  
سائر الفتيان العامرية بشرق الاندلس .

٧ - فى دراستنا لشخصية المظفر بن الافطس اثبتنا انه بخلاف ما  
صوّرت المصادر العربية لم يكن ضعيف الراى ولا عاجزا عن ضعف فى قتاله  
مع المعتضد بن عباد ، وانما كان فارسا مقداما ، ومقاتلا شجاعا ، كما  
كان سمحا كريم النفس بعيدا عن صفات الخسة والغدر التى اتصف بها  
المعتضد ، ولا المسقه والجهالة التى عرف بها المأمون بن ذى النون . كما  
اثبتنا انه كان شياصيا قديرا ، استطاع ان يواجه المعتضد بن عباد ويقارعه  
سنتين طويلة كما تصدى بشجاعة لاطماع المأمون بن ذى النون فى اراضيه ،



وانه كان ابي النفس ، فعندما عزم ابن عبد الله البرزالي على اطلاق سراحه من معتقله في قرمونة سنة ٤٣٠ هـ ، وكان بعد مايزال اميرا يقود جيش ابيه المنصور ، اشترط عليه أن يجتاز على القاضي ابن عباد ليشكره على اطلاقه لسراحه ، فأنف المظفر بكل ابناء أن يمر على ابن عباد ليقدم له واجبات الشكر وآثر أن يبقى معتقلا على أن ينزل من قدر نفسه أمام خصم ابيه . ورغم ما عرف عن المظفر من مجافاته للهو والمجون ، ومن سلوكه الجدى كما يصوره ابن حيان ، إلا أنه حاول أن يبعد الشماتة عن نفسه بعد هزيمته أمام المعتضد بالله بن عباد في يابره ، فأرسل إلى قرطبة يلتمس شراء وصائف ملهيات .

٨ - رجحنا أن المظفر بن الافطس اعتزل الحياة السياسية في سنة ٤٥٦ هـ ( ١٠٦١ م ) في أعقاب سقوط قلمرية في يد فردلند الاول ملك قشتالة وليون ، وأنه ترك حكم مملكة بطليوس إلى ابنه يحيى الذى تلقب بالمنصور بينما ترك ولاية يابره لولده عمر الذى تلقب فيما بعد بالمتوكل على الله ، واثبتنا أن المظفر توفى سنة ٤٦٠ هـ مخالفين في ذلك رأى بريتواى فينس Prieto y vivos الذى يجعل وفاته في سنة ٤٥٦ هـ استنادا إلى درهم يحمل اسم يحيى ضرب في هذا التاريخ . وقد أيدته في ذلك الاستاذ حسين مؤنس رغم أن ابن البار يؤكد أنه توفى في سنة ٤٦٠ هـ . وقد اثبتنا أن وجود اسم يحيى على درهم ضرب في عام ٤٥٦ هـ لا ينهض دليلا على وفاة المظفر في تلك السنة . كذلك رجحنا أن النزاع الذى احتدم بين الاخوين يحيى وعمر بدأ بعد وفاة والدهما في سنة ٤٦٠ هـ ، ثم اشتد وبلغ ذروته في العام التالى بسبب انفراد يحيى بعد وفاة ابيه بالملك دون اخيه ، وقد أدى هذا النزاع إلى اقدام عمر المتوكل على سك عملات باسمه عثر على بعضها وعليها نقوش تحمل تاريخ سنة ٤٦٠ هـ .

٩ - اوضحنا أن المتوكل بن الافطس كان له من الابناء الذين كان لهم دور في التاريخ أربعة : منهم اثنان فضل والعباس لقي مصرعهما مع أبيهما على أيدي المرابطين في سنة ٤٨٨ هـ ، والثالث هو المنصور ، وكان

وكان موصوفاً بالذكاء الخارق والدهاء، وطالما حذر أباه من الوثوق في ابن  
الاحسن الذى نصبه المرابطون شريكاً له فى حكم بطليوس ورقيباً عليه  
يتلقف له الإخطاء ، ولكن المتوكل لم يكثر لتحذيرات ولده المنصور .  
وقد بادر المنصور بالفرار من بطليوس قبل أن تدخلها قوات المرابطين ،  
ولجأ إلى الفونسو السادس ملك قشتالة ، ودخل فى طاعته ، بعد أن ارتد  
عن دينه . وبينما استنادا إلى خبر مोजز انفرد به ابن عذارى ، أنه ثاب  
إلى رشده بعد بضع سنوات ، وأنه عاد إلى دار الإسلام ، ودخل فى خدمة  
على بن يوسف بن تاشفين ، وحارب فى صفوف المرابطين . أما الابن  
الرابع فقد ورد ذكره عرضاً فى الحلة السراء لابن الأبار واسمه نجم الدولة  
سعد ، كان سجيناً فى أحد سجون المرابطين .

١٠ - دافعنا عن المتوكل بن الألفس ، وأخرجناه بريئاً من صفات  
الخيانة التى وصمه بها بعض المؤرخين المحدثين ، وإثبتنا أنه لم يكن  
بالحاكم الخائن لقضية الإسلام فى الأندلس ، فقد كان أول من اتصل من  
ملوك الطوائف فى الأندلس بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين فى سنة ٧٤٤هـ  
إلى قبل سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس بما يقرب من أربع سنوات ،  
وهو الذى استجاب لدعوة أهل طليطلة ليتولى أمورهم فى أعقاب الثورة  
التي احتدمت فى المدينة ضد أميرهم القادر بالله ، ربما سعياً لصرف أنظار  
القشتاليين عن مملكة طليطلة . وعندما استولى الفونسو السادس على  
قورية من أملاك المتوكل فى الغرب لم يتردد ابن الألفس فى الاستنصار  
بيوسف بن تاشفين ، وكتب له الوزير الكاتب ابن أيمن رسالة على لسانه  
إلى يوسف بن تاشفين يعرض له فيها ما أصاب الإسلام فى الأندلس من  
رزم بسقوط قورية ، وعندما كتب إليه الفونسو السادس يتهدده ويطالبه  
بالجزية وبذل الطاعة ، رفض المتوكل بكل أنفة المسلم هذا التهديد ، ورد  
على الملك القشتالى رداً عنيفاً شديد اللهجة ، أوردنا نصه فى الملحق  
الثالث من الرسالة . ولم يكتف المتوكل عمر بذلك بل تصدر حملة إعلامية  
ونفسية بعيدة المدى لدعوة مسلمى الأندلس إلى التضامن وتوحيد الصف  
الإسلامى ضد العدو المشترك الذى يتربص بملوك الطوائف كل على حدة ،

وعهد بهذه المهمة الى وزيره القاضى ابي الوليد الباجى . وكان المتوكل الوحيد من بين ملوك الطوائف الذى تعاون مع المرابطين عقب دخولهم الاندلس واستيلائهم على غرناطة ومالقة والمرية واشبيلية مدة أربع سنوات ، وحارب معهم خلالها العدو المسيحى ، وقبل مشاركة الفقيه السجلماسى ابن الاحسن فى حكمه لبطليوس رغم تحذيرات ولده المنصور منه ، ولكن المتوكل ظل يهادن ابن الاحسن ، ورفض فكرة اللجوء الى ملك قشتالة . فلما تبين للمتوكل نوايا المرابطين العدوانية تجاهه ، عمد الى الاتصال سرا بالفونسو السادس ليخلصه من خطر المرابطين على بلده . ومع ذلك فلم يكن ابن الافطس الوحيد من بين ملوك الطوائف الذى اتصل بالفونسو السادس ، فقد سبقه الى ذلك الأمير عبد الله الزيرى صاحب غرناطة ، والمعتمد بن عباد صاحب اشبيلية ، والمقتدر بالله بن هود صاحب سرقسطة ، والمأمون بالله بن ذى النون صاحب طليطلة ، ثم ان الاتصال بملوك المسيحية للاستظهار بهم على المسلمين كان من طبيعة ذلك التخصر ، واستمر ظاهرة شائعة حتى نهاية دولة الاسلام فى الاندلس . ومن هذا المنطلق لا يمكن اعتبار المتوكل بالملك الذى خان أهل دينه وبلده كما يزعم بعض الباحثين المحدثين .

١١ - استطعنا أن نحدد الموضع الذى دارت فيه وقعة الزلافة بين الأندلسيين وخلفائهم المرابطين وبين قوات استبانيا المسيحية فى السهل الممتد شمالى بطليوس ويبعد عنها بنحو ثمان كيلو مترات ، وقد مكنتنى الظروف من زيارة موقع المعركة منذ أكثر من عام ودراسة طبيوغرافيته على الطبيعة ، واستبعدنا أن يكون الموقع المسمى اليوم بالزجالة أرض المعركة لبعده كثيرا عن مدينة بطليوس وبعد الاسم عن اسم الزلافة الذى عرفت به الموقعة فى المصادر العربية ، وتوصلنا الى رسم خريطة لأرض المعركة أوضحنا فيها رأى كل من اسين بلاثيوس والبران .

١٢ - ناقشنا النزوات المختلفة الواردة فى المصادر العربية نحول استشهاد ابن الحجام ، وأورجحنا بعد تلك المناقشة رواية ابن عذارى التى



أكدت أنه استشهد في سنة ٥٥٢هـ ( ١١٥٧م ) ، واستبعدنا رأى كل من الاستاذين عبد الحميد حاجيات محقق كتاب البيهقي ، ومحمد عبد الله عنان اللذين يجعلان تاريخ استشهاده في سنة ٥٥٧هـ ( ١١٦١م ) .

١٣ - اثبتنا ان الموحدين ، رغم انشغالهم في بدء قيام دولتهم بمحاربة العرب الهلالية في افريقية وحلفائهم من الغز المماليك ومن بنى غانية الميورقيين ، ورغم انصرافهم قرب نهاية دولتهم الى الخلافات والمنازعات الداخلية ، والتطاحن فيما بينهم من اجل الظفر بالخلافة ، رغم كل ذلك لم يغفلوا قط الدفاع عن بطليوس ثغر المسلمين في غرب الاندلس ، وخط الدفاع الامامي لموسطة الاندلس ، فكانوا لا ينقطعون عن انقاذها كلما تعرضت لغزو خارجي وتزويدها بالاقوات والمؤن والالات ، حتى جاء اليوم الذي افتقدت فيه بطليوس الرئيس والزعيم الذي يتولى الدفاع عنها ، فاعتمدت على مقوماتها الذاتية واضطرت الى التسليم .

١٤ - في دراستنا النقدية للمصادر اهتممنا في كثير من الاحيان ، لاسيما بالنسبة للمراجع الاسبانية الحديثة ، بابرار مواضع القوة والضعف في الدراسة ، كما اهتممنا في المصادر بالتركيز على مدى اهمية المادة الواردة فيها بالنسبة لموضوع الدراسة . كما حرصنا على وضع ملحق تفصيلي عن تاريخ الممالك المسيحية في اسبانيا التي كانت لها علاقات مباشرة مع امارة بطليوس سواء في عهد بنى الجليقي او في عصر بنى الافطس او حتى في عصر الموحدين ، وابرزها مملكة اشتوريش ، ومملكة ليون ، ومملكة قشتالة ، ومملكة البرتغال .



### ملحق الكتاب

- ١ - عرض تاريخى موجز للممالك المسيحية فى شبه جزيرة ايبيريا التى لها اتصال مباشر بغرب الاندلس .
- ٢ - نص رسالة المتوكل على الله ابن الافطس الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين .
- ٣ - نص رسالة المتوكل على الله ابن الافطس الى الفونسو السادس ملك قشتالة .
- ٤ - بعض الاعلام الجغرافية الواردة فى الرسالة باللغتين العربية والاسبانية .





## ملحق رقم ١

عرض تاريخي موجز للممالك المسيحية في شبه جزيرة ايبيريا  
التي لها اتصال مباشر بغرب الاندلس

### (١) خشاة المملكة الاشتو - ليونية :

فتح انتصار المسلمين الحاسم في موقعة وادي لكة في رمضان سنة ٩٢ هـ (١) ( يوليو ٧١١ م ) الطريق امام المسلمين للانسيح في شمال شبه جزيرة ايبارية والسيطرة التدريجية على معظم انحاءها باستثناء منطقة جبلية تقع في اقصى الشمال الغربى من قنطابرية وتطل على خليج بسكايه ، عرفت عند العرب باسم صخرة بلاي (٢) ، لجأت اليها شرادم محدودة العدد من فيلول القوط وامتنعت في مفاوز جبالها ، وقدر لهذه المنطقة ان تكون مركزا لامبارقين مسيحيين ، قنطابرية ، وجليقية .

اما قنطابرية فقد اسماها الدوق بطريرك ميل ريكاردو في الطرف الغربى من جبال البرانس في سهول نبرة وغسقونية ، وكثيرا ما وطئتها اقدام الفاتحين المسلمين لها عند اقتحامهم لدوقية اقطانية او ولاية سبتمانية واثناء عودتهم من غزواتهم . واما الثانية وهي جليقية (Galicia) فكانت تقع في عمق جبال اشتوريس البويرة بعيدا عن احتكاك الفاتحين وفي هذه الهضاب البائبة المنيعه اجتمع بلاي وصحبه ولجأوا الى مغارة عظيمة في قمم كوفادونجا تحيط بها اجراف بحقية ، وعرف الموقع في المصادر العربية بالصخرة (٣) . وكانت هذه التجمعات فيما يبدو تقوم اساسا على

(١) ابن عذارى ، البيان ، ج ١ ، ص ٩ .

(٢) أخبار مجموعة ، ص ٢٨ - المقري ، فتح الطيب ، ج ١ ، ص ٢٥٨ ،  
السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ،  
ص ١٦٨ ، عبد الرحمن الحكني ، التاريخ الاندلسي ، ص ٢٦٨ .

(٣) José Luis-Martín, Carmen Coderer, Manuel Sanchez, Historia  
de España, t. III : la Alta edad Media, Madrid, 1980, p. 69 .

بقايا الجيش القوطى بالاضافة الى ما كانت تتلقاه من امدادات من المناطق الواقعة فيما وراء البرتات : ويرى الدكتور عبد الرحمن الحجى ان استدعاء موسى بن نصير وطارق بن زياد الى دمشق من قبل الخليفة الوليد بن عبد الملك كان له اكبر الاثر فى نمو هذه التجمعات القوطية (١) . ويرجع بعض المؤرخين بداية حركة الاسترداد الاسبانى الى الفترة التى لجأت فيها فلول الجيوش القوطية المنهزمة الى تلك المناطق النائية عن دار الاسلام للاحتماء فى ذراها من خطر الغزوات الاسلاميه ، وللتكاثر العددي فى ظل حياة آمنة استعداداً لمنازلة الفاتحين (٢) .

وقد أهمل المسلمون أمر هؤلاء الفارين ، فلم يحفلوا بأمرهم وتركوهم وشأنهم وانصرفوا الى خلافاتهم الداخلية : وكان اغفال أمر هذه الفلول الباقية من أشد الاخطاء التى وقع فيها الفاتحون اذ ان هؤلاء الفارين أصبحوا نواة المملكة المسيحية الاولى فى اسبانيا ، التى تفرع منها كل سلالة ملوك ليون وقشتالة الذين تمكنوا فى النهاية من القضاء على دولة الاسلام فى الاندلس وطرد آخر سلاطين بنى الأحمر أصحاب غرناطة .

وقد كان الدوق بطرہ Pedro يرجع الى اصول ملكية ، فقد كان من قادة الجيش القوطى فى عهد غيطشة ملك القوط ، ثم فى عهد لذريق خليفته الذى اغتصب منه العرش ، أما بلاى Pelayo مؤسس امارة جليقية فيحيط بعض الغموض بأصله وان كان معظم المؤرخين يرجعون أصله الى

---

Lnis suarez, Historia de España : Edad media, p. 15 - Aguado

Bleye, Manual de la historia de España, t. I, p. 476.

محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام فى الاندلس ، ج ١ ، ص ٢٠٩ (١) عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الاندلسى ، ص ٢٧٠ .

(٢) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ١٦٨ ، عبد الرحمن الحجى ، تاريخ الاندلس ، ص ٢٦٩ .



أصول عريقة ، فهو ابن فافيل ( فافلة ) ( <sup>١</sup> ) دوق قنطابرية وكان الساعد  
الايمن للملك لذريق واحد كبار رجال حاشيته ( <sup>٢</sup> ) . فلما دخل المسلمون  
الاندلس ، اخذوه من اهل اشترين من جليقية رهينة عن طاعة اهل بلده  
فاقام بقرطبة فترة ثم هرب منها في عام ٩٨ هـ ( ٧١٦ - ٧١٧ هـ ) ايام  
الحربين عبد الرحمن الثقفي ( <sup>٣</sup> ) وعندئذ بدا في تنفيذ مخططه الذي كان  
يقضى بجمع فلول القوط لتكوين دولة ينازع بها دولة الاسلام في الاندلس ،  
بحيث ينتهي الامر باسترداد ابارية ( <sup>٤</sup> ) ، وكما سبق ان ذكرنا فان اماره  
قنطابرية التي اسمها بطرة كانت تتعرض دائما لاقتحام المسلمين لها عند  
غزوهم لبلاد غالة . اما اماره جليقية فقد كانت في مأمن من غارات  
المسلمين وقد سميت باسم جليقية لانها قامت على حدود الولاية الرومانية  
القديمة التي كانت تسمى بهذا الاسم ( <sup>٥</sup> ) . وحين تكررت ثورات البصري  
في الشمال خاصة في منطقة غسقونية ( او بلاد البشكنس ) سير الحربين  
عبد الرحمن الثقفي في عام ٩٨ هـ جيشا لاختصاصهم فاجتاح المسلمون بلاد  
البشكنس وهضاب اشترين ( <sup>٦</sup> ) ، واوفد حليفهم الاسقف ابة «اوياس»  
شقيق الملك غيطشة الى بلاى في محاولة منه لاقناعه بالتسليم ولكنه اخفق  
في اقناعه ( <sup>٧</sup> ) ، ولجا بلاى الى « الصخرة » المعروفة بمغارة اونجا ( <sup>٨</sup> )  
( Cava donga ) . وقد حاول المسلمون بقيادة

(١) ابن خلدون ، ج٤ ، ص ١٧٩ ، محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام  
ص ٢٠٨ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في  
الاندلس ، ص ١٦٨ .

(٢) Claudio Sanchez Albornoz, los reinos cristianos Españoles, p. 14 .

(٣) المقرئ ، نفح الطيب ، ج٦ ، ص ٨٢ .

(٤) دارت مناقشات طويلة حول اصل بلاى ومن بين تلك الاراء انه ابن  
أخى لذريق او انه حفيده الذي قاتل الى جانبه ( انظر

F.J. Simonet, historia de los Mozarábes de España, p 148,

محمد عبد الله عنان دولة الاسلام في الاندلس ، ص ٢٠٩ )

(٥) المرجع السابق ، ص ٢١٠ .

(٦) Sanchez Albornoz, los reinos cristianos, p 15

(٧) حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص ٣٢٢ .

(٨) عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الاندلسى ، ص ٢٦٩ .

علقة (١) النفاذ اليهم والاستيلاء على مراكز العدو ، ولكن الوديان السحيقة والاطراف الممتدة لمسافات بعيدة ، حالت بينهم ، وبين بلاى، ثم هاجم المسلمون الجبل والمغارة ولكنهم اخفقوا في التغلب على بلاى، بل ارتدت الهزيمة اليهم في كوفادونجا التي تعتبر فاتحة حركة الاسترداد وفيها قتل من المسلمين اعداد هائلة . ويعتبر بلاى لذلك واصل أساس الدول المسيحية الشمالية الغربية التي ستحمل لواء المقاومة على الجبهة الشمالية الغربية ، وابو بنى اذفنش على حد قول مؤرخى الاندلس (٢) . ثم ترك المسلمون هذه الهضاب ، فبدأ النصارى يتوافدون على قنطابرية وسهول جليقية منضمين الى بلاى وتصبوه ملكا عليهم ، واخذوا يغيرون على بلاد المسلمين .

وقد حاول الهيثم بن عبيد الكلبي عام ١١٢ هـ ( ٧٣٠ م ) ارسال مونية البربري لغزو جليقية (٣) وسحق اميرها ، ولكن بلاى صمد للمسلمين وتمكن من ايقاع الهزيمة بهم ، ولما رأى بلاى منعة معقله وقوة عصبته اخترق بلاد البشكنس ، وهاجم قوات المسلمين ومزق وحداتها ثم ارتد الى هضابه وتحصن فيها ، ثم حدثت هزيمة بلاط الشهداء عام ١١٤ هـ ( ٧٣٢ م ) وشغل الولاة برء جيوش الفرنج عن اراضى سبتمانية فكثرت عندئذ غارات الجلالقة على الاراضى الاسلامية الواقعة شمالى نهر دويرة واسترقة، وعانى المسلمون كثيرا في تلك النواحي من تخيبت النصارى ثم قام عقبة بن الحجاج السلولى ، وغزا هذه العصابات الجليقية عام ١١٦ هـ ( ٧٣٤ م ) ثم عاد يغزوها مرة ثانية في عام ١١٨ هـ ( ٧٣٦ م ) واستولى على بعض مواقعها ، فلما اشتدت الفتن والجروب الاهلية بين المسلمين في الاندلس في اعقاب ثورة البربر على العرب ، ازداد النصارى جراءة على المسلمين وعاثوا في اراضيهم ، وعجزت حكومة قرطبة عن وضع

(١) Antonio Ramos Oliveira, la edad media, p. 32.

(٢) حسين مؤنس ، فجر الاندلس ، ص ٣٤٠ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ١ ، ص ٢٨ .

حد لذلك بسبب اشتغالها بهذه الحرب ، وبسبب ضعف الوجود الاسلامى فى شمال الجزيرة فى هذه المرحلة (١) . وقد كان كفاح بلاى يرجع الى رغبته العازمة فى استرداد جزء من الاراضى المفقودة ، ولكن هذا الكفاح لم يتخذ شكلا دينيا . او عنصريا حتى ذلك الوقت حيث ان معاملة المسلمين لاهل الذمة كانت عادلة ومتسامحة (٢) . وتشير بعض المصادر العربية ( اخبار مجموعة ) الى ان بلاى اوقع بالمسلمين هزيمة نكراء فى سنة ١٣٣ هـ ( ٧٥٠ م ) بسبب فتنة ابي الخطار وثوابه ، وتمكن بلاى من اخراج العرب من جليقية كلها وتنصر من تنصر ، وكاد يتغلب على المسلمين (٣) وواضح من نص صاحب الاخبار المجموعة ان هناك خلطا وقع بين اعمال بلاى واعمال الفونسو الاول ، فقد توفى بلاى (٤) عام ١١٩ هـ ( ٧٣٧ م ) ، وان كانت بعض الروايات النصرانية تؤكد انه عاش حتى عام ( ١٢٧ هـ - ٧٤٥ م ) فى حين يجعل الفونسو العاشر وفاته ١٢١ هـ ( ٧٣٩ م ) ثم خلفه ابنه فافلة ولكنه توفى بدوره بعد عامين اى عام ١٢٣ هـ ( ٧٤٠ م ) وفى نفس الوقت توفى الدوق بطره دوق قنطابرية وخلفه ولده الفونسو الملقب بالاول ثم نمت هذه الامة واشتد ساعدها وازداد التحالف بينها وبين جليقية بزواج الفونسو ابن الدوق بطره من ارمنسندة Ermensinda ابنة بلاى (٥) فلما توفى فافلة بن بلاى اتحدت الامارتان تحت تاج الفونسو الاول دوق قنطابرية ، وتكونت منهما مملكة ليون المعروفة عند المسلمين بجليقية او مملكة اشتورياس وكانت تمتد من بلاد البشكنس شرقا الى ساحل المحيط غربا ومن خليج غسقونية شمالا حتى نهر دويرة جنوبا (٦) . ويعتبر الفونسو الاول ابن بطره هذا اول ملوك مملكة ليون ، ومؤسس

Sanchez Albornoz, los reinos cristianos, p. 15.

R. Altamira, historia de España, vol I, P. 224.

(١) اخبار مجموعة ، ص ٦٢ .

(٢) حسين مؤنس ، المرجع السابق ، ص ٣٢٧ .

Aguado Bleye, op. cit., p. 478.

Dozy, histoire, v. II, p 130.

(٥)

(٦)



المملكة النصرانية الشمالية ويذكر المؤرخ الاسباني الكبير دون رامون مننديث بيدال ان ملوك ابيط بعد ان دعموا مملكة اشتوريس الصغيرة في اعقاب سقوط مملكة القوط الغربيين كانوا يحسون بانهم خلفاء القوط في طليطلة وانهم استمروا للملكية الاسبانية كلها ، التي تحررت جزئيا وماتزال محتلة في معظمها ، فكانوا يقتصرون على التلقب بمجرد لقب امراء او ملوك ، الى ان تبدل الحال في عهد الفونسو الثالث العظيم ( ٢٥٢هـ - ٢٩٨هـ ) ( ٨٦٦ - ٩١٠ م ) اذ سماه ابناءؤه او رعيته بالامبراطور العظيم *Magnus imperator* او امبراطورنا *imperator nostro* ، كما لقب اردون الثاني ٣٠٢ - ٣١١هـ ( ٩١٤ - ٩٢٣ م ) بعد ان استقر بلاطه في ليون ، وكذلك ردميره الثاني ( ٣١٨ - ٣٣٩هـ ) ( ٩٣٠ - ٩٥٠ م ) وكذلك ردميره الثالث ( ٣٥٥ - ٣٧٤هـ ) ( ٩٦٥ - ٩٨٤ م ) بالامبراطور . كما استخدم آخر هؤلاء الملوك لقب بازيلوس الاعظم *Magnus basillus* . ولاشك ان هذا التلقب انما تم بتاثير من الامبراطورية الكارولنجية ، فشارلمان بالاضافة الى لقبه الامبراطوري تلقب ايضا ببازيلوس وهو لقب انكرته بيزنطة على اباطرة الغرب ، ولكن تلقب به القيصر سيميون بلغاريا <sup>(١)</sup> وواضح ان تلقب ملوك ليون بهذه الالقاب الفخرية انما استهدفوا به التفوق على غيرهم من ملوك حركة الاسترداد . وقد لقب الفونسو الاول بالكاثوليكي .

حكم الكاثوليكي في ظروف مواتية ( ١٢٢ - ١٤٠هـ ) ( ٧٣٩ - ٧٥٧ م ) اذ كانت الحروب الاهلية والثورات تجتاح الاندلس وتمزقها مما اتاح لهذا الزعيم المسيحي تأمين بلاده وتأسيس ملك قوى يناوئ المسلمين <sup>(٢)</sup> . وكان الضعف يسود بلاد الاسلام ، ولهذا فقد اجتاح الفونسو الاراضي المجاورة لحدوده وقتل من بها من المسلمين ، وقد كانت هذه

---

(١) R. Menendez - Pidal, la España del Cid, vol. I, Madrid, 1947, p. 67.

Sanchez Albornoz, los reinos, p. 15 - 16.

(٢)

المنطقة التي أغار عليها بمثابة الحد الفاصل بين الاراضى الاسلامية والاراضى المسيحية التابعة لمملكة جليقية ، وكان بها قليل من السكان المسلمين . وعندما ضربت المجاعة بجرانها في عام ١٣٣ هـ ( ٧٥٠ م ) رحل الكثير من المسلمين عن تلك المناطق فزاد ذلك من قوة المملكة الجديدة ، فقد تم تنصيب الفونسو الاول ملكا على اشتوريس في ذلك العام ، ثم انتهر الفونسو الاول فرصة نزوح العرب والبربر من المداين التي خلف الدروب الى طنجة واصيلا فغزا استرقة واستولى عليها وعلى كثير من الاراضى الاسلامية عام ١٣٦ هـ ( ٧٥٣ م ) وفي ذلك يقول صاحب اخبار مجموعة « وكانت قبل سنة احدى وثلاثين ومائة . قال : فاعقبهم الله بالجوع والقحط فجاعت الاندلس ، سنة سنتين ثم . . . سنة تلت عام سعيد فثار اهل جليقية على المسلمين ، وغلظ امر عالج يقال له بلای ، فقد ذكرناه في اول كتابنا فخرج من الصخرة وغلب على كورة اشتوريس ثم غزاه المسلمون من جليقية وغزاه اهل استورقة زمانا طويلا حتى كانت فتنة ابي الخطار وثوابه » (١) .

ويذكر مانويل توروس البران Albarran ان الفونسو الاول «تولى زمام المبادرة المسيحية ، ولم يتردد في سنة ٧٥٠م في استغلال موجة المحل والجوع التي اجتاحت الاندلس واثرت فيها بعمق بالاضافة الى الصراعات الداخلية الضارية التي انتقلت من المغرب الى الاندلس ، وبهجمة قوية قامت بها القوى الاشتورية في العمق وصلت حتى قورية ووادي آنة عن طريق ماردة وهي مواضع اعتبرها المؤرخون ثغرية أو ذات صفات ثغرية وسقطت في يده مدن هامة ستمصبح بعضها في العصور التالية شاهدا حيا على النزاع الاسباني الهائل وهي بورتو وابيخا Abeja وبراجا Braga وبيزو Viseo وكاربوناريا Carbonaria والينساكو Alensaco وكانت

---

(١) اخبار مجموعة ، ص ٦١ - ٦٢ ، وعن اخبار القحط والمحل انظر ابن عذارى ، البيان ج٢ ، ص ٣٨ .

هذه المدن واقعة في المناطق الزراعية باسترامادورة أو على مقربة منها ولكن النقص في الرجال والمادة كان السبب في منع الفونسو من الاحتفاظ بالأراضي التي ضمها إليه لذا فقد لجأ إلى خطة عرفت في لغة الحروب بخطة الأراضي المحرقة (١) بمعنى أنه عمد إلى حرق الأشجار وانتساف المزارع في كل ما يقابله بحيث ترك بين المسلمين والمسيحيين حاجزا طبيعيا أشبه بالصحراء بين الطرفين .

ثم منح الفونسو أخاه فرويلة الجزء الشرقي من تلك المملكة الجديدة واعنى بها إمارة قنطابرية ، وكان المسلمون في تلك الآونة في حالة يرثى لها من الفوضى والاضطراب ، فقد كانت الحروب والثورات والفتن تنتشر في جميع أنحاء البلاد ، وبينما كان يوسف الفهرى غازيا بجليقية (٢) تقدم الفونسو الأول مستغلا هذه الأحداث وغزا مدينة لك ونجح في افتتاحها في عام ١٣٧ هـ ( ٧٥٤ م ) في حين أخفق يوسف الفهرى في الدفاع عنها وتركها لمصيرها التعس ، عندما بلغه دخول عبد الرحمن بن معاوية الأندلس ، وقبل رحيله إلى الجنوب لمواجهة عبد الرحمن سير قوة بقيادة الحصين بن الدجن وسليمان بن شهاب لانتفاذ مدينة أربونة من حصار الفرنج الذين مزقوا جيش المسلمين وقتلوا قائدهم سليمان وتقهقر الباقون وفي مقدمتهم الحصين إلى الجنوب في عام ١٣٩ هـ ( ٧٥٦ م ) (٣) أي في نفس العام الذي توفي فيه الفونسو الكاثوليكي فتولى فرويلة ابنه وخليفته ( ١٤٠ هـ - ١٥١ هـ ) ( ٧٥٧ م - ٧٦٨ م ) محاربة المسلمين وأحرز عدة انتصارات عليهم (٤) . فلما توفي فرويلة في سنة ١٥١ هـ ( ٧٦٨ م ) ،

(١) España Sagrada, chronicon albeldense, t. XIII, 1816 .p. 458, (١)  
Cronica de Alfonso III, ed. Zacarias Garcia Villada, Madrid  
1918, P. 116, Apud. Albarran, el solar de los Aftasies, p. 94.

(٢) ابن خلدون ، العبر ، المجلد الرابع ، ص ٢٦٣ .

(٣) ابن الأبار ، الحلة السيرة ، ج ٢ ، ص ٣٥٤ .

(٤) Lévi - Provençal, histoire, t I, p. 115.

وأهم هذه الانتصارات حدثت في بونتوفيوم بجليقية ، وذكر ليفي



توفى أخوه في العام التالي وخلفه أوريليو ( ١٥١ - ١٥٨ هـ ) ( ٧٦٨ - ٧٧٤ م ) وكان قرويلة قد انتهز فرصة اشتغال عبد الرحمن الداخل بتنظيم أمور دولته وإخماد الثورات الداخلية وعبر نهر دويره ، وتمكن من ضم لك وبرتقال وشلمنقة وشقوبية وآبله وسمورة وقشتالة إلى مملكة جليقية إلى أن استعادها المسلمون بعد ذلك بنحو قرنين من الزمان على يد الحاجب المنصور ابن أبي عامر <sup>(١)</sup> . وعلى الرغم من الاعتداءات المسيحية على أراضي الإسلام فقد كان عبد الرحمن لمشاغله العديدة في الداخل يغمض عينيه ولا يقدم على تأديب جيرانه المسيحيين الذين بالغوا في اغارتهم على بلاده بسبب عجزه . ومع ذلك فقد اضطر للتحرك ، ففي سنة ١٤٩ هـ ( ٧٦٦ م ) سير عبد الرحمن الداخل بعض قواده إلى الشمال على رأس قوة كبيرة وصلت إلى حدود جليقية ، واشتبكت مع الجلالقة في عدة مواقع ، وفي عام ١٥٠ هـ ( ٧٦٧ م ) بعث عبد الرحمن موله بدرا <sup>(٢)</sup> إلى البه Alava والقلاع <sup>(٣)</sup> Castilla وهي المنطقة الواقعة بين بلاد

بروفنسأل نقلاً عن سافدرا أن عدداً كبيراً من المسلمين لقوا مصرعهم على أيدي الاشتوريين في هذه المنطقة التي يصمت عن ذكرها المؤرخون المسلمون . وذكروا أن الأمير عمر بن عبد الرحمن الداخل أسر في هذا الاشتياك ثم ذبح بأمر الملك الاشتوري .

(١) ابن خلدون : العبر ، ج ٢ ، ص ٣٨٧ .

(٢) ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٥٤ .

(٣) البه والقلاع : تطلق الروايات الإسلامية اسم البه والقلاع على ولايتي قشتالة القديمة Castilla وآبله Alava وهي المعربة عن اللاتينية القديمة (Alava e! Gastella. Vetula) وآبله في الواقع هي إحدى ولايات بلاد البشكنس وتمتد غرباً حتى برغش وشمالاً حتى خليج بسكونية وجنوباً حتى نهر أبره ، وأما القلاع أو قشتالة Castile, Castilla فقد كانت تضم ما تبقى من المنطقة من برغش شمالاً إلى ما بعد نهر دويره وجبال وادي الرملة Guadarrama وحتى موقع مدينة مدريد الحالية ( انظر محمد عبد الله عنان ، دولة الإسلام ، ص ٢١٦ ) ، أما اشتوريش فهي الاسم العربي لولاية اشتورياس Asturias وبسكونية فهي الاسم العربي لولاية بسكايه Vizcaya أما ولاية نافارة Navarra فقد أطلق عليها العرب اسم بلاد البشكنس Bascons أو بلاد نبرة ، أما قشتالة فقد أطلق عليها ابن عذاري اسم قشتيلة وهي أقرب لأصلها الأفرنجي Castilela أما أراجون Aragon



البشكنس وجبال قنطابرية على ضفاف نهر ابره في الطرف الشرقى من مملكة جليقية ، فغزاها وتوغل فيها . وقامت في عهد فرويلة ثورات عنيفة في نبرة في الشرق وفي جليقية كذلك ، وكان فرويلة قد أنشأ مدينة أبيط Oviado التى أصبحت عاصمة جليقية <sup>(١)</sup> . ومن الجدير بالذكر أن شارلمان قام خلال هذه الفترة بغزو كارولنجى تجاوز به جنوبى البرانس ، ولكن شارلمان فشل في هذه الغزوة فقد هزم في رنشفاله وهاجمه البشكنس عام ١٦١ هـ ( ٧٧٧ م ) ولهذا فقد تحول شارلمان الى الممرات الشرقية من جبال البرانس حيث توغلت قواته في مناطق طركونة Tarragona القديمة وتمكنت من السيطرة على المواقع الشمالية التى عرفت فيما بعد باسم قطلونية . ولم يلبث أن ارتبط عدد من الكونتيات البرانسية بامبراطورية شارلمان بعد أن استولى على برشلونة في عام ١٨٥ هـ ( ٨٠١ م ) . وفي نهاية القرن الثامن ، خرجت بنبلونة من حكم المسلمين وقامت مراكز مقاومة مسيحية في الوديان الوسطى من جبال البرانس وساعدت على ثورات البشكنس ضد امراء قرطبة . وقد عاصرت مرحلة الغارات الكبرى لالفونسو الاول وفرويلة الاول ، الازمة السياسية الاسلامية في الاندلس ، الامر الذى أدى الى اقرار نوع من الهدنة بين الجانبين الاسلامى والمسيحى ، فلما استقرت دولة عبد الرحمن الداخل بدأ يتخذ بادرة الهجوم على أبيط (Oviado) وتوغل المسلمون في هجومهم في قلب مملكة اشتورياس وكان ذلك في عهد ملكها الشاب الفونسو الثانى العفيف <sup>(٢)</sup> ، الذى ارتقى العرش بعد أن انقسمت مملكة جليقية اثر وفاة فرويلة الى قسمين قسم تولاه أورليو Aurelio أو أورالى <sup>(٣)</sup> ابن فرويلة شقيق الملك الفونسو

---

فقد عرفت عند العرب ببلاد أرغون أو أرغن أو أرغونة أو الثغر الاعلى ( أرجع الى يوسف أشباخ تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٨ - ٩ ، حاشية ١ ، ٢ ) .

(١) Antonio Ballesteros Beretta, Sintesis de historia de España, Barcelona, 1936, p. 61.

(٢) Sanchez - Albornoz, los reinos, p. 17.

(٣) ابن الاثير ، الكامل ، ج ٦ ، ص ٣٥ ، يقول « وفيها مات أورالى ملك جليقية وملك بعده شيالون » .

الاول ( ١٥١ - ١٥٨ هـ ) ( ٧٦٨ - ٧٧٤ م ) ويشتمل على نبذة وبلاد البشكنس ، اما بقية جليقية فقد تولاهما سيلو Silo او شيالون (١) زوج ابنة الفونسو الاول ( ١٥٨ - ١٦٧ هـ ) ( ٧٧٤ - ٧٨٣ م ) فلما توفي اورالى عام ( ١٦٤ هـ ) ٧٧٤م اتحدت المملكة من جديد تحت تاج شيلون الذى توفي عام ( ١٥٨ هـ ) ( ٧٨٣ م ) دون أن يعقب وكان قد اوصى بالعرش لالفونسو ابن فرويلة ، وكان طفلاً ، على أن تتولى الوصاية عليه زوجته ادوسندا Adosinda وعندئذ علت اصوات المعارضة يقودها بعض ابناء الشعب مع الاشراف ، كما اعترض احد الاشراف وهو مروقاط ( مرجات ) Mauregato ( ١٦٧ هـ - ١٧٣ هـ ) ( ٧٨٣ م - ٧٨٩ م ) وكان ابنا لالفونسو الاول من زوجة عربية (٢) غير شرعية كانت جارية لديه وانتهى الامر بأن وصل مروقاط الى كرمى العرش فى جليقية الغربية بمساعدة المسلمين (٣) وفى عهد هؤلاء الملوك الثلاثة اورليو وسيلو ومروقاط لم يتبادل المسلمون والمسيحيون اى غارة خلال ٢١ سنة (٤) .

وكان مروقاط يميل بطبيعته الى المسلمين بحكم أن أمه كانت مسلمة

(١) ابن خلدون ، العبر ، ج٤ ، ص ٣٨٧ وذكر لويس شوارس أن أم سيلو كانت فيما يبدو مسلمة

Luis Suarez, Historia de España, Madrid, 1977.

(٢) ابن الاثير ، الكامل ، ج٦ ، ص ٣٥ ، وانظر الروايات النصرانية ، فى محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٢١٨ .

Luis Suarez, Op. Cit., p. 25.

Aguado Bleye, Historia, t. I, p. 479.

(٣) ويذكر أجوادو بليي أن هذه المساعدة التى قدمها له المسلمون للظفر بالعرش تمت بمقابل اتاوة سنوية يدفعها الى الامير رمزا لتبعية لهم وقيل أن هذه الاتاوة وفقا لتقليد كان متبعاً منذ القدم كانت تتمثل فى مائة فتاة Cien doncellas

(Lévi - Provençal, op. cit., p. 117, Luis Suarez. op. Cien doncellas cit., p. 25)

(٥) وذكر ابن خلدون أن مروقاط Lévi - provençal, Histoire, t. I, p. 117. وثب على الفونسو قتيله ( ابن خلدون العبر ، ج٤ ، ص ٣٨٧ ) .

لذلك لم يتردد في التحالف مع المسلمين ، وقد ترتب على ذلك ظهور حركة تدمير شديدة من كافة الاوساط المسيحية في مملكته لاسيما من رجال الدين ومع ذلك فقد استمر مورقاط يحكم مملكته حتى وفاته في عام ١٧٣ هـ ( ٧٨٩ م ) ( ١ ) . وكان من الطبيعي أن يؤول العرش إلى صاحبه الاول الفونسو ابن فرويلة الا ان الشعب والاشراف تجنبوا من التعرض لنقمة الفونسو آثروا اختيار برمند الاول الانجيلي Vermudo وشقيق اورالى ملكا على اشتوريس وكان قد وهب نفسه وحياته للدير فتولى الحكم على كره منه ، وكان نفوذه يشمل غربى جليقية فقط اى انه حكم المنطقة التى سبق لمورقاط ان يحكمها ، اما الفونسو الثانى فكان حاكما على القسم الشرقى من المملكة ، وبعد ثلاث سنوات ضاق ، برمند ذرعا بحياة الملك ( ٢ ) ، فتنازل بارادته عن العرش لالفونسو الذى تولى المملكة كلها في عام ١٧٥ هـ ( اواخر ٧٩١ م ) باسم الفونسو الثانى الذى لقب في اواخر عهده بالعفيف El casto ( ١٧٥ - ٢٢٨ هـ ) ( ٧٩١ - ٨٤٢ م ) وبذلك عادت مملكة اشتوريس الى سابق وحدتها . وفي عهد الفونسو الثانى اشيع اكتشاف ضريح القديس يعقوب ( سنت ياقب ) ١٩٨ هـ ( ٨١٣ م ) على جبل بمنطقة أماية وأمر الفونسو باقامة كنيسة ( ٣ ) فوق الضريح وأصبحت مدينة Santiago de Compostela مزارا لجميع النصارى في جميع انحاء العالم ، وقد كان لهذا الاكتشاف اكبر الاثر في غلبة الشعور

---

( ١ ) انظر التفاصيل في محمد عبد الله عنان : دولة الاسلام ، ص ٢١٩ .  
( ٢ ) وكان الامير هشام قد سير لمحاربه قائده ابا عثمان عبيد الله بين عثمان في سنة ١٧٥ هـ ( ٧٩١ م ) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٩٥ ، كما أغزى يوسف بن بخت الى جليقية واشتوريس في نفس العام فوقع الهزيمة بجيش الملك برمند الاول وكانت هذه الكارثة سببا في تنازل الملك برمند عن الحكم

Aguado Bleye, op. cit., p. 479.

وانظر ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين - ص ٢١٦ .

Luis Suarez, op. cit., p. 25.

Aguado Bleye, op. cit., 480.



الدينى ضد المسلمين<sup>(١)</sup>، وسيصبح الخطر المسيحى منذ ذلك الحين شديد  
الوطأة<sup>(٢)</sup> على المسلمين فى الأندلس<sup>(٣)</sup> رغم هجمات المسلمين المتواصلة  
على بملكة أستورياس<sup>(٤)</sup> التى عرفت أيضا بمملكة ليون ، منذ عهد الملك  
الفونسو الثانى العفيف ( ١٧٥هـ - ٧٩١م ) .

وكان الفونسو الثانى ملكا حازما مقداما ، ضبط أمور مملكته ونهض  
بها وعمل على تجهيز شئونها ، وجعل عاصمتها ألبط ، وكانت جليقية ،  
تمتد بين بلاد البشكنس شرقا إلى المحيط الأطلسى غربا ، ومن خليج  
بيكيا شمالا إلى نهر دويره جنوبا . وقد طال حكم الفونسو نصف قرن ،  
عاصر فيه هشام الأول والحكم الرشيد ، وعبد الرحمن الأوسط ، وكانت  
أهم الأحداث التى جرت فى عصره ، هزيمته على أيدي المسلمين فى موقعة  
الصخرة بأقصى جليقية عام ( ١٧٩هـ ) ( ٧٩٥م ) ( ٤ ) . وفى عام ١٩٣هـ

( ١ ) Sanchez - Albornoz, los reinos, p. 19, Altamira, hist. de España, Vol, I, p. 239.

( ٢ ) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، ص ١١٦ .

( ٣ ) Sanchez — Albornoz, los reinos, p. 17.

( ٤ ) تجاءت هزيمة الفونسو الثانى رد فعل لانتصاره على قوات عبد الملك

بن عبد الواحد بن مغيث فى موقعة لوتس Lutos أو لودوس Lodos  
التي دارت على مقربة من ألبط ويعرف الاسم حاليا بتهيب العربى  
حيث سمي السهل الذى دارت فيه المعركة Lamas de moro.

ببلاط المذبحة El campo de la Matanza وفيها نال نصارى

أستورياس من جيش عبد الملك وكبدته خسائر كبيرة ( راجع

Levi - Provençal, "histoire, b. I, p. 143. وانظر تفاصيل الموقعة فى المقري

نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣١٧ ) ، فقد خرج عبد الكريم بن عبد

الواحد بضائفة سنة ١٧٩هـ ( ٧٩٥م ) التى أسترقة واستولى عليها

فتراجع الفونسو الثانى إلى الشمال واستمد العون من البشكنس

وغيرهم من سكان النواحي وبلغ عبد الكريم أنه جشد عسكريا كثيفا

« ما بين حيز جليقية والصخرة » ( ابن عذارى البيان ، ج ٢ ،

ص ٩٦ ) فاستعان عبد الكريم بالقائد فرج بن كنانة وقدمه على

قوة من أربعة آلاف من الخيالة لطاردة ملك أستورياس ، ووفق فرج

فى إيقاع الهزيمة بفرقة مسيحية بقيادة غد شاره فى واد يقال له وادى

كرينيه فوق غد شاره هذا أسيرا فى أيدي المسلمين وقتل من قواته

عدد كثير ، ثم زحف القائد فرج لملاقاة الفونسو ، فتحصن هذا



( ٨١٠ م ) عبر الفونسو الثاني بقواته نهر دويره ، وتوغل حتى اشبونة <sup>(١)</sup> وعاث في هذه البلاد ايما عيث ، وكان قد استعان في هذه الغزوات بشارلمان الذى امدّه بالمساعدات خاصة بعد هزيمته السابقة امام المسلمين <sup>(٢)</sup> . وقد رد الحكم على ذلك بنفسه ، في صيف العام التالى غازيا الى جليقية <sup>(٣)</sup> ، وفى عهد الحكم توالى الحملات الاسلامية على اشتوريس ، ففى عام ١٩٢ هـ ( ٨٠٨ م ) عاد هشام ابن الامير الحكم الربضى من حملته الى جليقية مظفرا ، وفى صيف ٢٠٠ هـ ( ٨١٦ م ) اغزى الحكم وزيره عبد الكريم الى اشتوريس واصطدمت قواته مع قوات الفونسو الثانى على نهر ارون Oron . وانتهت المعركة بانتصار المسلمين وقتل عدد كبير من قادة الفونسو من بينهم غرسية بن لب Garcia lope خال الفونسو وشانجة Sancho احد زعماء البشكنس <sup>(٤)</sup> .

وفى عهد عبد الرحمن الاوسط غزا عبد الكريم بن عبد الواحد عام ٢٠٨ هـ ( ٨٢٣ م ) الى البة والقلاع ، وعاث المسلمون فى اراضى جليقية وخربوا مدينة ليون ، وفى سنة ٢٠٨ هـ ، كانت الصائفة المعروفة بغزاة البة والقلاع بقيادة عبد الكريم بن عبد الواحد ، اقتحم فيها المسلمون مملكة ليون من فج يقال له جرنيق <sup>(٥)</sup> ، وكان ينتهى بيسيط للعدو جمع

فى حصن يقع على وادى نلون Nalon ، وبدا فرج يحاصره ، ففر الفونسو من الحصن وامتنع بحصن آخر ، وتمكن فرج من الاستيلاء على حصن وادى نلون . ( السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الاندلس ، ص ٢١٨ ) .

(١) Luis Suarez, op. cit, p. 31. - Albarran, El solar, op. cit, p. 95.

Aguado Bleye, Manual de la historia de España, t. I, p. 480.

Sanchez - Albornoz, los reinos, p. 17 - 18.

(٢) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣١٨ - ٣١٩ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١١٢ ، المقرئ ، نفح الطيب ،

ج ١ ، ص ٣١٩ .

Lévi - Provençal, op. cit, p. 176.

Puerto de Herenchugenenu

Encia وسلسلة جبال ايتوريتا

(٥) يقابل هذا الفج ما يعرف حاليا باسم

ويقع بين جبال سيرا دي انثيا

فيه خزائنه وذخائره ، فحط عسكر قرطبة على تلك البسائط فاستصفوها  
وعلى ذخائر تلك الخزائن فانتهبوها ، ثم قفل المسلمون الى قرطبة  
ظافرين (١) .

وتوفى الفونسو الثانى عام ٢٢٧ هـ ( ٨٤٢ م ) وخلفه ابنه ردميره  
الاول (٢) Ramiro I ( ٢٢٨ هـ - ٢٣٦ هـ ) ( ٨٤٢ - ٨٥٠ م ) وكان  
ردميره او رذمير كما تسميه الروايات الاسلامية آنذاك فى بردوليا الشرقية  
المعروفة بالقلاع او قشتالة Castilla ، نظرا لتعدد قلاعها ، وفى عهده تغلب  
على قوات المسلمين ٢٣٠ هـ ( ٨٤٤ م ) فى بسائط البلدة ( موقعة  
كلافيخو ) (٣) واستولى على مدينة قلهرة Calahorra ، ويزعمون انه  
انتصر على المسلمين بفضل صيحة سانتياجو ، وعلى اثر هذا الانتصار  
وضع حدا للاتاوة المهينة التى كانوا يقدمونها الى المسلمين منذ عهد  
مورقاط (٤) .

وفى سنة ٢٣١ هـ ( ٨٤٧ م ) غزا محمد ابن الامير عبد الرحمن  
بالصائفة بلاد جليقية وحاصر مدينة ليون ، ورمها بالمجانيق ، فلما  
ايقنوا بالهلاك لاذوا ليلا بالجبال والغياض فأحرق محمد بن عبد الرحمن

---

Iturrieta = وهو ممر يقع بين منطقة استلا وفيتوريا  
Lévi - Provençal, op. cit, p. 203.

(١) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ٨٢ .  
(٢) Aguado Bleye, Manual de la historia, p 481. ، محمد عبد الله

عنان ، دولة الاسلام ، ص ٣٥٥ .  
(٣) لمزيد من التفاصيل عن هذه الموقعة راجع

José Luis Martín, la alta edad  
Media, p 91 - Aguado Bleye, Manual de historia de España, E.I.  
t.I, P. 481.

Aguado Bleye, op. cit, p. 481 - Antonio Ballesteros Beretta op. (٤)  
cit, P. 62.

Carl Grimbero, Historia Universal, Daimon : , t.4, La edad Media,  
Madrid, 1973, p. 260,

José Luis Maritn, la alta edad media, p 91 - 93.

٣ مما فيها وأراد هدم سورها. فوجه سعتة ثمان عشرة ذراعا ، فتركه ، وأبخر غازیة مملكة لیون (١) . وتوفي رحمه في عام ٢٣٤هـ . ( ٨٥٠ م ) . تركها عرش اشتوریاس وقشتالة لولده اردون الذي تلقب بأردون الاول . ( ٢٣٦هـ ٢٥٢هـ ) ( ٨٥٠ - ٨٦٦ م ) ، وقد قام اردون الاول بتحسين مدن لیون واسترقة أمام المسلمين كما أصلح باقي القلاع والحصون وحاول مساعدة الثوار المولدين بطليطلة على الأمير محمد ، فتغلب عليه الأمير محمد في موقعة وادی سلیط في المحرم ٢٤٠هـ ( يونيو عام ٨٥٤ م ) . والهزم فائده غاثون Gatón (٢) وقتل عدد كبير من قواته (٣) .

وفي عهد الأمير محمد تمكن موسى بن موسى بن قسي ، والي النجر الأعلى من تكوين إمارة مستقلة قوية ، واقترب غرسية أمير نبرة (٤) . باينة موسى وتحالف معه ليستعين به على مقاومة المسلمين ومقاومة جيرانه النصاري في الغرب ويقصد بهم اردون ملك لیون . وفي أوائل عهد الأمير محمد غزا موسى جنوبي فرنسا ، مما يدل على أنه أصبح يشكل قوة كبيرة وبالتالي خطرا شديدا على الملك ارمون ، وقد عزف بآئه الملك الثالث في أسبانيا (٥) . ومن دلائل خطره وقوته أن ملك فرنسا في ذلك الوقت شارل الاصغر أجبر على مهادنته ، وقد حاول اردون محالفة موسى ولكنه فشل في ذلك لتحريض غرسية أمير نبرة عليه ، فتجدد العداء ، وقام

(١) ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٨٨ .

(٢) هو غاثون قومن بيرزو Bierzو وصاحب الفضل في إعادة تعمير استرقة . Luis Suarez, op. cit., p. 45.

(٣) ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٩٥ ، وانظر Luis Suarez, op. cit., p. 45.

(٤) في خلال النصف الاول من القرن التاسع عاشت الكونتيات الفرنجية على الحدود الاسبانية داخل فلك الامبراطورية الكازولنجية في الوقت الذي قطعت المراكز المسيحية في البرانس صلاتها بها ، وكانت مملكة نبرة أهمها جميعا ، وظهرت فيها أسرة بشككتسية لها صلة مصاهرة وقربة مع أسرة من مسالة وادی ابرة من أصول قوطية ساندتها ، هي أسرة بني قسي الذين أسسوا فرع نكرة مركزين سياسيين أحدهما مسيحي والاخر اسلامي ، ظلا مستقلين حتى بداية القرن التالي ( انظر Sanchez - Albornoz, los reinos cristianos, p. 19.



أردون بمهاجمة بعض الحصون الغربية التي كانت في حوزة موسى ، فنزل موسى لقتله ٢٤٦ هـ ( ٨٦٠ م ) . يعاونه في ذلك صهره غرسية ملك نبرة فلنهرم موسى بشر هزيمة ، وقتل غرسية في موقعة البلدة . وفي ٢٤٨ هـ ( ٨٦٢ م ) قتل موسى بن موسى واضطر لبني موسى عقب مقتل أبيه ، وإمام قوة أردون ، وخطورته عليه ، إلى مصالحته والاتفاق معه على هروبه . قتال المسلمين وردهم عن الولايات الشمالية ، وكان أردون قد وصل في ٢٤٢ هـ ( ٨٥٦ م ) إلى قوزية التي تشغل موقعا حصينا واستراتيجيا هاما لعب دورا حاسما في عملية التراجع الفكري المتأخرة ، ثم أصبح الضباط الذي تلا هذه الحملة على جانب كبير من الأهمية ، وذلك عندما عمرت المناطق المهجورة في تلك السنة (١) ، . وأثر تواجد العامل البشري في استمرار النزاع على هذه الأراضي .

وقد انتهز أردون فرصة اشتغال الحكومة القرطبية بالقضاء على الثورات التي ائتمعت في الداخل فعبر نهر دويره بجيوشه ، وهاجم مدينة قوزية ، وأمر واليهي ، بفقام الأمير محمد بارسبال عدة حملات إلى البنية والقلاع (٢) ، . ثم توفي أردون في عام ٢٥٢ هـ ( ٨٦٦ م ) وخلفه ابنه الفونسو الثالث العظيم وكان عمره أربعة عشر عاما حين تولى الحكم ، وقد واجه الفونسو الثالث في بداية عهده ثورة قام بها الكونت قزويلة .

Froila Bermudez حاكم ولاية جليقية ، وساعده الظروف بمفرع فرويلة في قصره بمدينة أبيت (٣) ، وعقب ذلك توج ملكا على ليون ، ثم توالى عليه :

.....

José Luis Martín, la Alta edad media, p. 94 - Luis Suarez, historia de España, edad media, p. 45.

(١) في سنة ٢٤٢ هـ ( ٨٥٦ م ) قام أردون الأول بإعادة تعمير مدينة ليون . وفي سنة ٢٤٦ هـ ( ٨٦٠ م ) عمر مدينة توي ' Tuñ ' وأما ' Amaya ' واسترقة Astorga ( راجع

Aguado-Bleye, op. cit., p 481, José Luis Martín, la alta edad media, p 49.

(٢) ابن عذارى البيان ، ج ٢ ، ص ٩٨ - ٩٩ .  
Aguado Bleye, op. cit., p. 482.

(٣) .....



المؤامرات، فقد دبر له أخواته مؤامرة استهدفت عزله ، ولكن الفونسو فبض عليهم جميعا وعاقبهم بأن سمل أعينهم ، وقد حكم الفونسو مدة أربعة وأربعين عاما ، بلغت فيها دولته مبلغا كبيرا من القوة والازدهار ، وقد وصل بغزواته حتى ضفاف نهر تاجة وعزا عدة مدن أهمها مدينة ماردة وقلمرية وبازو وقورية وشلمنقة . وفي عام ٢٦٨ هـ ( ٨٨١ م ) غزا أراضي المسلمين خاصة مناطق الانهار مثل دويرة وتاجة وواديانة ، ويذكر المستشرق الاسباني شانشيب البرنس Sanchez - Albarnoz عن هذه الفترة التي حكم فيها الفونسو الثالث أنه عند منتصف القرن التاسع بدأ يحكم في أبيط فرع محاذي للاسرة السابقة ، وأن الملوك الجدد أقدموا على النزول من الجبال الى السهول وحصنوا مجموعة من المدن المهجورة لضعف تقدمهم البطيء وحماية طرق الغزو الواقعة فيما وراء الجبال ، وهي التي كان يسلكها أسلافهم ، وكان عليهم التصدي لرد الفعل القرطبي ، ولكنهم صمدوا وعامروا بمساعدة أهل طليطلة الثوار ضد الامراء ، أما الفونسو الثالث العظيم ثالث ملوك أبيط الجدد ، فقد استغل الاضطرابات القائمة في الاندلس بسبب ثورات المولدين احسن استغلال ، واتاحت له هذه الثورات مد حدود مملكة أبيط حتى نهر منديق Mendigo في البرتغال ونهر دويره في ليون ونهرى بيسورجة Pisuerga وارلانزا Arlanza بقشتالة ، وهذا التقدم جاء نتيجة لفشل الحملات القرطبية العديدة وانتصاراته في موقعة بولفوراريا Polvoraria Valdemora ( بلفوراريا بلد يمورة ) عام ٢٦٥ هـ ( ٨٧٨ م ) ومنذ ذلك الحين لم يبق امانه من الاعداء سوى البقية الباقية من بنى قسى في وادي ابرة ، حتى يتمكن من وضع حدود ثانية للمنطقة القشتالية ( ١ ) .

وقد قام الفونسو الثالث في ذلك الوقت بمساعدة قبط برشلونة لاقامة اسرة في بنبلونة عام ٢٩٣ هـ ( ٩٠٥ م ) معادية للامويين . ومن الجدير

---

( ١ ) Luis Suarez, Sanchez - Albarnoz, los reinos Cristianos p. 19 - 20 - op. cit., p. 50.

بالذكر ان حكم الفونسو الثالث الذى استمر اربعة واربعين عاما قد امتلا بالحروب ضد المسلمين ، ففى عام ٢٦٥هـ ( ٨٧٨م ) على سبيل المثال حاول المسلمون غزو ليون واسترقة ولكنهم انهزموا امام الفونسو الثالث بالقرب من سمورة ، كما تشير الروايات النصرانية انه اثناء جد الفونسو الثالث لحدوده حتى احوار ماردة ووادياته فى اراضى المسلمين كما سبق ان ذكرنا اشتبك مع المسلمين عند سفح جبل اريفر من جبال سيرا مورينا وانه انتصر على المسلمين واستشهد منهم الوف عديدة فى هذه الموقعة وهذا ما لم تشر اليه الروايات الاسلامية (١) . وحين تمكن المسلمون من انتزاع سرقسطة مقر حكومة ابن لب زعيم الثوار فى الثغر الاعلى اضطر الفونسو الثالث الى مهادنة المسلمين لان بنى قسى هم الذين كانوا يحمونه من هجمات المسلمين ، وقد انهمك عقب تلك المهادنة الى تحسين اوضاعه وسياسته الداخلية بسبب قيام الثورات ضده لكثرة الضرائب التى كان يفرضها على الاهالى . وتوفى الفونسو الثالث العظيم بعد حياة حافلة فى عام ( ٢٩٨هـ ) ٩١٠م وكان قد قسم مملكته بين ابناؤه فتنازل عن مملكته لابنه الاكبر غرسية ، وعين اردون حاكما لجليقية ، وفرويلة على اشتوريس ، ومنذ وفاته اطلق على اتمملكة اشتوريس جليقية ، اسم مملكة ليون (٢) .

## ٢- نشأة مملكة نبرة Navarra

والى جانب ملكة ليون قامت مملكة اخرى فى بلاد البشكنس الجبلية (٣) غزى جبال البرانس كانت تخضع فى بدايتها اى منذ اواخر القرن الثامن الميلادى لبعض السادة الاقطاعيين الذين كانوا يتبعون مملكة الفرنج ، وربما حكمها دوقات قنطابرية او امراء اشتوريس وكانت قاعدتهم

(١) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٣٥٩ .  
(٢) عن دور الفونسو الثالث فى تاريخ اسبانيا راجع . Luis Suarez, op. cit, p. 50.  
67, Aguado Bleye, op. cit., p. 482 - 485.  
(٣) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٣٦١ .

بنبلونة ، وكانت بلاد البشكنس كما سبق أن رأينا هدفا للغزوات الاسلامية من جهة والفرنجية من جهة أخرى ، فقد حاول ملوك جليقية أو ليون غزوها اكثر من مرة ولكن البشكنس كانوا يتفانون في الدفاع عن بلادهم بهدف الانفصال عن التبعية للجلالة . وفي عام ١٨٣ هـ ( ٧٩٩ م ) ظهر زعيم نبري يدعى ازوار تمكن من الاستقلال ببلاده وتوفي عام ٢٢٢ هـ ( ٨٣٦ م ) فخلفه اخوه شانجة ، ولكن الامور لم تستقر له ، فسرعان ماظهر أمير آخر من البشكنس هو غرسية انيجيث ابن انيجنو أريستا ، *García Iniguez hijo de Inigo Arista* الذي تغلب على شانجة ، ويعرف هذا الزعيم الجديد في المصادر العربية بشاسم ونقبة بن شانجة ملك البشاكسة (١) ومنذ أن تزوج غرسية ملكا على هذه المملكة المستقلة ومركزها بنبلونة ، تحالف ملوكها فيما بعد مع بني قنقن وارتبطوا معهم بريناط قوى من المصاهرة فقد تزوج انيجوارستا من أرملة موسى بن قرتون بن قسي ، وبالمثل تزوج موسى بن موسى من ابنة غرسية ، كما تزوج اخوه غرسية من بنت لب بن موسى بن قرتون .

وفي عام ٢٤٨ هـ ( ٨٦٢ م ) قتل غرسية انيجيث وهو يحارب ايردون الاول ملك ليون (٢) في موقعة البلدة ، وكان صهره موسى بن موسى يقاتل الى جانبه وخلفه ولده فرتون *Fortun Garcés I* الذي وقع اسيرا في ايدي المسلمين (٣) عام ٢٤٦ هـ ( ٨٦٠ م ) واستمر اسيرا في قرطبة اكثر من عشرين عاما ، وتم عزل فرتون عام ٢٩٣ هـ ( ٩٠٥ م ) على يد مانشو غرسية *Sancho Garcés* ٢٩٣ - ٣١٣ هـ ( ٩٠٥ - ٩٢٥ م ) وهو من فرع اميري آخر تمكن من الاستيلاء على العرش بطريقة مباغية (٤) .

- (١) ابن حزم ، جمهرة انساب العرب ، ص ٤٦٨ .  
 (٢) ذكر أنطونيو راموث أن غرسية انيجث *García Iniguez* قتل في سنة ٢٦٩ هـ ( ٨٨٢ م ) على ايدي المسلمين .  
 (٣) هو الجيد الأول لام عيذ الرجيج الباصر *Lévi - Provençal, op. cit. p. 392* .  
 (٤) *Lévi - Provençal, op. cit. p. 392 - Aguado blève, op. cit. p. 500* .



أما فرتون فقد أُعْتزل في أحد الديرة البقية الباقية من عمره . وكان سانشو هذا أول من تُلَقب بالقباب الملك من حكم نبرة ، واستقر على عرش نبرة حتى سنة ٣١٤ هـ ( ٩٢٦ م ) حارب خلالها بنى قسى ، وهاجم لب بن محمد بن لب زعيم بنى قسى نبرة في عهده عدة مرات وانتهى الأمر بهزيمة لب ومقتله في عام ٢٩٤ هـ ( ٩٠٧ م ) ، فخلفه أخوه عبد الله في تطيلة الذي واصل حروبه ضد نبرة وهزم شانجة هزيمة نكراء في عام ٢٩٨ هـ ( ٩١١ م ) (١) ولكن شانجة بن غرسية صاحب بنبلونة غزا تطيلة في سنة ٣٠٣ هـ ( ٩١٥ م ) حسبما أورده ابن حيان الذي قال « وفي سنة ثلاث وثلاث مائة كانت للعدو في بنى قسى ، ملوك الثغر الأعلى جولات أسرف فيها عبد الله بن محمد بن لب بن قسى ، أمير تطيلة ، وضار مكانه أخوه مطرف بن محمد وكانا معا من الأبطال ذوي بأس وشجاعة ونكاية شديدة للعدو ومات عبد الله بن محمد بن لب ، فوثب ابنه محمد بن عبد الله بن محمد على عمه مطرف بن محمد فقتله ، ووقعت بأسباب ذلك بين بنى لب فتن وحروب واختلاف ضعف عزمهم ، فاضطرب الثغر بافتتانهم » (٢) وعلى الرغم من هزائم شانجة غرسية الأول ، فقد كان في نظر المؤرخين الأسبان واحدا من أعظم ملوك الاسترداد الأسباني (٣) .

### ٣- الأحداث كل من مملكتي ليون ونبرة في عهد عبد الرحمن الناصر :

تم في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر قيام حلف يضم مملكتي ليون ونبرة في مواجهة دولة الاسلام في الاندلس ، وكان عهد الفونسو الثالث ملك ليون كما اشيرنا حافلا بغزواته المتكررة على أراضي المسلمين ، وكانت القواعد الاسلامية المتاخمة لمملكة ليون مثل استرقة وسمورة وشلمنقة

(١) محمد عتيق الله عنان ، دولة الاسلام ص ٣٢٣

Levi - Provençal, op.cit, p. 392.

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ج ٥ ، تحقيق شاليتا ، ص ١٢٥

Aguado Bleye, op: cit, p. 501..

(٣)



وشقوبية وميراندة ، قد بدأت تخلو من سكانها المسلمين الذين فروا أمام الهجمات الليونية المتتالية ، وفي عهد عبد الرحمن الناصر لم يعد الخطر المسيحي قاصرا على مملكة ليون وحدها بل ظهر خطر جديد هو خطر مملكة نبرة ، وكان قد خلف الفونسو الثالث على عرش ليون ابنه الأكبر غرسية Carcar ( ٢٩٨ - ٣٠٢ هـ ) ( ٩١٠ - ٩١٤ م ) الذي سار على نفس سياسة أبيه فيما يختص بعلاقاته بجيرانه المسلمين (١) وقد علل الاستاذ محمد عبد الله عنان سبب بداية الهجوم المسيحي الليوني الشديد على اراضي المسلمين في تلك الفترة المبكرة بأسباب اقتصادية بحتة (٢) .

وما كاد عبد الرحمن بن محمد الناصر يرتقى دسب الامارة بقرطبة حتى شن اردون الثاني ملك ليون ٣٠٢ - ٣١٢ هـ ( ٩١٤ - ٩٢٤ م ) الذي خلف غرسية على عرش البلاد (٣) ، هجوما واسع النطاق على اراضي المسلمين في الغرب سنة ٣٠٢ هـ ( ٩١٤ م ) كما سبق ان ذكرنا في الباب الاول ، وركز هجومه على كورة ماردة واستولى على حصن الحنشين وذبح جميع حاميته (٤) وقد سبق هذا الهجوم في بداية العام الثاني من امارة عبد الرحمن الناصر غزو لبلدة يابرة وفيها استشهد معظم سكان يابرة ومن بينهم واليها مروان بن عبد الملك بن احمد (٥) .

وكان الغرب في تلك الفترة من حكم عبد الرحمن الناصر لايزال يعج بالثوار امثال عبد الله بن الجليقي في بطليوس وحليفه مسعود بن

- 
- (١) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٣٩١ .  
Lévi - Provençal, op. cit., t. II, p. 36.  
(٢) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٣٩٢ .  
(٣) ابن حيان ، المقتبس ، الجزء الخامس ، ص ٩٨ ، وكان ذلك في اوائل عام ٣٠١ هـ ( ٩١٣ م ) .  
(٤) ابن حيان ، المرجع السابق ، ص ١٢٠ وما يليها وراجع أيضا Aguadó Bleye, op. cit., p. 487.  
(٥) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٩٨ ، وانظر مدونة عبد الرحمن الناصر ص ٤٤ ، وراجع Lévi - Provençal op. cit., t. III, p. 36.

سعدون السرنباقي في يابرة ، ومحمد بن تاجيت في ماردة ، وسعيد بن مالك في باجة ، ويحيى بن بكر في اكشونية . فاراد عبد الرحمن الناصر ان يضع حدا لهذه الدويلات المستقلة في الغرب وعلى الاخص دويلة ابن الجليقي رئيس دعوة المولدين في الغرب . وفي نفس الوقت كان يسعى الى تأديب الليونيين على ما اقترفوه في يابرة وقلعة الحفش . ففي اوائل عام ٣٠٤هـ ، اغزى الناصر لدين الله القائد احمد بن محمد بن ابي عبده الى مملكة ليون فخرجت قواته في ١٦ من المحرم سنة ٣٠٤هـ ( ١٨ يوليو ٩١٦ م ) ، واجتاحت اراضي مملكة ليون ، فغنم وسبى وقفل عائدا بقواته الى قرطبة (١) .

وكان رد فعل ملك ليون ان اغار في عام ٣٠٥هـ ( ٩١٧ م ) على منطقة يابرة مما جعل عبد الرحمن الناصر يبعث قائده ابن ابي عبده من جديد لقتالهم ، ولكن سوء الحظ حالف المسلمين في هذه المرة ، فقد تلقى ابن ابي عبده هزيمة مروعة على ايدي قوات من ليون في موقعة قشتره مورش المعروفة بشنت اشتين ولقى القائد ابن ابي عبده مصرعه في هذه الموقعة (٢) . حدث اللقاء في ١٤ ربيع الاول سنة ٣٠٥هـ ( ٤ سبتمبر ٩١٧ م ) وقد انهزم المسلمون في هذه الموقعة هزيمة شنعاء واذرع الليونيون. فيهم بسيوفهم فقتلوا منهم مقتلة عظيمة بالغت مدونة سيلوس في تصويرها ، فذكرت ان المرتفعات والغابات والسهول ابتداء من وادي دويره حتى بلدة اتينزا Atienza وباراكويوس Paracuellos كانت مغطاة بجثث عساكر المسلمين . وعاد اردون الثاني عقب انتصاره على المسلمين الى ليون بعد ان نصب رأس الشهيد المسلم احمد بن ابي عبده على سور شنت اشتين San Esteban بجوار رأس خنزير (٣) .

---

(١) ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٦٩ .  
Lévi - Provençal, op. cit., t. II, P. 37.  
(٢) Lévi - Provençal op. cit. t. II, p. 37.  
(٣) Ibid. p. 38.

وفي هذه الواقعة يقول ابن عذارى « وجد المسلمون في مجاربة المشركين حتى كانوا قد أشرفوا على الظفر بمن كان في الحصن فأنحشدت النصرانية من جميع جهاتها ممدّين لكفرتهم ومجلبين على المعلمين بخيلهم ورجلهم . . . وثبت القائد أحمد بن محمد بنفسه وأظهر الصبر ودافع مداهمة الموطن وقيل انه كان قد اعتقد مذهباً في طلب الشهادة . . . » (١) . ومن عوامل هزيمة المسلمين في هذه الواقعة ان الجيش الاسلامي كان يتكون معظمه من البربر المرتزقة الذين اهتموا بغنائمهم، ولما رأوا هجوم النصارى الساحق تسلم معظمهم وغرّوا بأنفسهم من ساحة المعركة هاربين من ميدان القتال . ولم يكتف أردون الثانى بهذا بل عقد حلفاً مع سانشو غرسية ملك نبيرة لجزيرة اراضى المسلمين، وتم ذلك في اواخر عام ٣٠٥ هـ (٩١٨ م) . ففى عام ٣٠٥ هـ « حشد الطاغية أردون بن اذفونش ملك جليقية وشانجة ابن غرسية البشكنسى ، قومس بنبلونة ، حشد النصرانية بجليقية ، وبنبلونة . فخرجنا معا في احتفال من جموعهم واستيعاب من كفرتهم الى مدينة ناجرة Najera بالثغر الاقصى ، فنزلنا عليها في عقب ذى الحجة منها وأقاما عليها ثلاثة أيام منازلين لاهلها ، وعائت خيولهم في ذلك الثغر كيف شأنت فاقسدت الزرع وانتسقت المغايش ، ثم انتقلت الى مدينة تطيلة Tudela قاصية الثغر فانتهت نراياهم الى تهر كلّس وخوائر مشقيرة ووادي طرسونة ، وغبر شانجة لعة الله نهر ابره ، فقاتل حصن بلشيرة (Valtierra) وقهر اهل ريبضه واحرق المسجد الجامع فيه ، وانقلب الكفرة لعنهم الله الى بلادهم اعزة . . . » (٢)

وكان رد الفعل الاسلامي خروج حملة اسلامية في المحرم سنة ٣٠٦ هـ (منتصف أغسطس ٩١٨ م) بقيادة الحاجب بدر بن احمد لقتال العدو . وهى غزوة مطونية Mitonia (Mudonia) على مقربة من قلعة رياح وفيها اقتحم الحاجب بدر بحشوده اراضى مملكة ليون « ووطىء حرّيمهم وأدّاح

\_\_\_\_\_

(١) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٧١ .  
(٢) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شاليتا ، ص ١٤٣ .

بلذهم ، منتصفا لغلالتهم ، هادما لمصانعهم ، حاطما لمعاشهم ، ولقيهم  
 أعداء الله ، منتظلين عليهم حين اقتراب فرحتهم بظفرهم ، واستغلاظ  
 من شوكتهم ، فحاربهم المسلمون حربا شديدة ، حمى لها جميعهم ،  
 فأمدهم الله تعالى بالنصر ... » (١) . ولم يكتف عبد الرحمن  
 الناصر بما أحرزته قواته من انتصارات وإنما أراد أن ينتقم لمصرع قائده  
 أحمد بن أبي عبدة ، ومن أهم غزواته التي حدثت الغزوة المعروفة بليم  
 غزوة مويش (٢) : Muez ، أهم غزوات المسلمين على الإطلاق حدثت  
 في صيف عام ٣٠٨ هـ ( ٩٢٠ م ) وقادها عبد الرحمن الناصر بنفسه ،  
 فخرج في ١٣ المحرم ( ٥ يونيو ) في اتجاه طليطلة ، ثم عبر واديانه  
 في طريق البية والقلاع ( قشالة ) ، ثم عبر نهر دويزة وزحف على مدينة  
 وخشمة . Osma . وأحرقها وهدمها (٣) ، ثم اتجه إلى حصن شنت اشتين  
 الذي سبق للمسلمين أن انهزموا عنده وقتل أمامه القائد ابن أبي عبدة  
 فحرب ما في المنطقة من كنائس واديرة « فهدم منها حصن وخشمة وحصن  
 قاشتره موريش وما والاها من المعلق والابراج وكثيرا من الديارات  
 والبيع (٤) » . ويضيف ابن عذاري « ثم رحل عنها في اليوم الثاني إلى  
 حصن قاشتر موريش » ، وهي شنت اشتين ، بيضة الكفرة ، وقاعدتهم  
 والموضع الذي كانوا يعودوا فيه الامتطالة على من وردهم ، فلما راوا  
 أن أنصار دين الله قد أظلوهم وأولياءه قد صمدوا تحوهم أخلوا الحصن ،  
 وخرجوا هاربين عنه ، فدخله المسلمون وغنموا جميع ما فيه ... » (٥)  
 ثم سار الناصر إلى منطقة قلونية Clunia وكان أهلها قد أخلوها

- (١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شاليتا ، ص ١٤٥ ، ابن عذاري ،  
 البيان ، ج ٢ ، ص ١٧٢ .  
 (٢) ابن حيان المقتبس ، تحقيق شاليتا ، ص ١٥٩ ، ابن عذاري ،  
 البيان ، ج ٢ ، ص ١٧٥ .  
 (٣) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شاليتا ، ص ١٦٠ ، وابن عذاري ،  
 البيان ، ج ٧ ، ص ١٧٧ ، وراجع التفاصيل في  
 Lévi - Provençal, op. cit., t. II, p. 40.  
 (٤) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شاليتا ، ص ١٦٠ .  
 (٥) ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٧٧ .



وتعرضت للخراب والدمار ، وكان كل من اردون الثانى ملك ليون وشانجة غرسية ملك نبرة قد حشد حشوده يتربعان وصول الناصر الى الشمال ، وكان الناصر قد وجه بعض قواته بقيادة محمد بن لب بن قسى الى قلعة قلقرة (Carcar) لاحتلالها ثم استولى الناصر على حصن قلهرة Calahorra وهنا حاول النصارى استدراج المسلمين عند عبورهم وادى خنقيرة Junquera ، وانتظر عبد الرحمن وصول الليونيين والنبريين ، وعندئذ صدمهم صدمة عنيفة وهزمهم هزيمة نكراء لم تشهد اسبانيا المسيحية نظيرا لها من قبل ، وسقط كثير من قوات ليون ونبرة قتلى ، من بينهم اسقفان هما دولثديو Dulcidio اسقف شلمنقة ، وارمخيو (Ermoglio) اسقف توى Tuy وحدثت هذه الواقعة العظيمة التى انتصر فيها المسلمون بقيادة الخليفة عبد الرحمن الناصر على الحلف الثنائى الليونى النبرى فى اليوم السادس من شهر ربيع الاول سنة ٣٠٨ هـ ( ٢٦ يوليو ٩٢٠ م ) (١) وقد تمكن الناصر عقب هذه الغزوة من الاستيلاء على حصن بقيرة Viguera الذى كان حصنا على حدود نبرة ، فرممه وزوده بما يحتاجه المسلمون من أسلحة ومؤن . ولكن هذه الهزيمة المروعة لم تكن كافية لردع النصارى المتطلعين الى الاستيلاء على اراضى المسلمين فقد ظلوا يواصلون سياسة الاعتداء على اراضى الاسلام ، فلم يكد يمضى عامان عليها حتى اغار اردون الثانى على ناجرة واستولى عليها فى خين اغار حليفه ملك نبرة على بقيرة وتمكن من الظفر بجميع زعمائها اسرى ثم قتلهم بما فيهم زعمائهم محمد بن عبد الله بن لب القسوى مما اثار اهالى الاندلس وارتفعت اصوات احتجاجاتهم على الناصر لقصوره فى الدفاع عن تلك المدن (٢) ، فبادر الناصر عام ٣١١ هـ ( ٩٢٣ م ) بارسال مولاه

---

(١) ابن عذارى ، البيان ، ح ٢ ، ص ١٧٨ ،

Lévi - Provençal, op. cit., t. II, p. 42.

محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، القسم الاول ، العصر الثانى ، ص ٣٩٧ . . . . .

(٢) ابن حيان ، المقتبس ، ( تحقيق شالميتا ) ، ص ١٨٦ .

عبد الحميد بن بسيل « الى الثغر الاقصى في جيش كثيف عدته ، اغاث به اهله على شغله بما بين يديه من حرب اهل الخلاف بالموسطة ، فجرد عبد الحميد الى ذلك الفرع ، وقوى عدته واستقوى عدته ، واستقوى على الجيش الذى ضمه اليه ، وشرفه بتقديمه الى خطة الوزارة . . . فمضى لوجهه ذلك ، منصلتا حتى دخل الثغر الاعلى ، واجتمع اليه خلق من اهل الثغر وغيرهم ودخل مدينة تطيله قاصية ، واهلها بعد ممرضون في الطاعة ، فملكها للناصر لدين الله ، وكان ذلك اول ملكها (١) . . . » .

وتبعت حملة عبد الحميد بن بسيل على الثغر الاعلى وتطيله ، وجوازه الى مملكة نبرة وتدميره لبعض انحاءها حملة اخرى وجهها الناصر في العام التالي في ١٦ من المحرم عام ٣١٢ هـ ( ٢٧ ابريل سنة ٩٢٤ م ) الى قلب مملكة نبرة ، ففي ٤ ربيع الاخر ( ١٠ يوليو ) عبر نهر ابره واخترق عمق نبرة وعاثت قواته في اراضى مملكة نبرة تحرق وتدمر ما يقابلها من حصون تتحكم في الطريق الى بنبلونة ، مما ترتب عليه جلاء حاميات نبرة من القلاع خوفا من جيوش الخليفة الناصر ، وبذلك تمكن الناصر من الاستيلاء على العديد من الحصون والقلاع منها حصن قلهرة وقلقرة carcar وبيطرالته ( بيرالته ) Peralta وهو قنطرة البة كما ورد في المقتبس (٢) او ببطرة التا كما ورد في البيان المغرب . وفي هذه الغزوة يقول ابن عذارى « فحل من اول بلادهم حصن قلهرة ، وكان العليج شائعة قد اخلاه فامر بهدمه واحراق جميع ما فيه وحوله ، ثم تنقل عنه الى موضع يعرف ببيطرةالته وكانت حوله حصون مانعة فاخلاها الكفرة . . . (٣) » . كما استولى على حصن بالجش Faloes واحرقه وحضن قرقيشتال Carcastillo في وادى ارجون الواقع شرقى بيرالته (٤)

(١) ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ١٨٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٩١ .

(٣) ابن عذارى ، البيان ، ج ٢ ، ص ١٨٦ .

(٤) Lévi - Provençal, op. cit., II. p. 46.

وانظر : محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام في الاندلس ، ص ٣٩٩

وشمال شرقى تطيله . . ولم يكتف عبد الرحمن الناصر بهذا ، فبهذه الفتوح انفتح الطريق أمامه إلى قلب نبرة حيث زحف على عاصمتها بنبلونة ودخلها رغم محاولات الملك النبرى سانشو غرسية أن يحول بينه وبين ذلك ، إلا أن سكان بنبلونة مالبثوا أن جلوا عنها هارين خوفا ورعبا من قوات المسلمين . وطلب ملك نبرة العون من قشتالة وحاول لقاء المسلمين واستدراجهم في مفاوز نبرة الوعرة ، ولكن المسلمين تمكنوا من هزيمتهم وتمزيق قواتهم (١) . وحاول عبد الرحمن الناصر التعمق شمالا مستهدفا تدمير القلعة الاسلامية القديمة المسماه صخرة قيس Huarto Aroquil . ولما تحقق له ذلك قفل عائدا إلى قلهرة تطيله . وبهذا درس القاسى الذى لقنه الناصر لسانشو غرسية الأول في تلك السنة تنتهى الحلقة الأولى من الغزو الاسلامى ، وكان اردون الثانى قد توفى في سنة ٣١١ هـ ( ٩٢٤ م ) وخلفه اخوه فلويره الثانى بن أذفونش Fruela قبل أن يقوم الناصر بحملته على بنبلونة ، ولكن فلويره الثانى لم يحكم سوى عاما واحدا وتوفى ٣١٣ هـ ( ٩٢٥ م ) تاركا وراءه صراعا ضاريا بين شانجة Sancho Ordonez والفونسو الرابع ولدى اردون الثانى ولم تلبث الحرب الاهلية أن نشبت في مملكة ليون وانتهت بوفاة شانجة عام ٣١٧ هـ ( ٩٢٩ م ) Sancho Ordonez الذى كان قد ظفر بعرش مملكة ليون ثم تجددت بين الفونسو الرابع ( ٣١٣ - ٣١٩ هـ / ٩٢٥ م - ٩٣١ م ) واخيه ردميره Ramiro II وانتهى الامر بفوز ردميره الذى ارتقى إلى عرش ليون في عام ٣١٩ هـ ( ٩٣١ م ) (٢) بعد أن تنازل له أخوه الفونسو الرابع عن العرش وانغم في دير ساهاجون ، وقد اشتهر راميرو أوردميره ( ٣١٩ - ٣٤٠ هـ / ٩٣١ - ٩٥١ م ) الذى تلقى بالثانى بشجاعته وقوته وشدة بأسه ، فقد تابع سياسة من - قة في الصراع ضد المسلمين ، فانتهاز فرصة احتدام نار الثورة في طليطلة ، فتوجه بقواته

(١) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى ابن خيان ، المقتبس ، شالميتا ، ص

١٨٩ - ١٩٥ ، وابن حذارى البيان ، ج ٢ ، ص ١٨٦ - ١٨٩ .

Aguado Bleye, op. cit, p. 488.

(٢) .

لمساعدة الفوار ، ولكنه فوجيء يزحف أخيه الفونسو الرابع الراهب الى مدينة ليون واستيلائه عليها ، فعاد راميرو مسرعا وحاصر أخاه في ليون واستردها عام ٣٢٠ هـ ( ٩٣٢ م ) ثم سمل عيني أخيه وأبناء عمومته الثلاثة الذين اشتركوا في الثورة ضده وسجنهم (١) . وكان الناصر قد عزم على وضع حد لثورات مدينة طليطلة ، ولذلك فقد تقدم اليها في ربيع الثاني من عام ٣١٨ هـ ( ٩٣٠ م ) ثم حاصرها ، ولكنه غادرها بعد اسابيع وعاد الى حصارها مرة ثانية بعد عامين وكله عزم وحماس على اخضاع هذه المدينة العاصية ، وقد حاول رنمير انقاذ هذه المدينة التي طالما شجع ثوارها ، وبالفعل فقد تقدم اليها مارا بحصن مجريط ( مدريد ) ٣٢٠ هـ ( ٩٣٢ م ) ، ثم انهزم على أيدي المسلمين في اوسمة ٣٢١ هـ ( ٩٣٣ م ) وعجز عن منعهم من تدمير اراضي قشتالة ومدينة برغش (٢) . وفي ذلك يقول ابن عذاري « وكان اهل طليطلة لما اخذهم الحصار واشتد عليهم التضييق ولازمهم القواد ، قد استجاشوا بالمشركين ، واستنجدوهم ورجوا نصرهم لهم ، فلم يغثوا عنهم فتبلا ، ولا كشفوا عنهم عذابا ولا جلبوا اليهم الا خزيا وهوانا ، وخرج القواد المحاصرون لهم الى الكفرة فهزموهم وفرقوا جموعهم ، وانصرفوا مولين على اعقابهم ، خاذلين لمن انتصر بهم ، فلما يئس اهل طليطلة ان يتصرهم احد من باس الله الذي عاجلهم وانتقامه الذي طالولهم ، عاذوا بصفح امير المؤمنين ، وسألوه تأمينهم .. » (٣) وقد ساعد على رحيل رنمير وعدم اتجاده لطليطلة اضطراب ظروف بلاد الداخلية وثورة أخيه السابق ذكره عليه .

وفي عام ٣٢٢ هـ ( ٩٣٤ م ) أعد الخليفة الناصر نفسه للجهاد ،

---

(١) وابناء أخيه هم أدفنش وردميره وأردون ، وكانوا قد ساعدوا الفونسو الرابع  
Lévi - Provençal, op. cit., t. II, p. 51.

(٢) Lévi - Provençal, Ibid, t. II, p. 53.

(٣) ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢٠٦ - ٢٠٧ .



وقرر غزو مملكة نبرة ، وكان ملكها سانشو غرسية قد توفى في سنة ٣١٤هـ ( ٩٢٦م ) تاركا زوجته تيودا ( طوطة ) Toda Aznarez وصية على ولدها غرسية Garcia Sanchez I ( ٣١٤ - ٣٦٠هـ / ٩٢٦ - ٩٧٠م ) فلما علمت بقدوم الناصر « وردت عليه رسل الماكرا طوطة ابنة اشينر تلوذ بطاعته وتمت بسبب اسلافها بالخلفاء سلفه ، وتسأله عقد سلمها وصرفه اوجه الخيل عنها . . . فسارعت الخروج نحوه بنفسها في وجوه رجالها وقواميسها واساقفتها ، ووافت اليه مسرعة لعسكره في محطة قلهرة ومعها هدية حسنة ، وقد امر الناصر لدين الله بتعبئة الجيوش لدخولها . . . وخضعت له في سؤلها ومقالها ، فأحسن الناصر لدين الله قبولها ، وكرم منزلتها ، وعقد عليها وعلى قوامها عقدا ، اعز الله الاسلام به ، تضمن تصحيح الطاعة والتبرؤ من سائر ملوك النصرانية (١) . . . وبهذا يتبين لنا ان الناصر قد عقد صلحا مع طوطة في مقابل وعدها له بالآ تهدد أي رقعة من بلاد الاسلام ولا تقدم أي عون لأي مملكة نصرانية ضد المسلمين . ومضت سنوات عدة دارت خلالها العديد من الحروب بين الناصر وبين النصارى ، فقد كان كثيرا ما يتجه بكل قواته الى ألبه والقلاع مجتاحا بقواته العديد من الحصون المسيحية مثل حصن غزماج Gormaz الواقع بالقرب من ليون ، هذا وقد زحف الناصر على مدينة برغش عاصمة قشتالة في عام ( ٣٢٣هـ ) ٩٣٤م وخربها ، وبعدها هاجم أوسمة والقصر وحصن أنه والدير المنسوب اليه من بلاد ألبه والقلاع ، وحصن بسيطة ، واشكفيرش ولزمه (٢) . ولم تقتصر الحروب بين الناصر واعدائه النصارى على المواقع البرية ، بل أن هناك من المواقع البحرية ما دار بين الطرفين ، فقد ذكر ابن حيان ، خبر هذه الغزوة البحرية التي كان يقودها عبد الملك ابن سعيد بن أبي حماسة (٣) ضد الفرنج ، وقد انهزم الفرنج فيها ، وانتهت

---

(١) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٣٦ .

(٢) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٤٠٤ .

(٣) ابن حيان ، المقتبس ، ص ٣٦٦ .

هذه الحرب بعقد الصلح بين الناصر وردميرة الثانى ملك ليون عام ٣٢٣هـ / ٩٣٤م. ثم تتابعت الغزوات فيما بعد، فقد سار الناصر عام ٣٢٢هـ (٩٣٣م) لمحاربة النصارى ، وفى عام ٣٢٤هـ (٩٣٥م) حاول ملك ليون أن يستولى على قلعة مجريط ولكن حامية الحصن تمكنت من صدده وانقاذ القلعة (١) . ثم واجه الناصر حلفا ثلاثيا يتكون من التجيبين فى سرقسطة وملك نبرة وملك ليون ، وعزم على التحرك السريع ، وفى عام ٣٢٥/٣٢٦هـ تمكن الناصر من الاستيلاء على قلعة ايوب Calatayud بعد أن كبّد حاميتها خسائر كبيرة فى الانفس ثم على سرقسطة رغم المساعدات العديدة الضخمة التى قدمها رذمير ملك ليون لصاحبها (٢) ، وبهذا يكون الناصر قد قضى على ثورة التجيبين فى الشمال والثرغرا الأعلى وهم الذين طالما كانوا يستعينون بليون ضد الناصر فيكون الناصر بهذا قد قضى على عدوين فى آن واحد .

وفى صيف ٣٢٧هـ (٩٣٩م) (٣) سار الناصر الى ليون ، وكان يقود جيشا ضخما للغاية ، عبر نهر التاجا من جهة طليطلة ، ثم عبر نهر الدويره متجها نحو شنت مانكش Simancas ، وكان ردميره الثانى يرباط على مقربة منها فى حشود عظيمة متاهبا للقتال ، وزوده حليفه الخائن أمية بن اسحاق ، بنصائح ومعلومات قيمة ، وانضمت اليه طوطة ملكة نبرة ضاربة بعهودها عرض الحائط ، وبذلك اتحدت قوى اسبانيا المسيحية ضد

---

(١) المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٤٠ - ٣٤١ ، ابن حيان ، المقتبس ص ٣٧٩ .

(٢) Lévi - Provençal, op. cit, t. II, p. 55.

(٣) لمزيد من التفاصيل عن حملات الناصر انظر محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٤٠٢ - ٤٠٧ ، وكان الناصر قد عقد صلحا مع راميرو ملك ليون عام ٣٢٣هـ (٩٣٥م) ( انظر ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شاليتا ، ص ٣٦٥ ) .

المسلمين . وتتفق المصادر العربية والاسلامية على أن الموقعة عرفت بالخذق ، وكان من أبرز الذين خانوا عبد الرحمن الناصر من أتباعه الخائن ابن فرتون بن محمد الطويل ، فقبض عليه الناصر وصلبه في قرطبة ، وكانت لهذه الهزيمة ، أثرها الكبير في أوروبا والعالم الاسلامي (١) وانتهى الامر بأن عقد ردميره الصلح مع الناصر .

وعلى الرغم من السلم المنعقد بين الناصر ورمير الثاني ملك ليون إلا أن هذا الأخير لم يحترم عهوده معه ، فقد تجددت المعارك بينه وبين الناصر إلى أن توفي ردميره الثاني في ٣٣٩ هـ ( ٩٥١ م ) ، قاشتعلت الحرب الاهلية بين ولديه أردون الثالث Ordoño III ( ٩٥١ - ٩٥٦ م ) وشانجة (٢) Sancho I حفيد طوطة الوصية على عرش مملكة نبرة وانتهز المسلمون هذه الفرصة فأغاروا على مملكة ليون إلى أن تولى أردون الثالث عرش ليون ، وعندئذ أرسل إلى الخليفة الناصر يطلب موادعته ومسالمة ، فأجابه الناصر وعقد معه معاهدة صلح على الرغم من أن شانجة أخاه عارضها وحال دون تنفيذها لفترة مخددة . وكان أردون الثالث ابنا لردميره الثاني من زوجته الاولى تيريسا Teresa ، أما سانشو فكان ابنته من زوجته الثانية اراكة Urraca ، وكما سبق أن ذكرنا فإن الصراع لم يلبث أن دب بين الأخوين ، فقد ادعى أردون أنه أحق بالعرش باعتباره أكبر الأخوين ، ولكن شانجة أخاه وقف امامه يؤيده في ذلك اشراف نبرة وامراؤها الذين كانوا احواله لاهمه وجدته طوطة الوصية على مملكة نبرة

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن وقعة الخندق ، راجع ، ابن حيان ، المقتبس ، تحقيق شالميتا ، ص ٣٤٢ - ٣٤٧ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٣٧ ، المقرئ ، نفح الطيب ، ج ١ ، ص ٣٤١ ،

Lévi - Provençal, op. cit, p. 51 - 65, Aguado Bléye, op. cit, p.

487 - 488.

(٢) ابن عذاري ، البيان ، ج ٢ ، ص ٢١٧ .

الى جانب أهل قشتالة ، وتوغى اردون الثالث بسمورة في ٣٤٥هـ (٩٥٦م) بعد فترة قصيرة من حكمه للبلاد فخلفه اخوه شانجة الاول المعروف بالسمين *Sancho el'grueso* ( ٣٤٥ - ٣٥٦ هـ / ٩٥٦ - ٩٦٦ م ) الذى رفض تنفيذ اتفاقية السلام مع الخليفة الناصر (١) ، مما دفع الناصر الى محاربته قسراً لهذا الغرض قائد احمد بن يعلى في ٣٤٦هـ ( ٩٥٧ م ) الذى كان والياً على طليطلة الى ليون ، وتمكن القائد ابن يعلى من ايقاع الهزيمة بشانجة وأرغمه فى النهاية على قبول الصلح .

ثم ثار الاشراف على شانجة السمين بحجة هزيمته أمام المسلمين فى كثير من المعارك ويحجة أن بدائته المفرطة تحول بينه وبين ركوب المخيل ، فلاند شانجة ببينبلونه عاصمة نبرة واقام فى كنف جدته طوطة ملكة نبرة (٢) وفى ذلك الوقت قام الليونيون باختيار اردون الرابع السمين بن الفونسو الرابع الراهب عم الملك شانجة وصهر الكونت فردلند جنثالث *Fernán González* ، وذلك فى عام ٣٤٧هـ (٩٥٨م) ، وقد كان اردون الرابع سيئ الخلق كريها ، قبيح الشكل مما جعله يتلقب بالسيئ *El Malo* فلما وجد شانجة السمين أن الامور قد ساءت ضده لجأ الى الناصر يطلب معونته ، فقام الناصر بمعالجته من بدائته وامداده بالاموال والرجال مما سهّل لشانجة استرجاع عرش مملكة ليون مرة ثانية .

وفى مقاليل هذه المساعدات التى قدمها الناصر لشانجة كان عليه أن يتنازل بعد استرجاع العرش عن بعض الحصون الواقعة على الحدود ، وساعد اشراف نبرة شانجة على استعادة العرش ، وكانت الملكة طوطة قد وفدت الى قرطبة عام ٣٤٧هـ ( ٩٥٨ م ) ومعها ولدها غرسية الذى كانت

(١) . Aguado Bleye, op. cit: p. 488 - Lévi - Provençal, op. cit., t. II, p. 70 .

(٢) . Aguado Bleye, op. cit, P. 488 - Lévi - Provençal, Ibid., p: 70.- 71 .



وصية عليه وحفيدها شانجة ملك ليون الذى خلعه اشرافها ، فاستقبلهم  
الناصر بحفاوة بالغة ، ووعدهم ببذل المساعدة ، فلما تم لشانجة ما أراد  
فى ٣٤٩هـ ( ٩٦٠م ) ، وفر اردون الرابع الى برغش ، نكث شانجة بكل  
وعوده للمسلمين وتوفى الناصر بعد ذلك بفترة قصيرة فى رمضان ٣٥٠هـ  
( اكتوبر ٩٦١م ) ( ١ ) . وفى ذلك الوقت أعلن فردلند (فرنان جنثالث)  
نفسه اميرا مستقلا على قشتالة وهو الذى كان قد تدخل فى الاحداث الاخيرة  
لليون تارة مع شانجة السمين ، وتارة ضده .

فلما علم اردون الرابع بنكث شانجة السمين لعهوده مع المسلمين  
مضى الى الحكم المستنصر بالله مبدئيا رغبته فى الصلح معه على أن يساعده فى  
استرجاع ملكه ، فوعده الحكم باعادته ، ولكن شانجة بادر هو الآخر باستمالة  
الحكم وعلان الطاعة له ، وما لبث أن نكث من جديد عندما علم بوفاة  
اردون ، فقام الحكم بمحاربة شانجة ملك ليون ، وهزم فرنان جنثالث  
امير قشتالة فى موقعة شنت اشتين وارغمهما على طلب الصلح . وقد واجه  
شانجة مشاكل عديدة منها قيام Conzalo Sanchez ( غند شلب )  
حاكم جليقية بالاستقلال بعد أن كان قد استولى على ليق وبارو وقلبرية  
مما دفع شانجة الى محاربته ، ولكن غند شلب دس له السم فمات فى عام  
٣٥٦هـ ( ٩٦٦م ) وخلفه ابنه ردميرة الثالث ( ٣٥٦ - ٣٧٢هـ / ٩٦٦  
- ٩٨٢م ) وكان طفلا فى الخامسة من عمره ، لذلك فقد تولت الوصاية  
عليه عمته الراهبة البيرة Elvira ، ولم تستتب الامور فى ليون منذ  
مصرع شانجة السمين مما جعلها تبدأ عصرا جديدا من الفوضى  
والاضطرابات ، فالقوامسة لم يعترفوا بالملك الصغير ، والفتن انتشرت فى  
كل أنحاء البلاد ، والنورمان اخذوا يهددون ساحل جليقية ( ٢ ) .

---

Sanchez - Albornoz, los reinos cristianos, op. cit, p. 22.

( ١ )

Aguado Bleya, op. cit, p. 488.

( ٢ )

٤ - مملكة ليون بعد وفاة شانجة السمين :

قامت الثورات في مملكة ليون وخاصة في ولاية جليقية في أعقاب وفاة شانجة وحاول كثير من الزعماء الاستقلال عن مملكة ليون، وأخذوا يتوجهون الى قرطبة للتفاوض مع خليفة المسلمين <sup>(١)</sup> وكان من أبرز هؤلاء الزعماء فرنان جنثالث <sup>(٢)</sup> الذي استقل بقشتالة ، كما ظل عند شلب Sanchez Gonzalo الذي أقدم على الفتك بشانجة مستقلا في منطقة ليق وبازو وقلمرية . ثم توفي فرنان جنثالث عام ٣٦٠هـ ( ٩٧٠ ) وخلفه في الإمارة ابنه غرسية فرنانث Garcia Fernandez كما توفي عند شلب ملك نبرة في نفس السنة وخلفه ولده سانشو غرسية الثاني Sancho Garcés II Abarca <sup>(٣)</sup> ، الذي زوج ابنته من المنصور فأسلمت وتسمت عبدة ، وقد تنافس هؤلاء الأمراء في اعلان طاعتهم للحكم المستنصر والوفود الى قرطبة ومنهم القمط بوريل الثاني من برشلونة ، الذي كان يمارس الحكم وحده بعد وفاة أخيه ومثريكه في الحكم ميرو عام ٣٥٦هـ ( ٩٦٦م ) ومنهم الملك شانجة غرسية Sancho Garcés II ملك نبرة ، ومعه السيدة البيرة الوصية على الملك الشاب ، ومنهم فرنان لاينث Fernan lainez قومين شلمنقة ، وغرسية فرنانث Garcia Fernández أمير قشتالة وفرناندو أنسورث Fernando Ansurez أمير قشتالة قومس مونثون Monzon (منتشون) وعند شلب ، قومس جليقية ، ورودريجو بلاسكت Rodrigo Velázquez أمير جليقية ، وبني غومث Gómez قمامسة قريون Carrion <sup>(٣)</sup> .

وفي عهد هشام المؤيد وحجاية المنصور بن أبي عامر أبلغ المنصور بقيام خلف متضاد للإسلام في الاندلس يجمع بين ردميرة الثالث وغرسية فرنانث Garcia Fernández وشانجة أبركة Sancho Abarca ملك بنجلونة . فبادر المنصور بالخروج الى طليطلة ، ثم تقدم الى وادي

Lévi - Provençal, op. cit. p. 180.

Sanchez - Albornoz, los reinos cristianos, p. 22

Lévi - Provençal, op. cit, t. II, p. 181.

(١)

(٢)

(٣)

دويره حيث بلغته الاخبار باحتشاد قوات الحلفاء في هذه المنطقة ، وتم الاشتباك في روضة Rueda في ( ٣٧١ هـ ) أغسطس ٩٨١م على مقربة من شنت مانكش ، وأسفر الاشتباك عن كارثة بالنسبة للمتحالفين الثلاثة ، وانتهاز المنصور الفرصة ودخل حصن شنت مانكش ودمره، وتمكن من أسراعداد كبيرة (١) .

وإمام هذه الهزائم المتتالية ، أقدم أشراف ليون في ذلك الوقت على التخلص من ردميرة ، فخلعوه وأقاموا مكانه ابن عمه برمودة Vermudo II بن ردميرة الثالث ، وتم ذلك في عام ٩٧٢م، ولكن ردميرة الثالث لم يسكت على هذا الوضع الجديد فسرعان ما جمع قواته وانصاره ، وأشعل نيران الحرب الاهلية من جديد ، بيدانه تلقى في النهاية هزيمة نكراء من خصومه فر على اثرها الى استرقة محاولا اللجوء الى المنصور ، ولكنه لم يتمكن من ذلك بسبب وفاته المبكرة في ٢٦ يونيو ، وبهذا يكون برمودة قد تخلص من منافسه الوحيد ، وعندئذ بادر هو الآخر الى طلب المساعدة من المنصور الذي امدّه بقوة كبيرة لمساعدته على التخلص من الأشراف ، ولكن برمودة، لم يلبث أن بدل فجأة سياسته مع المنصور ، فطرد الحامية الإسلامية واسترد نفوذه على ليون (٢) ، ولم يتردد المنصور في محاربته ومهاجمة قلعيه وتخريبها تماما بحيث ظلت خربة لمدة سبع سنوات، كما جرد حملة وجهها الى مدينة ليون. اشترك فيها بعض النبلاء والقوامسة ، فتعرضت للدمار وفر منها الملك الى سمورة التي تعرضت هي الاخرى للدمار (٣) مما

---

(١) Sanchez - Albornoz, los reinos cristianos españoles hasta el descubrimiento de América Buenos Aires, 1979, p. 22 - Lévi Provençal, op. cit, p. 235.

وراجع الرواية العربية في ابن عذاري ، البيان ، ج٢ ، ص ٢٥٦ - ٢٨٠ .

(٢) Luis de Valde Avellano, op. cit, p. 229 - Lévi - Provençal, op. cit, p. 242.

(٣) Luis de Valde Avellano. op. cit, p. 250.

دفع برمودة إلى طلب الصلح عام ( ٣٨٥ هـ ) ٩٩٥ م ، ثم توفي برمودة عام ٣٩٠ هـ ( ٩٩٩ م ) وخلفه ابنه الفونسو الخامس النبيل EL NOBLE ( ٣٩٠ هـ - ٤٢٨ هـ / ٩٩٩ - ١٠٣٧ م ) ، وكان قاصرا ، فتولت الوصاية عليه أمه الملكة البيرة والقومص (١) - منندو غنثالث ( مندس ابن غند شكيب ) .

#### ٥ - نشأة مملكة قشتالة :

كانت تقع في أقصى الطرف الشرقي الذي يكاد يكون مهجورا من مملكة ليون ، وتمتد شرقا حتى هضاب بيرة ، ومن ولاية ريوخا Rioja جنوبا حتى الاراضى التي عرفت فيما بعد بأرغون (٢) ، وكانت تسمى بردوليا Bardulia (٣) ثم سميت فيما بعد بقشتالة Castilla ( القلاع عند العرب ) لتعدد القلاع بها ، ويمتاز موقعها بأنه استراتيجى ، للغاية ، فهي على وجه التحديد تقع في جنوب سلاسل جبال قنطابرية وفيه وادى ابرة الأعلى وفي منطقة التماس مع جبال قنطابرية الموحشة وسكانها البشكنس الشرسين الذين لم يقهرهم القوط الغربيون قط (٤) .

وكانت حاضرة قشتالة مدينة أماية Amaya الواقعة على نثر حصين للغاية على ضفة وادى بيسويرجه Pisuerga ، وقد تعرضت هذه المنطقة لهجمات المسلمين العنيفة طوال قرن كامل سواء من جانب القوات القزطبية أو من جماعات المسالة في وادى ابرة الاوسط الذين كانوا يغزونهم يعنون انقطاع سكانها الاصليون من البشكنس وأهل البيرة (٥) . وكان

Aguado Bleye, op. cit. p. 489.

(١) .

(٢) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٥٩٠ .

(٣) Antonio Ramos Oliveira, Historia crítica de España, la edad media, p. 67.

(٤) ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، ص ٦٣ ، السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ص ٣٣٢ .

(٥) Aguado Bleye, op. cit. p. 492. ، محمد عبد الله عنان ، دولة

الاسلام ، ص ٥٩٠ .



لاختلافها في الارض والجنس والتاريخ عن سائر مملكة ليون اكبر الاثر في ايجاد نوع من الشعور بالعصبية والروح الانفصالية التي انتهت فيما بعد بانفصال شعبي لغويا وتشريعيا وادبيا (١) . وقد ثار اهل قشتالة في اوائل القرن العاشر ضد ملوك ليون فحاربهم اردون واخضعهم (٢) . كما سعى فرويلة والفونسو الثالث على اجتذابهم اليها بتزويجهم من سيدات قشتالة (٣) او اعادة تعمير المدن والحصون في قشتالة بعناصر بشكنسية كما حدث في برغش وكاردينا وقلونية وشنت اشتين (٤) وقد تمكنت قشتالة من تحقيق شخصيتها التاريخية في منتصف القرن العاشر الميلادي حين وجدت في القومس القشتالي Fernán González فرنان غنثالث (٥) الرجل الذي سيضع اساس استقلال الكونتية والذي عرف كيف يستغل

Sánchez - Albornoz, p. 22.

(١)

(٢) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٥٩١ .

Aguado Bleye, op. cit, p. 492.

(٣)

Aguado Bleye, Ibid, p. 492 - José Luis Martín, op. cit, p. 108.

(٤)

(٥) هو فردلند في المصادر العربية ابن جثنالو فرنانث Gonzalo Fernández

قومس برغش منذ عام ٢٨٦هـ (٨٩٩م) والذي ورث كونتية قشتالة فيما يقرب من عام ٢٩٨هـ (٩١٠م) من قومس قشتالة السابق نونيو نونيث Nuño Nuñez (٢٨٦ - ٢٩٧هـ) (٨٩٩ - ٩٠٩م) ، عن طريق زواجه من مونيا بنت نونيو Muña . وقد قام جثنالو فرنانث منذ أن تولى كونتية قشتالة بترميم القلاع ، واعداد تعمير البلاد ومن بينها مدينة لارة Lara . ولقد ورث فرنان جثنالث من ابيه بادىء ذي بدء ملكية مدينة لارة وأصبح قومسا لها ، وفي بداية عام ٣٢٠هـ (٩٣٢م) وضع يده على كونتية قشتالة في حياة ابيه ، ولم يلبث أن ألغى لقب قومس من اصحاب الكونتيات القشتالية وقصره على نفسه ، ومنذ سنة ٣٢٠هـ (٩٣٢م) أصبح يضم الى لقبه لقب قومس البة عن طريق زواجه من سانشا ارملة هراميث Herramelliz قومس البة (المتوفى سنة ٣١٩هـ / ٩٣١م) وقد طال عهد قربان جثنالث حتى سنة ٣٦٠هـ (٩٧٠م) وعاصر خمسا من ملوك ليون هم ردميرة الثاني (٣١٨ - ٣٣٩هـ) (٩٣٠ - ٩٥٠م) واردون الثالث (٣٣٩هـ - ٣٤٤هـ) (٩٥٠ - ٩٥٥م) وشانجة الاول (٣٤٤ - ٣٥٦هـ) (٩٥٥ - ٩٦٦م) واردون الرابع (٣٤٧هـ - ٩٥٨م) وزدميرة الثالث (٣٥٦ - ٣٧٢هـ) (٩٦٦ - ٩٨٢م) وتسجل الاربعون

حيويته في ظروف سياسية مواتية ، وهو الذي حشد قواته وانصاره معلنا الحرب على ردميرة الثاني ملك ليون وولده اردون الثالث من بعده ، وكان ردميرة الثاني قد بلغ اوج قوته عقب انتصاره الباهر على المسلمين في وقعة الخندق سنة ٣٢٧هـ ( ٩٣٨هـ ) ، لذا فقد أمكنه الانتصار على فرنان غنثالث بسهولة وتمكن من أسره الى ليون حيث أقام سجيناً نحو عشرة أشهر ، وأقام على حكم قشتالة أسور فرنانديث كونت مونثون Asur Fernandez conde de Monzon ، ثم أسند هذه الكونتية الى ولده سانشو في سنة ٣٣٣هـ ( ٩٤٤م ) مع الابقاء على أسور (١) وأمره بأن يحسن معاملة القشتاليين ، ولكن القشتاليين لم يرضوا عن أميرهم فرنان غنثالث بديلاً ، فواصلوا ثورتهم التي تحولت الى بركان من الغضب جعل مجموعهم الغاضبة تخرج في حشود مرعدة الى ليون ، وعندئذ أطلق ردميرة في ذلك الوقت سراح فردلند ( فرنان جنثالث ) على أن يقسم يمين الولاء والطاعة للملك ليون وأن يتنازل عن كل أملاكه وأن يتزوج ابنة اردون ( اي ابن ردميرة ) أراكه Urraca بنت غنثالث ، فقبل فرنان غنثالث شروطه مرغماً ، وعلى أثر ذلك عاد فرنان جنثالث الى كونتية قشتالة (٢) وعقب وفاة ردميرة الثاني سنة ٣٤٠هـ ( ٩٥١م ) تغيرت أمور قشتالة ، فقد تيسر لفرنان غنثالث ضم كونتيات قشتالة كلها تحت جناحه استعداداً لجعلها إمارة مستقلة نحو منتصف القرن العاشر ، وانتهر فرنان جنثالث فرصة نشوب الحرب الاهلية بين شانجة السمين واردون الرابع ولدى ردميره الثاني واستقل ببلده ، ونصب نفسه اميراً مستقلاً على قشتالة ، وأخذ يوسع أملاكه

عاماً من حكمه أحداثاً خطيرة من صراعات ومنازعات واضطرابات  
( راجع )

Antonio Ramos Oliveira, historia de España, la edad media, p. 66  
72).

Antonio Ramos Oliverira, op. cit, p. 86.

Ibid, p. 86.

(١)

(٢)

على حساب المسلمين <sup>(١)</sup> وفي هذه الاثناء كان شانجة المسلمين قد استنصر عقب جلوسه على عرش ليون بعبد الرحمن الناصر ليدعم نفوذه ، وتولت حمايته الراهبة دونيا البيرة الوصاية على ابنه ردميرة الثالث الملك الطفل وانتهى هذا الملك الصغير هو الاخر باستنصاره بعبد الرحمن الناصر <sup>(٢)</sup> ، وعندما تقابعت اعتداءات فردلند ( فرناني جنثالث ) على اراضي المسلمين لم يتردد الحكم المستنصر في ارسال قواته لوضع حد لهذه الاعتداءات ووقعت بقواته هزيمة نكراء في موقعة شنت اشتيين ٣٥٢ هـ ( ٩٦٢ م ) واضطر الى طلب الصلح ، ثم توالى غزوات المسلمين على اراضي قشتالة قيما بين عامي ٣٥٢ - ٣٥٧ هـ ( ٩٦٣ - ٩٦٧ م ) وسيطر المسلمون على ضفاف دويرة ، وما ان تولي المنصور ابن ابي عامر منصب الجباية في دولة هشام المؤيد حتى ظهرت مواهبه العسكرية وتمكن بفضل انتصاراته الحربية من الظفر بلقب المنصور ، ولم ينقطع عن توجيه ضرباته ضد المسيحية في اسبانيا خلال عقدين من الزمان فقدت الممالك المسيحية اثناءها مخط دويرة ، وفقدت شنت مانكش وسمورة ، وانقذ حلول الشتاء ليون من المسقوط في ايدي المسلمين <sup>(٣)</sup> ، وسقطت عواصم ثلاثة دول مسيحية هامة في يده هي ليون وبنبلونة وبيرشلونة سواها بالارض بدمر منشأتها واسوارها ، ولقيت الكنائس الكبرى في الممالك الثلاث ، بما في ذلك شانت ياقب نفس المصير النعس ، اذ دمرت قواته ضريحها سنة ٣٨٧ هـ ( ٩٩٧ م ) ، وتوفي قومن قشتالة فردلند في يناير عام ٣٩٠ هـ ( ٩٩٠ م ) ، وخلفه ابنه غرنية Garcia Fernández ( ٣٦٠ هـ - ٣٨٥ هـ / ٩٧٠ - ٩٩٥ م ) الذي لم يتردد في محاربة المسلمين ، وتمكن من الاستيلاء على ديشا Deza

١- (١) محمد عبد الله عنان ، دولة الاسلام ، ص ٥٩٤ ،  
Antonio Ramos Oliveira, op. cit, p. 85 - 87,  
Sanchez Albornoz, op. cit, p. 24,  
Jose Luis Martín, op. cit, p. 110. (٢)  
Antonio Ramos, op. cit, p. 97 - Lévi - Provençal, op. cit, II, p. 235. (٣)  
والسيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ،  
ص ٣٣٢ .



كما انتصر عليهم في البريقة (١) Alboreca

وفي سنة ٣٨٥ هـ ( ٩٩٥ م ) اشتبكت قوات المنصور مع قوات غرسية قومس قشتالة في موقعة داوت في السهل الواقع بين لنجة Langa والقصار Alcozer ، وانتهت بانتصار مبرح لقوات المسلمين ، واصيب غرسية بجرح بالغ ، ووقع أسيرا. في يد المنصور ، فصل الى مدينة سالم Medinaceli ومنها الى قرطبة حيث توفي في ٢٩ يوليو من نفس السنة (٢) وخلفه على قشتالة ابنه شانجة غرسية Sancho Garcia حليف المنصور . ثم توفي المنصور في ٣٩٣ هـ ( ١٠٠٢ م ) فخلعت وفاته نصارى اسبانيا من اعدائهم في جزيرة الاندلس ، ولكن ابنه عبد الملك لم يتركهم ينعمون بالراحة ، فقد واصل سياسة ابيه تجاه ممالك اسبانيا المسيحية ، فظل يقاتلهم ويبث الرعب والهلح في قلوبهم بغزواته المتلاحقة ، ولكن مواهبه العسكرية ، كانت اقل من مواهب ابيه ، ولم يفق النصارى من الكابوس الجاثم عليهم الا بقيام اهل قرطبة بالثورة على شنجول في عام ( ٤٠٠ هـ ) ١٠٠٩ م . ولم تستطع مملكتا ليون ونبرة الافادة من المسار الجديد الذي اتخذه التاريخ الاسباني اذ كانا قد عانيا بما فيه الكفاية ، فمملكة ليون كان يحكمها ملك صغير هو الفونسو الخامس كما سبق ان ذكرنا في حين كان يحكم نبرة شانجة الثالث الذي لم يكن يحس باى حافز لمحاربة المسلمين في الوقت الذي استعانت فيه الطائفتان المتصارعتان في قرطبة على السلطان وهما طائفة البربر وطائفة الصقالبة بزعمى قوتين يمكن اعتبارهما من حيث المرتبة السياسية اقل شأنا ، ولكن تتوفر لديهما الجراءة واعنى بهما قشتالة وبرشلونة ، فقشتالة منذ ان انفصلت عن مملكة ليون تمكنت من تدعيم قوتها واعدت نفسها لحياة استقلالية جديدة في ظل حاكم قدير يتمتع بمواهب سياسية وعسكرية واعنى به شانجة بن غرسية Sancho Garcia ٣٨٥ - ٤٠٨ هـ ( ٩٩٥ - ١٠١٧ م ) اما ادواق الثغر الاسباني



الذين عاشوا أحرارا في جنوب البرانس خلال الازمة الكارولنجية ، فقد اخذوا يستشعرون يوما بعد يوم باهتمام خاص نحو مشاكل شبه الجزيرة ، كما بدأوا يتضامنون تدريجيا مع قوى المسيحية في اسبانيا . فكان اقواهم جميعا دوق برشلونة الذي كان يحكم أقوى مدن المنطقة التي ورثت مكانة طركونة المخربة منذ القرن الرابع ، وأمكن لادواقها ضم دوقيات أخرى في المنطقة ، ولم يكن هؤلاء الادواق قد اتموا وحدة بلادهم بعد ، كما أنهم لم يكونوا في قوة القشاليين ، ومع ذلك فقد كانوا يستشعرون بالقوة ويتطلعون الى محاربة المسلمين . ودخل شانجة بن غرسية في سنة ٣٩٩هـ ( ١٠٠٨ م ) ورامون بوريل ( ٣٨٢ - ٤٠٩ هـ ) ( ٩٩٢ - ١٠١٨ م ) Ramón Borrell قرطبة في سنة ٤٠٠هـ ( ١٠٠٩ م ) لمساعدة البربر والصقالبة (١) . وأراد سليمان المستعين بالله ان يدخل قرطبة مع أصحابه البربر لاسقاط المهدي محمد بن هشام ، وتحقيقا لذلك استعان بشانجة بن غرسية بن فرذلند قومس قشتالة ، ويعرف في المصادر العربية بابن مامة دونة (٢) . ولم يتردد قومس قشتالة في اغتنام هذه الفرصة لتدمير المسلمين والانتقام ممن سبق ان اصلوا بلاده نارا حامية ، وتم الاشتباك بين الخصمين المروانيين في ١٣ ربيع اول ٤٠٠هـ ( ٥ نوفمبر ١٠١٠ م ) عند قنتيش (٣) .

ووجدت قوات القشاليين وهم نحو ٦٠٠ فارس نفسها داخل المدينة التي طالما تلقوا منها الضربات العنيفة ، وتحقق لقشتالة عودة حدود اراضيها عند نهر دويرة كنتيجة طبيعية لمساعداتها لسليمان (٤) ، بل

(١) Sanchez - Albornoz, op. cit, p. 26.

(٢) هو تحريف من موما دومنا Mumma Donna وهو اسم جدة شانجة ورام فرذلند عند شلب Fernán González

Lévi - Provençal, Histoire t, II. p. 308, note 1.

(٣) ابن بسام ، الذخيرة ، القسم الاول ، المجلد الاول ص ٤٣ .  
(٤) استرد قومس قشتالة أكثر من مائتي موضع وقلعة وفقا لاتفاقية عقدها مع سليمان المستعين منها قلوونية وأوسمة وغرماج وشنت اشتيبين وشقوبية .

تجاوزت قشتالة هذا الحد واتخذت مواقع جديدة جنوبى هذا النهر تتمثل في سوبولفيدا Sepulveda وأبله Avila ، واتيح لقومس قشتالة اقامة المؤسسات الشعبية في البلاد ، وشرع في نهج سياسة قيادية وذلك بتزويج بناته من ملوك اسبانيا المسيحية من برشلونة حتى ليون ، وصعدت قشتالة بذلك على مسرح التاريخ .

وكان واضح الفتى قد خرج بعد قراره من قرطبة الى مدينة سالم ثم الى طرطوشة Tortosa واتفق مع قومس برشلونة ريموند بوريل الثالث واخيه ارمنجول Armengol de Urgel ويسميه العرب ارمقند على ان يساعده عسكريا نظير تخليه لهم عن مدينة سالم قاعدة الثغر الاوسط ، فدخلها القطلان وحولوا جامعها الى كنيسة ، ثم زحف بقوة منهم عددتهم تسعة آلاف (١) ، بالاضافة الى ثلاثين الفا من اتباعه ، واشتبكت قواته عند عقبة البقر (٢) وهو موضع يقع على بعد ٢٠ كم شمال قرطبة في ٤٠١ هـ ( يونيو ١٠١٠ م ) ، فانهزم سليمان المستعين وجيشه ، ولكن القطلان دفعوا ثمن اشتراكهم في هذه الغزوة ، فقتل منهم عدد كبير في مقدمتهم ارمقند نفسه (٣) ثم توفى شانجة قومس قشتالة في ٤٠٨ هـ ( ٥ فبراير ١٠١٧ م ) تاركا رعيته في حالة سيئة من الاضطراب والارتباك وخلفه ولده غرسية وكان صبيا في الخامسة من عمره .

#### ٦ - اسبانيا في عهد شانجة الكبير وابنه فردلاند الاول :

من خلال عرضنا السابق لاجوال الممالك المسيحية يتضح انه في اواخر القرن العاشر الميلادي كانت هناك ثلاثة ممالك مسيحية :

(١) ابن عذارى ، البيان ، ج٣ ، ص ٩٦ .  
Dozy, Histoire des Musulmans d'Espagne, t. II, p 297 - Lévi -  
Provençal, histoire de l'Espagne, op. cit, t. II, p. 313.

وأنظر بسالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٣٥٣  
Antonio Ramos Oliveira, op. cit, p. 102. (٢)

(٣) عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٣٥٣ .

الاولى : نافار ( نبرة ) اكثر تلك الممالك الثلاث اتساعا لاشتمالها على ولايات قنطابرية وموير اربى Sobrarbe ، وريبيا جورثه ، Ribagorza وقد حكم نبرة الملك شانجة الثالث الكبير Sancho Garcés el Mayor عقب وفاة حاكمها غرسية سانثيث عام ٣٩١ هـ ( ١٠٠٠ م ) .

والثانية : ليون التى توفى ملكها برمودة الثانى Vermudo II فى ٣٩٠ هـ ( ٩٩٩ م ) تاركا حكم بلاده الى ولده الطفل الفونسو الخامس الذى كان يتولى الوصاية عليه مندس غند شلب . Menendo González . قومن جليقية واحد اكابر المملكة .

والثالثة : مملكة قشتالة التى كان يحكمها منذ عام ٣٨٥ هـ ( ٩٩٥ م ) شانجة بن غرسية بن فردلند ، وقد حكم شانجة حتى عام ٤٠٨ هـ ( ١٠١٧ م ) . ثم خلفه ولده غرسية ، الذى سقط صريعا فى ٤٢٠ هـ ( ١٣ مايو ١٠٢٩ م ) امام رولق كنيمة سان خوان بليون اثناء زواجه من اخت ملكها يوموده الثالث . Vermudo III بن الفونسو الخامس ، وقتله ابناء Vela أحد الكونتات الذين كانوا يسمعون الى الانتقام من غرسية لاغتصابه املاكهم ، ومات غرسية دون ان يعقب مما ترتب عليه نتائج خطيرة فى مستقبل الممالك المسيحية . باسبانيا ، فقد اسرع شانجة الكبير ملك نبرة بضم قشتالة الى مملكته ، ونصب عليها ولده فردلند Fernando ملكا ، فاصبح فرناندو بذلك اول ملوك قشتالة ، وكانت نجة شانجة الكبير فى هذا ان زوجته ام فردلند هى البيرة اخت غرسية من ابيه شانجة غرسية ، ولهذا كان يحق لها وراثة العرش فى قشتالة مما مكن زوجها شانجة الكبير من تنصيب ابنه ملكا على هذه المملكة وراثة عن امه وبالتالى عن جده فى حين تلقب شانجة الكبير بملك اسبانيا (١) .

---

(١) Julio Valdeon, *Aproximación histórica a Castilla y León*, P. 44 .  
Antonio Ramos Oliveira, *op. cit.*, p. 107 y 59 .

هذا عن اخبار نبرة وقشتالة، أما عن مملكة ليون فقد حكمها الفونسو الخامس حتى وفاته في ٤ يوليو ١٠٢٨ م<sup>(١)</sup> ( ٤١٩ هـ ) ، اثناس حصاره لمدينة بيزيو Viseo حين فاجاه احد المسلمين بسهم مسموم ادى الى وفاته ، وخلفه على عرش ليون ابنه برمودة الثالث ، الذى كان قد صاهر فردلند بن شانجة ملك قشتالة بزواجه من اخته تيريسا مما زاد من اطماع فردلند ملك قشتالة ، وشانجة الثالث والده في مملكة ليون ، لاسيما وان برمودة الثالث كان لايتجاوز الحادية عشرة سنة من عمره ، وبالفعل بادر شانجة بالزحف بقواته الى ليون في صحبة غرسية قومس قشتالة الشاب الذى لقى حتفه مسموما ، وفتحها في ٤٢٠ هـ (مايو ١٠٢٩ م) واعلن نفسه ملكا عليها ، في الوقت الذى اضطر فيه برمودة الى الفرار ، ولم يلبث شانجة ان قرر محاربة برمودة ، وقامت الحرب بينهما في ٤٢٥ هـ ( ١٠٣٣ م ) ثم واصل فردلند بن شانجة الحرب التى بداها ابوه فاشتبك مع برمودة في سنة ٤٢٩ هـ ( ١٠٣٧ م ) في موقعة تمارون ( بعد وفاة شانجة الكبير بعامين ) وفي هذه الموقعة الحاسمة سقط برمودة صريعا<sup>(٢)</sup> ومات دون ان يعقب ، وبذلك استكمل فردلند الاول استيلاءه على مملكة ليون بحكم المصاهرة والوراثة<sup>(٣)</sup> ، وتلقب بالامبراطور سنة ٤٣٠ هـ ( ١٠٣٨ م ) Rex Imperator ، وتلقبت زوجته سانشا بالملكة الامبراطورة Regina Imperatrice<sup>(٤)</sup> .

كان شانجة الكبير ملك نبرة قد قسم مملكته قبل وفاته سنة ٤٢٧ هـ ( ١٠٣٥ م ) بين ابنائه الاربعة ، فكانت نبرة من نصيب ابنه الاكبر غرسية ،

---

(١) يخطيء الاستاذ محمد عبد الله عنان في تحديد سنة وفاته فيجعلها في سنة ٤١٨ هـ ( ١٠٢٧ م ) في حين تجمع المصادر المسيحية على التاريخ المثبت بالمتن .

Antonio Ballesteros Beretta, op. cit, p 64.

Antonio Ballesteros, sintesis de historia de España, p 65 - Antonio (٣)

Ramos oliveira, op. cit, p. 109.

محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٧٨

Aguado Bleye, op. cit, p. 594.

(٤)



اما فردلند الاول فقد حظى بمملكة قشتالة <sup>(١)</sup> وقسم من مملكة ليون ( ٤٢٧ - ٤٥٨ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٦٥ م ) ، وابنه الثالث غند شلب Gonzalo فقد آلت اليه ولايتى Sobrarbe سويرارى ، وريباجورتبا Ribagorza في منطقة البرانس الوسطى ، واخيرا منح ردميره ابنه غير الشرعى رقعة ضئيلة تمتد بحذاء نبرة تسمى مملكة ارغون <sup>(٢)</sup> ( ٤٢٧ - ٤٥٥ هـ / ١٠٣٥ - ١٠٦٣ م ) وسجل ذلك مولد مملكتين هما قشتالة في الغرب وارغون في الشرق <sup>(٣)</sup> .

ومن الجدير بالذكر ان مملكة قشتالة كانت بالنسبة لشانجة الاكبر المنطلق الحى والرئيسى للاسترداد المسيحى ولقيام اسبانيا الكبرى وهو فكر يتعارض مع ايدلوجية ملوك اشتوريس وليون الذين ارادوا الاستئثار وحدهم باسترداد اسبانيا واحياء مملكة القوط البائدة كلها ، ولهذا تلقب ملوكها بلقب الامبراطور ، وقد ظهر قوامسة قشتالة بالنسبة لهم كعصاة مارقين ، ولكن عصيان فرنان جونتالث كان ضرورة حتمها العصر والوضع المناسب الذى فرضته الظروف في الغرب الاوروبى كله ، ومن الادلة التى تثبت ان اتجاه قومس قشتالة نحو الاستقلال لم يكن تحركه الانانية او الشعور بالقومية الاقليمية ان قشتالة تحملت على عاتقها مسؤوليات الحرب ضد اهل الاندلس ، وانها بذلت كل طاقاتها لدعم هذه الفكرة ، وعندما ورث شانجة الاكبر كونتية قشتالة تلقب باللقب الامبراطورى امام امبراطور ليون ، وعندما وزع فردلند الاول مملكته الواسعة في سنة ٤٥٨ هـ ( ١٠٦٥ م ) على بنيه خص ابنه الاكبر بقشتالة كرمز للزعامة على اخوته الآخرين ، وقد

---

(١) Julio Valdeon, Aproximación histórica a Castilla y León p. 44. . . . .  
ويذكر بعض المؤرخين الاسبان المحدثين ان فردلند لم يكن ليصبح ملكا لو انه لم يدخل مدينة ليون بالاضافة الى زواجه من أخت بزمودة الثالث الذى قتل في سنة ٤٢٩ هـ ( ١٠٣٧ م ) في سهول تمارون (Ibid, p. 54)

(٢) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ص ٩ - ١٠ .

Aguado Bleye, op. cit, p. 593.

(٣)

فعل الفونسو السابع في ٥٤١هـ. ( ١١٤٦ م ) نفس الشيء عندما ترك قشتالة لشانجة الثالث وهو ابنه الأكبر بينما ترك لفرناندو الثاني مملكة ليون الهرمة . وسيتبلور تفوق قشتالة للأبد في سنة ٦٢٨هـ ( ١٢٣٠ م ) عندما اتحدت مع ليون التي ما لبثت أن تقشلت بعرق، وأصبحت قشتالة ترمز لاسبانيا كلها، وهتاك مثل صارخ يعبر عن ذلك ، فعندما خرج خايمي الأول ملك أرغون لمساعدة الفونسو العاشر في اخماد ثورة المسلمين في مرسية ، لم يجد خايمي، لا قناع باروناتا بالموافقة على تلك المساعدة بعد ان عرضوا عن تقديمها سوى أن يقول لهم كما نطالع في مدونته : لابد من تقديم العون لانقاذ اسبانيا - *Per salvar Espanya* الممثلة في مملكة قشتالة التي انقذت الجميع من المرابطين والتي دفعت الجميع لمواجهة الموحدين (١) .

وحدث ان قتل غند شلب ملك سوبراربي وريباجورثا اثناء عودته من رحلة صيد في عام ٤٣٠هـ ( ١٠٣٨ م ) فنصب شعب هذه المملكة اخاه ردميرة أمير أرغون حاكما عليهم (٢) في الوقت الذي انصرف فيه ابناء شانجة الكبير الآخرين في أمور أخرى غير سوبراربي وريباجورثا . ولم يلبث ان يلقب ردميره بلقب الامبراطور ردميره الاول .

ولكن ردميره لم يقنع بحكم أرغون وسوبراربي معا ، بل زاده ذلك طمعا في مزيد من التوسع ، فتطلع الى حكم نبرة نفسها وتحالف مع المستعين بالله سليمان بن هود صاحب سرقسطة ( ٤٣١ - ٤٣٨ هـ ) ( ١٠٣٩ - ١٠٤٦ م ) ، واتجه على رأس قواته يساعده في ذلك ابن هود الى نبرة ، ولكنه تلقى هزيمة حاسمة قتل فيها معظم جيشه ومعظم حلفائه من المسلمين ، وكان ذلك في عام ٤٣٤هـ ( ١٠٤٢ م ) ، وهرب ردميره الى جبال سوبراربي حيث أمضى عدة سنوات ، يعد فيها عدته ويعيد تنظيم صفوفه لاسترجاع أملاكه من جديد .

Aguade Bleye, op. cit, p. 593 - 594.

(١)

Luis Valdevellano, historia de España, t II, p. 273.

Aguado Bleye, op. cit, p. 503.

(٢)

وفي ذلك الحين كان الصراع بين نبوة وقشتالة قد بلغ أوجه ، فقد كان غرسية ملك نبوة وهو الاخ الأكبر يشعر بالحقد والغيرة من اخيه فردلند الاول الذي أصبح اول ملك على قشتالة وليون ، ودفع الحسد غرسية الى تدبير مؤامرة لقتل فردلند ، فقد أرسل يطلب الاجتماع به بحجة مرضه الشديد واشرافه على الموت ، ولكن خبر هذه المؤامرة بلغ فردلند قبل رحيله لزيارة اخيه ، فبادر بالعودة على عجلة الى برغش ، الا ان فردلند رد على هذه المؤامرة بأخرى بعد مرور عدة سنوات على مؤامرة اخيه غرسية ، فقد دعاه لزيارته بقشتالة ، وحين أصبح غرسية داخل قشتالة أمر فردلند بالقبض عليه وزج به في احدى القلاع حيث ظل معتقلا الى ان تمكن من الفرار الى نبوة ، ومع ذلك كله فقد تميز فردلند بكم خلة وطيب عنصره ، وكان افضل من اخيه غرسية ، وليس ادل على ذلك من انه لما احتدمت الحرب بينهما وانضم الى غرسية اخوه ردميره ملك نبوة بعد ان انهى خلافاته معه كما انضم اليهما ايضا ابن هود حاول فردلند اكثر من مرة أن يتجنب الحرب بينه وبين اخيه ، فقد أرسل اليه رسلا من قبله ومنهم راهب سيلوس El abad de Silos وسانتو دومنغو Santo Domingo ، يدعوونه الى الصلح ، ولكن هذه الوساطات لم تؤد الى نتيجة ، وانتهت الحرب التي نشبت بين فردلند ملك ليون وقشتالة من جهة وبين اخويه غرسية وريدميره مع حليفهما المسلم أحمد بن سليمان بن هود من جهة أخرى بهزيمة غرسية ومقتله في موقعة اتابوركا Atapuerca التي تبعد نحو ١٨ كم شرقي برغش (١) . في اول سبتمبر ٤٤٦ هـ ( ١٠٥٤ م ) ورغم ذلك فان فرناندو أميريان يكرم جثمان اخيه وان يدفن في كنيسة ناجرة ، كما انه لم يستول على مملكة نبوة رغم انتصاره على اخيه غرسية ملكها السابق ، وانما وافق على تنصيب شانجة ابن اخيه القليل غرسية على عرش نبوة ليحافظ على ملك ابيه

السابق (١) .

ثم تطورت الامور في شبه الجزيرة تطورا حاسما في هذه الفترة، فقد كان المسلمون في الاندلس في حالة يرثى لها من التفكك والتدهور وعدم الاستقرار السياسي، فقد انهارت الخلافة الاموية في قرطبة، وتمزقت وحدة الاندلس الى دويلات صغيرة مستقلة عرفت بدويلات الطوائف (٢)، واخذت هذه الدويلات تتطاحن فيما بينها وتستعين احداها على الاخرى بالقوى المسيحية التي اصبحت تمثل مراكز القوة في البلاد، وبعد ان كان الاسبان يحتكمون الى خليفة قرطبة فيما شجر بينهم من خلافات، انقلب الوضع، واصبح المسلمون يستعينون بالقوى المسيحية لتحقيق مآربهم . ولم يكن تدخل اسبانيا المسيحية في خلافات المسلمين يتم بلا مقابل فقد اشترطوا نظير تقديم خدماتهم بأن يتنازل لهم المسلمون عن اراض وحصون وأن يدفعوا لهم جزيات واتاوات سنوية (٣)، وكانت هذه التنازلات من جانب المسلمين عاملا في انجسار السيطرة الاسلامية في الاندلس الى الجنوب وتنشيط حركة الاسترداد الاسباني .

ويعتبر فرناندو الاول ملك قشتالة وليون، رائد هذه الحركة منذ ان تفرغ لهذا الهدف بعد ان صفى الصراع الداخلي بينه وبين اخوته، ومن المعروف انه بدأ حملاته ضد المسلمين في ٤٤٧ هـ ( ١٠٥٥ م )، فقد تمكن من الاستيلاء على بيزيو Viseo وليمق Lamego الواقعتين على وادي دويره، في سنة ٤٤٩ هـ ( ١٠٥٧ م ) وكانتا تتبعان مملكة المظفر بن الافطس صاحب سبظلهوس، كما انتزع من المقتدر بالله بن هود صاحب سرقسطة شنت اشتين وحصونا اخري، وعندما اغار على ضفاف وادي تاجة شمالي مملكة بنى

Menendez - Pidal, España del Cid, op: cit, p. 122 - 123:

(١)

Lévi - Provençal, l'Espagne musulmane au xe siècle, p. 19 - 20:

(٢)

Isidro de las Cagigas, Andalucía musulmana, Madrid, 1950, p. 34.

(٣) محمد العزيز سالم، قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس، ج ١، ص



ذى النون بطليطلة خرج اليه صاحبها ، وقدم له جملة من الهدايا النفيسة ، واعلن تبعيته له ، وتعهد بدفع اتاوة سنوية . وكذلك فعل المعتضد بالله صاحب اشبيلية فى سنة ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٣ م ) . وفى الغام التالى حاصر فردلند الاول مدينة قلمرية واستولى عليها (١) بعد مضى ٦ أشهر من الحصار ، وفرض الملك القشتالى على اهلها اخلاء الاراضى الواقعة ما بين وادى دويرة ووادى منديق (٢) وعلى اثر ذلك حول فردلند أسلحته نحو مملكة بلنسية (٣) .

وعند وفاته قسم فردلند الاول مملكته العريضة بين ابنائه ، فظفر اكبرهم شانجة الثالث بمملكة قشتالة واتاوة سرقسطة ، أما الفونسو السادس الاثير لديه فقد ورث مملكة ليون واتاوة طليطلة ، فى حين خص الابن الثالث غرسية بجليقية وماتكون من بلاد البرتغال بالاضافة الى اتاوات اشبيلية وبطليوس (٤) . ومن الغريب الا يرضى شانجة ولا الفونسو السادس بهذا التقسيم . فقد دخل الفونسو السادس فى حرب مع اخيه شانجة الثانى كما خالف الفونسو قرار توزيع التركة الذى وضعه ابوه واغار فى

(١) كلف الاستيلاء على قلمرية فى ٤٥٧ هـ ( ١٠٦٤ م ) فردلند الاول ثمنا باهظا للغاية ، وكان الفونسو الثالث قد حققه قبل ذلك بقرنين ٣٦٥ هـ ( ٨٧٨ م ) ولكن خيرة فردلند السياسية ، حركته للشروع فى سياسة مختلفة مع ملوك الطوائف ، فكان فى امكان قوات ليون وقشتالة اجتياح الاراضى الاسلامية وتمزيقها ، ومهاجمة القرى والضياع ونهبها ولكن دون السيطرة على المدن الكبرى ، وكان ملوك الطوائف يرون مزارعهم تنتسف ومواشيهم تنهب ، وكانوا يرهبون دائما هجمات فردلند فى العمق ، وللتخلص من هذه الهجمات كانوا يلوذون بالجزيات أو الاتاوات يدفعونها الى هذا الملك المسيحى يشترى بها سلامهم ، فكان فرناندو الاول يتسلمها من بطليوس وطليطلة واشبيلية وسرقسطة ، هذه الاتاوات كان لها اعظم الاثر فى تهدئة حركة الاسترداد والتاثير على التحرك السياسى الداخلى للمملكة .

(٢) Menéndez Pidal, op. cit, t. I, p. 145 - 146 Aguado Bloye, op. cit,

p. 599.

(٣) Aguado Bloye, Ibid, p. 595.

(٤) اشباخ ، تاريخ الاندلس ( ترجمة محمد عبد الله عنان ، ص ٢٠٠ )

٤٦١ هـ ( ١٠٦٨ م ) على املك اخيه غرسية صاحب جليقية ، وكان اضعف  
ابناء فردلند الاول . فغزا بلاد بنى الافطس في بطليوس . ولم يلبث  
شانجة والفونسو ان اتفقا على تقسيم مملكة اخيهما غرسية بينما نفيا  
غرسية الى اشبيلية . ولكن الاخوين شانجة والفونسو سرعان ما اختلفا من  
جديد واشتبكا في معركة ضارية في يناير ٤٦٥ هـ ( ١٠٧٢ م ) على مقربة  
من سهول القريون Carrion وانتهت بهزيمة الفونسو السادس الذى وقع  
في اسر اخيه ولم يلبث شانجة ان توج ملكا في نفس السنة على ليون .  
ثم توسطت اخته الاميرة اراكه للافراج عن الفونسو ونفيه الى طليطلة  
حيث استقبله المأمون بن ذى النون استقبالا حافلا (١) . وحدث اثناء  
حصار شانجة الثانى لسمورة التى كانت تابعة لالفونسو السادس ان خرج  
اليه فارس من فرسان ليون وقتله ، فى ٧ اكتوبر ٤٦٥ هـ ( ١٠٧٢ م ) ،  
وعلى اثر ذلك استقدم الفونسو السادس من طليطلة الى ليون حيث  
اعترفوا به ملكا على قشتالة بالاضافة الى مملكة ليون وجليقية .

١ وفى سنة ٤٦٩ هـ ( ٤ يونيو ١٠٧٦ م ) اغتيل شانجة الرابع ملك نبرة  
غدرا بايعاز من اخيه . الاصغر ، وعلى اثر ذلك طالب سكان ريوخا  
بالتبعية لالفونسو السادس ، واستقدموا الملك القشتالى لمبايعته ، وتم ذلك  
فى نفس العام . وفى بداية ٤٧٠ هـ ( ١٠٧٧ م ) تلقب الفونسو السادس  
بامبراطور اسبانيا كلها (٢) . وكان استيلاء الفونسو على طليطلة سنة  
٤٧٨ هـ فى ( ٢٥ مايو ١٠٨٥ م ) نذيرا خطيرا للملك الطوائف فى الاندلس  
الذين استنصروا بيوسف بن تاشفين امير المرابطين فى المغرب ، ولم يتردد  
ابن تاشفين فى نصرة الاسلام فى الاندلس ، فعبر البحر وانضمت قوات  
الاندلس الى قوات المغرب وتقدمت جميعا الى بطليوس حيث دارت فى

---

( ١ ) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٩٠  
Aguado Bloye, p. 599.

( ٢ ) عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٣٨٤ .

سهلها المعروف بالزلاقة معركة فاصلة في رجب ٤٧٩ هـ. ( أكتوبر ١٠٨٦ م ) دارت فيها الدائرة على الفونسو السادس وحلفائه من ملوك ونبلاء اسبانيا المسيحية (١) ، وفي الاعوام التالية ثبت المرابطون اقدامهم في سائر اسبانيا الاسلامية ، كما احرزوا عدة انتصارات على القشتاليين في قنشوجرة في ٤٩١ هـ. ( ١٥ أغسطس ١٠٩٧ م ) وفي اقلش ٥٠٢ هـ. ( ١٠٨٠ م ) (٢) ، ومع ذلك فقد امكن لالفونسو السادس ان يحرز بعض الامتيازات في اراضي الاندلس وذلك عندما بدأ ملوك الطوائف يعملون معه ضد بقاء قوات المرابطين في الاندلس لاسيما بعد ان بدأ هؤلاء يخططون لخلع ملوك الطوائف عن عروشهم ، فالت الى الفونسو عدة مدن من غرب الاندلس منها شنترين ولشبونة وشنترية في ٤٨٦ هـ ( ١٠٩٣ م ) (٣) .

#### ٥ - قيام مملكة ارغون :

بعد مضرع ردمير الاول ملك ارغون في معركة جراوس Graus في سنة ٤٥٥ هـ ( ١٠٦٣ م ) انتقلت مملكة ارغون الى ولده شانجة ردميره Sancho Ramirez ( ٤٥٥ - ٤٨٧ هـ / ١٠٦٣ - ١٠٩٤ م ) الذي اصبح ملكا على نبرة ايضا منذ سنة ٤٦٩ هـ ( ١٠٧٦ م ) : على اثر مضرع الملك شانجة الرابع في كمين أعدته اخته ارموزندة مع اخيه ريمند .

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة راجع مؤرخ مجهول ، الحل الموشية ، تحقيق سهيل زكار وزمارة ، ص ٦٠ - ٦٦ ، ابن الخطيب ، أعمال الاعلام ، القسم الثالث ص ٢٤٢ ،

Menendez Pidal, la España del Cid, t. I, P 328 341, Ambrosio, Huici Miranda, la invasión de los Almoravides; y la batalla de Zallaca, Hesperis; t, xl, 1953, p. 40.

حسن محمود ، قيام دولة المرابطين صفحة مشرقة من تاريخ المغرب في العصور الوسطى ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٢٧٣ - ٢٨٨ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، الجزء الثاني ، بيروت ١٩٨٤ ، ص ٧٢٠ الى ٧٢٧ .

(٢) ليفي بروفنسال ، الاسلام في المغرب والاندلس ، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٥١ - ١٦٤ .

Aguado Bleye op. cit, p. 603.

(٣)



وقد قام سانشو ريميرث ملك أرغون بحصار منتشون Monzon في مملكة  
 مرسطة عام ٤٨٧ هـ ( ١٠٨٩ م ) وتمكن من الاستيلاء عليها (١) ، ثم  
 رحل إلى وشقة Huesca لحصارها. وهناك توفي تحت أسوارها فخلفه  
 ولده بطره الاول Pedro ( ٤٨٧ - ٤٩٨ هـ ) ( ١٠٩٤ - ١١٠٤ م ) على  
 عرش البلاد وتابع الحصار ، فاستغاث المستعين بالله بن هود بالملك  
 القشتالي الفونسو السادس ، ولكنه انهزم هزيمة قكراء وهو والقونسو في  
 بلدة الكراث Alcoraz سنة ٤٩٠ هـ ( ١٠٩٦ م ) أمام ضربات الأراغويين  
 وسقطت وشقة في يد ملك أرغون سنة ٤٩٠ هـ ( ١٠٩٦ م ) .

وفي سنة ٤٩٥ هـ ( ١١٠١ م ) استرد بطره الاول نهائيا مدينة  
 بريتشر (٢) ، وواصل تغلبه على حصون المسلمين حتى وفاته في عام  
 ٤٩٨ هـ ( ١١٠٤ م ) وخلفه أخوه الفونسو سانث Alfonso Sanchez

Aguado Bleye, p. 628.

(١) كانت قد سقطت في يد شانجة بن رذمير Sancho Ramirez في عام  
 ٤٥٧ هـ ( أغسطس ١٠٦٤ م ) إثر حصار صليبي عنيف شاركت فيه  
 قوات أوربية بدعوة من البابا اسكندر الثاني في سنة ٤٥٦ هـ ( ١٠٦٣ م )  
 ومن أمراء هذه الحملة الصليبية وليم كونت بواتيه ، ودوق أقطانية  
 وبعض النبلاء من البيت النورمندي برئاسة روبرت كريسين  
 Robert Crespin وبعض الإيطاليين برئاسة وليم دي مونترى De Montruil  
 وأرمند Armengol III دوق أورخيل (قطالونيا) وأسقف بيش  
 Vich ( راجع تفاصيل سقوط بريتشر وما ارتكبته الصليبيون من  
 جرائم يندى لها الجبين في ٤٥٧ هـ ( ١٠٦٤ م ) في : ابن عذاري البيان ،  
 ج ٣ ، ص ٢٢٥ - ٢٢٧ ، الحل الموشية ، ص ٧٦ ،

Menéndez - Pidal, la España del Cid, t. I; p 148 - 150).

ولكن سقوط بريتشر أثار غضب الاسلام في الأندلس ، فتصدى المقتدر  
 بالله بن هود لاسترجاعها ، واستنفر للجهاد سائر بلاد الأندلس ،  
 فتقدمت أعداد كبيرة من مختلف الجهات ، بلغ عددهم ستة آلاف  
 من الزماة والعقارة ، وشارك المعتضد بالله صاحب أشبيلية بفرقة من  
 الفرمان غلظتها ٥٠٠ فارس ، وتمكن ابن هود بفضل ذلك من استردادها  
 في نفس السنة التي سقطت فيها ( راجع ابن عذاري ، البيان ، ج ٣  
 ص ٢٢٧ )

Aguado Bleye, Manual, p. 627.



الأول الملقب بالمحارب (١) ، ( ٤٩٨ - ٥٢٩ هـ ) ( ١١٠٤ - ١١٣٤ م ) المعروف في المصادر العربية بابن رخمير (٢) ، وقد تزوج الفونسو فيما بعد باراقة بنت الفونسو السادس ، ولهذا فقد ورث سائر ممالك اسبانيا (٣) .

## ٦ - مملكة قشتالة وأراغون بعد وفاة الفونسو السادس وبداية ظهور مملكة البرتغال :

قبل وفاة الفونسو السادس في طليطلة في ٥٠٣ هـ ( ٣٠ يونيو ١١٠٩ م ) عمل على تزويج ابنته أراكة من الفونسو الأول ملك أراغون ، وكانت فيما سبق زوجة للكونت ريمون البورجونى كونت جليقية وابنته غير الشرعية تيريسا من هنرى البورجونى مع منحهما ولاية لجداية التي كان قد انتزعها من المسلمين وستصبح هذه الولاية نواة لمملكة البرتغال .

وقد تم زواج أراكة من الفونسو الأول في حصن Muño بالقرب من برغش في سنة ٥٠٣ هـ ( سبتمبر ١١٠٩ م ) ولكنها كانت زيجة فاشلة

---

(١) ولد في ٤٦٦ هـ ( ١٠٧٣ م ) ، وكان ثمرة زواج شانجة راميرث من فيليثيا دي روكى Felicia de Roucy ، اعتلى عرش أراغون بعد وفاة أخيه بطرة الأول في ٤٩٨ هـ ( ١١٠٤ م ) . وأخذ الفونسو يظهر منذ وفاة الأمير شانجة بن الفونسو السادس من زائدة المسلمة في إقليش ، الرجل القوى الوحيد في أسبانيا المسيحية ( ولزيد من التفاصيل عن الفونسو المحارب أنظر

Jose Maria Lacarra, Alfonso el batallador, coleccion Basica Aragonesa, Zaragoza, 1978).

(٢) ابن عذارى ، البيان ، ج ٤ ، ص ٧٠ ، ٧١ ، ابن القبطان ، جزء من كتاب نظم الجنان تحقيق د . محمود على مكى ، الرباط ، ص ١٠٩ ، الحل الموشية ، ص ٩١ ، ابن الخطيب ، كتاب الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق الأستاذ محمد عبد الله عنان ج ١ ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ١٠٨ ، ص ١٠٩ .

(٣) محمد عبد الله عنان ، دول الطوائف ، ص ٤٠٥ ، ٤٠٦ ، Aguado Bleye, op. cit, p. 628.

لاختلاف الطباع بين الزوجين ، وقد جلبت هذه الخلافات بينهما الخراب والحروب الاهلية بين قشتالة وليون وجليقية وارغون ، ووصل الخلاف بين الزوجين الى حد الحروب العاصفة بل ان خلافا بين اراكة وابنها. الطفل الفونسو ريمونديس Alfonso Raimundez من زوجها الاول قد نشب أثناء حربها لزوجها الفونسو المحارب ملك ارغون ، وانضم هنري البورجونى امير البرتغال وزوج اختها تيريسا الى صف ملك ارغون ضدها وان كانت تيريسا قد انضمت في مرحلة من مراحل الحرب الى جانب اختها في مقابل اراضى تنازلت اراكة لها عنها ، كذلك تدخلت البابوية في هذه الحروب اكثر من مرة ، مرة حين عين البابا كالستوس الثانى احد اعوان اراكة وهو الاسقف ديجو خلمريت<sup>(١)</sup> مطرانا ، ومرة حين اصدر البابا قرارا ببطان زواج اراكة من الفونسو المحارب لشدة القرابة بين الزوجين ، ولم تنته تلك الحروب الاهلية الا بوفاة اراكة سنة ٥٢٠هـ ( ١١٢٦م ) تلك الملكة التي وصفها كثير من المصادر الاسبانية بانها سيئة الطباع ومستهترة في سلوكها لم تحترم نفسها كزوجة او كام ، بعد ان ظلت تعتلى عرش ابيها الفونسو السادس مدة عشرين عاما حاربت خلالها ابنها الوحيد الفونسو ريمونديس ، بعد ان رفضت اعلانه ملكا على البلاد ، كما حاربت زوجها الفونسو الاول ملك ارغون. وحين توفيت اعلن ولدها الفونسو ريمونديس نفسه ملكا على قشتالة وليون وسائر الاراضى التي حكمها جده الفونسو السادس وتلقب بالامبراطور الفونسو السابع<sup>(٢)</sup> ، وعرف في المصياير العربية

(١) ديجو خلمريت : كان مسقفا لشانت ياقب منذ عام ٤٩٥هـ ( ١١٠١م ) ، وصفته المراجع بأنه كان شديد الحزم ، كثير الاطماع ، شغوبا بتوسيع سلطانه وحقوق كنيسته مع عدم اهتمامه بالوسيلة التي يتم بها ذلك ، وقد كان يتماشى مع سير الاحداث فكان تارة صديقا لارাকে ثم تخلى عنها ، وتارة مع اختها تيريسا اميرة البرتغال ، وتارة عدوا لها ، ومرة ينحاز في صف الصغرى الفونسو ريمونديس ثم ينقلب عليه مرة اخرى ( انظر Aguado Bleye, p. 621 - يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ١٥٠ - ١٦٠ ، محمد عبيد الله عنان ، عصر المرابطين ، ص ٤٨٢ )

(٢) يزيد من التفاصيل جول عهد اوراكا انظر Aguado Bleye, p. 618

بالتسليطين (١): (٥٢٠ - ٥٥٣ هـ / ١١٢٦ م - ١١٥٧ م). وفيه بدأت في حكم قشتالة أسرة جديدة هي أسرة بورجونيا: Borgofia. استمرت حتى ١٣٦٩ م (١) .

## ٧ - الممالك الاسبانية النصرانية في عهد الفونسو السابع :

توفي الفونسو المخارب (٢) في رمضان عام ٥٢٨ هـ ( شهر يوليو ١١٣٤ م) أثناء حصاره لافراغه دون أن يعقب ، وكان الفونسو قد أوصى بتقسيم مملكته الى ثلاثة اقسام ، القسم الاول يخصص لسلام روح والديه ، وللتكفير عن زلاته وللقبر المقدس ولخدمه ، اما الثاني فقد خصصه للفقراء وفرسان الاسبتارية في بيت المقدس ، اما الثالث فقد خصصه لفرسان الداوية (٣) . وكان الفونسو قد حاول انشاء جماعات فرسان دينية على غرار جماعة بيت المقدس ولكنه وجد معارضة شديدة من الاشراف ، ولذا عمل على تنفيذ مشروعه من خلال وصيته ، وقد عارض النبريون والارغونيون هذه الوصية التي تقضى بالتصرف فيهم وفي ممالكهم بصورة سيئة للغاية لذلك فقد اجتمع الشغبان بكافة طبقاتهما من رجال الدين والاشراف ونواب الشعب في بلدة خاكة Jaca فيما يعرف بمؤتمر وطني وتوصل الارغونيون فيه الى اختيار ردميره الثاني الراهب شقيق الملك الفونسو المخارب

يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ١٥٠ - ١٦٠ ، محمد عبد الله عثمان ، عصر المرابطين ، ص ٤٨٠ - ٤٨٨ .  
(١) ابن عذاري ، ج ٤ ، ص ٨٢ ، مجموعة رسائل موحدية من كتاب الدولة الموحدية ، نشرها ليفي يروفسال ، الرباط ١٩٤١ ، ص ٧٥ ، ابن القطان ، جزء من كتاب نظم الجمان ، ص ١١٣ ، والمقرى ، نفح الطيب ، ج ٢ ، ص ٢٠٧ . والمراد بالتسليطين تصغير السلطان وهو لقب اطلقه عليه المسلمون لانه تولى الملك صبغرا بعد وفاة امه ازاكة ابنة الفونسو السادس ٥٢٠ هـ ( ١١٢٦ م ) .  
(٢) عن تفاصيل وفاة الفونسو المخارب ، انظر يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ص ١٦٣ - ١٦٧ .  
Aguado Bleye, op. cit, p. 630.



لحكم البلاد ولكن النبريون اعترضوا على هذا الوضع ، فاعلنوا في بنبلونة عاصمتهم القديمة عن رغبتهم في الاستقلال ، وبالفعل اختاروا ملكهم وهو غرسية راميريث Garcia Ramirez : حفيد ملكهم شانجة الرابع الذي قتلته أخته أرموزنده سنة ٤٦٩ هـ (١٠٧٦ م). وبهذا عادت نبرة سنة ٥٢٩ هـ (١٠٣٤ م) إلى الظهور من جديد مملكة مستقلة لها كيان وسيادة .

ولكن الفونسو ريمونديس ( ٥٢٠ هـ - ٥٥٢ هـ ) ( ١١٢٦ - ١١٥٧ م ) ملك قشتالة لم يرغب في إبقاء الأوضاع على مثل ما هي عليه ، لذلك فقد تدخل في شئون أرغون بعد أن دخل سرقسطة دون مقاومة ، وانتهى الأمر بأن أعلن ردميره الثاني الراهب أنه يحكم أرغون في ظل قشتالة وأنه يكتفى بلقب ملك أرغون وسويراريس وريياجورسا ، كما أن غرسية راميريث ملك نبرة لم يتردد في طلب نصرته والاعتراف بحمايته ، فقد أراد كل منهما أن يحتفظ بشيء من السلطان ، فهما يعرفان أنهما لن يقويا على حرب ضد الفونسو ريمونديس (١) . وبهذا يكون الفونسو ريمونديس قد وفق في الحصول على لقب الامبراطور عن استحقاق .

وسرعان ما دب الخلاف بين أرغون ونبرة ، فبادر ردميره الراهب ملك أرغون بتقديم ابنته بترونيلا Petronila الطفلة عروسا لشانجة ولي عهد قشتالة موطنا تعاونه مع الفونسو ريمونديس ضد نبرة ، التي كان الفونسو ريمونديس قد بدأ ينظر إلى ملكها بعين التوجس والغضب وزحف عليها بجيش كبير . ولم ينقذ نبرة سوى معجزة جاءت نتيجة قيام الفونسو هنريكيز Alfonso Enriquez أمير البرتغال بمهاجمة أراضي بلجيكية التابعة لقشتالة وإقدام المرابطين على تهديد حدود قشتالة الجنوبية مما اضطر الفونسو ريمونديس إلى الانسحاب . وفي تلك الأثناء كان ردميره

؛ Aguado Bleye, op. cit, p. 635 - 636.

(١) . ومحمد عبد الله غنان ، عصر المرابطين ، ص ٤٩٥ ، واشباح ، تاريخ الاندلس ، ص ١٧٦ .



الثانى. الزاهب شقيق الفونسو المحارب. قد تبرم بحياة الملك ، فعزم على تزويج ابنته بـترونيلا من الكونت رامون برنجير الرابع Ramón Berenguer IV قومن برشلونة ، وكانت كل الطبقات فى ارغون. يحبذون ذلك الزواج لتقارب الشعبين الارغونى والقطلانى فى التقاليد والعادات ، وقد تم هذا الزواج حين كانت بترونيلا لاتزال فى الثانية من عمرها، ثم تنازل راميرو الراهب عن الحكم ، وابدى الفونسو ريمونديس ملك قشتالة موافقته على هذا كله ، وعاد راميرو الى الدير مرة ثانية فى سنة ٥٢٦ هـ (١١٣١ م) (١)

ومن الجدير بالذكر أن الميول الاستقلالية لمملكة البرتغال أخذت فى الظهور فى عهد الامبراطور الفونسو ريمونديس السابق : فقد كان الفونسو هنريكيث على غراز !مه ترضيا ماضيا. فى تحديه لسلطان قشتالة، بل انه أخذ يتصل بالثوار الجلائقة، الامر الذى اثار غضب الفونسو ريمونديس، فتاهب لمقابلة الفونسو هنريكيث ، ولكن هذا القتال المزعوم انتهى بصلح مؤقت عام ٥٣٢ هـ (١١٣٧ م) اعترف فيه ملك البرتغال بسيادة قشتالة عليه ، وكان قد اجبر على الصلح بسبب ضغط المسلمين على اراضيه (٢)

ثم انصرف الفونسو ريمونديس الى محاربة المسلمين ، فشن حملات متتابة على طليطلة ٥٣٤ هـ ( ١١٣٩ م ) وقوزية وحصن اوزيليه Oreja واستولى على هذا الحصن ٥٣٣/٥٣٤ هـ (١١٣٩ م) (٣) ووزعم حروبه مع المسلمين الا انه وجد الوقت للاتفاق والتآمر مع صهره رامون برنجار الرابع امير مملكة اراجون وقطلونية المتحدة على مملكة نبرة لاقتسامها بينهما ، ولكن هذه المؤامرة انتهت عام ٥٣٥ هـ (١١٤٠ م) بان اعلن ملك نبرة سيادة الامبراطور الفونسو ريمونديس ، وان تزوج الاميرة بلانكا ابنة عرسية من الأمير سانشو ولد الامبراطور ، وفى عام ٥٣٩ هـ (١١٤٤ م)

(١) Aguade Bleye, p. 636.

(٢) Aguado. Bleye, Ibid. p. 636.

(٣) ابن القطان ، جزء من كتاب نظم الجمان ، ص ٢٤٥

ثم زواج غرسية ملك نبرة من أراكة ابنة القيصر الفونسو ريمونديس غير الشرعية ، وكانت لهذه الزيجة أكبر الأثر في وضع حد للاغارة القشتالية الأرغونية على نبرة للمرة الثانية بعد ضلع ٥٣٢ هـ ( ١١٣٧ م ) .

وإثناء هذا كله توالى المعارك القشتالية / الإسلامية ، وفي إحدى هذه المعارك هزم أحد قادة الفونسو السابع ، وهو مارتين فرنانديث وقتل قُتضب الملك ، وهانجم أخواز قرطبة وأشبيلية ، ووصل حتى أراضي غرناطة والمرية ، ثم غاد لبلاذه متقللاً بالغنائم ، ولعل عنف الضربات المسيحية الموجهة لبلاذ المسلمين في الأندلس كان له أكبر الأثر في اشتغال نيران الثورات ضد الحكم المرابطي في الأندلس كما سبق أن ذكرنا وكانت أعظم ضربة نزلت بالمسلمين استيلاء جيوش الممالك الصليبية على المرية في جمادى الأولى ٥٤٢ هـ ( أكتوبر عام ١١٤٧ م ) وظلت تحت سيطرة الفونسو السابع إلى أن استعادها الموحدون في أواخر ٥٥٢ هـ ( ١١٥٧ م ) (١) . ومن الجدير بالذكر أن الفونسو السابع السليطين طالب ابن غانية ( أبو زكريا يحيى بن غانية المسوفى ) كبير قواد المرابطين في الأندلس بمدينة قرطبة ، ثمننا لما قدمه له من مساعدات ، وكان قد أمده بقوة في ٥٤٠ هـ ( ١١٤٥ م ) دخلت قرطبة في ١٢ شعبان ، وعاشت فسادا في مسجدها الجامع ، وربطوا خيولهم في أروقته ، وأقاموا قداسا حافلا ، ولكن ابن غانية ماله على أن يعطيه بياضة وتحفا كثيرة ، ويرسل إليه جزية سنوية ، فخرجوا منها بعد عشرة أيام من دخولها (٢) .

كذلك استولت الحملة الصليبية المشكلة من مقاتلين من قطلونية وأرغون وبسيرة وجنوة بقيادة رامون برينجير الرابع أمير برشلونة على طرطوشة ٥٤٣ هـ ( ١١٤٨ م ) ولاردة ٥٤٤ هـ ( ١١٤٩ م ) وإفراغة ومكناسة وبذلك انتهت سيادة المسلمين على الثغر الأعلى .

(١) عبد العزيز سالم ، تاريخ مدينة المرية الإسلامية ، ص ٩٥ ، المغرب الكبير ، ج ٢ ، ص ٧٩٠ .  
(٢) ابن قحالب الأندلسي ، قطعة من فرخة الألفس ، ص ٢٩٩ .

وفي عام ٥٤٥هـ ( ١١٥٠م ) توفي غريسية راميريث ملك نبرة وخلفه ولده شانجة السادس العالم ( ٥٤٥ - ٥٩١ هـ / ١١٥٠ - ١١٩٤م ) مما حرك أطماع الفونسو السابع لاستئناف الاغارة على نبرة ، ولكن زواج بلانكا أخت سانشو ملك نبرة من الدوق شانجة القشتالي عام ٥٤٦هـ ( ١١٥١ ) أوقف التآمر على نبرة .

وتوفي الفونسو ريمونديس في بلدة فريسندة Fresenda في سنة ٥٥٢هـ ( ٢١ اغسطس ١١٥٧م ) . عقب عودته من البرية وكان قد قسم مملكته كما كان متبعاً من قبل بين ابنائه ، فكانت قشتالة وإستراما ، دورة وطليلة من نصيب شانجة الثالث ( ٥٥٢ - ٥٥٣ هـ ) ، ( ١١٥٧ - ١١٥٨م ) ، وآلت ليون وجليقية الى فردلند الثاني ( ٥٥٢ - ٥٥٨ هـ ) . ( ١١٥٧ - ١١٨٨م ) .

ثم توفي الكونت رامون برنجير الرابع في ٥٥٨هـ ( ١١٦٢م ) وكان من اعظم ملوك اسبانيا النصرانية ، ويعد المؤسس الحقيقي لمملكة أرغون .

وكانت وفاة الفونسو السابع نذير شؤم على اهالي قشتالة ، فطبقاً للنظام الذي كان قد وضعه في أواخر حياته نجد أنه اختص شانجة الثالث بعرض قشتالة وما يتبعها من اراضي في اعالي الشانجة ، وكانت عاصمتها طليطلة مع حقه لتخذ الجزية من مملكتي نبرة وأرغون أما ولده فردلند فقد تولى مملكة ليون وجليقية واشتوريس مع حق السيادة على البرتغال . وبهذا التقسيم أصبحت الممالك المسيحية الاسبانية خمسة ، أرغون وقطلونية المتحدة ونبرة وقشتالة وليون والبرتغال . وقد حاول شانجة الثالث ملك نبرة أن يسترد زيوخا وأن يتحرر من السلطة القشتالية ولكن فرناندو ( فردلند ) هدهد بعنف مما دفع الملك النيري على الصلح . ثم توفي شانجة الثالث فجأة في عام ٥٥٣هـ ( آخر اغسطس سنة ١١٥٨م ) بعد أن حكم عاما واحدا ولم يترك سوى ولدا واحدا هو الفونسو الثامن الذي لقب فيما بعد بالتبيل ، وكان في الثالثة من عمره في ذلك الوقت ، وكانت مسألة الوصاية على هذا الطفل ، العامل الرئيسي في قيام خروب

أهلية مدمرة عصفقت بقشتالة ، فقد تنافست امرتا كاسترو ولايرا على وصايته . ، وحاول عمه الملك الليونى فرناندو أن يظفر بالوصاية ، ولكنه فشل فى النهاية' (١) .

#### ٨ - قيام مملكة البرتغال :

ترجع الاصول الاولى لمملكة البرتغال المستقلة عن قشتالة الى ولاية لجدانية Lusitania وهى القسم الغربى من شبه الجزيرة الاسبانية ، وهى التى كان أهلها يتمتعون بخواص تتميز عن سائر الاسبان فى شرقى الجزيرة ووسطها ، وكانت لجدانية فى العصر القديم تشمل الرقعة الغربية الواقعة جنوبى جليقية المحاذية لساحل الاطلنطى فيما بين مصب نهر دويرة ومصب نهر وادى يانة ، وقد نزلها الوندال والسوابيون ، ثم عبر الوندال الى المغرب ، وظل السوابيون يحتلون زهاء نصف قرن ، ثم أجلاهم عنها القوط الغربيون واحتلوها بدورهم ، واتخذوا ماردة حاضرة لها ، وكانت لجدانية اقليما من الاقاليم الستة التى تنقسم اليها مملكة القوط ولما افتتح المسلمون ايبارية ظلت لجدانية تحتفظ بعاصمتها ماردة التى أصبحت مركزا للثورات ، ثم ظهرت بطليوس فى عصر الدولة الاموية حين ثار بها بنو الجليقى وفى عصر الطوائف أطلق على القسم الواقع فى ايدى المسلمين من ولاية لجدانية اسم ولاية الغرب ، استقل به بنو الافطس ، الذين كان يمتد حكمهم من منتصف وادى يانة حتى مدينة قلمرية ويشتمل على ثغر اشبونة وشنترين ويابرة ، اما القسم الشمالى من لجدانية فقد اخذ النصارى ينتزعونه من المسلمين بالتدريج مدينة اثر مدينة وكان آخر هذه المدن المفتوحة هى قلمرية التى استولى عليها فردلند الاول فى عام ٤٥٦هـ ( ١٠٦٤م ) ، وقد جعل فردلند من هذه المنطقة ولاية مستقلة

Aguado Bleye, op. cit, p. 638 - Luis Suarez, Historia de España, ( ١ ) p. 237.

Jose Luis Martin, la peninsula en la edad media, Barcelona 1980, p 358, 359.



باسم البرتغال المشتق من اسم « بورتوكال » Porto cale وقد انتدب لولايتها وزيره المستعرب سسندو دافيدس ، وحاول اللجدانيون أو البرتغاليون أهل الولاية الجديدة أن ينالوا حريتهم واستقلالهم فثاروا ضد حكم الملك غرسية بقيادة زعيمهم الكونت نونيو منندس ولكنهم هزموا وقتل زعيمهم عام ( ٤٦٤ هـ ) ( ١٠٧١ م ) ، وعادت ولاية البرتغال تستقبل ولايتها من قبل قشتالة (١) .

وعقب واقعة الزلاقة وفد على الفونسو السادس فرنسيان من فرسان بورجونيا هما ريموند وهنرى البورجونى ، ولما اخلص هذان الفارسان فى خدمة الفونسو السادس زوج الفونسو ريمون البورجونى من ابنته اراكة ونصبه واليا على شنترة واشبونة وشنترين ( ٤٨٦ هـ / ١٠٩٣ م ) ، كما زوج هنرى من ابنته غير الشرعية تريسا، ولما مات ريمون خلفه على البرتغال هنرى البورجونى الذى تلقب بالدوق واصبح يحكم باعتباره تابعا لمملكة قشتالة، واتخذ قلمرية عاصمة للبرتغال ، فتسمى هنرى لذلك بصاحب قلمرية ولما توفى الفونسو السادس سجل فى وصيته بتثبيت حكم هنرى على البرتغال تحت سيادة قشتالة ، وكان هنرى قد ترك ولده الفونسو انريكث طفلا فى الثالثة من عمره ، فتولت تريسا الوصاية عليه .

وحين شب الفونسو انريكث كان الشعب قد بدا يمل حكم تريسا المستهترة والتف حول الفونسو انريكث الذى تطبع بطباع الفرسان وارتبط برجال الدين لاقصى مدى ، وقد نشبت الحرب بينه وبين أمه ، وانتهى الامر بسجنها لتكفر عن زلاتها ونفى صديقها فرناندو بيريث .

ولما بلغ الفونسو انريكث الثامنة عشرة من عمره أعلن نفسه ملكا على البرتغال مما أغضب الفونسو ريمونديس ، فتوجه لقتال انريكث ، وفى هذه الاثناء تم تحالف كبير بين مملكة نبرة ومملكة البرتغال . وتحديثنا عن

وثيقة الكوبازا ، وهى وثيقة مختومة أمر الفونسو انريكيث بكتابتها لتاريخ  
موقعة أوريك Auric ( ٥٣٤ هـ ) ( ٢٥ يوليو ١١٣٩ م ) وهى المعركة  
التي انتصر فيها الفونسو انريكيث على المسلمين وكانوا بقيادة قائد سمته  
الوثيقة باسم اسماء (اسماعيل) واربعة آخرين من القادة المسلمين (١) ،  
انهزم البرتغاليون فى بداية المعركة ، ولكن السيد المسيح ظهر ليلا مصلوبا  
للفونسو انريكيث وحثه على مواصلة القتال بعنف واعداء اياه بالنصر بشرط  
أن يتخذ الفونسو شعار مملكته من الجروح الخمسة التي أصيب بها المسيح  
مع الثلاثين قطعة فضية التي نالها يهودا ثمنا لخيانته وبالفعل جعل الفونسو  
شعار مملكته ( ولا يزال حتى الان ) خمسة دروع تمثل جروح المسيح  
فى شكل صليب منقوش على كل منها ثلاثين نقطة من الفضة ، وانتصر  
البرتغاليون كما تذكر الوثيقة ، وان كان باقى الروايات النصرانية لم تذكر  
عن هذه الموقعة أى شئ وحتى رودريك الطليطلى ولوقا التطيلى ، وكذلك  
الروايات الاسلاميّة ، وعلى أى حال فقد لقب الفونسو نفسه بالملك عقب  
هذه الرؤيا التي ظهرت له (٢) . وعقب هذا النصر كما تذكر الرواية  
المسيحية اجتمع ملك البرتغال فى لميق ( لميقة ) مع طبقات الشعب  
المتخلّفة حين وضعوا دستور البلاد ، ونصب ملكا وضع على راسه تاج من  
الذهب المرصع بالجواهر (٣) .

وبالنسبة لمملكة ارغون وقطلونية المتحدة فقد حكم ريموند برنجار  
الرابع منشئ هذه المملكة مدى احدى وثلاثين عاما ، وقد ضحى باستقلال  
مملكته وانضوى تحت سلطان ملك قشتالة القوى ، ولم يكتف ريموند  
برنجار: بفتحاربة المسلمين ومحاربة نبرة بل اهتم بحروبه فى لانجدوك

---

(١) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٢٤٦ .  
(٢) يوسف اشباخ ، المرجع السابق ، ص ٢٤٧ ، وتذكر الرواية المسيحية  
أن ولاية بطليوس ويابرة وباجة واشبيلية قد تقدموا لانقاذ أوريك  
(٣) . Luis Suarez, op. cit, p. 227. ، محمد عبد الله عنان ، عصر  
المرابطين ، ص ٥٢٧ .

ويبروفانس كذلك (١) . ولما توفي شانجة الثالث ملك قشتالة ، تجددت الخصومة بين نبرة وأرغون ، وحاول رجال الدين اخماد هذه الخصومة الجديدة وسرعان ما مرض ريمون برنجار وتوفي في سنة ٥٥٨ هـ (١١٦٣ م) . فقامت بترونيلا أرملة باستدعاء طبقات الامة الثلاثة للاجتماع في وشفة للاطلاع على وصية زوجها وفيها عهد الى ريموند برنجار الذي تلقب بالفونسو الثاني بحكم أرغون وقطلونية وإراضى لانجدوك ، أما شرطانية ومعها قرقشونة وحق الجزية على الفيكونت ريموند ترنكافل ، وكذلك من أربونة فعهد بها الى ولده الثاني بطيرة ، ولما كان الفونسو الثاني لا يزال في العاشرة من عمره ، فقد قامت أمه بترونيلا بحكم أرغون ، وعلمت في فترة حكمها على توطيد دعائم التحالف بينها وبين قشتالة وانجلترا ، ونبرة حتى تخلت عن الحكم لابنها .

#### ٩ - مملكتا البرتغال وليون أثناء وبعد عهد فردلند الثاني ، والفونسو انريكث :

تظفر فردلند بعد وفاة أبيه الفونسو ريموندس بمملكة ليون وجليقية واشتورياس بالاضافة الى السيادة على البرتغال ، ونظرا لانصرافه الى الحروب الاهلية التي دارت في قشتالة عقب وفاة شانجة الثالث ، فقد أهمل ممارسة حق سيادته على البرتغال ، ولكن ماكاد يبسط سلطانه على قشتالة واسترمادورة بمعلونة آل كاسترو حتى بدأ يتفقد احوال مملكة البرتغال ، فتزوج من أورাকা ( أوراقة ) ابنة ملكها سنة ٥٦٠ هـ (١١٦٥ م) ولكنه رغم هذه المصاهرة اهتم بتحصين مدينة رودريجو Ciudad. Rodrigo الواقعة على حدود البرتغال ، واخذ يوجه منها الغارات المخربة على البرتغال .

---

(١) انظر تفاصيل هذه الحروب في : يوسف اشباخ ، تاريخ الانطلس ، ص ٢٥٩ .

وكان الفونسو انريكت ملك البرتغال مشغولا انذاك بحروبه مع المسلمين ، وكان قد نجح في انتزاع يابرة من المسلمين في عام ٥٦١ هـ / ٥٦٢ هـ ( ١١٦١ م ) ، ولكن ملكا يرى أن سلطان فرلند قد تحطم على يد أسرة لارا حتى سار بنفسه الى جليقية واستولى على مدينة ليمبا مبررا ذلك بأن هذه المناطق كانت تتبع البرتغال منذ أن منحها الفونسو السادس مهرا لابنته تريسل يوم زواجها ، ولم يكتف الفونسو انريكت بذلك بل طمع في مزيد من السيطرة فسار في عام ٥٦٤ هـ ( ١١٦٨ م ) الى مدينة بطليوس لافتتاحها . ولكن فردلند الثاني ملك ليون غضب لتعدى البرتغال على اراضي المسلمين. انه كان يرى أنها من نصيبه في حال رجوعها للمسلمين، ثم ظهرت نوايا ليون تجاه البرتغال حين تقدم الموحدون لحصار شنترين عام ٥٦٧ هـ ( ١١٧١ م ) فتقدم فردلند ملك ليون فوقف قريبا من الميدان بجيوشه منتظرا هزيمة البرتغاليين للتدخل في بلادهم ، فلما رأى أن كفة البرتغاليين راجحة ، أرسل الى الفونسو انريكت رسولا يهنئه بالنصر .

ثم صدر في عام ٥٧٥ هـ ( ١١٧٩ م ) مرسوم بابوي يقضى باستقلال مملكة البرتغال عن قشتالة وليون ، ومنح الفونسو انريكت لقب الملك ، وكان الفونسو انريكت قد أسس جماعة فرسان يابرة الذين كرسوا حياتهم لقتال المسلمين ، ثم توفي الفونسو انريكت عام ٥٨١ هـ ( ١١٨٥ م ) في السادسة والسبعين من عمره ، وبعد بضعة أعوام توفي فردلند الثاني ملك ليون عام ٥٨٤ هـ ( ١١٨٨ م ) أثناء حجة الى شنت ياقب وخلفه ابنه الفونسو التاسع .

أما الفونسو الثامن ملك قشتالة ابن سانشو الثالث فقد اتخذ سياسة حكيمه في حكم البلاد بعد بلوغه سن الرشد . فبدأ بعقد صلح مع الفونسو الثاني ملك أرغون كما صالح شانجة الرابع ملك نبرة (١) ، وكان قد

---

(١) Aguado Bleye, op. cit, p 641. تم عقد الصلح بين الفونسو الثامن والفونسو الثاني ملك أرغون في Cazorla عام ٥٧٥ هـ (١١٧٩ م) .



خاض حرباً في بداية الامر مع ملك أرغون ، عند قلعة رباح سنة ٥٦٦هـ ( ١١٧٠م ) ولم يحمله على الصلح سوى الملك هنري الثاني ملك إنجلترا الذي كان حليفاً لملك أرغون وكان في نفس الوقت صهراً لالفونسو الثامن الذي تزوج من ابنة هنري الثاني Leonor الينور . ولما ازداد الخطر الموحدى على الممالك المسيحية اجتمع ملوك اسبانيا المسيحية على وضع خطة موحدة لقتال المسلمين ، وعلى الرغم من ذلك الخطر الاسلامى فان ملوك الدول المسيحية و في مقدمتها ليون والبرتغال وقشتالة وأرغون ونبرة اخذوا يختلفون فيما بينهم ويتنازعون على حقوق الفتح في اراضى المسلمين وكان ذلك من اسباب الهزيمة التى اصابته الفونسو الثامن في وقعة الارك ٥٩١هـ ( ١١٩٤/١١٩٥م ) <sup>(١)</sup> ولكن اجوادو بليى يبرز الهزيمة التى منى بها الفونسو الثامن في الارك بتعجله في الاشتباك قبل وصول القوات المتحالفة ، وقد استغل الفونسو التاسع ملك ليون فرصة هزيمة الفونسو الثامن واقتحم بلاد قشتالة ، ورد الفونسو الثامن على هذا الاعتداء بمثله <sup>(٢)</sup> ، كذلك قام شانجة الرابع ملك نبرة بغزو قشتالة من جهة سرية والمزان في حين شن الموحدون غاراتهم على طليطلة ومجريط وقونقه ( قونكة ) واقلش ومكادة وطلبيرة . ومع ذلك فقد احتفظ الفونسو الثامن برباطة جأشه ، وعقد حلفاً مع بنبرة الثاني ملك أرغون ( ٥٩٣هـ - ٦١٠هـ / ١١٩٦م - ١٢١٣م ) وبفضل هذا الحلف تمكنا من غزو نبرة وليون <sup>(٣)</sup> .

وظهر في أرغون رجل ذبرى تعبر شخصيته عن صورة تلك الاحداث ، ذلك هو بيدرو رويث دى أساجرا ، كان مرتزقاً حارب تارة الى جانب مملكة أرغون ومرات مع نبرة ومرات أخرى مع قشتالة ، وكان يستغل خلافاتهم لتوطيد سلطانه .

(١) يوسف اشباخ تاريخ الاندلس ، ص ٢٨٧ .

Aguado Bleye, op. cit, p 642.

Ibid. p. 642.

(٢)

(٣)

وكان سانشو السادس ملك نافارا قد توفى قبله بعامين عام ٥٩١ هـ (١١٩٤م) ، وحاول الفونسو الثانى ملك ارغون جمع شمل الممالك المسيحية من جديد ، فخرج الى شانت ياقيب ، واجتمع مع ملك ليون، ثم رحل الى قلمرية والتقى بشانجة ملك البرتغال ثم اجتمع مع ملكى قشتالة ونبرة فى طرسونة ، ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل ، وتوفى الفونسو الثانى فى ٥٩٣ هـ ( ٢٥ أبريل ١١٩٦م ) وخلفه بطره الثانى ( ٥٩٣ - ٦١٠ هـ ) ( ١١٩٦ - ١٢١٣م ) وكان شانجة السادس ملك نبرة قد توفى قبله بعامين وخلفه الملك شانجة السابع ( ٥٩١ - ٦٣٢ هـ ) ( ١١٩٤ - ١٢٣٤م )<sup>(١)</sup> .

كان لهزيمة الفونسو الثامن فى الارك بالاضافة الى الصراع الداخلى بين الممالك المسيحية اعظم الاثر فى اضعاف شأنها ، فقد كلفتها الحروب المتواصلة الكثير من الارواح والاموال والاسلحة ، ولم تنج اسبانيا المسيحية من الخطر المحدق بها الا بعودة يعقوب المنصور الخليفة الموحدى الى المغرب ثم وفاته بعد ذلك ولقد كان من الواضح تماما انه لو كان محمد الناصر الذى خلف يعقوب المنصور على خلافة الموحدين ، قد سار على نفس سياسة ابيه ، او استغل حالة الضعف والانحلال التى اصابوا بها بسبب منازعاتهم الداخلية فاعان المملكة الضعيفة على القوة ، لقاء عدد من المدن والحصون ، لكان مصير اسبانيا المسيحية والاندلس قد تغير تغيرا جذريا .

وساعت احوال الممالك المسيحية فى اسبانيا بعد انتصار الموحدين فى الارك ، وحاول كل من الفونسو الثانى ملك ارغون والبابا سلاستين Celestino III التوفيق بين الممالك المسيحية بغية جمع شملها<sup>(١)</sup> ولكن دون جدوى ، فقد كان العداء قد بلغ اشده بين ملك ليون وملك قشتالة .

والقى الفونسو الثامن النبيل ملك قشتالة تبعة هزيمته في الارك على مملكة ليون، فاتهم الجيش الليوني بأنه لم يبادر بامداده وانقاذه، وتحولت مرحلة العتاب الى اللوم الشديد ثم الى الصدام المسلح ، وقد كان اعتداء ملكي ليون ونبرة المتحالفين على قشتالة شديدا وعنيفا خاصة بعد خروجها من هزيمة الارك ، لذا فقد تحالف الفونسو الثامن مع بطرة الثانى ملك ارغون الجديد على النحو الذى ذكرناه من قبل ثم اشهر الحرب على حلف ليون ونبرة ، اللتين فكرتا فى الاستعانة بالموحدين رغم تهديد البابا Celestino /III لكن من يستعين بالمسلمين بالحرمان من الكنيسة ، وعلى الرغم من مساعدات الموحدين الا ان الحلف القشتالى / الارغونى نجح فى اختراق مملكة ليون مرتين ، وتمكنت قواتهما من تخريب احواز ليون واسترقة واستعد الفريقان لخوض غمار حرب جديدة لولا أن تدخل رجال الدين للصلح . وفى ذلك الوقت كان الفونسو التاسع ملك ليون قد طلق زوجته الاميرة تريسا بنت ملك البرتغال طبقا لما طلبه البابا ولكنه عاد يريد الزواج من اميرة قشتالة برنجاريا ابنة الفونسو الثامن ، رغم شدة القرابة بينهما واستطاع الفونسو التاسع الحصول على موافقة رجال الدين فى اسبانيا ولكنه لم يحصل على إذن من البابا ثلستينو الثالث ، لذلك فقد بادر البابا باعلان بطلانه ، وقرّر اصدار قرار التحريم ضد الملكين وارضيهما فى حالة رفضهما للطلاق وبالفعل صدر قرار الحرمان ضد ليون وملكاتها وضد اساقفة شلمنقة وسمورة واسترقة وليون ، وضد مملكة ليون كلها .

ربما تولى انوسنت الثالث الكرسي البابوى اصدار قرارا بالحرمان هو الآخر ضد الملكين . وفى أثناء ذلك كان المسلمون ينفذون الى اراضى النصرارى للغزو ، مستغلين الاوضاع السيئة التى آلت اليها ممالك اسبانيا المسيحية ، فقشتالة وليون رغم المصاهرة والصلح لاتزال كل منهما تنظر الى الاخرى بعين الكراهية ، فى حين كانتا متفقتين على محاربة البرتغال اما بالنسبة لمملكة ارغون فقد كان ملكها فى حرب دائمة مع اتباعه الامراء الذين كانوا متنازعين فيما بينهم ، وبينما تحالف ملك ارغون مع قشتالة

ضد نبرة التي تعاونت مع سلطان الموحدين للدفاع عن كيائها ضد هذا الحلف ، كان شانجة السابع ملك نبرة منذ عام ٥٩١ هـ ( ١١٩٤ م ) قد تحالف مع ملك ليون ضد الفونسو الثامن ملك قشتالة ، وعلى هذا النحو كانت قشتالة تتلقى الضربات من الموحدين والليونيين في آن واحد ويسوق صاحب روض القرطاس رواية تؤكد أن التحالف القائم بين شانجة السابع ملك نبرة وبين الموحدين بلغ حدا كبيرا ، يقول صاحب روض القرطاس « اهتزت جميع بلاد الروم بجوازه ( محمد الناصر ) ووقع خوفه في قلوب ملوكهم واتخذوا في تحصين بلادهم ، واخلى ما قرب من المسلمين من قرائهم وحصونهم ، وكتب اليه أكثر أمرائهم يسألونه سلامه ويطلبون منه عفوهم ويخافونه منهم ملك بيونة (١) مستسلما خاضعا مستصغرا يطلب صلحه ويسأل منه عفوهم وصفحه ، ولما سمع هذا اللعين بدخول أمير المؤمنين الى شبيلية أدركه الخوف ، فبادر الى الإدارة عن نفسه وبلاده ، فبعث رسوله اليه يستأذنه في القدوم اليه ، فأذن له أمير المؤمنين في الوصول ، ويكتب الى كل بلد من بلاد الاندلس هو على طريق هذا اللعين اذا مر بهم يضيفونه ثلاثة ايام ، فاذا عزم على الرحيل في اليوم الرابع يحبسونه عندهم من جيشه ألف فارس ، فخرج هذا اللعين من قاعدة ملكه بجيوشه قاصدا وداخلا الى أمير المؤمنين ، فكان اذا وصل الى بلد من بلاد المسلمين تلقاه قوادها واجنادها ، ويرز عليه أهلها في اكمل عدة واحسن هيئة ، واصلفوه ثلاثة ايام خير ضيافة ، فاذا كان يوم رحيله حبسوا له ألف فارس من جيشه ، فلم يزالوا يفعلون ذلك به حتى وصل مدينة قرمونة ولم يبق معه من جيشه غير ألف فارس ، فاقام في ضيافة أهلها ثلاثة ايام ، فلما أراد الرحيل في الرابع حبست الالف فارس الباقية معه ، فقال لقوادها كيف تمسكون بها وما بقى لى مع من أسير غيرها ؟ فقالوا له تسير في ذمة أمير المؤمنين وتحت ظلال سيوفه ، فخرج لعنه الله من قرمونة في خاصته

---

(١) صحتها بنيلونية ، ويقصد به ملك نبرة ، وقد وردت مصححة في الاستقصاء للنسكاوي .



وزوجته وخدامه وهديته التى قدم بها الى الناصر ، وقدم من يديه كتاب  
النبي ﷺ الذى كان كتبه الى هرقل ملك الروم يستشفه ويعلن ان الملك  
عنده موروثة كابرا عن كابر ٠٠٠٠ فأنزله بداخل المدينة ( اشبيلية )  
واعطاه تحفا جليلة ، وصالحه صلحا مؤيدا مادامت دولة الموحدين ولعقبه ،  
ثم صرفه الى بلاده مكرما مسعفا بجميع مطالبه « (١)

اما الروايات المسيحية عن هذه الرحلة فقد وصفها يوسف اشباخ بأنها  
اقل تفصيلا ولكنها اقرب الى الحقيقة ، وقد تمت هذه الرحلة او الزيارة  
فى عهد الخليفة محمد الناصر الذى لم يكتف بالترحيب به حين زاره وانما  
وافق على زواج شانجة السابع ملك نبرة من أخته وان كان لم يتحدث  
مع شانجة فى أمور تخص ننازل الموحدين عن املاكهم الاسبانية اليه ،  
ولهذا فلم يتعجل شانجة بالزواج من أخته وقد اشترك مع الموحدين فى  
اخماد ثورة قامت فى جبال غمارة (٢) . واذا قارنا بين الرواية العربية  
والرواية النصرانية نجد ان الرواية العربية تذكر ان مقابلة شانجة للناصر  
تمت فى الاندلس عندما كان الخليفة الموحذى مقيما فى اشبيلية ، بعكس  
الرواية المسيحية التى تؤكد انه جاز البحر بنفسه الى المغرب ليراه . اما  
بخصوص زواج اميرة مسلمة موحدية من الملك النبرى فهذا لا يمكن  
ان نقبله لانه لم يرد فى أى مصدر أو رواية عربية ، كما انه ليس منطقيا  
ان تتزوج اميرة مسلمة واخت خليفة المسلمين الذى يتمسك بأهداب الدين  
والشريعة الاسلامية من رجل مسيحى اللهم فى حالة واحدة وهى ان يكون  
شانجة السابع قد وافق على اشهار الاسلام (٣) .

وبينما كان شانجة السابع غائبا عن بلاطه فى زيارته لاشبيلية ، قام

---

(١) ابن ابي زرع ، كتاب الانيس المطرب روض القرطاس ، ج٢ ، نشره  
تورنبرج ، أوبسالة ١٨٤٣ ، ص ١٥٥ ، ١٥٦ .  
(٢) يوسف اشباخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٣٥٠ .  
(٣) أنظر تعليق محمد عبد الله عنان ، فى كتاب تاريخ الاندلس ليوسف  
اشباخ ، ص ٣٤٨ ، حاشية رقم ١ .

الفونسو الثامن ملك قشتالة مع حليفه بطره ملك أرغون بمهاجمة اراضى نبرة عام ٥٩٦هـ ( ١١٩٩م ) ضاربين بكل المعاهدات والهدنات السابقة عرض الحائط ، وتمكن الملك القشتالى من انتزاع حصن فيتوريا Vitoria وولايات البية ويسكونيه Vasconia وجيبوسكوا Guipuscoa وقد كانت تلك الولايات الثلاثة ملكا لقشتالة من قبل (١) .

أما بطره فقد انتزع بضع مناطق متفرقة على الحدود ، فعاد شانجة من رحلته بعد عامين ٥٩٨هـ ( ١٢٠١م ) وتمكن من استرداد كافة ممتلكاته ، التى انتزعها منه الملكان المتحالفان .

أما ليون فقد كانت أحوالها فى غاية الفوضى والاضطراب ، فقد كان الملك لايزال منجبا لزوجته القشتالية برنجويلا Berenguela رافضا الانفصال عنها فلما أنجب منها ولده فردنند الثالث الذى سيلقب بالقديس وافقت برنجويلا Berenguela على إعلان الانفصال لتحقيق للبلاد الامن والسلام (٢) . وعندئذ وافق البابا على الغاء قرار الحرمان الكنسى ، ومنرعان مادب الشقاق بين قشتالة وليون من جديد ، فقد طلب ملك قشتالة من ملك ليون أن يرد له جميع الاراضى التى كان قد وهبها لابنته مهرا لزواجها ، وكان البابا قد وافقه على هذا المطلب ، وفى بداية الامر اعترض ملك ليون على هذا المطلب ولكنه فى النهاية أثار السلام فتنازل عن تلك المناطق للملك القشتالى (٣) .

#### ١٠ - هزيمة المسلمين فى موقعة العقاب وبداية النهاية :

انتصر النصارى على قوى الموحدين انتصارا حاسما فى موقعة العقاب المعروفة فى المصادر الاسبانية بـ Las Navas de Tolosa أو موقعة ابدة

Luis Suarez, Historia de España, p. 264.

Ibid p. 266.

Ibid. p. 262.

(١)

(٢)

(٣)

Ubeda ، وكان ذلك في ١٥ صفر من عام ٦٠٩ هـ ( ١٦ يوليو ١٢١٢ م )  
وايلا ما كانت اسباب هزيمة المسلمين ، فان هذه الموقعة كانت وبالا على  
الموحدين في الاندلس ، وكانت بداية اضمحلال سلطان الموحدين  
بالاندلس (١) ويرجع السبب في انتصار القوى المسيحية في العقاب فيما  
يظهر الى غلبة روح الحركة الصليبية نتيجة الجهود التي بذلها الفونسو  
الثامن لجمع كلمة الممالك المسيحية الاسبانية ، فالفونسو ملك قشتالة كانت  
تربطه ببطنه الثاني ملك ارغون (٥٩٣ - ٦١٠ هـ / ١١٩٦ - ١٢١٣ م) اقوى  
اواصر الصداقة والتحالف ، اما شانجة السابع ملك نبرة ( ٥٩١ - ٦٣٢ هـ )  
( ١١٩٤ - ١٢٣٤ ) الخصم التقليدي ، فقد زار الفونسو الثامن عام ٦٠٤ هـ  
( ١٢٠٧ م ) في وادي الحجارة ، وتفاهما حول عدد من القضايا واسفر هذا  
اللقاء عن هدنة لمدة خمس سنوات (٢) كما تم التفاهم بين ملكي قشتالة  
الفونسو الثامن وليون الفونسو التاسع ( ٥٨٤ - ٦٢٨ هـ ) ( ١١٨٨ - ١٢٣٠ م )  
من جهة ، وبين ملك قشتالة وسانجة ملك البرتغال ( ٥٨١ - ٦٠٨ هـ )  
( ١١٨٥ - ١٢١١ م ) من جهة ثانية ، لاسيما بعد ان تزوجت الاميرة اراكة  
والقشتالية عام ٦٠٥ ( ١٢٠٨ م ) من الفونسو وبنى عهد البرتغال (٣) ولم  
يكن انتصار الفونسو الثامن في العقاب نهاية لحروبه مع الموحدين ، فقد  
سعى الى استئثار هذا الانتصار فتابع غزوه لارضى الاسلام ، مخترقا جبال  
الشارات ، ثم انحدر الى بياسة Baeza ، وافتتح عددا من الحصون من

---

(١) لمزيد من التفاصيل حول موقعة العقاب انظر ابن ابي زرع ، الروض  
القرطاس ص ١٥٧ - ١٥٩ ، عبد الواحد المراكشي ، المعجب ، ص  
٣٢١ - ٣٢٣ ، الحلل الموشية ص ١٦٠ ، محمد عبد الله عنان ،  
عصر الموحدين ، ص ٢٨٢ - ٣٢٦ ، يوسف اثبناخ ، تاريخ الاندلس  
ص ٣٥٤ - ٣٧٣ ، السيد عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير ، ص  
٨١٩ - ٨٣٠

Aguado Bleye, Manual de la historia de España, 642 - 647, Luis

Suárez historia de España, edad media, p 268 - 271.

Luis, de valdeavellano, historia de España, p. 596 - 605.

Aguado Bleye, manual, p 643,

(٢)

Aguade Bleye, Ibid. p 643.

(٣)

بينها حصن بلج Vilches ، وفرال Ferral ، ويانيوس ، وتواوسة .

كما استولى على بياسة التي هجرها فأضرم فيها النيران واستولى على أبده عنوة . وظل الفونسو الثامن يناضل ضد الموحدين في الأندلس دون هوادة حتى توفي في ٦١١ هـ ( سبتمبر ١٢١٤ ) (١) أثناء رحلته إلى البرتغال لزيارة ملكها الفونسو ، وبفضل الفونسو الثامن احتفظت قشتالة في عهده بسيادتها على الممالك المسيحية الأخرى ، ويذكر أجواي بليي أنه توفي في ٦ أكتوبر (٢) .

وبخلف الفونسو الثامن على عرش قشتالة ابنه هنري الأول Enrique I ( ٦١١ - ٦١٤ هـ ) ( ١٢١٤ - ١٢١٧ م ) وكان في الحادية عشرة من عمره . قتلت أمه أليثورا الوصاية عليه ، ولكنها توفيت بعد قليل ، غالت الوصاية إلى أخته برنجدويلا الزوجة السابقة للفونسو التاسع ملك ليون ، ولكن آل لارا Lara انتزعوا منها الوصاية وقرروا تزويجه في هذا السن الصغير (١٢ سنة) من الأميرة مافالدا Mafalda ابنة شانجة الأول ملك البرتغال ولما كانت مافالدا شديدة القرابة إليه وتكبره بنحو ثمانية أعوام فقد اعترضت أخته برنجدويلا على هذه الزيجة ، فلجأت إلى البابا انوسنت Inocencio III. الثالث الذي أصدر قرارا بمنع الزواج لشدة القرابة بين الزوجين . وفي (٦١٤ هـ) ٦ يونيو ١٢١٧ م توفي هنري الأول أثناء لهوه مع أصدقائه الصبية فبادرت برنجدويلا بإعلان نفسها ملكة على قشتالة ثم تنازلت عن العرش في الحال لابنها فردلند الثالث الذي أنجبته من ملك ليون . وكان عمره آنذاك ١٨ سنة وتم تتويجه ملكا على قشتالة في بك الوليد Valla dolid . ، وقد رُفد فردلند أن يكون بطلا من أبطال إسبانيا المسيحية بحيث عرف بالقدّيس (٣) .

Luis Suarez, op. cit, p 270.

Aguado Bleye, op. cit. p. 648.

Ibid, p. 648.

Aguado Bleye, op. cit. p. 650.

(١) .

(٢) .

(٣) .



## ١١ - دور الممالك المسيحية في استرداد الغرب Algarvo

### ١ - مملكة ليون :

حرص فردلند الثاني ملك ليون ( ٥٥٢ - ٥٨٤ هـ ) ( ١١٥٧ - ١١٨٨ م ) على صرف مزيد من اهتمامه بمشكلة الحدود الجنوبية لمملكته التي كان الرئيس خيرالدو سيمبافور المعروف في المصادر العربية باسم جراندده الجليقي<sup>(١)</sup> ، وعند البرتغاليين بالسيد البرتغالي El Cid Portugés<sup>(٢)</sup> قد تصرف بالتدخل فيها لحسابه الخاص . وكان جراندده هذا قد انتزع من المسلمين ، مدينة يابرة وترجلة وقصرش ومنتانجش ، وتاهب للاستيلاء على بطليوس ، ولكن سقوط بطليوس في يد الزعيم البرتغالي كان يعنى بالنسبة لمملكة ليون القضاء على الامال التوسعية التي كانت قد خططت في ساهاجون وضياع الاتاوات التي كان يفرضها ملك ليون على المسلمين في هذه البلاد وكانت تشكل مصدرا رئيسيا للدخول المالية لمملكته . ولهذا السبب لم يتردد فردلند في عزلة مساعي جراندده عن طريق تعاونه الوثيق مع المسلمين وتمكن في عام ٥٦٥ هـ ( ١١٦٩ م ) بفضل هذا التعاون من استرجاع الاراضي التي كان قد استولى عليها جراندده وعهد بالدفاع عنها الى ارمنجول السابع دي اورخيل Ermengol VII de Urgel والى فردلند رودريجت دي قاشترو Fernando Rodriguez de Castro . وانقصف شنت ياقب الذي تدخل بنفوذه الكنسي ماديا وعسكريا في اعداد الحملات ضد جراندده<sup>(٣)</sup> ولقد ساعد انقسام الممالك المسيحية الموحدين على التحالف مع فردلند الثاني في ٥٦٥ هـ ( ١١٦٩ م ) ضد جراندده ومهاجمة قشتالة والبرتغال ابتداء من سنة ٥٦٦ هـ ( ١١٧٠ م ) غير ان قشتالة التي كانت تحرص على مخاربة

---

(١) عن جراندده انظر ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٣ .

(٢) Jose Luis Martin, la peninsula en la edad media .p 358.

(٣) Jose luis martin, op. cit., p. 358.

نبذة أكثر من حرصها على مهاجمة المسلمين عقدت مع هؤلاء السلم في سنة ٥٦٩هـ ( ١١٧٣م ) ولم تلبث البرتغال أن حذت حذوها بعد فترة قصيرة وعقد ملكها اتفاقا مع الموحيدين . وعندئذ تحول الموحدون ضد مملكة ليون ، واسترد خليفة الموحيدين جميع أراضي الغرب التي كانت في حوزة الليونيين وعندئذ بدأ فردلاند الثاني ملك ليون غاراته على قاصرش ولكن الموت وضع حدا لاطماعه<sup>(١)</sup> وخلفه ابنه الفونسو التاسع .

ذكرنا فيما سبق أن الملك الليوني الفونسو التاسع تزوج من تيريسا بنت شانجة الاول ملك البرتغال في عام ٥٨٧هـ ( ١١٩١م ) عسى أن يقضى رباط المصاهرة على المشاكل التي كانت قد نشأت بين الملكتين ، ولكن نظرا للقرابة الشديدة بين الزوجين فقد أصدر البابا ثلستينو Celestino III قرارا بمنع هذه الزيجة وبحرمان الملكين كنسيا ، مما دفع بهما إلى الانفصال عام ٥٩١هـ ( ١١٩٤م ) رغم انجابها ثلاثة أبناء . وكان الفونسو الثامن ملك قشتالة قد فرض سيطرته الادبية على كافة الممالك المسيحية مما أدى إلى كراهية هذه الممالك المسيحية له ، وربما كان سببا في تخلي ملوك اسبانيا المسيحية عن الفونسو الثامن عندما اشتبكت قواته أمام جيوش الموحيدين في الأرك ٥٩٢هـ ( ١١٩٥م ) مما تسبب في هزيمته أمامهم ، بل أن ليون بادرت بعقد صلح وحلف مع الموحيدين ، وكانت ليون قد عقدت الصلح مع نبذة مما ترتب عليه مهاجمة أراضي قشتالة في عام ٥٩٣هـ ( ١١٩٦م ) ولكن الفونسو الثامن تمكن بمساعدة البرتغال وأرغون من الرد على هذا الاعتداء ، وفي عام ٥٩٤هـ و ( ١١٩٧م ) غزا الفونسو الثامن أراضي ليون وجليقية ، ثم عاد الصلح بين ليون وقشتالة وتزوج الفونسو التاسع ملك ليون من الاميرة برنجريلا بنت الفونسو الثامن ، ولكن هذا الزواج كان باطلا لشدة القرابة بين الزوجين . ولهذا قدر للزوجين الانفصال ، وقد تحققت الوحدة بين الممالك النصرانية

بناء على دعوة البابوية من جهة وعلى جهود الفونسو الثامن ملك قشتالة من جهة أخرى ، وظهرت آثار ذلك في موقعة العقاب التي انهزم فيها الموحدون .

وكان ملك قشتالة قد اتفق مع الفونسو التاسع ملك ليون في العام الذي تلا موقعة العقاب على أن يتوجها لغزو بعض حصون المسلمين وبينما توجه الفونسو الثامن في طريق بياسة ، قام الفونسو التاسع ملك ليون بغزو قطاع اشبيلية ، ولكن الفونسو التاسع مضى إلى قاصرش وحاول أن يستولى عليها ولكن بلا فائدة (١) . في هذه الفترة تلقى الفونسو رسولا من خليفة الموحدين عرض عليه مبلغا كبيرا من المال إذا رفع الحصار عن قاصرش وعاد إلى مملكته ، فانسحب ملك ليون الغافل بعد أن قبل العرض السخي وانسحب مع الأسرى والغنائم ، ولكن الموحدين لم يدفعوا له المال واخذوا يحصنون قاصرش مما جعل الاستيلاء عليها صعبا ولذلك فقد تقدم إلى ماردة ولكنه قرر العودة إلى بلاده نظرا لقدم الشتاء ، مما أغضب حلفائه القشتاليين الذين أجبروا بدورهم على العودة إلى وطنهم ، وكان ذلك في عام ٦١١ هـ (١٢١٤م) وفي نفس هذا العام توفي فردلند ولي عهد ليون ، وأكبر أبناء الفونسو التاسع ، وكان للملك الليوني ولدان آخران من برنجويلا القشتالية هما فرناندو والفونسو فتولى فرناندو عرش قشتالة عام ٦١٤ هـ ( ١٢١٧م ) على النحو الذي أشرنا إليه فيما سبق ولثار أطماع والده ، وقد حاول أن يحاربه ليستولى على حكم المملكتين ، ولكنه أثر في نهاية الأمر السلام ، وتم الصلح عام ٦١٥ هـ (١٢١٨م) (٢) وكان الفونسو التاسع ملك ليون من أشد المهتمين بحركة الاسترداد ، لذلك فقد قام بمساعدة رجال الجماعات الدينية والمتطوعة الصليبيين للاستيلاء على القطاع المخصص له من أراضي المسلمين وقد رأينا

---

Martinez y. Martinez op. cit. p. 278.

(١)

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٥٩٥ - ٥٩٦ .

لأنه تخرج في ٦١٤هـ (أواخر عام ١٢١٧م) لمحاصرة مدينة قاصرش (١) على رأس قوة مشتركة من ليون وقشتالة ثم رفعوا الحصار عنها ، وتكرر حصار الملك الليونى لقاصرش الى ان انتهى الامر بسقوطها عام ١٢٢٧ (٢) خسرهما وردت في صلب الرسالة .

ثم عياد الفونسو التاسع في عام ٦٢٧هـ ( ١٢٢٩م ) للقيام بغزوة جديدة في اراضي المسلمين واستولى في ذلك العام على حصن منتانجش على مقربة من ماردة ، ثم استولى على ماردة ، ودارت بينه وبين ابن هود معركة دارت فيها الدائرة على المسلمين ، وما ان وقعت ماردة في يده حتى اتجه الى بطليوس التي سرعان ما سقطت بسهولة ويسر في ايدي قواته ، وتم ذلك في اواخر عام ٦٢٧هـ (١٢٣٠م) ولم تكد تمضي اسابيع قليلة حتى توفي الفونسو التاسع ملك ليون بعد ان انتهى سيادة الاسلام في بطليوس حاضرة الغرب الاسلامي ، ولما سقطت بطليوس في يد هذه المملكة المسيحية شأن غيرها من الحواضر الاسلامية العريقة في الاندلس ، بقي عدد كبير من اهلها المسلمين تحت السيادة الاسبانية ، عرفوا بالمديجنيين (٣) ثم سموا بانوريينكيين .

## ب - ارغون :

توفي الفونسو الثاني بن رامون برينجير الرابع في (٥٩٣هـ) ( ٢٥ أبريل ١١٩٦م ) وخلفه على مملكة ارغون وامارة قطلونية ابنه بطره الثاني الكاثوليكي ( ٥٩٣ - ٦١٥ هـ ) ( ١١٩٦ - ١٢١٨م ) وبدأ عهده بوصاية أمه دنيا سانشا . وكان بطره الثاني صديقا لالفونسو الثامن

---

(١) يسميها ابن عذارى قشرش ( ابن عذارى البيان ، ج٤ ، ص ٩١ ) بينما يسميها ابن القطان قشرش ( قطعة من نظم الجمان ، ص ٣٦٦ ) .

(٢) José Luis Martin, la peninsula en la edad media, p. 394.

(٣) محمد عبد الله عثمان ، نهاية الاندلس ، وتاريخ العرب المتصرفين ، ص ٥٦ .



وقد بذل له العون في حملته على مملكة ليون ، ونزلا على استرقة وشلمنقة  
الإمر الذي دعا الفونسو التاسع ملك ليون الى فتح باب المفاوضات مع  
الملكين المتحالفين ، ولم يلبث ملك ليون أن انضم الى هذا الحلف وبفضله  
تمكن ملك قشتالة من الظفر بعدد من القلاع في مملكة نبرة ، واضطر  
شأنجة السابع ملك نبرة الى زيارة ملك قشتالة في وادي الحجارة عام  
٦٠٤هـ ( ١٢٠٧م ) واتفقا على هدنة لمدة خمس سنوات على النحو الذي  
أشرنا إليه من قبل .

وقد أهتم بطرة الثاني بعد ذلك بأملكه فيما وراء البرانس واقليم  
بروفانس وبعض المناطق الأخرى ، كما أهتم بزيارة جنوة وبيزا للتفاهم  
مع هاتين الجمهوريتين على غزو الجزر الشرقية <sup>(١)</sup> ، ثم زار رومة لينال  
موافقة البابا على تنويجه ونجح في الحصول على هذا الحق عام ٦٠١هـ  
( ١٢٠٤م ) .

وحاول بنظره أن يصلح من النظم الاقطاعية في بلاده ، كما حارب  
بعض الملحدین الالبيين حتى يحمي أملكه فيما وراء البرانس ،  
وتوفى في عام ٥١٧هـ ( ١١٢٣م ) تاركا وراءه ابنه خايمي الأول طفلا  
صغيرا <sup>(٢)</sup> . ولم يكن للملك خايمي الأول أي علاقة بالغرب بل أن كل  
جهوده في الفتوحات الإسلامية اتجهت نحو شرق الأندلس والجزائر  
الشرقية . . . .

كذلك لم يكن لالفونسو السابع الملقب بالقوى ملك نبرة أية علاقات  
بالغرب أو ببطليوس وكانت سياسته تتلخص في أمرين :

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الزيارات راجع :

Claudio Galindo Guijarro, historia de España, t. II, Barcelona,  
1935, p. 443.

Aguado Bleye, op. cit. p 670.

(٢) محمد عبد الله عنان ، عصر الموحدين ، ص ٦٠٥ .

١ - محالفة الموحدين للاستنصار بهم من خطر الحلف القشتالي الارغونى (١) وقد سبق ان تحدثنا عن رحلته لمقابلة الخليفة محمد

الناصر .

٢ - عقد الصلح مع ملوك اسبانيا المسيحية قبل موقعة لاس نافاس دى تولوسا .

ج - مملكة البرتغال :

كان الفونسو انريكث ( ٥٣٣ - ٥٨١ هـ ) ( ١١٣٨ - ١١٨٥ م ) ويسميه العرب ادفونش بن الرنك صاحب قلمرية (٢) قد استقل بالبرتغال عن مملكة ليون وقد حرص الفونسو انريكث على توسيع املكه حتى بلغت ضفاف واديانه ، وفي عام ٥٣٤ هـ ( ١١٣٩ م ) أعلن نفسه ملكا على البرتغال وان كان مايزال يعتبر نفسه تابعا لالفونسو السابع ملك ليون وقشتالة . وللتخلص من تلك التبعية قرر بسلطان البابوية عام ٥٣٩ هـ ( ١١٤٤ م ) ، ثم دعا الى مملكته الداوية والاسبتارية ، وبمساعدهم تمكن من انتزاع شنترين من الموحدين .

وقد سخر الفونسو الصليبيين المارين ببلاده في طريقهم الى الاراضى المقدسة في الاستيلاء على لشبونة وشنترين عام ٥٤٣ هـ ( ١١٤٧ م ) ، ثم باجة في ٢١ من ذى الحجة ٥٥٧ هـ ( ١١٦٢ م ) ، وترجالة في جمادى الثانية ٥٦٠ هـ ( ١١٦٥ م ) ، ويابرة في ذى القعدة سنة ٥٦٠ هـ ( ١١٦٥ م ) وقاصرش في صفر ٥٦١ هـ ( ١١٦٥ م ) وحصن متنانجش في جمادى الاولى

---

( ١ ) Aguado Bleye, op. cit., p. 675. ، استعان شاتجة القوى بالموحدين

ضد الفونسو الثامن الذي كان قد استولى على البش وجيبوسكوا عام ٦٠٣ هـ ( ١٢٠٦ م ) ثم عاد الى مصالحته في العام التالى عندما اتفق معه في وادى الحجارة على الصلح مقابل التنازل له عن عدد من الحصون والمشاركة في الحملة الصليبية المشتركة ضد الموحدين .

( ٢ ) Terrasse, histoire du Maroc, t, I, p 321. وانظر ابن صاحب

الصلاة تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٢ .

سنة ٥٦١ هـ ( ١١٦٦ م ) ، وحصن شيرة في جمادى الاولى سنة ٥٦١ هـ ( ١١٦٦ م ) ، وحصن جلمانية في نفس السنة (١) ، وهدد بطليوس ولكن فرنانده بن اذفونش السليطين ( ويعرف فرنانده بالبيوج ) قدم دافعا لجرانده عن مدينة بطليوس ونجح في ايقاع الهزيمة بجيش ابن الرنك Alfonso Enriquez ، واصيب نفس الملك اصابة بالغة عالجها منها الملك فرنانده ثم اطلق سراحه (٢) . وفي عام ٥٦٦ هـ ( ١١٧٠ م ) تمكن الموحدون من استرجاع حصن جلمانية فهدموه ثم استرد الموحدون بعد ذلك يابرة وترجلة وقاصرش ومنتانجش .

على ان استقلال مملكة البرتغال لم يصبح حقيقة ثابتة الا باعتلاء ابنه شانجة الاول ( ٥٨١ هـ - ٦٠٩ هـ / ١١٨٥ - ١٢١١ م ) بعد وفاة الفونسو انريكث في ٥٨١ هـ ( ١١٨٥ م ) الذي عرف بفتح اليمتيخو ، ففي سنة ٥٨٦ هـ ( ١١٨٩ م ) تمكن من الاستيلاء على شلب Silves وباجة ويابرة (٣) مستغلا في ذلك حملة صليبية من الدانيين والفرينزيين (٤) ، كانت في طريقها الى الشرق ، وظلت شلب في حوزته زهاء عامين الى ان استردها الخليفة يعقوب المنصور في شوال ٥٨٧ هـ ( ١١٩١ م ) مع باجة وقصر ابي دانس ويابرة (٥) ، ثم انشغل سانشو الاول فيما بعد في خلاف نشب بينه وبين البابوية وخلافات اخرى اندلعت بينه وبين بعض الاساقفة في مملكته الذين اصدروا ضده قرار الجرمان . وتوفي في عام ٦٠٨ هـ ( ١٢١١ م ) وقرار الجرمان لا يزال ساريا ضده . فخلفه على حكم البرتغال ابنة الفونسو الثاني ( ٦٠٨ - ٦٢٠ هـ / ١٢١١ -

---

(١) ابن صاحب الصلاة ، تاريخ المن بالامامة ، ص ٣٧٣ .

(٢) Pascual Madrazo, Diccionario geográfico histórico de España y sus posesiones de Ultramar, t. II Madrid, 1846, p. 258.

(٣) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٤٤

(٤) Luis Suarez, op. cit. p. 256 - Glaudio Galindo Guijarro, Historia de España, Barcelona, 1935, p. 395.

(٥) ابن ابي زرع ، روض القرطاس ، ص ١٤٤ .

١٢٣٣م) الذي تلقى لقب البدين لشدة بدانته ، وقد بدأ عهده بنزاعه مع شقيقتيه بشأن سيادته على بعض مواضع تابعة لهما ، واحتيمتا بالبابا الذي عهد بالمناطق موضوع النزاع الى فرسان الداوية على أن تكون خاضعة لالفونسو البدين بينما يكون دخلها لصالح شقيقتيه الاميرتين تيريسا ويسانشا<sup>(١)</sup> . ثم تمكن الفونسو الثاني بمساعدة الفرق الصليبية من الاستيلاء على ثغر قصر ابي دانس<sup>(٢)</sup> ( ٦١٤ هـ ( ١٢١٧ م ) وتوفى الفونسو البدين في عام ٦٢٠ هـ ( ١٢٢٣ م ) وخلفه ابنه شانجة الثاني ( ٦٢٥ - ٦٤٥ هـ / ١٢٢٧ - ١٢٤٧ م ) الذي ازال كل خلاف بينه وبين عمته منتهزاً فرصة الخلافات الداخلية الموحدية ، فقد كان الخليفة المستنصر قد مات دون أن يعقب ، ويومع عبد الواحد اخو المنصور الموحدى ، وقام منافسوه وأهمهم أبو محمد ابن أخيه المنصور والى مرسية الذي كان يرى نفسه أحق بالخلافة وأقدم على خلع عمه مستنداً على ولاة وسط الاندلس والغرب ، ويومع هو بالخلافة ، عندئذ استغل أبو محمد بن ابي العلاء والى بياسة الفرصة وطلب مساعدة فردلند الثالث ملك قشتالة ، ولكن هذا الاخير ، هو الذى استثمر ثورة ابي محمد لنفسه ، فقد غزا الاندلس وافتتح جيان وايدة وبياسة<sup>(٣)</sup> ، ثم تفرغ بعد ذلك لانتزاع باقى اراضى المسلمين فى الغرب ، فاسترد ألبه عام ٦٢٤ هـ ( ١٢٢٦ م ) والبش Elvas وشيريه Serpa وجلمانية Jurumenha التى كانت تجاور بطليوس ، الى جانب كافة الحصون الواقعة على ضفاف وادى آنة مثل طيرة Tavira والفخار Alfajar ، ثم استولى على ميرتلة Mertaola ، وسلمها لفرسان شنت ياقب ، ثم على شلب عام ٦٤٠ هـ ( ١٢٤٢ م ) .

(١) Jose Luis Martín, la península en la edad media, p. 396.

(٢) يقول ابن ابي زرع: «وفى سنة أربع عشرة ومستمائة هزم المسلمون بقصر ابي دانس بالسيف وقتل منهم العدو أمما لاتحصى وفى سنة خمس وخمسة مائة دخل الفتنش قصر ابي دانس بالسيف وقتل من به من المسلمين» ، ص ١٨١ .

Martinez y Martinez, op. cit, p. 278.



وكانت بطليوس (١) وماردة وقاصرش قد سقطت في أيدي الليونيين  
وبذلك يكون المسلمون قد تفقدوا أهم مدن الغرب الأندلسي .

## ١٢ - جماعات الفرسان الدينية :

استوحى الملك الفونسو الأول المحارب ملك أرغون فكرة إنشاء  
منظمات أو جماعات الفرسان الدينية الحربية من الحركة الصليبية ، وربما  
كان مصدر هذه المنظمات الدينية العسكرية في الأندلس قد ظهرت نتيجة  
التأثير العميق للنفوذ الروحي البابوي ، على أن هناك أمرا لا بد من الإشارة  
إليه وهو أن جماعات من المجاهدين المسلمين ، كرسوا أنفسهم للرباط  
والجهاد والمثابرة بهدف اغتنام الشهادة (٢) ، وكانوا ينزلون منذ القرن  
الأول الهجري في رباطات أقيمت على السواحل أو في المناطق الثغرية  
ولعل كثرة ورود الالفاظ الدالة على الرباط في اللغة القشتالية يؤكد هذه  
الفكرة مثل Rabato. Rábida, Rábita . وهنا لا ينبغي أن نتجاهل  
إمكانية تأثير فكرة الرباط عند القوى المسيحية ، ولعل أبلغ دليل على  
انتشار روح الجهاد والرباط ، الحركة المعروفة بحركة ابن القط التي سبق  
أن أشرنا إليها في الجزء الأول من الرسالة ، وسواء كان هذا الافتراض  
صحيحا أو خاطئا بسبب عدم وجود طبقات من رجال الدين في الإسلام  
كما هو الحال في المسيحية ، فإنه مما لا شك فيه أن إسبانيا عرفت نظام  
جماعات الفرسان الدينية العسكرية منذ القرن السادس الهجري ، وأن هذا  
النظام انتشر انتشارا سريعا وعم في سائر الممالك المسيحية بإسبانيا وأول

---

(١) استولى الفونسو التاسع ملك ليون على بطليوس استنادا إلى أحد  
الامتيازات التي منحها الملك لدير فلپورايسو Valporaiso في  
(٦٢٨هـ) ٨ يناير ١٢٣٠م وفيه تلقب بملك بطليوس ( راجع  
Madoz, op. cit, p 258.

(٢) من الجدير بالذكر أن عددا كبيرا من العلماء المتفقيين في العلوم  
الدينية كانوا أحرص الناس على الرباط والجهاد بغية الثواب ولا  
ينبغي أن ننسى أن فتح جزيرة صقلية إنما قام بفضل قيادة الفقيه  
أسد بن الفرات وأن كثيرا من القضاة في الأندلس في العصر الأموي  
كانوا يشاركون في الغزوات في كثير من الحملات .

من حاول انشاء جماعات الفرسان الدينية في اسبانيا الفونسو الاول المحارب ملك ارغون الذى انشا بعد افتتاحه لسرقسة في ٥١٢هـ ( ١١١٨م ) قلعة سميت بقلعة مونريال Monreal لتكون مركزا للدفاع ضد المسلمين (١) ثم اخذ يفكر في انشاء جماعة من الفرسان برسم القبر المقدس ولكن مشروعه لم يقدر له ان يتم لافتقاده للفرسان الصالحين لهذه المهمة وفي هذه الفترة كانت جماعة الداوية « قد انشئت عام ٥١٣هـ ( ١١١٩م ) في بيت المقدس عقب سقوطها في ايدى الصليبيين وكان ملك بيت المقدس قد خصص لهم جناحا في قصره في المعبد المجاور له ، فعرفوا لذلك بفرسان المعبد Templars (٢) ، وعلى هذا الاساس تطلع ملوك المسيحية في اسبانيا الى اقامة فرع من نظام فرسان الداوية بالشرق في ممالكهم ، وانضم ريموند برنجار الثالث امير برشلونة في ذلك الوقت في سلك الداوية قبيل وفاته عام ٥٢٦هـ ( ١١٣١م ) ، فانشا ولده عقب وفاته اول دير للداوية في قطلونية ، ومن الجدير بالذكر ان الفونسو المحارب تنازل في وصيته عن ثلث املاكه ومملكته لفرسان الداوية ، وللفرع المقدس وللإمبتارية (٣) ، ولما كان الشعب قد رفض تقسيم المملكة فقد اعطى للداوية في عام ٥٣٨هـ ( ١١٤٣٠م ) .

كذلك قامت في مملكة ليون بعد سنوات قليلة جماعة سان خولييان San Julian del periero دل بيريرو (٤) او بنظام فرسان القنطرة Orden de Alcántara ، ورغم ذلك فهي لم تزدهر وتكبر بمثل ما حدث للجماعة الثانية ، جماعة فرسان قلعة رباح Calatrava . وقد ظهرت جماعة فرسان القنطرة في عهد الفونسو السابع ( ريمونديس ) حيث اتفق فارسان شلمنقيان هما سويرو وجومث نذرا ان يهبأ حياتهما

José Luis Martín la península en la edad media, p 361.

(١) يوسف أشباح ، تاريخ الاندلس ، ص ١٦٧ .  
José Luis Martín, op. cit. p. 361.

(٢) Martínez y Martínez, op. cit. p. 274 - 275.

(٣) .  
(٤) .

لمحاربة المسلمين وانضم اليها راهب هو سانت أما ندوس ، واخذوا يبحثون عن مكان يتخذونه حصنا لجماعتهم ، فالتسوة في دير سنت جولييانوس وابتنوا فيه حصنا ، سرعان ما امتلأ بأتباعهم من الزهاد والنساك الذين يرغبون في قتال المسلمين وقد تولى تنظيم هذه الجماعة الاسقف الشلمنقى ازدون . وعرفت في أول ظهورها باسم جماعة سان خوليان دل بيزيرو ثم تحول اسمها بعد نصف قرن الى جماعة فرسان القنطرة Alcántara (١) ونشأت في البرتغال عام ١١٧٦م ، أجناد يابرة La Milicia de Alcántara التي اندمجت بعد احدى عشرة سنة في جماعة قلعة رياح .

وفي عام ( ١٢٦١م ) قامت في غليسية جماعة دينية جديدة هي جماعة القديس ياقب Orden de Santiago (٢) ، أنشأها مجموعة من قطاع الطرق وعظهم رجال الدين ونصحوهم بالعمل الصالح الجاد ، وكان أول رئيس لهذه الجماعة هو الفارس «بيدروفرنانديس» Pedro Fernández الذي أباح لأعضاء جماعته الزواج ، وقد وصلنا مخطوط مصور عن تاريخ نظام فرسان سنت ياقب Santiago ، أعده بذرو دي أوروثكو وخوان دي لابارا في سنة ٨٩٤هـ ( ١٤٨٨م ) قبل سقوط غرناطة ، وفي القسم الاول من المخطوط مجموعة من البراءات البابوية أرسلها البابوات تعبيرا عن قبولهم لنظام فرسان سانت ياقب ، وتبدأ بترجمة قشتالية من البراءة الاولى التي أرسلها البابا الكسندر الثالث عام ٥٧١هـ ( ١١٧٥م ) ، والقسم الاول من تاريخ نظام فرسان سنت ياقب افراد لحياة ومعجزات سنت ياقب الكبير قطب اسبانيا ، ويتألف من

---

Martinez y Martinez, op. cit. p. 275.

(١)

ومن الجدير بالذكر أن الطابع القومي لهذه الجماعات واضح للغاية، فجماعة فرسان قلعة رياح قشتالية ، والقنطرة ليونية ، ويابرة برتغالية .

(٢) كانت تعرف عند نشأتها بجماعة قاصرش ، حيث نشأت باديء ذي بدء في عام ٥٦٧هـ ( ١١٧١م ) عقب انتصار فرناندو الثاني على جراندة الجليقي ( جيرالدوسمبافور ) .

ثمان فصول ، والثانى من ٢٢ فصلا تتضمن موجزا عن قواعد هذه الجماعة ، أما القسم الثالث فيشتمل على ٤٠ فصلا ، خصص كل فصل منها لترجمة رئيس واحد من رؤساء الجماعة (١) .

وكما ذكرنا فان الطابع القومى لهذه الجماعات واضح للغاية فجماعة قلعة رباح قشتالية ، والقنطرة ليونية ، ويابرة برتغالية .

وقد ذكرت بعض الروايات النصرانية ان الفونسو انريكث (٢) قد أنشأ في عام ٥٦٣هـ ( ١١٦٧م ) جماعة القديس ميخائيل المجنح San Michael del Ala لانه رأى اثناء موقعة شنترين ذراعا يتقلد سيفاً ، أنقذه من الهزيمة بمعجزة مما دفعه الى القول بان هذا الذراع كان ذراع قديس (٣) .

ولعل هذه الجماعات الدينية قد صبغت حروب النصارى ضد المسلمين المعروفة بالاسترداد La Reconquista بصبغة دينية صليبية بحتة ، فكانه كانت هناك حرب صليبية بالشام وحرب صليبية في اسبانيا انتهت بمقوط دولة الاسلام في الاندلس .

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن تاريخ جماعة فرسان شنت ياقب انظر Primera Historia de la Orden de Santiago (Manuscrito del siglo xv) : introducción, notas y apéndice del Marquits de Siete Iglesias, Badajoz, 1978, p. xvi).

(٢) وكان قد دعا الى مملكته الداوية والاستبارية وتمكن بمساعدتهم من الاستيلاء على شنترين (Aguado Bleye, op. cit. p. 659).

(٣) يوسف اشياخ ، تاريخ الاندلس ، ص ٢٧٠ .





## ملحق ٢

رسالة من عمر المتوكل على الله ابن الافطس

أمير بطليوس

الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين (١)

« لما كان نور الهدى ، أيدك الله ، دليلك ، وسبيل الخير سبيلك ،  
ووضحت في الصلاح معالك ، ووقفت على الجهاد عزائمك ، وصح العلم  
بأنك لدعوة الاسلام أعز ناصر ، وعلى غزو الشرك أقدر قادر ، وجب أن  
تستدعى لما أعجل الداء ، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء ، فقد  
كانت طوائف العدو المطيف بأنحائها أهلكهم الله عند إفراط تسلطها  
واعتمادها ، وشدة كلبها واستشرائها ، تلاطف بالاحتيايل وتستنزل بالاموال  
ويخرج لها عن كل ذخيرة وتسترضى بكل خطيرة ، ولم يزل دأبها التشطط  
والعناد ، ودأبنا الانقياد ، حتى نفذ الطارق والتلاد ، واتي على الظاهر  
والباطن النفاذ ، وايقنوا الآن بضعف المنن . وقويت أطماعهم في افتتاح  
المدن ، واضطربت في كل جهة نارهم ورويت من دماء المسلمين استنهم  
وشفارهم ، ومن أخطاه القتل منهم فأنما هم بأيديهم أسارا ومبابا  
يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا ، وقد هموا بما أرادوه من التوثب  
وأشرفوا على ما أملوه من التغلب فيالله وبالله المسلمين : أيسطو هكذا بالحق  
الافك ، ويغلب التوحيد الشرك ، ويظهر على الايمان الفكر ، ولا يكشف  
هذه البلية النصر ، الا ناصر لهذا الدين المهتضم ؟ الا حامى لما استبيح  
من الحرم ؟ وانا لله على ما لحق عرشه من ثل ، وعزه من ذل ، فأنها  
الرزية التى ليس فيها عزاء ، والبلية التى ليس لمثلها بلاء ، ومن قبل  
هذا ماكنت خاطبتك ، أعزك الله ، بالنازلة في مدينة قورية ، أعادها

---

(١) الحلل الموشية ص ٣٤ - ٣٦ ، مجموعات وثائقية دورية تصدرها  
مديرية الوثائق الملكية بالمغرب ، المجموعة الاولى ١٩٧٦ ، الرباط  
ص ١٨٧ ، ١٨٨ .

الله ، وانها مؤذنة للجزيرة بالخلافة ، ومن فيها من المسلمين بالجلال ثم  
مازال ذلك التخالف يتزايد ، والتدابين يقهاند . ، حتى تخلصت القضية  
وتضاعفت البلية ، وتحصلت في يد العدو مدينة سرية وعليها قلعة تجاوزت  
حد القلاع ، في الحصانة والامتناع ، وهي من المدينة كنقطة الدائرة  
وواسطة القلادة تدركها من جميع نواحيها ، ويستوى في الارض بها قاصيها  
ودانيها ، وما هو الا نفس خافت وزمر داهق ، استولى عليه عدو مشرك ،  
وطاغية منافق ، ان لم تبادروا بجماعتكم عجالا وتنتدركوها ركباتا ورجالا  
وتنفروا تحوها خفافا وثقالا ، وما اخضكم على الجهاد بما في كتاب الله ،  
فانكم له اتلى ، ولائما في حديث رسول الله ﷺ ، فانكم الى معرفته  
اهدي ، وكتابي اليكم هذا يخمله الشيخ الفقيه الواعظ ، يفصلها ويشرحها  
ومشتمل على نكتة هو يبينها ويوضحها ، فانه لما توجه نحوكم احتسابا  
وتكلف المشقة اليك طالبا ثوابا ، عولت على بيانه وثقت بقصاحة لسانه ،  
والمسلم » .

### ملحق ٣

رسالة من عمر المتوكل على الله ابن الافطس  
امير بطليوس الى الفونسو السادس ملك قشتالة (١)

« وصل اليينا من عظيم الروم كتاب مدع في المقادير ، ولحكام العزيز  
القدير يرعد ويبرق ، ويجمع تارة ثم يفرق ويهدد بجنوده الوافرة ،  
واحواله المتضافرة ، ولو علم أن لله جنودا اعز بهم كلمة الاسلام ، واظهر  
بهم دين نبينا محمد عليه السلام ، اعزة على الكافرين ، يجاهدون في سبيل  
الله ولا يخافون ، بالتقوى يعرفون ، وفي التوبة يتصرفون ، ولئن لمعت من  
خلف الروم بارقة فباذن الله ، وليعلم المؤمنين وليميز الله الخبيث من  
الطيب ويعلم المنافقين .

واما تعيرك للمسلمين بما وهى من احوالهم ، وظهر من اختلالهم  
فالذنوب المركوبة والفرك المكتوبة ، ولو لا فقت كلمتنا مع سائرنا من  
الاملاك ، لعلمت اى صاب اذقناك ، كما كانت آباؤك من آباؤنا تتجرعه  
فلم نزل نذيقها من الحمام وضروب الآلام ، شر ما تراه وتسمعه ، واما  
المال تتوزعه ، فبالامس كانت قطيعة المنصور على سلفك اهداء ابنته  
اليه مع الذخائر التى كانت تفد في كل عام عليه ، واما نحن وان قلت  
اعدادنا ، وعدم من المخلوقين استمدادنا ، فما بيننا وبينك بحر نخوضه ،  
ولا صعب نروضه الا سيوفا شهد بحدتها رقاب قومك ، وجلادا تبصره  
في ليلك ويومك .

وبالله تعالى وملائكته المومنين ، نتقوى عليك ونستعين ، ليس لنا  
سوى الله مطلب ولا لنا الى غيره مهرب ، وما تتربصون بنا الا احدى  
الحسينين : نصر عليكم فيالها من نعمة ومنة ، او شهادة في سبيل الله  
فيالها من جنة ، وفي الله العوض مما به هددت ، وفرج ييتر ما مددت  
ويقطع بك فيما اعددت .

---

(١) الحلل الموشية ، ص ٣٦ ، ٣٧ ، وانظر مجموعات وثائقية ص ١٧٠ ،





## ملحق ٤

### اهم الاعلام الجغرافية الواردة في الرسالة باللغتين العربية والاسبانية

Ubeda	أبدة ( وبدة )
Ebro	أبره ( نهر )
Abtir	أبطير ( حصن )
Oviedo	أبيط
Exitania (Idanha).	أجدانية
Castillo de Lares	الأرش ( حصن )
Alarcos	الارك
Arcos	اركش
Arun	أرندة
Astorga	أستورقة
Esparragosa	أشبز غوزة ( جبل )
Sevilla	أشبيلية
Lisboa	الاشبونة
Fraga	أفراغة
Uclés	أقليش
Ocsonoba	أكسونوبلة
Elvas	البنش
Alava	البنة
Amaya	أماية ( جبل )
Magazela	أم خزاله ( حصن )
Encinar	أنسين
Idanha - a - velha	أنطاطة ( حصن )
Andujar	أندوتجر
Oporto	أوريطة
Beja	باجنة
Viseo	بازو ( بيزيو )

Palva	بالفة
Porto	برتقال
Burgos	برغش
Pedraja	بطريشة
Viguera	بقيرة ( حصن )
Velillos	بلايش ( حصن )
Valada	بلاطبة ( فحص )
Belinchon	بلشون ( حصن )
Valtierra	بالتيرة ( الحصن )
Palmela	بالمالة ( الحصن )
Valladolid	بلد الوليد
Alhelda	البلدة ( قلعة )
Tajo	تاجا ( نهر )
Tacorona	تاكرونا
Trujillo	لترجالة ( فرجة )
Sierra de Almáden	جبل المعدن
Gibraléon	جبال العيون
Jerez de los Caballeros	جريتة
Guernica	جرتيق
Jurumenha	جلمانية
Jaen	جيان
Alarje	حصن الحنش
Aznalcázar	حصن القصر
Iznalloz	حصن اللوز
Azuaga	حصن زواغة
Zacatan	حصن سكتان
Aznalfarache	حصن الفرج
Cardela	حصن قرذيره
Marvão	حصن مروان
Almadá	حصن المعدن

Aljucén	الحضين
Duero	دويره ( نهر )
Ronda	رندة
Rueda	روطنة ( حصن )
Azágala	الزجالة ( حصن )
Sagrajas	الزلاقة ( قفص )
Gineta	زناتة
Giudad Rodrigo	السبطانط
Sever	سبير ( نهر )
Zaragoza	مرقسطة
Soria	مريّة
Zorita	مرتة
Zamora	سزورة
Medina Sidonia	شدونة
Aljarafe	الشراف
Jerez	شريس
Jerez de los Caballeros	شريشة
Setubal	شطونيز ( نهر )
Segura	شقوارة ( نهر )
Silves	شالب
Salvatierra	شليطرة
Saltés	شلطيش
Salamanca	شلمنقة
Sanlucar	شالوكة
Santa Cruz de la sierra	شنت اقروج ( حصن )
Santa maria de Algarve	شنتا بزية الغرب
Santaver	شنتا بزية
Santarem	شنترين
Cintra	شنترة
Santiago de compostela	شنت ياقب



Serpa	شيزينة ( حصن )
Covadonga	الصخرة
Castillo de la peña	صخرة أبى حسان ( حصن )
Safarez	صفرة
Tavira	طبيرة
Torres Novas	طرش
Tarragona	طركونة
Talavera	طلبيرة
Triana	طريانة
Toledo	طلنطة
Tablada	طلياطه
Touçanique	طوطالقه
Tomar	طمان
Las Navas de Tolosa	العقاب ( حصن )
Albacar	عقبة البقر
Granada	غرناطة
Vez de Marbán	فحص مروان
Valle de los pedroches	فحص البلوط
Alfajar	الفخار
Hornachuelos	أقرنجولش
Cadiz	قادس
San Estéban de Gormaz	غرماج ( حصن )
Castro Muros	قاشتره مورش
Cáceres	قأصرش
Caia	قاية
Carmona	قرمونة
Cacella	قسطة الغرب
Alcaçer do sal	قصر أبى دانس
Coimbra	قلمرية
Calatrava	قلعة رياح

Caliosa	قاليوسا
Canales	قناليس
Alcántara	قنطرة السيف
Cantich	قنتيش
Cuenca	قونكة
Coria	قوريسا
Albuquerque	كركر ( حصن )
Lerida	لاريدا
Niebla	نيبله
Castillo. Logrosán	قورشان ( حصن )
Fuente de cantos	فنت
Lamego	لاميكو
Lanchach	لانشاش
Lobón	لوبيون ( حصن )
Mertola	ميرتول ( حصن )
Merida	مارتلة ( مرتلة )
Madrid	مارتلة
Medellin	مجريط
Almodovar	مدلين
Medinaceli	المدور
Majorrocal	مدينة سالم
Murviedro	مرج الرقاد
Almeria	مريبطر
Mestanza	المرية
Maguilla	مسطاسة
Mudonia	مغيلة
Malagón	مطونية
Mequineza	ملقون
Montánchez	مكناسة الاصنام
Monsalud	منتانجش
	منت شلوط

Mentesa	منفيسة
Montemor O Velho	ملت ميور
Mondego	منديق ( نهر )
Miãa	مئية ( نهر )
Moura	مورة
Moron	موزور
Muros	مورمن ( الحصن )
Nepza	نقرة
Nogales	نقالس
Osma	وخمة
Guadiana	واديانة ( نهر )
Guadalajara	وادي الحجارة
Junquera	وادي خنقيرة
Guadalupe	وادي لب ( جبل )
Evora	يابة
Elvas	يلبتن

## قائمة المصادر والمراجع





## أولا - المصادر العربية

### (١) المخطوطات العربية

ابن فضل الله العمرى ( شهاب الدين أحمد ) : مسالك الابصار فى ممالك  
الامصار ، الجزء التاسع ، نسخة مصورة محفوظة بمكتبة  
المعهد المصرى للدراسات الاسلامية فى مدريد ، تحت رقم ٢٠

الشاطبى المغربى ( محمد بن على ) : « عقود الجمان فى مختصر  
اخبار الزمان » ميكروفيلم ، محفوظ بمكتبة البحث  
العلمى بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

مجهول « تاريخ مدينة فاس وبناء جامع القرويين ، وجغرافية  
الاندلس ومصر والشام والحجاز » ، ميكروفيلم محفوظ  
بمكتبة البحث العلمى بجامعة أم القرى ، رقم ٥٣٠

مجهول « ذكر بلاد الاندلس وفضلها وصفتها وذكر أصقاعها » نسخة  
مصورة محفوظة بمكتبة المعهد المصرى للدراسات الاسلامية  
بمدريد تحت رقم ٢٦ ( وقد حققها مؤخرا الاستاذ لويس  
مولينا Luis Molina وصدرت فى مدريد ١٩٨٣ ) .

النويرى ( شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ) « نهاية الارب فى  
فنون الادب » ، المجلد ٢٢ ، نسخة مصورة محفوظة  
بمكتبة كلية الآداب جامعة الاسكندرية ( وقد حققت  
مؤخرا وصدرت فى الهيئة العامة للكتاب ) .

### (٢) المصادر العربية المحققة

الاديسى ( الشريف أبو عبد الله محمد ) : « صفة المغرب وارض  
السودان ومصر والاندلس » ، مأخوذة من كتاب نزهة  
المشتاق فى اختراق الافاق تحقيق دوزى ودى غويه ،

ليدن ١٩٦٨ ( مصورة عن النسخة الاصلية ) ونسخة  
مصورة عن القسم الخاص بالاندلس صدرت بعنوان :  
Idrisi, geografia de España, Valencia, 1974).

ابن الأبيار ( أبو عبيد الله محمد القضاعي ) : « كتاب التكملة لكتاب  
المصلة ، تحقيق كودييه ، مدريد ، ١٨٨٦ » .

» : « المعجم في أصحاب القاضي الامام أبي علي الصدهي »  
مدريد ، ١٨٨٥ .

» : « الخلعة النيرة » : تحقيق الدكتور حسين مؤنس ،  
القاهرة ، ١٩٦٣ .

ابن الاثير ( علي بن احمد الملقب بغز الدين ) : « الكامل في التاريخ »  
طبعة بيروت ١٩٦٥ ، وهي مصورة عن طبعة ليدن ،  
١٨٦٥ .

» : « ( مجد الدين ) : « المرصع في الأبناء والامهات والبنين  
والبنات » ، تحقيق الدكتور ابراهيم السامرائي ، بغداد  
١٩٧٢ .

ابن أبي أصيبعة ( موفق الدين أبي الغباس احمد بن القاسم الخرجي ) :  
« عيون الأنباء في طبقات الأطباء » ، نشر وتحقيق  
الدكتور نزار رضا ، بيروت ، ١٩٦٥ .

ابن أبي زرع ( أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي ) : « كتاب الانيس  
المطرب روض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ  
مدينة فاس » تحقيق تورنبرج ، أو بسالة ١٨٤٣ .

» : « الفخيرة الفنية في تاريخ الدولة المرينية » نشر دار  
المصور للكتاب ، ١٩٧٢ .

ابن بسام ( أبو الحسن علي الشنتريلى ) : كتاب الذخيرة في محاسن  
اهل الجزيرة » ، تحقيق الدكتور احسان عباس ، أربعة  
اقسام في ثمان مجلدات ، بيروت ١٩٧٩ .

ابن بشكوال ( أبو القاسم خلف بن عبد الله ) : كتاب الصلة في تاريخ  
أئمة الاندلس » مجموعة تراثنا ، نشر الدار المصرية  
للتأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

ابن جلجل ( أبو داود سليمان بن حسان ) : « طبقات الاطباء  
والحكماء » . تحقيق الاستاذ فؤاد السيد ، القاهرة ، ١٩٥٥

ابن حزم ( أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ) : « جمهرة أنساب  
العرب » . تحقيق الاستاذ ليفى بروفنسال ، القاهرة ١٩٦٢

» ، » « نطق العروس » تحقيق الدكتور شوقي ضيف ، مجلة كلية  
الآداب ، جامعة القاهرة ١٩٥١ ، والنسخة القديمة التي  
حققها سيبولد وترجمها الى الاسبانية لويس سيكو دي  
لوثينا ، صدرت ببلنسية ، ١٩٧٤ .

ابن جوقل النصيبى ( أبو القاسم محمد بن علي ) : « كتاب صورة  
الارض » ، نشر دار الحياة ، بيروت ، ١٩٦٣

ابن حيان ( أبو مروان حيان بن خلف بن حيان القرطبي ) : « كتاب  
المقتبس من انباء اهل الاندلس » ، أربع قطع :

منها : قطعة خاصة بعهد الأمير عبد الله ، نشرها الاب  
: مبشور . انطونية ، وصدرت في باريس ١٩٣٧ ، وقطعة  
خاصة بالسنوات الاخيرة من عهد عبد الرحمن الاوسط  
وعهد الأمير محمد بن عبد الرحمن ، حققها الدكتور  
محمود علي مكي مع دراسات وتعليقات وصدرت في بيروت



١٩٧٣ . وقطعة خاصة بالسنين الثلاثين الاولى من عهد  
عبد الرحمن الناصر ، نشرها بدور شالميتا وكورينطى  
ومحمود صبح ، مدريد ١٩٧٩ ، وقطعة خاصة بالحكم  
المستنصر نشرها د. عبد الرحمن الحجى ، بيروت ١٩٦٥

ابن خاقان ( ابو نصر الفتح بن محمد بن عبد الله القيسى ) : « قلائد  
العقيان » القاهرة ، ١٣٢٠ هـ .

ابن الخطيب ( لسان الدين ابو عبد الله محمد . ) : « كتاب أعمال  
الاعلام » ، تحقيق ليفى بروفنسال بيروت ، ١٩٥٦ .

ابن الخطيب : « الاحاطة فى اخبار غرناطة » ، تحقيق الاستاذ محمد  
عبد الله عنان ، ٤ مجلدات ، القاهرة ، ١٩٧٥ .

ابن خلدون ( عبد الرحمن بن محمد ) : « كتاب العبر وديوان المبتدا  
والخبر » ، المقدمة طبعة المكتبة التجارية ، القاهرة بدون  
تاريخ ، والجزآن الرابع والسادس طبعة بيروت ، ١٩٦٨

ابن خلكان ( شمس الدين ابو العباس احمد ابن محمد ) : « وفيات  
الاعيان وانباء ابناء الزمان » ، تحقيق الدكتور احسان  
عباس ، ٨ مجلدات دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٧١

ابن دراج القسطلی : ديوان ابن دراج القسطلی ، نشر: وتحقيق الدكتور  
محمود على مكى ، دمشق ١٩٦١ .

ابن سعيد المغربى ( على بن موسى ) : « المغرب فى حلى المغرب » ،  
تحقيق الدكتور شوقى ضيف ، جزآن ، القاهرة ، ١٩٥٣

« » « رايات المبرزين وغايات المميزين » ، تحقيق الدكتور  
النعمان عبد المتعال القاضى ، القاهرة ١٩٧٣ .

ابن سمالك العاملى ( أبو القاسم محمد بن أبى العلاء محمد ) :  
« الزهرات المنثورة فى نكت الاخبار الماثورة » تقديم  
وتحقيق الدكتور محمود على مكى مجلة المعهد المصرى  
للدراستات الاسلاميه فى مدريد ، المجلد العشرون ، ١٩٧٩  
- ١٩٨٠ .

» » » ( أبو عبد الله بن أبى العلاء ) : « الحلل الموشية فى ذكر  
الاخبار المراكشية » ، تحقيق الدكتور سهيل زكار ،  
والاستاذ عبد القادر زمامه ، الدار البيضاء ، ١٩٧٩ .

ابن صاحب الصلاة ( عبد الملك محمد بن احمد الباجى ) : « تاريخ  
المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله ائمة وجعلهم  
الوارثين » تحقيق عبد الهادى التازى ، بيروت ، ١٩٦٤

ابن عذارى المراكشى ( أبو عبد الله محمد ) : « البيان المغرب فى  
اخبار الاندلس والمغرب ٤ اجزاء تنتهى بنهاية عصر دولة  
المرابطين فى المغرب والاندلس ، نشر دار الثقافة ببيروت  
والقسم الثالث بدولة الموحدين ، تحقيق امبروسيو اويثى  
ميراندا ومحمد بن تاويت ومحمد ابراهيم الكتانى ،  
مطبوعات كلية الاداب ، جامعة الملك محمد الخامس ،  
تطوان ، ١٩٦٣ .

ابن غالب ( محمد بن ايوب الاندلسى ) : قطعة من كتاب فرحة الانفس،  
نشرها الدكتور احمد لطفى عبد البديع ، مجلة معهد  
المخطوطات العربية القاهرة ، ١٩٥٦

ابن إفرى ( أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف ) : « تاريخ  
علماء الاندلس » تحقيق فرنسيسكو كوديره ، جزان ، مدريد  
١٨٩١ .

ابن القطان ( أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الملك ) الكتابي  
الفاسي ( قطعة من كتاب نظم النجمان ، تحقيق الدكتور  
محمود علي مكي ، منشورات كلية الآداب جامعة محمد  
الخامس بالرباط ، تطوان ( بدون تاريخ ) .

ابن القوطية ( أبو بكر محمد القرطبي ) « تاريخ افتتاح الاندلس »  
، نشرة خليان ربيرا ، مدريد ، ١٩٢٦ .

ابن كثير الدمشقي ( عماد الدين اسماعيل ) « البداية والنهاية » ،  
بيروت ، ١٩٦٦ .

ابن الكريديوس ( أبو مروان عبد الملك التوزري ) : « تاريخ الاندلس »  
وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء ، تحقيق  
الدكتور مختار العبادي ، مطبوعات العهد المصري  
للدراسات الإسلامية مدريد ، ١٩٧١ .

ابن مرزوق ( محمد التلمساني ) : « المسند الصحيح الحسن في مآثر  
مولانا الحسن » ، تحقيق مازيا خيسوس بيغيرا ، ومحمود  
بو عياد ، الجزائر ، ١٩٨١ .

البكري ( أبو عبد الله بن عبد العزيز ) : « جغرافية الاندلس وأوروبا  
من كتاب المسالك والممالك » تحقيق الدكتور عبد الرحمن  
الحجي ، بيروت ١٩٦٨ .

البيذق ( أبو بكر بن علي الصنهاجي ) : « كتاب أخبار المهدي بن  
تومرت » تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات ،  
الجزائر ، ١٩٧٤ .

الحميذي ( أبو عبد الله محمد بن فتوح ) : « جذوة المقتبس في ذكر  
رجال الاندلس » ، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة ،  
القاهرة ١٩٦٦ .

الخضيري ( أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ) : « صفة جزيرة الاندلس  
منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الاقطار » ،  
تحقيق ليفي بروفنسال ، القاهرة ، ١٩٣٧ .

الرازي ( أحمد بن محمد ) وصف الاندلس من خلال الترجمة الفرنسية  
للنسخة البرتغالية المنقحة الصادرة في لشبونة ١٩٥٢ ،  
وقد عني بهذا الترجمة الفرنسية الاستاذ ليفي بروفنسال  
فصدرت في مجلة الاندلس بعنوان :

La Description de l'Espagne (d'Achmad al - Razi, al Andalus,  
vol. XXIII, fasc. I, 1953 (PP. 51 - 109)

La «Cronica do Mouro Rasis» y el «Ajbar Muluk al  
Andalus», de Ahmad ibn Muhammad al - Razi, ed. Diego  
Catalan y Maria soledad de Andres, y otros colaboradores,  
Madrid, 1975.

الضبي ( أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة ) بغية الملتصق في تاريخ  
رجال اهل الاندلس ، نشره كوديره وريبيرا ، مدريد  
١٨٨٤ .

عبد الله الزيري ( عبد الله بلقين بن باديس بن حبوس ) « مذكرات  
الامير عبد الله آخر ملوك بني زيري بغرناطة ، المسماة  
بكتيب التبيان » نشر وتحقيق ليفي بروفنسال ، باريس ،  
١٩٥٥ .

العذري ( أحمد بن عمر بن أنس المعروف بابن الدلائي ) : « ترميع  
الاخبطار وتنويع الآثار » ، والبستان في غرائب البلدان  
والممالك الى الممالك » ، تحقيق الدكتور عبد العزيز  
الاهواني ، مدريد ، ٢٩٦٥ .



القزوينى ( زكريا بن محمد ) : « آثار البلاد وأخبار العباد » جوتنجن  
١٨٤٨ .

القفطى ( جمال الدين أبى الحسن على بن يوسف ) : « تاريخ  
الحكماء » ، تحقيق Julius Lippert . ليبزج ، ١٩٠٣

مجموعة رسائل موحدية من كتاب الدولة المؤمنية ،  
نشرها ليفى بروفنسال الرباط ، ١٩٤١ .

مجموعات وثائقية دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية  
بالمغرب ، المجموعة الاولى ، الرباط ١٩٧٦ .

مجهول : أخبار مجموعة فى تاريخ الاندلس ، نشره لافوتنى  
القنطرة ، فى مجموعة Obras arábicas ، مدريد ، ١٨٦٧

« مدونة من عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله »  
نشرها وقام بدراستها وترجمتها الى الاسبانية الاستاذان  
ليفى بروفنسال وغرسية غومس بعنوان :

Una crónica anònima de Abd al - Rahman III al - Nasir,  
Madrid - Granada, 1950.

مجهول : « نبذ تاريخية من كتاب مفاخر البربر » ، تحقيق ليفى  
بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤ .

المراكشى ( عبد الواحد بن على ) : المعجب فى تلخيص أخبار المغرب  
نشره الاستاذان محمد سعيد العريان ، ومحمد العربى  
العلمى ، القاهرة ، ١٩٤٩ .

المقرى ( أحمد بن محمد التلمسانى ) « نفح الطيب من غصن اندلس  
الرطيب » ، تحقيق الاستاذ محيى الدين عبد الحميد  
( الاجزاء الستة الاولى ) القاهرة ، ١٩٤٩ .

النباهى ( أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن الملقى ) « تاريخ قضاة  
الاندلس المسمى كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء  
والفتيا » ( نسخة مصورة من النسخة التى حققها ليغى  
بروفنسال وصورت بالقاهرة فى ١٩٤٨ ) .

الونشريشى ( أبو العباس احمد بن يحيى محمد التلمسانى ) : « اسنى  
المتاجر فى بيان أحكام من غلب على وطنه النصارى ولم  
يهاجر » ، نشره الدكتور حسين مؤنس ، صحيفة المعهد  
المصرى بمديره ، المجلد الخامس مديده ، ١٩٥٧ .

### ثانيا : المصادر الاسبانية

a) Franciso Henrique Florez, España Sagrada, t. XIV, Madrid, M Dcc

1 — Chronicon Lusitanum, pp. 402 - 419.

2 — Chronicon de Sampiro obispo de Astorga, pp. 419-457.

3 — Chronicon del obispo de Oviedo D. Pelayo, pp. 458 - 475.

b) Primera Crónica General de España, II tomo de la tercera reimpresión, editada por Ramon Menendez pidal con un estudio de Diego Catalan, Madrid, 1977.

c) Primera historia de la orden de Santiago (Manuscrito del siglo XV; introduccion, notas y apéndice del Marques de Siete Iglesias, Badajoz, 1978.

d) Documentos transcritos en los apéndices de :

Matias Ramón Martinez y Martinez, Historia del reino de Badajoz, 1904.

1 — Apéndice V : conquista de Coria por Alfonso VII

2 — Apéndice XXV : donacion de varios bienes en Merida a la orden de Alcántara, en el año 1230

3 — Apendice XXVLLL : Donación de Montanchez a la orden de Santiago, en el año 1230.

### ثالثاً :- المراجع العربية الحديثة والمعربة

ابو الفضل ( دكتور محمد احمد ) : شرق الاندلس في ظل الدولة  
الموحدية ، رسالة دكتوراة ، نوقشت في جامعة الاسكندرية  
في اكتوبر ١٩٨٠ .

اشسباخ ( جوزيف ) : تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين ،  
ترجمة الاستاذ محمد عبد الله عنان ، القاهرة ، ١٩٥٨

جمال الدين ( دكتور عبد الله ) ابو مروان بن حيان امير مؤرخي  
الاندلس ، منزلته وكتبه ومنهجه التاريخي ومصادره ،  
مجلة اوراق ، العدد الثاني ، مدريد ١٩٧٩

جنثالث بالنتيا ( آنخل ) : تاريخ الفكر الاندلسي ، ترجمة دكتور حسين  
مؤنس ، القاهرة ١٩٥٥

جوميثا موزيتو ( مانويل ) : الفن الاسلامي في اسبانيا منذ الفتح العربي  
حتى عصر المرابطين ، ترجمة الدكتور لطفى عبد البديع ،  
والدكتور السيد عبد العزيز سالم ، القاهرة ١٩٥٩

الحريرى (دكتور محمد عيسى) : عمر بن حفصون ، زعيم المولدين  
في الجنوب الاندلسي ، الطبعة الاولى ، القاهرة ١٩٨٢

سالم ( دكتور السيد عبد العزيز ) : تحقيق أسماء قصور بنى عباد  
باشبيلية الواردة في شعر ابن زيدون مجلة اوراق ، العدد  
الثاني ، مدريد ١٩٧٩

» تاريخ المغرب الكبير ، الجزء الثاني : العصر الاسلامي ، دراسة  
تاريخية وعمرانية وأثرية ، بيروت ، ١٩٨١ .

» التاريخ والمؤرخون العرب ، الاسكندرية ، ١٩٨١ .



سالم ( دكتور السيد عبد العزيز ) بطليوس ، دائرة المعارف الشعب ،  
عدد ٦١ ، القاهرة ، ١٩٥٨ .

» تاريخ المسلمين وآثارهم في الاندلس ، الاسكندرية ، ١٩٨٣ .

» قرطبة حاضرة الخلافة في الاندلس ، جزآن ، بيروت ، ١٩٧١ .

» تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة أسطول الاندلس ، بيروت  
١٩٦٩ .

» اضاء على مشكلة تاريخ بناء أسوار اشبيلية مجلة المعهد المصري  
للدراسات الإسلامية بمدير ، عدد ١٨ ، ١٩٧٥ .

» حول رفع الاكوية السوداء في المغرب والاندلس ندوة التاريخ  
الوسيط ، المجلد الثاني ، القاهرة ، ١٩٨٣ ص ٤٩ -  
٨٣ .

» واحمد مختار العبادي : تاريخ البحرية الاسلامية في حوض  
البحر المتوسط الجزء الثاني البحرية الاسلامية في المغرب  
والاندلس ، الاسكندرية ، ١٩٨٢ .

» ( سحر السيد عبد العزيز ) : للحقيقة والتاريخ ، مجلة اكتوبر  
يونيو ١٩٨٤ العدد ٤٠٠ .

الشيال ( دكتور جمال الدين ) : التاريخ الاسلامي واثره في الفكر  
التاريخي الاوروبي في عصر النهضة ، بيروت ، ١٩٦٩ .  
العبادي ( دكتور احمد مختار ) : في تاريخ المغرب والاندلس ، بيروت  
١٩٧٢ .

» دراسة حول كتاب الحل الموشية ، مجلة تطوان ، العدد  
الخامس ، ١٩٦٠ .

» تاريخ البحرية الاسلامية في المغرب والاندلس ، الاسكندرية ،  
١٩٨٢ .

الحجى ( دكتور عبد الرحمن على ) اندلسيات ، المجموعة الثانية ، دار  
الارشاد ببيروت ، ١٩٦٩ .

» التاريخ الاندلسى من الفتح الاسلامى حتى سقوط غرناطة ٩٢ -  
٨٩٧ هـ ، دمشق ، ١٩٧٦ .

عزت قاسم تاريخ مرسية الاسلامية منذ انشائها حتى استيلاء المرابطين  
عليها ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الاداب ، جامعة  
الاسكندرية ، ١٩٨٤ .

علام ( دكتور عبد الله ) الدولة الموحدية فى المغرب ، القاهرة

عنان ( الاستاذ محمد عبد الله ) دولة الاسلام فى الاندلس ، العصر الاول ،  
القسم الاول بعد الفتح الى بداية عصر الخلافة ، القاهرة  
١٩٦٩ القسم الثانى : الخلافة الاموية والدولة العامرية ،  
القاهرة - ١٩٦٩ .

» دول الطوائف منذ قيامها حتى الفتح المرابطى ، القاهرة ،  
١٩٦١ .

» عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس القسم الاول عصر  
المرابطين وبداية الدولة الموحدية ، القاهرة ، ١٩٦٤ .

» عصر المرابطين والموحدين فى المغرب والاندلس ، القسم الثانى ،  
عصر الموحدين وانهيار الاندلس الكبرى ، القاهرة ،  
١٩٦٤ .

» : الآثار الاندلسية الباقية فى اسبانيا والبرتغال ، دراسة تاريخية  
اثرية القاهرة ، ١٩٦١ .

» مواقف حاسمة فى تاريخ الاسلام ، القاهرة ، ١٩٦٢ .

ليفى بروفنسال : الاسلام فى المغرب والاندلس ، سلسلة الف كتاب ، رقم ٨٥ ،  
ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم ومحمد صلاح الدين  
حلمى ، القاهرة ، ١٩٥٨ •

مؤنس ( دكتور حسين ) : معالم تاريخ المغرب والاندلس ، الاسكندرية  
١٩٨٣ •

» تاريخ الجغرافية والجغرافيين ، مدريد ١٩٦٧ •

» فجر الاندلس ، القاهرة ، ١٩٥٩ •

محمود ( دكتور حسن احمد ) : قيام دولة المرابطين : صفحة مشرفة  
من تاريخ المغرب فى العصور الوسطى ، القاهرة ، ١٩٥٧ •

مكى ( دكتور محمود على ) ، مدريد العربية المؤسسة المصرية العامة  
للتأليف والنشر ، القاهرة ( بدون تاريخ ) •

**رابعاً : المراجع الاوربية الحديثة**

**Albarran (Mánuel Torron): el solar de los Aftasiés:**

» **La sierra de Tornado, Badajoz, 1953.**

**Alonso (Sanchez) : Histoire de la historiografía española, Madrid, 1947.**

**de las Cagigas (Isidro) : Los Mozárabes, t. I, Madrid, 1947.**

» » : **Andalucía musulmana, Madrid, 1950.**

**Castejón (Rafael) : Córdoba califal. Boletín de la Real Academia de Bellas Artes de Córdoba, Córdoba, 1929.**

**Castro (A.) : Acerca del nombre de Badajoz, Revista española, t. XII, 1926.**

**Códera (Francisco) : los Benimeruan en Mérida y Badajoz colección Estudios críticos de historia árabe Español., Madrid, 1917. (PP. 1<sup>a</sup>: 75).**

» » **Decadencia y desaparición de los Almorávides en España, Zaragoza, 1899.**

**Conde (Jose Antonio) : Historia de la dominación de los Arabes en España, 3 vols. Madrid, 1820 - 1821.**

**Delgado (Rodrigo dosma) : Discursos pátrios de la real ciudad de Badajoz, Badajoz, 1870.**

**Dozy (R.) : Histoire des Musulmans d'Espagne, ed. Lévi - Provençal, 3 vols, Leiden, 1932.**

**Fernández (Aviles) : y otros, España musulmana, serie nueva, historia de España, Madrid, 1980.**



» » los reinos Cristianos en la alta edad media, 1980

» » (Luis Suárez): Historia de España, Madrid, 1977

» » Historia de España, edad media, Madrid, 1987.

Ferrandís (Jose) : Marfiles árabes de Occidente, 2 tomos, Madrid, 1932.

de Figueroa (Diego Suárez) : historia de la ciudad de Badajoz, Badajoz, 1976.

Florez (F. Henrique) : España sagrada, t. XIV, Madrid, dccc.

Garcia Gomez (Emilio) : A proposito de ibn Hayyan, al - Andalus, vol. XI, fasc. 2, 1946.

» » Algunas precisiones sobre la ruina de la Córdoba omeya, al - Andalus, vol. XII, 1947.

Garcia Gómez : Un supuesto sepulcro de Motamid de Sevilla en Agmat, al - Andalus, vol. XVII, 1953.

Garcia y Bellido (Antonio) : la España del siglo primero de nuestra era, según p. mela y Plinio, Madrid, 1947.

Grimbero (carl) : Historia universal, t. IV, la edad media, Madrid, 1973.

Gujarra (Claudio Galindo) : Historia de España, t. II, Barcelona, 1935.

Lacarra (Jose Maria) : Alfonso el Batallader, Zaragoza, 1972.

Lévi, Provençal (E.) Histoire de l'Espagne musulmane, 2 tomes, Paris, 1950 - 1951.

- » » Inscriptions arabes d'Espagne, 2 tomes, Paris, 1931.
- » » L'Espagne musulmane au x e siecle, Paris, 1932.
- » » La description de l'Espagne d'Ahmad al - Razi, al - Andalus, vol XVIII, 1953.
- » » & Garcia Gomez, Oliver Asin : Novedades sobre la batalla llamada al - Zalaca, al - Andalus, vol XV, 1950.
- Lovillo (Jose Guerrero) : al Qasr al - Mubatak, Boletin de la Real Academia de Bellas Artes de Sevilla, Sevilla, 1974.
- Madoz (Pascual) : Diccionario geográfico - histórico de España y sus posesiones de ultramar, t. III, Madrid, 1846.
- Marçais (Georges) : L'Architecture musulmane d'Occident, Paris, 1954.
- Martin (Jose Luis) : La Peninsula en la Edad Media, Barcelona, 1980
  - » Historia de España, reinos cristianos y Musulmanes (siglos XI - XIII) Madrid, Diciembre 1980.
  - » & Carmen Cedoñer, Manuel Sanchez : La Alta edad media, visigodos y primeros reinos cristianos, Octubre, 1980.
- Martinez y Martinez (Matias Ramon) : Historia del reino de Badajoz, Badajoz, 1904.
- Melchor (Antuña) : Aben Hayan de Córdoba y su obra historica, el - Escorial, 1924.
- Melida (José Ramón) : Catálogo Monumental de España; Provincia de Badajoz, texto Madrid, 1925.
- Menendez - Pidal (Ramon) : La España del Cid, t. I, Madrid, 1947

- » » & Garcia Gómez : El conde mozarabe Sisnando Davidez y la política de Alfonso VI con los Taifas, al - Andalus, vol. XXI, 1947.

Miguel Muñoz de san Pedro : Badajoz, ed. Everest.

Miranda (Ambrosio Huici) : Historia musulmana de Valencia y su region, 3 vol., Valencia, 1970.

- » » La salida de los Almorávides del desierto, Hesperis, 3 - 4 Trimestres, 1959.

- » » La invasión de los Almorávides y la batalla de Zalaca, Hesperis t. xl, 1 - 2 trimestres, 1953.

Monés (Hussain) : Essai sur la chute du califat umayyade de Cordoue, en 1009, le Caire, 1948.

- » : Consideraciones sobre la época de los Reyes de Taifas, al - Andalus, vol. XXXI, 1966.

Nogales (S. Gómez) : La corte de los Aftasies de Badajoz. Principalmente en el campo de la filosofía, en Actas de IV coloquio hispano tunecino, Madrid, 1983.

Oliveira (Antonio Ramos) : Historia de España : la edad media, México, 1974.

Palacios (Miguel Asín) : contribucion a la toponimia arabe de España, Madrid, 1944.

- » » (Oliver Asín) : el lugar de la batalla de Zalaca - Sacralias, al - Andalus, vol. XV, 1950.

Pérès (Henri) : La poésie andalouse en arabe classique au xie siècle, Paris, 1937.

Perez de Urbel (F. Justo) : Historia: del Condado de Castilla, t. I,  
Madrid. 1948.

Pons Boigues (Francisco) : Ensayo bio bibliografico sobre los histori-  
adores y geógrafos arábigo españoles, Madrid, 1898.

Prieto y Vives (Antonio) : Los reyes de taifas, estudio histórico numis-  
ático de los musulmanes españoles, en el siglo V de la  
Hégira, Madrid, 1926.

Quiros (Po Carlos) : Los Almorávides, Archivo del Instituto Estudios  
Africanos, no 32, Madrid, 1955.

Remiro (Mariano Gaspar) : Historia de Murcia musulmana, Zaragoza,  
1905.

Ricard (Robert) : Pour comprendre l'art musulman dans l'Afrique  
du nord et en Espagne, Paris, 1924.

» Couraça et Coracha, al - Andalus, vol. XIX, 1954

Rubiera (Maria Jesus) : Sur un possible auteu de la chronique  
intitulée al - Hulal al - Mowasiyya fi - dīkr al - Ajbar  
al Murrakusiyya, en II coloquio hispano - tunecino de  
estudios arabes, Madrid. Barcelona, Mayo, 1972.

Salem (Elsayed Abdel Aziz) : obras almohades en la muralla almorá-  
vide de Sevilla, revista del Instituto Egipcio de estudios  
islámicas de Madrid, vol XX 1979.

» » Noticias, revista del institute egipcio de estudios islám-  
icos de Madrid, vol XIX, Madrid, 1976 - 1978.

» » Historia de Murcia musulmane; art. entregado a la



universidad del Cairo, en memoria del defunto profesor  
dr. Abdel Aziz al - Ahwani.

Sánchez, Albornoz (Claudio) : Los Reinos cristianos españoles,  
colección Austral, Madrid.

» » Adiciones al estudio de la crónica del moro Rasis,  
Madrid, 1978.

» » la Batalla de la Polvoraria, Anales de universidad  
de Madrid, fasc. III, 1932.

» » El Islam de España y el Occidente, colección Austral,  
Madrid, 1981.

Seybolds (H.) : Encyclopedia of Islam, art. Battalyaws

Serrano (Carlos Callejo) : Badajoz y su provincia, colección guías  
artísticas de España, Barcelona, 1964.

Simonet (Francisco Javier) : Historia de los mozárabes de España,  
Madrid, 1897, 1903.

El Shayyal (Gamal al - din ), el Abbadi (M.) : Islamic and arabic  
contribution to the european renaissance, Cairo, 1977.

Terrasse (Henri) : Les forteresses de l'Espagne musulmane, Madrid,  
1954.

» » Histoire du Maroc, des origines à l'établissement du  
Protectorat français, t. I, Casablanca, 1949

Torres Balbás (Leopoldo) la Alcazaba almohade de Badajoz, al -  
Andalus, vol. VI, fasc. I, 1941.

» » La mezquita de la Alcazaba de Badajoz, al - Andalus,  
vol. VIII, 1943.

**Torrer Balbas** La via augusta y el arrecife musulman, al - Andalus,  
vol. XXIV, fasc. 2, 1959.

» » **Caceres y su cerca almohade**, al - Andalus, vol. XIII,  
1948.

» » **Aznalfarache**, al - Andalus, vol. XXV

» » **Ciudades hispanomusulmanas de nueva fundación; en**  
**Etudes d'orientalisme dédiées à la memoire de Lévi**  
**Provençal, t. II. Paris, 1962.**

**de Valdeavellano (Luis)** : Historia de España, t. 2, de los orígenes 3  
la baja Edad Media, Madrid, 1980.

**Valdeon (Julio)** Aproximación histórica a Castilla a Leon, Valladolid,  
1983.

**Valladoz (Armando Cotarelo )** : Alfonso III el Magno, Madrid, 1933

**Villacrosa (José María Millas)** : la traducción castellana del tratado  
de agricultura de ibn Wafid, al - Andalus, vol. VII,  
fasc. 2, 1943.



ملخص الرسالة باللغة الاسبانية

**HISTORIA POLITICA DE BADAJOZ DURANTE LA  
DOMINACION MUSULMANA**

(1)

**BADAJOZ BAJO LA DINASTIA DE BANU ABDER -  
RAHMAN «EL GALLEGO»**

Con la llegada de los Arabes a España, algunas ciudades mantienen sus antiguos nombres que van tomando mayor o menor importancia según los hechos.

Así vemos como Badajoz, en los primeros años del Islam Español no tiene casi importancia, pues no fué que una pequeña aldea con muy pocos habitantes y oscurecida por la importancia de Mérida.

Allí por los años 214 y 222 de la Hégira (827, 835 de J.C.) los muladíes de Mérida no estaban contentos con los administradores del poder central de Córdoba por la preferencia de trato que daban a los árabes y bereberes ya que consideraban a aquellos como recién llegados al Islam y en quienes no se podía confiar; en consecuencia los Muladíes provocaron muchas revoluciones contra los Emires, uniéndose generalmente a los Cristianos.

El año 213 H. el bereber Mahmud Ibn Abdel Gabbar y el muladí Suliman ibn Martin se levantaron contra el gobernador de Mérida, Merwan el Gallego que había sido nombrado por el Emir. Merwan murió a manos de ellos y Abderrahman II tuvo que ir a Mérida a someter dichas sublevaciones.

Entre los rehencos entregados, por los derrotados, estaba Ibn-



Merwan el Gallego, quien fue llevado a Córdoba y quien pronto alcanzó en ésta puestos de gran importancia por la confianza que la dió el Emir. Con anterioridad, Merwan el Gallego, antes de llegar al puesto de gobernador de Badajoz se había incluso enfrentado al Emir, pero éste despues de haberlo perdonado lo nombró para ese puesto.

Abderrahman el Gallego despues de haber conseguido grandes honores en Córdoba, como guardaba en su corazon sentimientos nacionalistas huyó de la Corte y se dirigió a Mérida haciendo diversas revoluciones contra el poder central. Para el estudio de las mismas vamos a dividirlo en cinco partes lo que nos facilitará la comprensión del mismo.

En la primera, El Gallego ataca Mérida con algunos amigos suyos, pero el emir Mohamed ibn Abderrahman los contraatacó y los yencio llevándolos de rehenes a Córdoba.

El año 875, el Gallego huyó de Córdoba y vuelve a Mérida por sus desavenencias con el ministro Hashim ibn Abdel Aziz. El Gallego se dirigió al castillo de Hielo donde se reunió con otros jefes revolucionarios algunos de los cuales recibían ayuda del rey cristiano Alfonso III.

El Gallego se apoderó del castillo «Jurumenha» por considerarlo un lugar estratégico. Sadun el Soronbaki era uno de los revolucionarios que recibía mucha ayuda del rey cristiano. Todas éstas razones hicieron intervenir al emir de Córdoba quien mandó sus ejércitos contra el Oeste andalusi (el Algarve), para sofocar todas las sublevaciones. Entre las tácticas empleadas por soldados del Emir era envenenar las aguas de las ciudades sitiadas. lo que obligaba a los

habitantes de las mismas a buscar nuevos pozos y conductos de agua para poder subsistir o salir a luchar a campo abierto, con lo que ello suponía de desventaja. Posteriormente el Emir Abdula, a petición del Gallego, hizo la paz con los revolucionarios de Badajoz pero a condición de que éstos no saliesen de sus límites.

Tras la paz el emir Mohamed dió a Ibn Gallego autorización o le nombró como jefe supremo de la región de Badajoz y a partir de entonces Badajoz comenzó a convertirse en la capital de la zona por su importancia cultural, militar e incluso económica.

Dado el progreso de Badajoz, a manos de Ibn Gallego, éste se permite hasta mandar espías a Córdoba para estar informado de los acontecimientos de la Corte. También mantiene contactos por otra parte con los Cristianos, concretamente con el rey de León, Alfonso III.

Varios acontecimientos importantes retrasaron no obstante momentáneamente el progreso cultural o la importancia de Badajoz. Guerras, traiciones, luchas, asesinatos como la muerte de Makhul en Badajoz a manos de Hashim ibn Abdel Aziz (Makhul quedó en vez de Ibn Gallego a quien se parecía físicamente cuando éste fué a la ciudad de Monte Shalut «Monsalud»).

Como consecuencia de estas luchas vemos al ministro Hachim prisionero del rey de León, Alfonso, quien mas tarde le dió su confianza.

Entre los acontecimientos de estos tiempos vemos como Ibn el Gallego une a Alfonso tercero de León para luchar contra los musulmanes en la batalla de «Barbaria» o de Polvorosa en la cual vencieron los Cristianos a las tropas musulmanas. Ibn el Gallego siguió aliado

a los Leoneses hasta que se dio cuenta de lo que verdaderamente hacia contra sus propios hermanos de religión sobre todo cuando derrotó y mató a muchos musulmanes en la batalla de Mérida. A partir de ese momento Ibn el Gallego se separó definitivamente de los Leoneses y volvió a Badajoz.

A pesar de esta separación de Ibn el Gallego del rey de Leon no por eso mejoraron las relaciones de aquel y los emires correligionarios suyos ya que las luchas continuaron entre Ibn el Gallego y los principes musulmanes. También Hachim después de dejar al rey leons por haber pagado su rescate se enfrentó a Ibn el Gallego en algunas batallas.

Tras un periodo de guerras y revoluciones, la paz volvió a la zona y las relaciones entre los Emires con Ibn el Gallego aumentaron hasta tal punto que el Emir Mohamed le nombró y dio poder como único jefe supremo de Badajoz. Tanto el Emir Mohamed como su hijo Abdallah ayudaron en la reconstrucción de Badajoz y así vemos como se construye una mezquita con una gran cúpula y alminar y, también se construyeron baños.

Posteriormente dentro de la Alcazaba, Ibn el Gallego, con medios propios construyó otra mezquita y otras varias más en lugares diversos de la ciudad.

Esto fué una corta época de esplendor para Badajoz antes de la reanudación de los problemas revolucionarios. De nuevo Ibn el Gallego unido a los habitantes de Beja y Mértola se subleva contra el Emir y continuó las luchas hasta su muerte. Por último sus sucesores tuvieron problemas con el poder central y combates con los Emires hasta

que al final su nieto Abdalla se hizo fuerte en el poder de Badajoz al expulsar a los gobernadores impuestos por el Emirato.

La dinastía de Banu Merwan el Gallego continuó gobernando independientemente la región de Badajoz hasta la restauración del califato omeya, y entonces, el califa Abderrahman III pudo finalmente someter a Badajoz anejándolo bajo su autoridad en el año 318 de la Hégira.

(2)

**BLDAJOZ : Base y núcleo del ALGARBE durante el período de los**  
**TAIFAS :**

El Andalus empezó una nueva etapa cuando el «Hakam el Mustanser» subió al Califato mostrando su gusto por las artes y la civilización y dando toda clase de facilidades a sabios y escritores con lo que llegaron a Córdoba todos aquellos a quienes interesaba la civilización y la libertad que estaban desperdigados por toda España durante ese tiempo.

Entre ellos podemos destacar a Sabur, quien tendrá un papel importantísimo en la liberación intelectual del Occidente español.

Sabur fue uno de los hombres del Mansur ibn Abi Amir quien le dio el gobierno de Badajoz influenciado por los consejos de «Sobh» esposa de El Hakam al Mustanser y como premio aparente a su trabajo y honradez aunque en realidad lo que quiso el Mansur fue alejarlo del poder central. Posteriormente el Mansur se convirtió en el auténtico gobernante en tiempo de Hisham el Moayad. A pesar de eso, Sabur continuó en el gobierno de Badajoz porque estaba lejos de la metrópoli y en consecuencia Sabur no representaba un peligro para él en Córdoba.



Tras la muerte del Mansur su estado empezó a debilitarse sobre todo en los días de Shangul. En el tiempo de la Fitna que sucedió el asesinato de Sanchuelo hubo muchas revoluciones y se independizaron varios gobernantes que anteriormente dependían de él. Entre los gobernantes que consiguieron la independencia podemos citar a Sabur que mantuvo su poder en Badajoz durante trece años.

La mayoría de los historiadores contemporáneos creen que Sabur era de origen persa, pero en realidad no lo fué, pues no era más que un liberto amerí.

No sabía gobernar bien Badajoz por lo que quien en realidad gobernaba era su ministro Abu Mohamed Abdalla ibn Mohamed ibn Moslema que era de origen bereber. Sabur gobernaba Badajoz, Santaren, Lisboa y la Marca inferior.

Abu Mohamed Abdalla era conocido con el apodo de Ibn el Aftás y fué sucesor de Sabur a pesar de que éste tenía dos hijos: Abdel Malik y Abdel Aziz. Como hemos dicho Ibn el Aftás era de origen bereber y los bereberes vivían en esa época en la zona occidental del Andalus como los Pedroches, Trujillo, Sierra Morena, Sierra del Maden (Almadén) y los alrededores de Badajoz. Ibn el Aftás se sobrepodó «el Mansur». Lo más destacado de su tiempo fueron las guerras contra el reino de Sevilla gobernado por Abu Qasem ibn Abad. Esas guerras empezaron desde la llegada de los Aftasiés en el año 420 H. por motivo de la posesión de la ciudad de Beja que fué tomada por Ibn el Aftás para hacer de ella una base militar y un centro gubernamental desde donde extender su poderío a otras tierras del Occidente andaluz.

Como el rey Ibn Abad de Sevilla era muy ambicioso y ayudó a su amigo Mohamed ibn Abdalla ibn el Berzali, gobernador de Carmona, que era una ciudad fortificada situada la nor-este de Sevilla, esta intervención en los asuntos internos de Beja fué la causa de las guerras.

En una de esas batallas Ibn Abad cogió prisionero al hijo de Ibn el Aftás y lo tuvo encarcelado durante un año en la prisión de Carmona. Continuó después un período de paz de tres años aproximadamente y posteriormente se reanudaron los combates cuando al pasar las tropas de Ibn Abad por tierras pacenses para atacar Galicia se vieron a su vez atacados por Ibn el Aftás deseoso de tomar la revancha de su anterior derrota.

Ismael ibn Abad fué derrotado y huyó hasta Lisboa. Este período de paz de tres años tras la salida de la cárcel de Ibn el Aftás históricamente no es muy cierto, pues las fuentes árabes que nos han llegado no hablan del mismo.

A la muerte de Ibn Abad de Sevilla, su hijo (Ismael ibn Abad) continuó las guerras contra el heredero del El Mansur ibn el Aftás que se llamaba Al Muzafar ibn el Aftás.

En la época del Mansur ibn el Aftás, los dos hijos de Sabur (Abdel Malik y Abdel Aziz) que fueron a Lisboa se sublevaron contra el que había destronado a su padre, pero el Mansur los venció ya que Lisboa le prefería a los herederos de Sabur; dichos hermanos murieron en sus batallas contra el hijo del Mansur. Estas luchas no fueron unas luchas personales entre reyes y gobernantes sino que más bien fué una lucha de pueblos, es decir, entre árabes y bereberes ya que Ibn Abad era árabe mientras que Ibn el Aftas era bereber. Es

muy probable que anteriormente hubiese habido luchas entre Ibn Abad de origen árabe como indicamos e Ibn Hamud de Córdoba que era bereber también porque Ibn Abad quería apoderarse de todas las tierras pertenecientes a los reyezuelos en la zona occidental de Andalucía.

Le sucede su hijo Mohamed al Muzafar, que como fué muy buen gobernante fue amado por el pueblo, también fué un gran militar y conocía todas las armas que se utilizaban en su época, por la experiencia que le dio el contacto con otros ejércitos así como el tiempo que pasó prisionero.

La fama de Badajoz durante su mandato llegó a un muy alto grado, teniendo gran prestigio tanto en el aspecto cultural y científico como en el militar hasta el punto que llegó a ensombrecer a Toledo y Sevilla.

En el aspecto político continuó la línea de su padre, respecto a Sevilla y su rey Ibn Abad a causa de los problemas existentes en Niebla.

Niebla fué capital cuyos habitantes tuvieron buenas relaciones con Ibn el Aftás en Badajoz. Al ser atacada Niebla por Ibn Abad, el Muzafar ibn el Aftás vino a ayudar a Abdalla Mohamed ibn yehia el Yahsubi de Niebla, y este hecho fue la causa principal de la reanudación de las hostilidades entre los reinos de Sevilla y Badajoz a pesar de los buenos deseos de Ibn Gahwar de Córdoba que se esforzó denodadamente por establecer la paz y las buenas relaciones entre aquellos.

Estas batallas tuvieron un carácter especial y distinto a los combates normales entre enemigos : cuando Niebla fué sitiada por

Ibn Abad los Bereberes pacenses en vez de atacar a los árabes sevillanos para obligarles a levantar el sitio de Niebla atacan directamente la metrópoli sevillana lo que obligaría a los atacantes de Niebla a volver a sus tierras para defenderlas. Estos a su vez en lugar de seguir la costumbre tradicional, se dirigen a Badajoz para atacarla y obligar a los Bereberes a correr en su defensa.

Estas guerras fueron provocadas no solo por motivos de sangre o razas sino también por la posesión de los reinos de Occidente andaluz : Silves, Huelva, Niebla y Santa María del Occidente. Los Bereberes no fueron muy fieles a su jefe pero a pesar de ello pudieron derrotar a las huestes de Ibn Abad en el año 1047 J.C.

Poco después Ibn Yehia traicionó a Ibn el Aftás por lo que éste le atacó a pesar de estar comprometido en guerras con Ibn Abad lo que quiere decir que en esos momentos Ibn Yehia e Ibn Abad a pesar de sus diferencias de razas lucharon juntos contra Ibn el Aftás.

Resultado de todos estos combates fué la destrucción y el desvastamiento de Badajoz y sus alrededores por Ibn Abad aprovechando que Ibn el Aftás estaba ocupado en atacar Sevilla y Niebla. Por último volvió Ibn el Aftás y se enfrentó a Ibn Abad cerca de Evora derrotándole. Ibn Basam es el informador de todos los hechos ultimamente citados.

Ibn el Aftás fue un dictador en su mandato no aceptando consejos de nadie respecto a decisiones a tomar.

Después de un período de tregua se reanudaron los combates atacando Ibn Abad los reinos de Niebla y otros de la zona occidental.



En este tiempo las relaciones de Ibn el Aftás y el Mamun de Toledo no eran muy amistosas. Toledo era en aquel momento la «marca» central de el Andalus por su situación estratégica. Los gobernantes de Toledo por esa situación en el centro de la Península Ibérica pudieron atacar a sus enemigos tanto de oriente como del occidente andaluz bien fuera Zaragoza, Sevilla o Badajoz.

Siendo gobernante, el Mamun, fué muy amado por sus subditos, Ibn el Khatib dice que estas batallas se sucedieron entre los años 443 - 447 H. En la mayoría de los combates el Mamun fué apoyado por Fernando I quien aumentó los ejércitos toledanos con sus propios soldados.

La derrota de Ibn el Aftás por los sevillanos fué debida a varias causas, pero la principal fué la falta de preparación de sus propios soldados, y esto a pesar de los consejos de bereberes quienes pensaban que el ejército pacense no estaba en condiciones de enfrentarse al de Ibn Abad.

Después de varios meses y tras la derrota Ibn el Aftás no quiso mostrar su propia debilidad por lo que contrató a bailarinas y artistas de Córdoba para festejar en su palacio como si fuese el verdadero vencedor de esas luchas.

Entre todos estos combates fratricidas también podemos destacar las luchas del Mamun con otros jefes arabes; en primer lugar citamos el deseo del Mamun de apoderarse de Córdoba ampliando así sus territorios, pero Córdoba pertenecía entonces al sevillano Ibn Abad por lo que tuvo que enfrentarse para poder ver cumplido su deseo. En cuanto a las luchas de El Mamun con Ibn el Aftás no hay

muchos datos aunque parece probable que hubiese enfrentamientos al Este de la ciudad de Trujillo, zona limítrofe entre las provincias de Badajoz y Sevilla.

A pesar de que en la época de El Muzafar ibn el Aftás también existían desavenencias y luchas intestinas entre los Cristianos sin embargo, estos se aprovecharon del hecho de que la zona norte de Badajoz no estaba muy bien defendida para apoderarse de varios territorios y ciudades. Como ejemplo Fernando I de Castilla y León sin oposición por parte de Ibn el Aftás que consideraba inútil la defensa de las mismas por lo que no llegó ni a enfrentarse a los ejércitos cristianos.

Posteriormente Fernando I como consecuencia de estas victorias exigió un tributo a Ibn Aftás quien no quiso pagarlo por lo que Fernando mandó un ejército de diez mil hombres a Santaren, la ciudad más importante del dominio de Ibn el Aftas. El rey musulmán ante el cariz de los hechos se decidió a pactar con Fernando I y pagar el tributo que fue de cinco mil dinares.

Otro hecho importante es la entrega que hizo de Coímbra su gobernante Randah a Fernando I. Randah traicionó a su rey ibn el - Aftas y facilitó a los cristianos la conquista de Coímbra. Ibn el Aftás enfadado por esta traición juzgó y ejecutó a Randah.

Después de la muerte de Fernando I sus herederos preocupados en asuntos internos abandonaron las luchas contra el reino de Badajoz. A la muerte de Muzafar el año cuatrocientos sesenta de la hégira le sucedieron sus hijos Omar y Yehya. Según los historiadores Yehia fue el rey de Badajoz pero con la oposición de su hermano, a quien prefería el pueblo y que había recibido Evora como herencia paterna.

Consecuencia de esta división entre hermanos fue el que Omar ayudado por Ibn Abad de Sevilla ataca a Yehya a quien ayudaba el Mamun de Toledo con lo que se recrudecieron las luchas entre Toledanos y Sevillanos el territorio de Badajoz.

La pronta muerte de Yehia (muerte natural) suspendió los combates al aceptar todos a Omar como único heredero de Ibn el Aftás. Alfonso VI, sucesor de Fernando I pidió el aumento de los tributos a Yehya.

La época de Yehya fue una época triste y de poco grato recuerdo para Badajoz.

En tiempo del Motawakel ibn el Aftás los reinos de Taifas se dieron cuenta del peligro cristiano sobre todo despues de la caída de Toledo en manos de Alfonso VI e hicieron causa común llamando en su ayuda a los Almorávides quienes sometieron a sus propios correligionarios a pesar de que llegaron en ayuda de sus hermanos. Vemos así como Ibn Abad de Sevilla es derrotado y llevado prisionero a Marruecos donde murió más tarde.

Por su parte Ibn el Aftás al ver el comportamiento de los Almorávides pidió ayuda a Alfonso VI, lo que enojo a los Norteafrikanos quienes consideraron esta unión como una traición por lo que atacaron a Ibn el Aftás y lo mataron. Todos estos hechos principales tuvieron su origen en acontecimientos internos ocurridos en Toledo. Vemos como Ibn el Aftás es llamado por los Toledanos para que los gobierne, mandato que duró solamente diez meses porque la ciudad cayó pronto en manos de Alfonso VI quien de tiempo anterior conocía esta zona a fondo y pudo atacar mas facilmente a Toledo y apoderarse de ella.

Así Ibn el Aftás se vió obligado a retirarse a sus dominios de Badajoz. la idea de Ibn el Aftás cuando aceptó la invitación de los Toledanos para apoderarse de esta ciudad fue el temor que tenía al ver como Alfonso VI había tomado Coria facilmente desde donde iría a Badajoz casi sin oposición, mientras que al tener que tomar Toledo que él mismo defendría le sería a Alfonso más difícil ya que tendría que vencerlo dos veces, primero en Toledo y luego en Badajoz.

Tras la toma de Coria, Alfonso amenazó por carta a Ibn el Aftás, quien le contestó altivamente pidiendo al mismo tiempo ayuda a los Almorávides y mandando enviados a otros reinos de Taifas para que se uniesen contra Alfonso.

En ese mismo tiempo los Almorávides fueron solicitados no solamente por Ibn el Aftas sino también por Ibn Abad y otros como Ibn Ziri de Granada.

Como respuesta a todas estas llamadas los Almorávides pasan al Andalus y derrotan a Alfonso VI en Sagradas. Estaba Sagradas situada en la zona norte de Badajoz y allí se enfrentaron los ejércitos musulmanes y cristianos, y aunque estos eran mucho más numerosos que aquellos y llevaron ventaja al comienzo de la batalla, el final fué victorioso para los soldados de la Media Luna.

Tras la batalla, el jefe almorávide Ibn Tasfin regresó a Marruecos, pero las divergencias de sus correligionarios del Andalus le hicieron pensar en la conveniencia de volver otra vez, sometiendo a todos y enfrentándose a los Cristianos como jefe único del Islam Andalus.



Algunos historiadores creen que la idea de Ibn Tasfin no era solo el defender a sus hermanos de religión contra el cristianismo sino que pensó también en el hecho de apoderarse del Andalus como uno de los territorios que era incluso más rico que su propio reino.

(3)

### BADAJOS BAJO LOS ALMORAVIDES

Volviendo a Badajoz, y según dice Fernando Valdés, si Ibn el Aftas no hubiese pedido la ayuda o se hubiese aliado a Alfonso VI los Almorávides no habrían tomado la ciudad tan fácilmente ya que los habitantes de Badajoz se enfadaron al ver la alianza de este con los Cristianos y facilitaron a los Almorávides su entrada en la ciudad. Ibn el Aftas y su familia no pudieron escaparse a la muerte porque se encerraron en la Alcazaba de Badajoz, esperando la ayuda de Alfonso y como ésta no llegó los Almorávides la mataron.

Pero porqué mataron los Almorávides a Ibn el Aftas y no mataron a otros reyes de Táifas? Según la opinión del historiador alemán Ashbaj las relaciones Ibn el Aftas - Almorávides no fueron nunca leales ya que a veces a pesar de aliarse para luchar contra los Cristianos en otras ocasiones Ibn el Aftas los traicionaba a sus espaldas firmando tratados de mutua ayuda con Alfonso VI, lo que no era del agrado de los Almorávides y luchando contra sus propios correligionarios los Almorávides, por eso se enfadaron mucho y decidieron finalmente matarle.

La muerte de Ibn el Aftas se produjo utilizando los Almorávides el engaño ya que la vez que estaba encerrado en la Alcazaba pacense fingie-

ron una amistad y le propusieron un viaje a Sevilla. Al emprender dicho viaje a las puertas mismas de Badajoz dos de los hijos de Ibn el Aftás fueron decapitados en su presencia y mientras Ibn el Aftas rezaba ante ellos fue decapitado. De esta matanza se salvó solamente su hijo Mansur Ibn el Aftas quien al no hallarse presente en Badajoz en ese momento se puso al servicio de Alfonso VI convirtiéndose más tarde al Cristianismo.

Badajoz tras su caída en manos de los Almorávides se convirtió en una fortaleza de las mas importantes es decir una auténtica base militar fronteriza desde donde se podian lanzar ataques al enemigo cristiano viendo así como en el año 504 H. el capitan Sir Ibn Abi Bakr atacó el reino de Portugal.

Por estas razones estratégicas Ibn Tasfin se preocupó por dotarla y avituallarla militarmente.

Los Almorávides demostraron mucha actividad militar durante la jefatura de Tasfin Ibn Ali quien pudo lograr una gran victoria en una segunda Sagrajas cerca de Badajoz, ahora contra los Portugueses.

En esta época los habitantes del oeste andaluz sufrieron mucho con toda esta serie de luchas entre Musulmanes y Cristianos por lo que al cabo de algún tiempo hubo revoluciones que se extendieron a todo el Andalus. Destacamos a Ibn Kasi el Muladí que empezó su revolución en Silves, Mértola, Niebla y Badajoz, y su amigo Sidray Ibn Wazir fue gobernador de Evora y pudo gobernar Badajoz por un poco de tiempo.

Estas revoluciones tuvieron un caracter nacionalista. Cansados los

Andalúces del dominio almorávide, pidieron ayuda a los Almohades.

Los Almohades vinieron a Badajoz como libertadores pero en realidad se convirtieron en los nuevos señores de la capital por lo que Ibn El Hagam se levantó contra ellos pero pronto fue sometido y mandó regalos al Califa Abdel Mu'men. En la época del Badajoz almohade, los reinos cristianos se fortalecen y hacen una gran presión contra Badajoz siendo Portugal el mas fuerte de los reinos cristianos. Badajoz cae en mano de los almohades el año 545H.

(4)

## BADAJÓZ BAJO LA DOMINACION ALMOHADE

El Califa almohade Abdel Mu'men quiso, en su segunda excursión a España, según el historiador árabe Ibn Saheb el Sala, aconsejado por sus altos jefes militares, dividir todos sus ejércitos en cuatro grandes cuerpos con cada uno de ellos atacar a reinos cristianos diferentes: Toledo, Barcelona, Ciudad Rodrigo y Coimbra. Nos vamos a referir principalmente a este último ya que es el que afecta mas directamente a nuestro trabajo.

El Califa lanza sus tropas contra el reino portugués porque quería castigar a Alfonso Enriquez quien habia atacado en diversas ocasiones a Lisboa, habiendola saqueado y entregado a los obispos, ayudado a veces incluso por Alemanes e Ingleses. En estos dias la mezquita lisboeta fue convertida en Catedral. También el rey Alfonso Enriquez habia ocupado Santaren y despues Alcacer do Sal en el año 1160.J.C.

Estos ataques se efectuaban a veces por mar y otras veces por



fierra. Posteriormente los Cristianos de Santaren atacaron y desyastaron la tierra de Beja.

Todos los deseos del Califa almohade no pudieron verse cumplidos por su prematura muerte. Le sucedió su hijo Abu Yacoub Yousef quien tenia otras luchas con los Cristianos.

Estos dias y en estos combates destaca la figura del mercenario portugués Giraldo. Simpavor quien a sueldo de Alfonso Enriquez sometió muchas ciudades musulmanas: Trujillo, Evora, Cáceres, Montanchez, Jurumenha y Serpa. Este guerrero valeroso mostraba a sus propios soldados como vencer al enemigo. Dicen los historiadores árabes que cuando se encontraba ante cualquier ciudad amurallada, lo primero que hacía era sorprender a los guardianes tras haber subido a la muralla por medio de escaleras y despues de matar a los propios guardianes abría las puertas de la ciudad para que sus tropas emboscadas en las cercanías entrasen con facilidad pudiendo así matar a los habitantes y saquear la ciudad. Todas estas ciudades tomadas una tras otra fueron el eslabon que conducia a Badajoz la cual tambien cayó en sus manos.

Los habitantes de Badajoz que esperaban la ayuda del norte de Africa no recibieron esta ayuda del Sur sino que la recibieron de la parte septentrional de la península ibérica. Concretamente Fernando II queriendo atacar a Alfonso Enriquez pensó en liberar con la esperanza de quedarse con ella en el futuro la ciudad de Badajoz en manos del caballero portugués Giraldo y efectivamente le venció. En este combate resultó herido Alfonso Enriquez quien posteriormente fue hecho prisionero por el rey leonés aunque solo fue por poco



tiempo. Tras la curación de Alfonso Enriquez fue liberado por el propio Fernando lo que permitió a aquel volver a sus territorios. Fernando dejó también Badajoz a sus primitivos dueños los musulmanes almohades ya que estos eran sus aliados en algunas luchas que el leonés sostuvo contra otros reyes cristianos.

Dentro de las construcciones y los trabajos realizados por Yehia, el gobernador de Badajoz nombrado por el Califa almohade destacan el pozo protegido por un «coracha» que mandó construir dentro de la Alcazaba con la finalidad de que si la ciudad fuese sitiada de nuevo sus habitantes no padeciesen el tormento de la sed.

Estos días continuaron las actividades militares del caballero Giraldo Simpavor quien en una ocasión derrotó a Yehya gobernador de Badajoz, haciéndole creer que se retiraban, y cogiéndolo después en una emboscada. También Giraldo apresó a una expedición de socorro y avituallamiento procedente del Marruecos almohade tras el hambre que padeció Badajoz al ocurrir un terremoto que devastó algunas ciudades del Andalus Occidental.

El año 1170 J.C. murió Yehya, gobernador de Badajoz, como consecuencia de las heridas sufridas en una batalla contra los Cristianos quienes esos días se mostraron muy activos en el aspecto militar.

Consecuencia de estos combates fue el hecho de la venida a España de otro contingente de tropas almohades al frente del hermano mismo del Califa, quien no pudo venir por estar enfermo. Abu Saïd con todos los jefes y grandes personajes de los taifas andauces decidió defender Badajoz del peligro que suponía la proximidad de Giraldo y se puso de acuerdo con Fernando II quien también quería proteger Badajoz contra el peligro portugués para apropiarse de ella.

Los últimos acontecimientos de estos días nos muestran como el mercenario Giraldo ofrece sus servicios al Califa almohade quien en principio le aceptó pero al ver y descubrir que Giraldo seguía en contacto con Alfonso Enriquez lo encarceló y mandó matarlo. Los almohades atacaron la ciudad de Santaren pero fueron derrotados por Alfonso Enriquez y en esa batalla murió el Califa almohade Abu Yacoub Yousof.

En el reinado de Almanzor las tropas almohades lograron una gran victoria en el año 591. H.

Se comprometió a liberar todas las ciudades del Algarbe ocupadas por los Portugueses pero después de su muerte y sobre todo de la fatal derrota de Las Navas de Tolosa y las divergencias entre los principes almohades en torno del trono, los Almohades del Algarbe se debilitaron hasta el punto de dejar a los Portugueses, Castellanos y Leoneses devastar los territorios musulmanes y así la Reconquista empezó a tener una etapa decisiva.

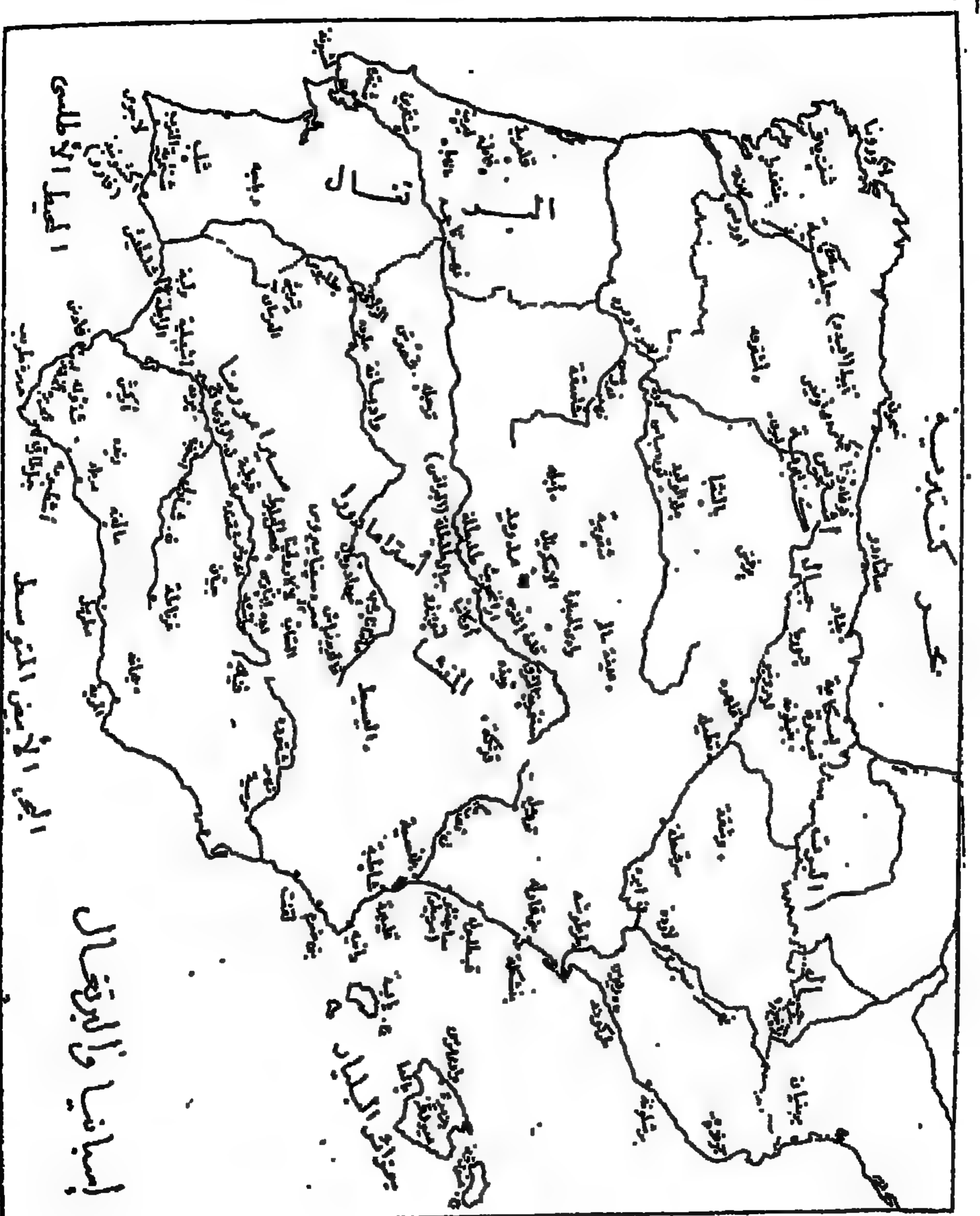
Badajoz cayó en manos del rey Alfonso IX rey de León el año 1230 J.C. (627 H.). Con su caída termina una página gloriosa en la historia del al - Andalus.



مدرسة بطليموس القديمة والمدرسة الحديثة







البحر الاطلسي

البحر الابيض المتوسط

إسبانيا والبرتغال

كاستيلا

أراغون

نابار

كاتالونيا

بلنسية

أندلس

إشبيلية

سبته

مراكش

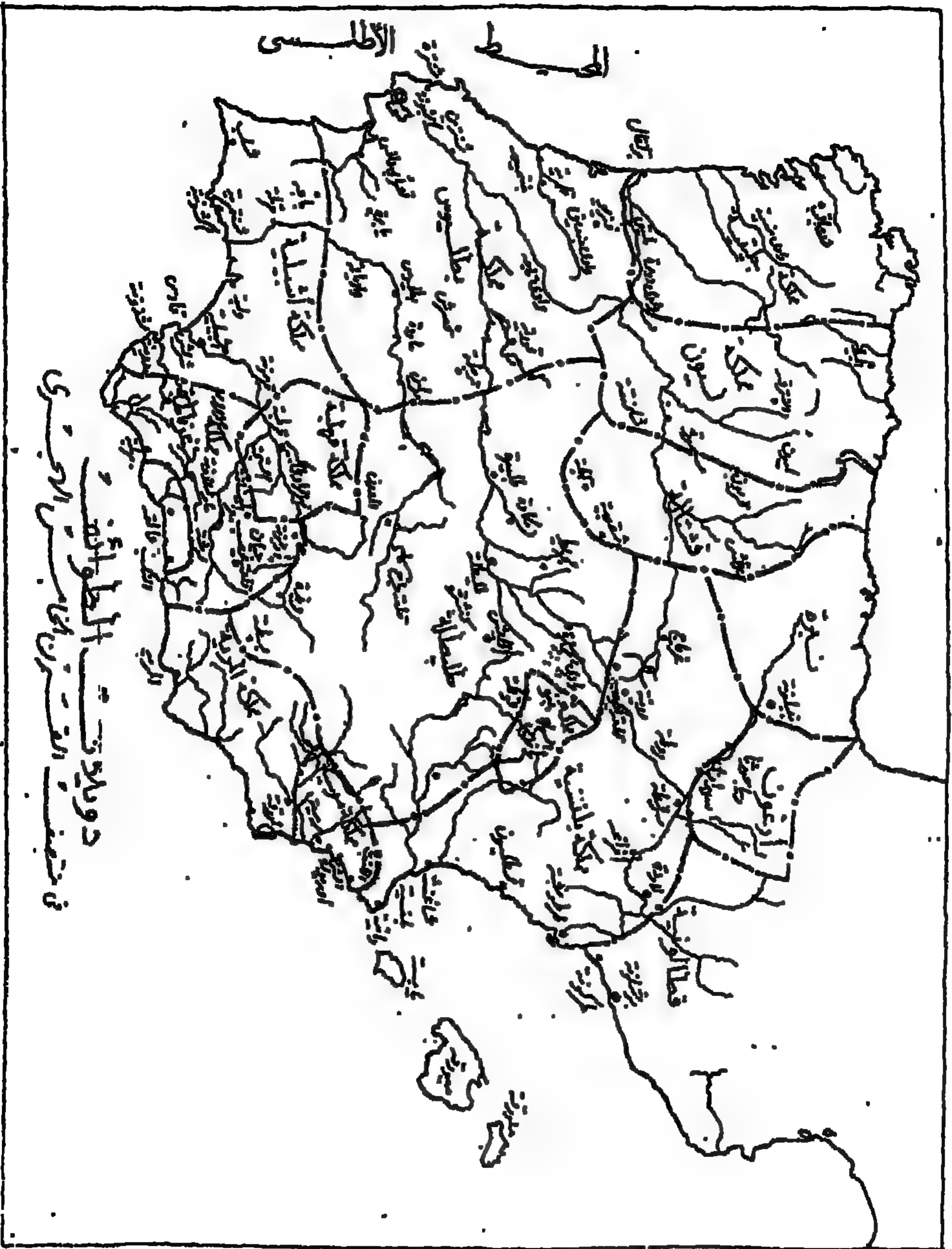
الجزيرة

البحر

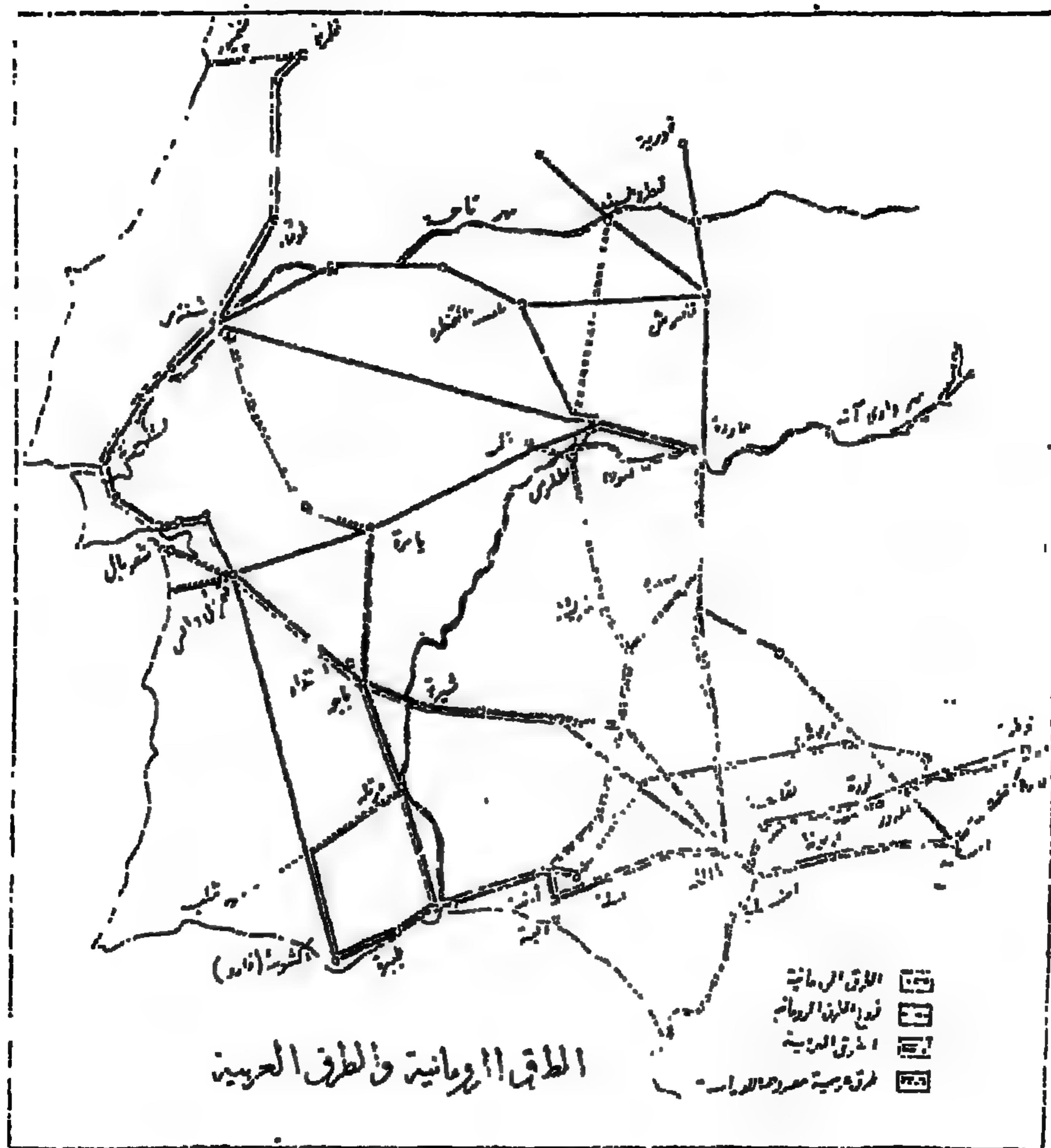
البحر

البحر

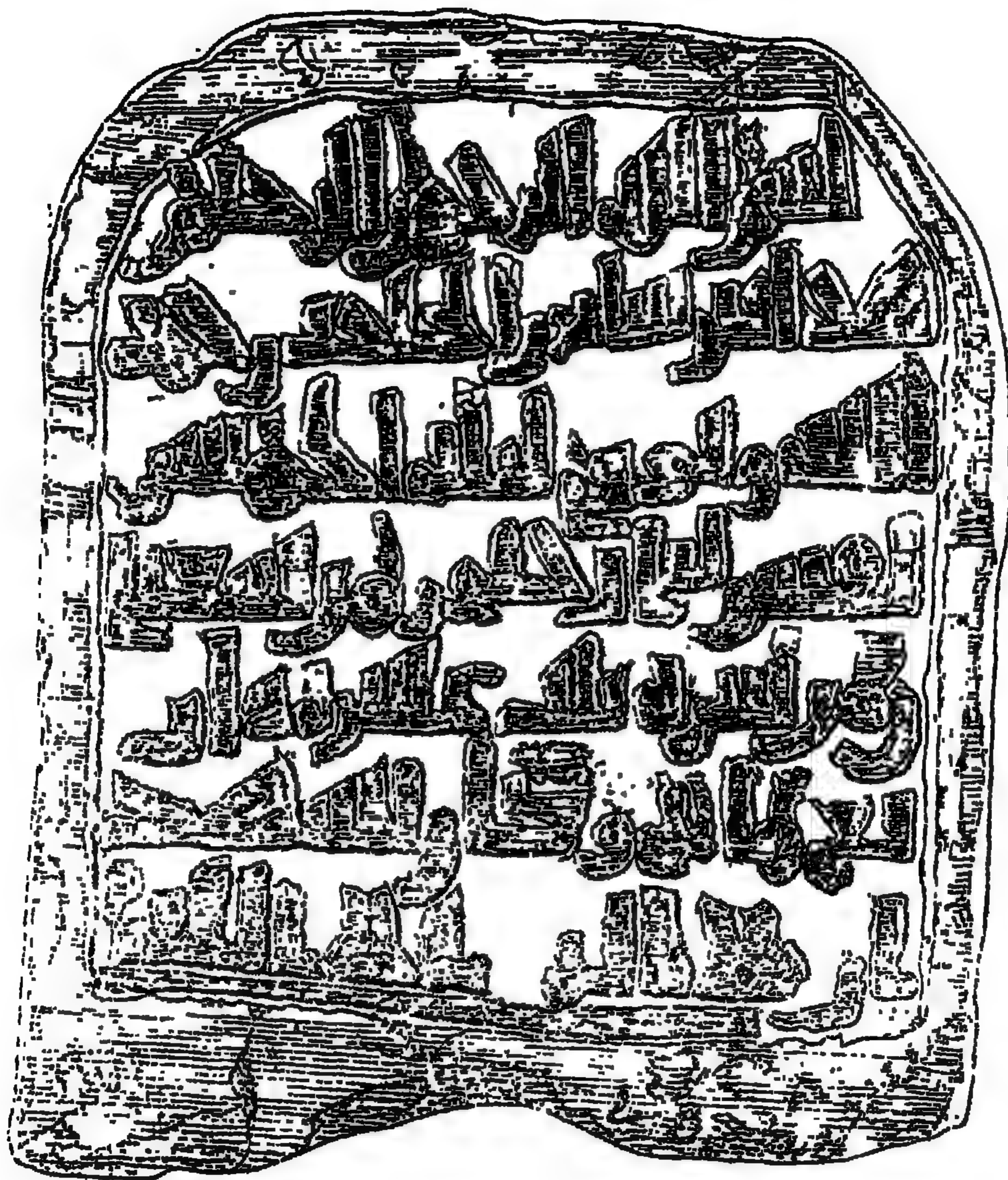
البحر



دولت ایران  
فی مذهب و ملت و زبان و نژاد و اقلیت

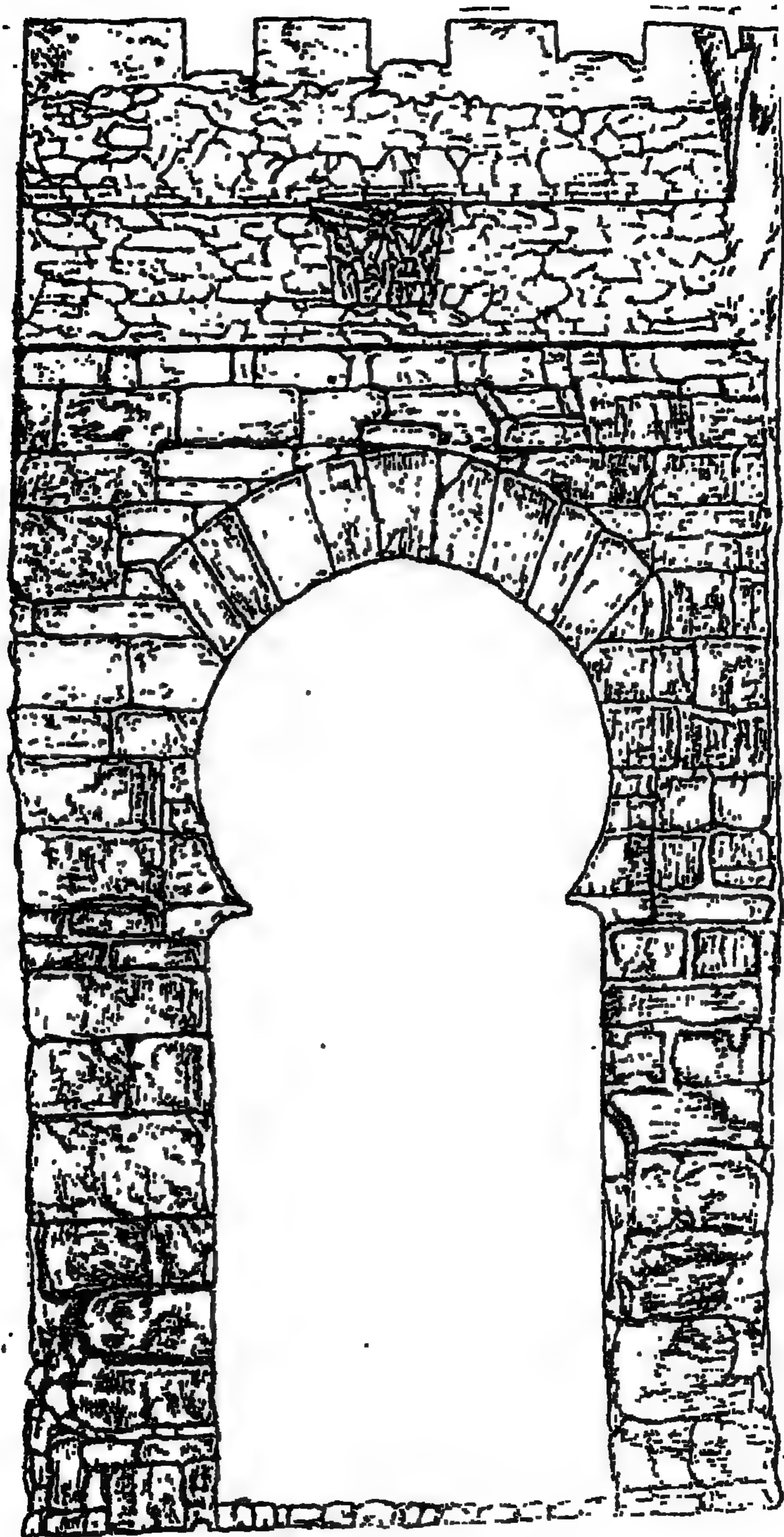




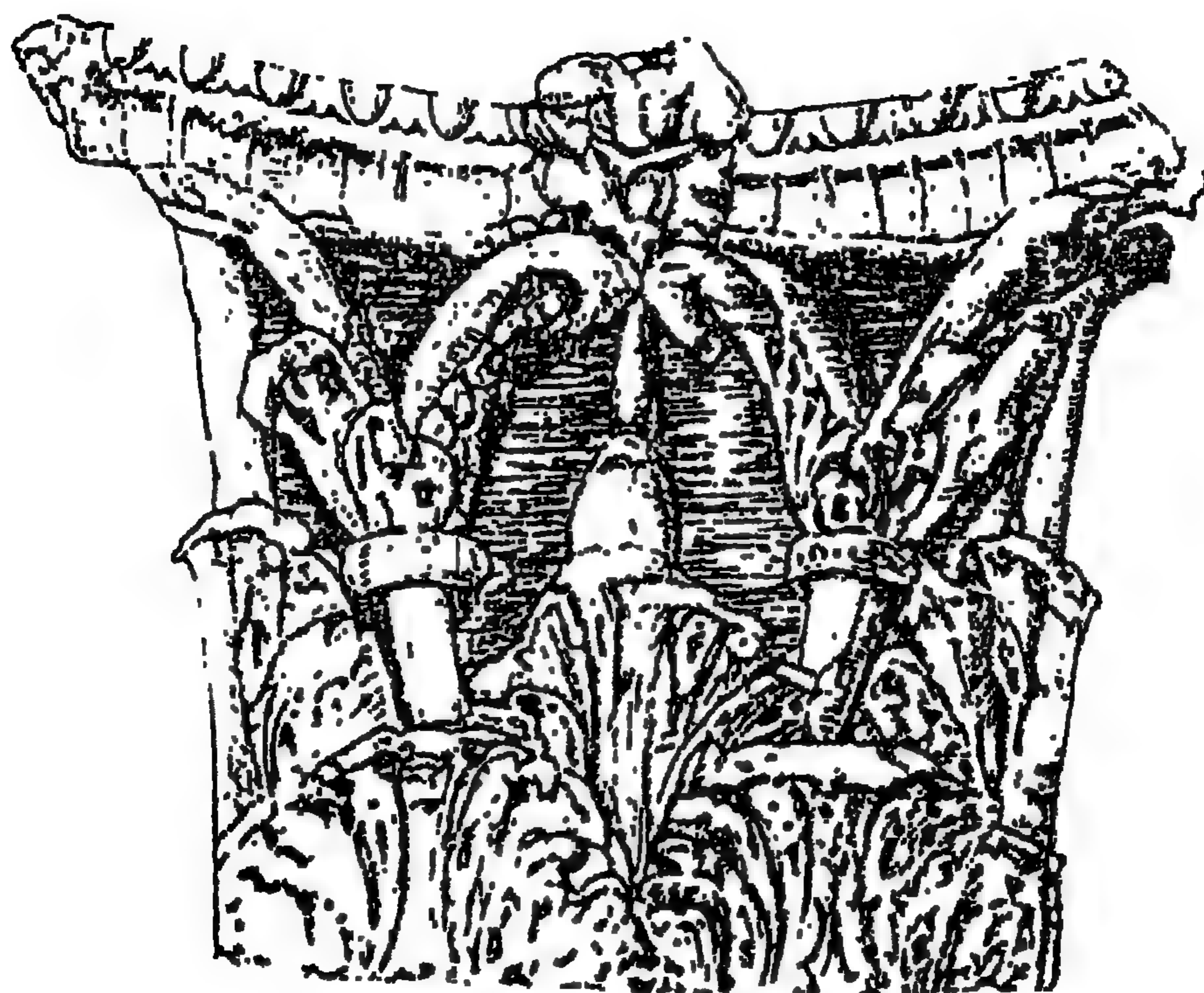


شاهد قبر مایور العامری الحجاب انشوی ۱۱۳ هـ





منظر الجدار (Elevation)  
لجدار الحصان في باب طليوس



التاج المثبت بأعلى باب التاج



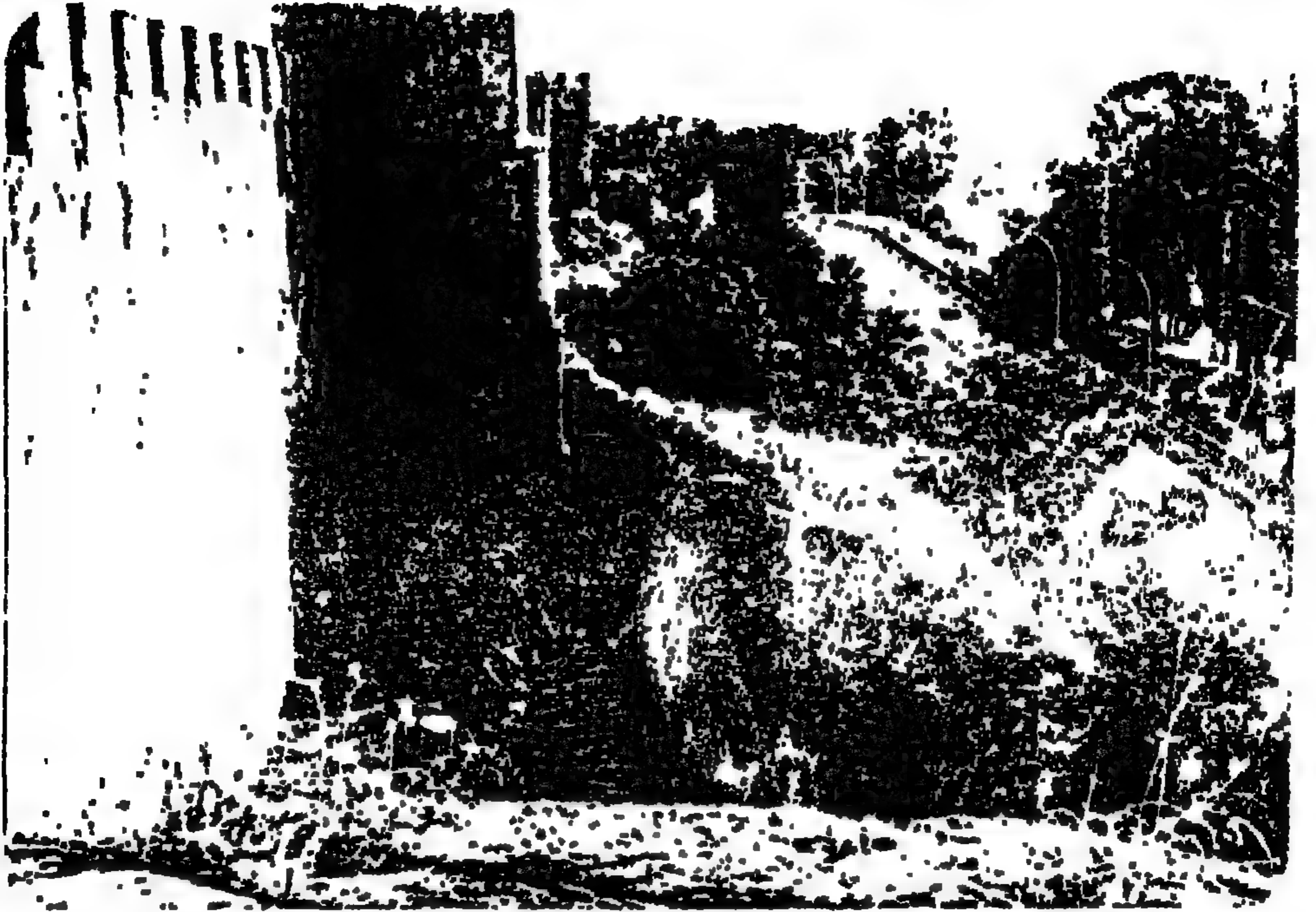








الطالبة مع الدكتور فرناند وبالوث رئيس البعثة الأثرية ببطلينوس  
أمام إحدى المقصات بالقصبة



جانب من سور القصبة وتشاهد قورجة متفرعة من السور  
تنحدر نحو وادي يانسة



الموقع الذى دارت فيه موقعة الزلاقة بهطحا\* بطليوس





## محتويات الجزء الثانى

### الفصل الرابع

الموضوع	رقم الصفحة
بطليوس فى عصر المتوكل على الله عمر بن الافطس	
(١) مرحلة الانتقال من المظفر الى المتوكل .. .. .	٩
(٢) المرحلة الاولى من عصر المتوكل (٤٧٢هـ - ٤٧٣هـ) .. ..	١٧
(٣) المرحلة الثانية من عصر المتوكل ( ٤٧٣ - ٤٧٩ ) .. ..	٣١
(٤) اطماع الفونسو السادس فى مملكتى بطليوس واشبيلية .. ..	٣٧
(٥) هزيمة الفونسو السادس فى الزلاقة من بطليوس .. ..	٥٤
(٦) تحقيق موقع الزلاقة من اراضى بطليوس (ساجراخاس) .. ..	٩٧
(٧) نهاية بنى الافطس اصحاب بطليوس .. .. .	١٠٩

### الباب الثالث

بطليوس منذ دخولها فى فلك دولة المرابطين فى عام ٤٨٨هـ  
(٩٥٠م) حتى سقوطها فى ايدى الليونيين عام ٢٢٧هـ (١٢٣٠م).

### الفصل الخامس

#### بطليوس فى عصر دولتى المرابطين والموحدين

(١) بطليوس فى عهد على بن يوسف .. .. .	١٤١
(٢) الثورة فى غرب الاندلس وانهايار سلطان المرابطين .. ..	١٦٧
(٣) بطليوس فى عهد عبد المؤمن بن على وابنه يوسف .. ..	١٨٩
(٤) بطليوس فى عهد الخليفة ابنى يوسف يعقوب المنصور .. ..	٢٣٦
(٥) بطليوس فى عهد خلفاء المنصور .. .. .	٢٥٢
(٦) سقوط بطليوس فى ايدى الليونيين سنة ٢٢٧هـ (١٢٣٠م) .. ..	٢٦٢

الموضوع	رقم الصفحة
الخاتمة .. .. .	٢٧٩
<b>ملاحق الرسالة</b>	
الملحق الاول - عرض تاريخى موجز للمالك المسيحية فى شبه جزيرة ايبيريا التى لها اتصال مباشر بغرب الاندلس .. .. .	٢٩٣
الملحق الثانى - نص الرسالة الموجهة من المتوكل على الله عمر بن الافطس الى امير المسلمين يوسف بن تاشفين	٣٧٩
الملحق الثالث - نص الرسالة الموجهة من المتوكل على الله عمر بن الافطس الى الفونسو السادس ملك قشتالة	٣٨١
الملحق الرابع - ثبت بأسماء الاعلام الجغرافية والمواضع الوارد ذكرها فى الرسالة .. .. .	٣٨٣
قائمة المصادر والمراجع الحديثة .. .. .	٣٨٩
موجز الرسالة باللغة الاسبانية .. .. .	٤١٣
فهرس الصور والخرائط والرسوم التوضيحية .. .. .	٤٣٣





تم بحمد الله



Библиотека Александрина  
مكتبة الإسكندرية



0298310